

مجلة آداب المستنصرية

تصدرها كلية الآداب بالجامعة المستنصرية

١٤١٠هـ — ١٩٩٠م

العدد السابع عشر

١٧

مجلة آداب المستنصرية

- بدأت بأسم (مجلة الجامعة المستنصرية) في السنة الدراسية ١٩٦٩ / ١٩٧٠ وصدر منها للاختصاصات كافة خمسة اعداد، وكانت تصدر عن رئاسة الجامعة .

- حملت اسمها الجديد (مجلة آداب المستنصرية) في العام الدراسي ١٩٧٥ / ١٩٧٦ وكانت تصدر عن كلية الاداب، وتم اصدار ١٦ عدد منها لحد الآن .

- ابتداء من العام الدراسي ١٩٨٢ / ١٩٨٣ أصبحت قطرية تنوب عن مجلات كليات الاداب في الجامعات العراقية استناداً الى قرار مجلس الوزراء المرقم (٥) بأجتماعه الأعتيادي الثلاثين في ١٩٨٣/٨/١٢ .

- تعمل هيئة تحرير المجلة على اصدار عددين سنوياً وقد يكون معدل الإصدار أكثر من ذلك مستقبلا اذا استمرت بصفتها القطرية المعمول بها حالياً .

- هيئة تحريرها في الوقت الحاضر على النحو الاتي :

لجنة المجلة

كلمة المجلة

بعد التحية :

نعتذر للزملاء الباحثين ولقراء المجلةالافاضل عن تأخر صدور هذا العدد عن الموعد المحدد له، وان ذلك منسوب الى صعوبات خارجة عن ارادتنا بسبب المشكلات المالية التي تعاني منها المجلة بعد تحولها الى التمويل الذاتي وبسبب صعوبات الطباعة في المطابع الرسمية ومطابع الوزارة ازاء التزاماتها في طباعة الكتب والمطبوعات الرسمية الموكولة اليها .

ان هيئة تحرير المجلة قد حرصت على إدامة اصدارها على الرغم من جميع الصعوبات المترتبة على وضعها الجديد وفاءً لاساتذة الكلية وللزملاء اساتذة الجامعات الأخرى داخل وخارج القطر لتوسيع مجالات نشر البحوث العلمية خدمة للبحث الجامعي ومتطلبات الترقيات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية وسيظل مبدأ منح الأسبقيه لأساتذة الكلية في النشر ثابتاً في سياسة المجلة لانهم الطرف الأكثر اسهاماً في تمويلها ويأتي دور الآخرين بعدهم حسب الأسبقيات وتغذية الأبواب العلمية المعتمدة في تنظيم المجلة ومحتوياتها ويبقى للاضافة النوعية دور مهم في ترجيح بحث على آخر في اسبقية النشر.

ان هيئة تحرير المجلة اذ تعدكم على الدأب المتواصل والحرص الشديد على ادامة صدورها ترجو من السادة الباحثين المبادرة الى تسديد بدل النشر حال ترشيح بحوثهم لمحتويات العدد الجديد لتمكين المجلة من التغلب على الصعوبات المالية ومواصلة الصدور في مواعيدها المحددة. اما سمعة المجلة ورواجها على المستويات الجامعية والقطرية والعالمية فقد وصلت الى الحد

الذي يسركم جميعاً وان هذا النجاح منسوب اليكم ـ ايها الزملاء الباحثون وأملنا وطيد ان يظل تواتر تطورها بجهودكم واصالة بحوثكم خدمة للوطن والأمة ولارادة العراق العظيم بأمتلاك اعلى مواقع التطور العلمي بقيـــادة الرئيس القائد صدام حسين (حفظه الله ورعاه) وعزم الجامعات العراقيـة ومنها جامعتنا على توسيع آفاق النشر العلمي الجامعي

والله الموفق والمعين والسلام عليكم

حميد مخلف الهيتي

عميد كلية الاداب

رئيس تحرير المجلة

المحتويات

١ — مقدمة لدراسة حكم المتنبي : الحكمة في الآداب القديمة
د. علي الزيدي ١٣

٢ — اللغة العربية والعلوم
د. هادي نهر ٢٥

٣ — البطل في الشعر العربي وفي نقده : الطائيان والآمدي انموذجاً
د. قاسم المومني ٥٩

٤ — مسألتان في آية قرآنية
د. عبد المجيد عبد السلام المحتسب ٩٩

٥ — اشكالية المصطلح في للدراسات اللغوية المعاصرة في العراق: مصطفى جواد نموذجاً
د. محمد عبد المطلب البكاء ١٢١

٦ — النادر اللغوي في الأبنية الصرفية : مفهوم ووصف
نهاد فليح حسن ١٥٣

٧ — أثر القرآن الكريم في شعر جلال الدين الرومي من خلال للكتاب الأول من المثنوي
نبيل عبد العزيز عيد ١٨١

٨ — الصعوبات النطقية والكتابية لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها
طارق اسماعيل النعيمي ٢٠٥

٩ — الأخطاء الكتابية التي يرتكبها الطلبة الصوماليون
طارق رديف العامري ٢٢٧

١٠ — تنمية للجانب الأخلاقي والتربوي لدى طلبة الجامعة
د. رياض حامد الدباغ ٢٥٣

١١ ـ الشباب الجامعي والتكيف النفسي والأجتماعي
د. عبد علي الجسماني/جميل مهدي محمد ٢٧٣

١٢ ـ تشخيص حالات بطء التعلم لدى اطفال الصف الأول الأبتدائي في العراق «دراسة اكلينيكية معززة ببطارية اختبارات شخصية»
د. زكريا زكي اثناسيوس/ د. ابراهيم الكناني ٣١٥

١٣ ـ اساليب التنشئة الوالدية وعلاقتها بالثقة بالنفس
د. محمد مهدي محمود /د. مصطفى محمد عيسى ٣٤٩

١٤ ـ تقيم العمليات المكتبية من اجل تحسين خدمة المستفيد
د. اوديت بدران ٣٨٣

١٥ ـ من مظاهر نظام التعليم في مصرفي زمن المماليك
د. حياة ناصر الحجي ٣٩٥

١٦ ـ الأسس النفسية للعدوان البشري مع دراسة تحليلية لنموذج العدوان الإيراني على العراق
د. محمد الياس بكر العزاوي ٤٢٧

١٧ ـ الروح المعنوية لدى المقاتل العراقي على ضوء معركة قادسية صدام : اسسها ومقوماتها
د. نجم عبد الله العاني ٤٥٥

١٨ ـ الإدارة العلمية وبحوث العمليات : دراسة لمجالات تطبيقاتها في المكتبات
د. نعيمة حسن رزوقي ٤٧٣

١٩ ـ المطبوعات الحكومية العراقية : دراسة في نشأتها ونموها وتطورها واهميتها ومشاكلها في التوزيع والنشر والإيداع القانوني
مصطفى مرتضى الموسوي ٥٠١

٢٠ ــ العروض الناقدة للكتب في الصحف والمجلات العربية
غنية خماس صالح ٥٣١

٢١ ــ القدوة في مفهوم القائد
بثينة عبد الرحمن ياسين / رعد صالح الالوسي ٥٥٥

٢٢ ــ الثقافة واثرها في بناء الشخصية الإنسانية
محمد احمد السامرائي ٥٦٧

٢٣ ــ الولايات المتحدة الأمريكية والخليج العربي : دراسة في تطور السياسة الخارجية الأمريكية ازاء منطقة الخليج العربي
مظفر نذير الطالب ٥٩٩

٢٤ ــ دراسة لأسباب الرسوب في الجامعة المستنصرية للعام الدراسي١٩٧٧/١٩٧٨
جنان هادي صدقي ٦٢٥

اللغة العربية و آدابها




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مقدمة لدراسة حكم المتنبي

(١)

الحكمة في الآداب القديمة

د. علي الزبيدي
الاستاذ المتمرس في كلية الآداب
بجامعة بغداد

إمتاز المتنبي بحكمته الشعرية الرائعة ، وإشتهر بها في الاوساط الادبية وغير الادبية ، ووقف عندها أغلب الذين عنوا بسيرته وشعره من القدماء والمحدثين ، حتى غدت هذه الحكم في طليعة المزايا التي يشيد بها المفتنون بشاعرية ابي الطيب ، وفي مقدمة الاغراض الشعرية التي تشغل بال الدارسين ، وقد بهرت اكثر هذه الحكم محبّي الادب والشعر من مختلف الاوساط والفئات والاماكن والازمنة ، فلا تكاد تعرض لاحدهم خليقة من خلائق البشر ، أو قضية من قضايا السلوك ، أو حدث من احداث الحياة يستحق التأمّل أو (التفلسف) حتى يتمثلوا ببيت او اكثر واحياناً بنصف بيت ، بل بعبارة واحدة من احدى حكم المتنبي وقد وصلت هذه الظاهرة إلى حد يصح القول عنده إن حكم الشاعر قد أخملت حكم الشعراء السابقين وعرضتها للاهمال والنسيان ، فليس غريباً ، والامر كما نرى أن ينصب اهتمام القدماء والمعاصرين على حكم المتنبي حتى جعلها بعضهم عنوان عبقريته وتفوقه ودليل علمه وثقافته وزبدة وخلاصة تجاربه ، وتجارب الناس العميقة في الحياة ، ومضى غير واحد من القدماء يصفها باحسن الصفات ويشرحها ويبحث عن اصولها ومصادرها ، ويقدّمها ويفضلها على اغراضه الشعرية الاخرى ، واتخذ منها بعض معاصرينا دليلاً على أنّ المتنبي (فيلسوف) يدين بفلسفة القوة ، ويبشّر بها ، فقرنه العقاد ومن تابعه بالفيلسوف الالماني الشهير (نيتشه) ، ورفض فريق كبير من الباحثين هذه النظرية محتجين بأن حكمه لايقوم على نظرية فلسفية ذات منهج متميز يربط النتائج بالمقدمات كما هي الحال عند الفلاسفة ،

وتذرع بالحكم ايضاً أولئك الذين طعنوا في شاعرية المتنبي في عصره ، وارادوا أن يحطوا من شأنه كالصاحب بن عباد ، والحاتمي والنامي وغيرهم ، كما استند إلى بعض حكمه الذين نسبوا اليه ادّعاء النبوّة ، أو الزندقة ، أو ضعف العقيدة الاسلامية ، أو مناصرة القرامطة والباطنية ، وكان اولئك الخصوم جميعاً على اختلاف اصنافهم واغراضهم ومذاهبهم الأدبية والدينية والسياسية ، يتخذون من بعض ابياته في الحكمة قرائن أو ادلة تدعم ما يذهبون إليه، يستوي في ذلك من اتهمة بالسرقة واللجوء إلى أخذ اللفظ والمعنى بانواع الاخذ التي بسطها النقاد والبلاغيون كالعسكري وابن الاثير (١) ، ومن وصمه بالتعكز على الامثال والاقوال السائرة التي يزخر بها التراث الشعري والنثري ، ومن وضع الرسائل ليثبت مع بعض التهويش والمبالغة ان اكثر حكم المتنبي مأخوذة من حكم ارسطو ، ويمكن أن نضع في صف الخصوم ايضاً بعض الذين تشبثوا بالرأي النقدي الذي يرى ان الحكم بما فيها حكم المتنبي لا ترقى إلى مستوى الروائع الشعرية ، وكان رأي الجاحظ من حكم ومواعظ صالح بن عبدالقدوس اساس هذا الموقف النقدي الذي كسب انصاراً كثيرين في العصور التالية (٢) ، فاذا كان الجرجاني يجعل من رأي الجاحظ ركناً من اركان نظريته في نقد المعاني فهي عنده نوعان : عقلية يتداولها الناس ويتناولها الشعراء دون عناء ، وتخيلية يخترعها الشعراء بعد كد ومعاناة ومعالجة دقيقة لعناصر الفن ومقوماته ، وادواته ، ولوازمه ، فالمعاني العقلية يغلب عليها الاتباع والتقليد ، اما الثانية (التخيلية) ففيها يكون الابداع والاختراع (٣) ، فالحكم كل الحكم عند عبدالقاهر الجرجاني هي من قبيل العقلية ، وهذا يعني — وان لم يخص الجرجاني حكم المتنبي بقوله هذا — ان نصيبها من الثمن ضئيل في نظره ، وان عبقرية شاعرنا الفنية تنفجر وتتجلى في اغراضه الشعرية الاخرى . وسنعود إلى مناقشة هذه الاراء وغيرها فيما بعد .

---

(١) انظر : المثل السائر لابن الاثير والصناعتين لابي هلال العسكري في باب الاخذ وانواعه كالسلخ والمسخ .

(٢) البيان والتبيين / .

(٣) اسرار البلاغة / .

اجتذبت حكم المتنبي في عصرنا الحديث اكثر الذين قاموا بدراسات عامة عن الحكم والامثال ، والذين اقتصروا في دراستها عند شاعرنا فقط فتطرق بعضهم إلى تراث الحكم حتى عصر المتنبي ، وانتبه بعضهم إلى اهمية الوقوف على مصادر الحكم ومجاريها في القرن الرابع ، واهتم آخرون بحياة العصر الفكرية وتأثيرات الثقافات الاجنبية من يونانية وهندية وفارسية في أدب القرن الرابع وأكدوا تغلغلها في ثقافة المتنبي ، وعقله وفي صياغاته المعنوية واللفظية حيث كانت (تتفاعل) على حد تعبير الكيماويين ، او تنفعل كما يقول علماء النفس لتكون لغته الشعرية المتوترة . ومهما يكن فان دراسة مصادر حكم المتنبي واصولها الدينية والدنيوية لم تحظ بما تستحقه من الدراسات المنهجية على الرغم من كثرة المواد التي قدمتها الكتب القديمة في الحكمة والحكماء قبل الاسلام وبعده ، فالأدب الهندي — واشير اليه هنا على سبيل المثال — كثيراً ما يوصف بأنه أدب حكيم أثر تأثيراً قوياً في الآداب الشرقية المجاورة كالآدب الفارسي والأدب العربي ، ولكن اذا إستثنينا (كليلة ودمنه) التي حظيت بعدد كبير من الدراسات الحديثة ، فليس لدينا دراسات — حسب علمي— عن تأثير الانواع الأدبية الهندية الاخرى في ادبنا العربي .

والحق انّ تأثير الأدب الهندي لم يفت على اسلافنا الاذكياء كأبن المقفع والجاحظ والبيروني وغيرهم من المتأخرين ففي كتبهم مواد واشارات كثيرة الى أدب الهنود ، وموجة الحكمة طاغية في الأدب الهندي ، فالهنود قد بهروا العالم القديم . كقصص الحيوان وهو نوع من انواع أدب الحكمة المتميز في أدبهم .

أما الأدب اليوناني القديم فجانب الحكمة الذي عرفه العرب وتعلموه قلّما يتجاوز مؤلفات أرسطو وأفلاطون وسقراط ، ومادتهم كما نعلم فلسفية لاتنصب الى الفنون الأدبية التي يتألّف منها أدب عند شعراء اليونان وأدبائهم ، وينطبق هذا على الاقوال المأثورة التي نسبتها المصادر العربية الى أبقراط وجالينوس وغيرهم من (الحكماء) .

صحيح انّ الفلاسفة اليونانيين قد أمدّوا أدبهم بفيض من الأفكار والتأمّلات والنظرات ولكن رفد الانواع الأدبية وتزويدها بالأفكار لايغلب هذه الأفكار الى أدب وفنّ . والخبط الذي ولع فيه الذين نسبوا حكم المتنبي الى أرسطو كالحاتمي ومن تابعه كان نتيجة

الخلط بين ماهو علم وفلسفة ، وما هو أدب وفن ، ولعلّ استعمال لفظة الحكمة عند العرب للدلالة على كلمة (فلسفة) كان من اسباب هذا الخلط والتخبّط ، فالفلسفة بمنهجها العلمي وموضوعاتها ومشاغلها شيء والحكمة في الأدب بدلالاتها وصيغها الفنية شيء آخر ، ولاشك في انّ تعدد وتنوّع مفاهيم الحكمة في العلوم الاسلامية ولا سيما في التفسير وعلم الكلام والزهد والتصوّف منذ القرن الثالث الهجري قد ساعد على هذا الخلط حتى يصعب التمييز بين الكلمة الحكيمة المعتمدة على حسن استعمال اساليب التعبير الفني وصيغه ، والحكمة والمواعظ الجافة التي لاتمتّ الى عناصرالأدب والفن والجمال بصلة.

وقد كان لليونان إلى جانب الفلسفة أدب حكمة ، أو أدب حكيم ، ولكن اسلافنا لم ينقلوا الادب اليوناني إلى العربية ، فلم يقرأ الوسط الادبي القديم ملحمة هوميروس وإن كان قد عرف وجودها من اشارات مترجمي ارسطو ، ولم يطلع اسلافنا على مسرحيات اسكيلوس وسوفوكليس وبوربيدس وفي هذه الانواع من الشعر الملحمي والمسرحي أو الدرامي ومقطوعات شعرية كاملة من الحكم الشعرية الرائعة الكثير (١) .

ولليونان مع ذلك انواع شعرية ونثرية خاصة بالحكمة واشهرها قصائد ازيودوس ، ولا سيما انشودة (الاعمال والايام) التي اطلق عليها محمد غلاب اسم (الشعر التعليمي) وترجم بعض مقاطعها (٢) ، وتؤكد هذه الانشودة ان شعر ازيودوس يمتاز زيادة على طابعه الحكمي والتأملي بسبك فني ساحر تكثر فيه الصيغ الشعرية الدقيقة ، وترتبط اجزاؤه ببعضها محققة ضرباً من الوحدة الموضوعية ، وتنبعث من ابياتها انفاس دافئة ترتاح اليها النفس . إن هذه الخصائص تجعل مصطلح (الشعر التعليمي) الذي اطلقه غلاب عليها غير مناسب لها لأنها لا تشبه اشعار واراجيز بشر بن المعتمر ، وأبان اللاحقي . والشعر التعليمي اليوناني يختلف عن

---

(١) انظر على سبيل المثال ماترجمناه عن الفرنسية في مسرحية (المتضرعات) ومسرحية (الفرس) في كتابي : المأساة اليونانية . بغداد ١٩٧٠ .

(٢) د. محمد غلاب : الادب الهليني اليوناني ١٠/١٦٧–١٧٠ ، والفصل العاشر : هزيودس ٨٧٠–١٩٣ . القاهرة /١٩٥٢ . وانظر : د. علي عبدالواحد وافي : الادب اليوناني القديم الفصل الثاني (الشعر التعليمي) ٨٨–١٠١ . ط دار المعارف / القاهرة ١٩٦٠

منظومات النحو والصرف والبلاغة والبديع وغير ذلك من موضوعات الشعر التعليمي عند العرب .

واذا تركنا الشعر اليوناني التعليمي جانباً وجدنا ان الحكم الرائعة والتأملات العميقة تتناثر في انواع الشعر اليوناني الثلاثة : القصصي والمسرحي والغنائي . فالحكمة باجمل اشكالها ومضامينها وغاياتها تطالعنا في اجزاء ومقاطع وابيات الالياذة والاوديسا ، وهي كثيرة رافلة في اجمل حلل التعبير الدرامي في مآسي الشعراء الثلاثة الكبار اسكليلوس وسوفوكليس ، وبوربيدس ، بل إن موضوع كل مأساة مسرحية هو بحد ذاته حكمة كبيرة وضعت والفت وصيغت وفق مقتضيات الفن المسرحي اليوناني وانفتحت لكي تطعمها انواع من الاقوال المأثورة والامثال السائرة والحكم والتأملات . وفي بعض المشاهد التراجيدية يحتدم الصراع بانواعه الذاتية والغيوبية ولا سيما الصراع بين الانسان والقدر وهو المحور الذي دار حوله الأدب المأساوي اليوناني ، حتى ليوفق الشاعر إلى صياغة حوار منغم باجمل الحكم فتتوالى الابيات الرائعة التي تعلق بالذاكرة وتنتشر بعضها فيصبح مثلا سائراً فتقترب لذلك من صيغ واشكال الحكم العربية الشعرية ؛ من حيث شدة ايجازها واحكام منطقها ، وعمق افكارها ، وجمال اسلوبها ، اما مدخل المآسي اليونانية ويسميه اليونان (اليودولوج) فكله حكم وامثال غنية بالصور ، وقل مثل هذا عن اناشيد الجوقة التي كانت عنصراً دائم الحضور في المسرح اليوناني ، وكثيراً ما يبدو رئيس الجوقة حكيماً من حكماء الاساطير القديمة .

إن محور المآسي اليونانية كما قلنا هو بحد ذاته حكمة كبيرة تؤكد بطرق مختلفة فعل الانسان في صراعه مع القدر ؛ فاوديب الملك الذي حكم عليه القضاء بأن يقتل اباه ويتزوج أمه يسهم تهوره وافتقاره إلى الحكمة في وقوع الكارثة والكترا المتميزة بعنادها وحقدها واندفاعها إلى الثأر من امها التي قتلت درهال ما امنون ينتهي بها الامر هي واخوها اورست إلى قتل امهما ثم التعرض للتعذيب المتواصل من قبل ربات الانتقام اللواتي كن يطاردنهما ليل نهار حتى لجأ إلى معبد (اثينا) ربة الحكمة لتوقف تعذيبهما .

وكان غرض الالهة من تسلط ربات الانتقام المشوهة عليهما إفهام البشر ان الانتقام والثأر رذيلة خطيرة وشر عظيم ، لان الثار لا يؤدي الا إلى الثأر والانتقام لا يفضي لغير الانتقام ،

وهكذا نرى ان شعراء اليونان يكرسون هذا النوع المسرحي من الشعر ليتوصلوا إلى اقوى تأثير يمكن ان تحققه المواهب والعقول الشاعرة الحكيمة .

اما الحكم المتناثرة في مصنفات ورسائل ارسطو وافلاطون وغيرهما فتمثل نوعاً اخر ذا خصائص تختلف عن خصائص الحكم الشعرية . والمعروف ان هذا النوع الفلسفي كان له تأثير واضح في الاداب العربية منذ العصر العباسي الاول (١٣٢ – ٤٢٧هـ) وقد غدت رسائل ارسطو وافلاطون من موارد الفكر والنقد الادبي العربي في هذا العصر .

من هذا نرى ان الحكمة لم تنحصر في الادب اليوناني الصرف اذ كانت ايضاً ضمن موضوعات النقد الفلسفي ، وان الفلسفة بوصفها علماً يبحث عن الحقيقة كانت تستمد من النتاج الشعري بعض المعايير والاسس لنظرياتها الجمالية ، وكتاب (فن الشعر) لارسطو خير شاهد على ذلك .

إن ما لمسناه في الشعر والفلسفة اليونانيين من اهتمام شديد بالحكمة نلاحظه ايضاً في الاداب العراقية القديمة ، صحيح ان ما نعرفه عن الاداب السومرية والبابلية والاشورية قليل . الا ان ملحمة كلكامش التي وصلت الينا تدل على مكانة الحكمة في ادب العراق العتيق . فكثيراً ما يتكرر في الملحمة ذكر من أسمتهم بالحكماء السبعة (١) . كما فيها ان الحكمة من مزايا الالهة مع العلم أن بعض الهتهم يختص بالحكمة (٢) ، ثم ان الاساطير السومرية والبابلية وبعض الطقوس الدينية تعني عناية دائمة بالمواعظ والامثال وتسوق القصص الرامية إلى عبرة من العبر ، كقصة الصياد الذي ينصح ابنه بأن يستنجد بكلكامش كي يقضي على انكيدو المتوحش (٣) ، وهنا يشير الاب على الابن بان يصطحب بغياً فاتنة لتراود انكيدو كي تضعف همته ، وهذه التفاتة (حكيمة) تدل على ان العقلية السومرية تدرك تأثير الجمال وتحسن استغلاله . والعناصر التي تكونت منها شخصية كلكامش ومقومات بطولته الاسطورية تؤكد هذا الاهتمام الشديد بالحكمة ، فالبطل السومري يقوم بالمغامرات الخارقة في اثناء

(١) ملحمة كلكامش : ص ٥٦ ، ٥٧ ترجمة الاستاذ طه باقر . بغداد ١٩٧٥ .

(٢) المرجع نفسه : : ص٦٦ .

(٣) المرجع نفسه : ص ٦٠ وانظر . ص ١٢٥ .

بحثه المتواصل عن حلّ مقنع للغز الحياة والموت ، وهو موضوع او مشكل كان وما يزال ركناً من أهم اركان أدب الحكمة بانواعه المختلفة . ومن هذا النوع ايضاً نصيحة (آنو) كبير الالهة لابنته (عشتار) الهة الحب والجمال عندهم بأن لا تتعرض كلكامش وان لا تحاول ايقاعه في حبائلها زاعماً أنه لا يعبأ بالغرام والعشق ، ولا يهتم بالنساء لانصرافه إلى غايات أسمى وأعظم (١) . ومن هذا النوع النصائح التي قدمتها شخصيات اخرى لكلكامش في اثناء تجواله للبحث عن اسرار الحياة والموت نذكر منها (سدوري) صاحبة الحانة التي تنصح كلكامش بالتخلي عن هذا البحث لانه غاية لا يدركها الانسان . قالت له فيما قالت : إلى اين تسعى يا كلكامش ، لن تجد ما تبغي فمذ خلقت الالهة البشر قدرت عليهم الموت واستأثرت هي بالحياة (٢) ثم تنصحه بان يستمتع بالحياة ، ويغتنم لذاتها لأن المتع من نصيب البشر (٣). وكانت هذه المقولة وما زالت أهم محاور ادب المجون عند العرب وغيرهم من الامم ، كما كانت وما زالت من محاور أدب الزهد والتصوف والادب الديني بوجه عام . ولكنها اقل دوراناً في الأدب غير الديني كشعر المتنبي .

وتهتم الطقوس الدينية كما اشرنا بالحكمة التقليدية ، كالمواعظ والامثال والاقوال المأثورة والقصص الا أن بعضها يستعين بالتشخيص (التمثيل) فيضع امامنا الدليل القاطع على وجود التمثيل الديني في العراق القديم . ونعني بذلك احتفالات وطقوس اعياد رأس السنة البابلية اذ كان من مشاهدها التمثيلية مشاهدة زمرة من المجرمين العتاة في عربة فاخرة يجرها حصان شموس ، وينصب اشدهم اجراماً وعتواً ملكاً على البلاد ،ويخترق المجرمون بعربتهم الصاخبة شوارع المدينة ينهبون ، ويقتلون ، وينتهكون الاعراض ، حتى اذا انتهى اليوم المخصص لذلك قتلوا جميعاً ، والحكمة في هذا المشهد التمثيلي الديني الذي يتخذ من المدينة مسرحاً له أن يشهد الشعب حالة الفوضى والفزع والهلع وفقدان الأمن . وأن يلمس فضل ما يتحلى به ملوكه وحكامه من حكمة وعدالة .

(١) المرجع نفسه : ص٩٣ .

(٢) المرجع نفسه : ص١٢٠ .

(٣) المرجع نفسه : ص١٢٠ .

هنا ويحسن أن نلاحظ ان الحكم السومرية والبابلية التي وصلت الينا يغلب عليها الطابع الديني شأنها شأن الالياذة والاوديسا، وملاحم الامم القديمة الاخرى ، فهي جميعاً وثيقة الصلة بعقائد الشعراء الذين وضعوها وبالاساطير الدينية التي تناقلتها شعوبهم ، وهي لا تخلو من مواعظ بليغة ، واقوال مأثورة ،وقصص حكيمة تجمع بين الحكمة الدنيوية والدينية، كنصيحة صاحبة الحانة لكلكامش بأن يتمتع بلذات الحياة ، ويترك البحث عن لغز الحياة والموت، وفيما يخص شعوب وادي الرافدين يمكن القول ان لها تراثاً عريقاً من الحكمة تراكمت فيه تجارب البشر جيلا بعد جيل،ولا ريب في ان رواسب من هذا التراث قد انحدرت إلى الاجيال اللاحقة التي ظهرت في عهودها اوائل أو طلائع الحكم والامثال في تاريخنا لادبي ومن عهود ما زالت مجهولة أو في حكم المجهولة ،وأرجح الظن أن الاديب العربي قد اقتبس أو هضم بعض هذه الرواسب وتمثلها(١)ولعلنا واجدون هذا الأثر في شعر قدماء العراقيين العرب في الجاهلية كعدي بن زيد العبادي شاعر الحيرة القديم . ففي قصائده حكم وتأملات وذكر لمواضع وآثار قديمة في العراق، أما آداب العرب البائدة الموغلة في اعماق العصر الجاهلي فقد اندثرت،وان بقيت لها اصداء في بعض المصادر العربية القديمة. ومع أن النصوص والوثائق لاتسعفنا فأن البحث في هذا المجال قد يوصلنا الى نتائج مثيرة(٢).

وفي القصص العربي القديم حول الأقوام البائدة. واوائل الجاهلية بعض نقاط الألتقاء والشبه بالأساطير والملاحم السومرية والبابلية (٣)، ومن الخطأ الزعم بأن اللغة البابلية كانت شديدة الأختلاف عن العربية، فالتأريخ يؤكد ان سكان بابل كانوا من الموجات السامية التي قذفتها الجزيرة العربية الى العراق، بل ان اسماء ملوك بابل، والصيغ والصوتية والصرفية لالفاظ بابلية كثيرة تشبه العربية. واذا بدت لنا الأن مختلفة قليلا عن صيغنا العربية فلأنهـا

(١) انظر : د. عادل البياتي : كتاب ايام العرب لا بي عبيدة/الفصل الاول ، ولا سيما ص (٢٥) وما بعدها . بغداد / ١٩٧٦ ومراجعه .

نقلت عن ترجمتها الفرنسية أو الأنكليزية ، أي انها حرفت مرتين أو أكثر .ومع هذا فـان جذور تلك الألفاظ تشبه العربية شبهاً كبيراً ، وتختلط اسماء كثيرة ترد في التأريخ العربي القديم وايام العرب وفي القصص الأسطوري وغير الأسطوري العربي بالقصص البابلي المتأخر وفي بعض الأسمـاء والأحداث الواردة في قصص القرآن الكريم دليل حاسم كقصة ابراهيم الخليل ،واسماعيل ،ونوح، ويونس، وشيت ، ولقمان عليهم السلام .

لقد كانت شعوب الشرق القديم تتذوق هذا اللون من الأدب وتعني به حتى اذا ظهـرت اليهودية والمسيحية اسهمت التوراة والأنجيل في اثراء هذا اللون من الأدب وطبعه بالطابع الديني ثم نقله الى مواطن الحضارة الأغريقية والرومانية فيما بعد.ولاشك في آن الأديان السماوية الموحدة قد أحرزت كسباً عظيماً في مجالات الحكمة وآدبها لأنها قدمت الحـل للغز الحياة والموت، الذي شغل حكماء الشرق الوثني القديم واقض مضاجعهم. لقد أكدت اليهودية وبعدها المسيحية إن يولدون ويعيشون ويموتون ، ثم يبعثون يوم القيامة فيحشرون للحساب حيث يساق الكفرة الأثمون الى النار والصالحون الى الجنة .وقد اشاع هذا الحـل الذي عجزت عنه الديانات السومرية والبابلية الطمأنينة والسلام في النفوس وأتاح للحكـم والأمثال ولسائر الأنواع الأدبية الجادة فرصاً جديدة للنضج والأزدهار . ثم انتشـرت . المسيحية في العراق وسوريا ومصر وفي بعض المناطق العربية النائية ، وانـطوت اليهودية على نفسها في بعض المواضع الصغيرة كخيبر ويثرب ولكن المناطق العربية الاخرى حافظت على وثنيتها الجاهلية ولا سيما في قلب الجزيرة حيث تعيش القبائل البدوية .وفي الحجاز حيث كانت المصالح التجارية والاقتصادية تشدّ اهلها الى الوثنية التي تدين بها القبائـل المتحكمة في طرق القوافل ، وتدلّ الحكم والامثال الجاهلية التي روتها المصادر العربية كما يدلّ شعر الشعراء الجاهليين المولعين بنظم الحكم كعدي بن زيد ، وزهير بن ابـي سلمى ، وامية بن الصلت ، ولبيد بن ربيعة وغيرهم على استعدادتهم العليا من المسيحية ولكن هذا لايعني أنّ البيئة الثقافية العربية كانت فقيرة في هذا اللون من الادب .فالوصـايا والخطب والحكم والاقوال السائرة والاشعار كثيرة في الادب الجاهلي لانّ طبيعة البيئة

العربية وحياتها القبلية الشاقة وما يكتنفها من نزاع وصراع ، وما يتسرب اليها من تأثيرات الحضارات المجاورة كان يزود العقل العربي قبل الاسلام بفيض غزير من الحكم والتأملات والامثال والقصص التهذيبي حتى اذا ظهر الاسلام وشعّت انواره جاء بفيض جديد من القيم والمثل العليا وفرض على المجتمع ظروفاً واحوالاً ونظماً وتعاليم لاعهد له بها من قبل ، وبذلك نقل الإسلام جميع انواع الادب الاخلاقي القديم نقلة أخرى رفعتها الى صعيد أعلى وأرقى . هذا مجمل مايحسن قوله هنا عن الحكمة في الاداب القديمة ، وقد رأينا كيف كانت تتحرك في اطراف الجزيرة العربية وفي داخلها . وكيف أغنت عقلية اجدادنا الذين عاشوا في العهود السابقة لظهور الادب العربي ، ولكننا لانستطيع دراسة أدب تلك العهود دراسة صحيحة ، لانّها كتبت بلغات غير عربية أو بلهجات عربية منقرضة ، ولم تصل الينا ايضاً نصوص موثوق بها من نتاج الجاهلية الاولى تجيز لنا نقدها وتحليلها . ولكن ليس لأحد أن ينكر ان موضوعات الحكم القديمة وأفكارها ومعانيها قد شاعت في المجتمعات العربية منذ الجاهلية الاولى حتى اذا ارتقت اللغة ووصلت الى المرحلة التي خرّجت الشعر الجاهلي ، ظهرت تلك المضامين والافكار والمعاني بصيغ الحكمة البليغة ، والمثل السائر والقصص الرامي الى العبرة ، ولاشك في أن هذا التحوّل والتطور اللغوي والادبي والفكري حدث قبل الاسلام بقرون لاخلال الوقت الذي قدّره الجاحظ بنحو قرنين قبل الاسلام ، والراجح أن الجاحظ يقصد تاريخ ظهور الشعر الجاهلي الذي تداولته الرواة ، اذ ليس من المعقول أن يغيب عنه وهو الكاتب الالمعي. ان نماذج الشعر الجاهلي جاءت راقية من حيث البنى اللغوية . وان اساليبه عالية من حيث الصياغات والصور والموضوعات والاغراض والطرائق الفنيّة وان الزمن الذي يستغرقه التطور للوصول الى هذه المستويات يحتاج الى مئات السنين . إن اشارتنا الى هذه المشكلة التاريخية ليست من قبيل الاستطراد والحشو ، فثمة شخصيات عربية عديدة عاشت قبل الزمن الذي حدده الجاحظ بقرون كلقمان ولقيم وغيرهما ، ولا يمكن أن تكون كلها شخصيات إسطورية مختلقة واذا كانت الحكم والوصايا المنسوبة اليها يشيع فيها الوضع والتحل والتحريف والتحوير فانّ الامثال السائرة تقلّ فيها هذه الآفات التاريخية ، واذا

مكتبتنا العربية

كانت عمليات التحقيق والتوثيق تسقط الكثير من الاشعار والحكم والقصص التهذيبي فانّ القليل يكفي للدلالة على انّه كان للعرب قبل الاسلام حكم وامثال شعرية ونثرية غزيرة ، وان هذا التراث الحكمي قد استلمه العرب بعد اسلامهم وصبغوا أغلبه بصبغات اسلامية ، وتركوا الباقي الذي لايمسّ العقيدة على ماكان عليه ، وفي الوقت الذي اضاف الاسلام فيضاً جديداً من الحكم والامثال والقصص والحكايات ، حتى اذا احتك العرب بالامم الاخرى واطلعو على آدابهم وثقافاتهم إزدادت الحكمة العربية عمقاً وسعة وتنوّعاً واصبح أدب الحكمة والتأمّل والتأديب والتهذيب وسائر مايسميه الغربيون بالادب الاخلاقي تراثاً عظيماً كان وما يزال من اقوى واغنى مافي الادب العربي ، بل انّ ادبنا يقف في طليعة الآداب العالمية القديمة والحديثة في هذا المضمار ، ولا أبالغ اذا قلت إنّه فاق الآداب الاسلامية بما يتضمنه من انواع الحكم الادبية الشعرية والنثرية والوانها لمختلفة ، ولم تستطع تيارات العبث والمجون والمادية والانحلال التي ازدادت قوّة وانتشاراً في العصر الحديث أن تصرف كثيراً من شعراء العرب وادبائهم المحدثين والمعاصرين من التأمّل والتفكير لرفد أدب الحكمة بأنساغ جديدة .




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

اللغة العربية والعلوم

الدكتور هادي نهر

المقدمة

يهدف هذا البحث الى جملة من الامور أظهرها ابراز دور اللغة العربية الفصيحة في حركة البحث العلمي لانّ هذه اللغة من أخصّ المستلزمات والوسائل التي تكفل نجاح نهضتنا العلمية والحضارية وارتقائها ، والوقوف عند مايسمّى بـ(اللغة العلمية) ، وسبـل تطورها ، وما لذلك من أثر في رفع شأن اللغة العربية وتطويع هذه اللغة ، وترويضها على قبول الفاظ ، ودلالات وتراكيب مستجدة ، على الرغم من انّ الباحث قد حاول أنْ ينكر مصطلح (اللغة العلمية) لعدم ايمانه بأنّ هناك تخصصاً في اللغات ، وعدم اجازتـه تقسيم اللغة الواحدة الى لغة أدبية ، ولغة علمية ، ولغة فنيّة وغير ذلك ، بسبب عـدم جواز الفصل بين الفكر في تصوّراته الادبية أو الفنية أو العلمية ، فعلاقة اللغة بالفكر هي صلة الانسان بوجوده الروحي والفكري معاً . ومن هنا فانّ كلا العنصرين الفكري والعاطفي لاينفكّان في كلّ لغة ، وانّ التعبير عن ايّة فكرة لايخلو مطلقاً من لون عاطفي .

وكان من مهمات البحث أيضاً بيان موقع اللغة العربية وهي تواجه قضايا العصر السياسية والاجتماعية ، والثقافية ، والتعليمية ، والعلمية ، وقد وقف مليّاً عند قضية العلم والتعليم بوصفها المحور الذي يقوم عليه البحث لتعدد ميادينه وتنوعها وتباين مشكلاته وهمومها ، وخطورة نتائجه ، ووقف ايضاً عند قضية المصطلح العلمي الذي صار هوس المغربيّين اذ جعلوا منه الامر الحاسم في الانتقال او عدم الانتقال الى ركب الحداثة بما فيه من تقنيات وعلوم . ثم عرجّ الباحث على تلمس موقع العربية من العلم مبرزاً الاشكالية التي تعيشها

اللغة بين نوازع التأصيل والتحديث ملقياً الضوء على ما يدور في اوساط الباحثين من خلاف في صلاحية اللغة العربية للعلوم ، أو عدم صلاحيتها داعياً الى صياغة سؤال بديل هو : كيف يمكن للعربية أن تقترب من مجالات التفكير العلمي ؟ وأن تكون لغة العلوم كلّها كما كانت من قبل . مستعرضاً في الاجابة عن هذا السؤال مكانة العربية في عصر ازدهار الحضارة العربية الاسلامية عبرقرون طويلة كانت فيها لغة العلم والمعرفة من غير منازع .

وقد رأى الباحث انّ الاشكالية التي تعيشها اللغة ليست كونها ميدان صراع الفرقاء من انصار وخصوم ومن خلفهم جموع المغرّبين والمرتابين يثيرون جذوة الخلاف ، وانما مكالية ذات جوانب كثيرة متشعبة تشير الى تراكم نواحي القصور في الوضع اللغوي القائم المعاش ، وقد حدد البحث اطرافاً من معالمه ، و اسبابه فوقف عند :

- اهمال بعض المجتمعات العربية اللغة القومية في التعليم العالي والسماح بالازدواجيات والثنائيات اللغوية .
- الفجوة بين اللسان والفكر عند اكثر المتعلمين والمثقفين العرب .
- الهوة الفاصلة بين الفصيحة والعاميات .
- صيرورة العربية الفصيحة – الى حدّ ما – لغة الاعمال الكتابية .
- ضعف مستوى مدرس اللغة العربية .

وقد طرح الباحث بعض الحلول والمقترحات التي رآها كفيلة بحلّ بعض اوجه تلك الاسباب ، وذلك بتحديد مواقفنا من بعض القضايا اللغوية من نحو :

- موقفنا من النحو اللغوي .
- تيسير النحو ، وقد رأى الباحث في مفهوم التيسير رأياً جديداً .
- المصطلح العلمي وسبل توحيده واشاعته بين العرب .
- المعجمات اللغوية وضرورة اصلاحها .
- الحوار مع العامية وما يترتب عليه من تقليص الهوة بينها وبين الفصيحة من جهة وتقليص حضورها الى ابعد حدّ ممكن من جهة اخرى .

هذا ماتفق لي – بعون الله – أن أعرضه ، وأرجو أن أكون موفقاً في بعضه ، ليكون ذلك من تمام الفائدة التي يعمل من أجلها كلّ غيور على لغته وتراثه ، وامته والله الموفق.

اللغة الصحيحة ضرورة :

يشهد اكثر من قطر عربي اليوم نهضة علمية نشطة من البحث والتنظير والتأليف في شتى العلوم والمعارف الانسانية تحاول أن تصنع للعرب علماً ذا رسالة وهدف . ومن هنا فانّ من دواعي الغيورين على هذه النهضة العمل على توفير المستلزمات والوسائل التي تكفل استمرارها وارتقاءها ، ومن اظهر هذه المستلزمات والوسائل لغة عربية صحيحة ، حيّة ، متحركة . فصيحة . ولا نعني بالفصاحة أن تكون كلغة الشعر العربي قبل الاسلام. أو بعده ولا نريدها نتاجاً لطريقة (سويد بن كراع) عندما وصف اسلوبه في صناعة الشعر بقوله (١) :

أبيت بابواب القوافي كأنّما ... اصادي بها سرباً من الوحش نزعا

وجشّمني خوف بن عثمان ردّها ... فثقفتها حولاً جريداً واربعا

وانّما نريد بفصاحة اللغة سلامتها من اللحن ، والعجمة ، واللكنة ، والفصاحة بهذا المعيار ليست ميزة البليغ الذي يسلك مسالك البلغاء من خطباء العرب ، وكتابهم ، وشعرائهم القدماء ، ولكنّها ضرورة لكلّ باحث معاصر ، وفي أيّ فرع من فروع المعرفة لانّ كتابة العلوم في لغة واهية ملحونة ضررها اكثر من نفعها ؛ ومن هنا فانّ «من الامور المسلم بها أن تكون الكتابة العلمية صحيحة ، ولغتها واضحة وسليمة» (٢) لانّ اجادة اللغة العربية الفصيحة من لدن العلماء والباحثين هو بعض الطريق الى كلّ ضروب التنمية التي نتطلع اليها في حياتنا المعاصرة ، ذلك ان هذه التسميات المختلفة في المجالات الزراعية والصناعية ، والاقتصادية ، والتجارية انّما تقوم على العلم ، وانّ الحقيقة التي اصبحت بمنزلة البدهيات ان القدرة على الأستيعاب العلمي باللغة العربية هي اضعاف القدرة على

(١) الشعر والشعراء لابن قتيبة . ج ١ ص٧٨ .

(٢) في اساليب اختيار المصطلح العلمي . د. جميل الملائكة . ص١٨٣ .

التعلم باللغات الأجنبية » (١) وليس من اليسير ان تقوم حركة عربية اصيلة للبحث العلمي الا باللغة العربية ، لأن الأنتماءات اللغوية المختلفة للعلماء العرب تحول بينهم وبين التقائهم على لغة واحدة، وتفتت قدراتهم، وتهدر مواهبهم، وتجعلهم تبعاً للغة الأجنبية، ومن هنا فأن الواجب الوطني يحتم على كـل المهتمين بشؤون التربية والتعليـم، والبحـث العلمي العمل على خدمة اللغة العربية من حيث طرائق تعليمها ، وسبل نشرها ، وتشذيب مناهج تدريسها، وتطويعها لمقتضيات البحث العلمي .

لقد دخلت العربية بسبب ترجمـة بعض الكتب الأعجمية ، أو تعريبهـا ، أو بسبب التأليف في العلوم الصرفة اساليب وانماط بعيدة عن الصياغة العربية الصحيحة ، لأنهـا كتبت على وفق تراكيب اللغات الأعجمية ، ولانجد ضرراً من اعادة تركيبها ثانية ، بما يتفق وماجاء على لسان العرب ، وهذه ظاهرة ليست غريبة . فقد وقع مثلها بين العرب في القرن السابع للميلاد، عندما شرعوا بترجمة التراث اليوناني ، ولم يكونوا قد تمكنوا من اللغة اليونانية بعد، بل ربما كانت اللغة العربية عند من قام بالترجمة غير متقنة ، فجـاء التعريب ناقصاً، ومرتبكاً ، وركيكاً ، ومن الصعب ان يفهمه القاريء بيسر حتى ظهـر (حنين بن اسحق) في القرن الثاني للهجرة فدرس اللغة العربية على تلاميذ الخليل بن أحمد الفراهيدي) في مدرسته ، وذهب الى اليونان واقام فيها مده مكنته من اتقان اللغـة اليونانية، لذلك جاءت ترجماته وترجمات تلاميذه ومن بعدهم بلغة عربية سليمة، واسلوب عربي واضح رصين» (٤)

اننا باللغة الصحيحة لانتمكن من عرض العلم عرضاً مفهوماً واضحاً فحسب وانّما نمهّد السبيل الى وحدة التفكير والتعبير ، ونقضي على التنافر بين الفكر ولغة الفكر ، فاللغة ليست هي مجرد وعاء للفكر ، او للتراث فحسب ، بل انّها شكل ينتظر محتواه من فعاليات كثيرة دائمة التجدد ، والحدوث مصادرها : الفعل ، الواقع أو الموضوع(٥) .ووظيفته

---

(٣) ندوة خبراء ومسئولين لبحث وسائل تطوير اعداد معلمي اللغة العربية ص٦ .

(٤) التعريب : الاساليب والمشكلات والحلول . د. فاضل الطائي ص١٩٤ .

(٥) انظر : استراتيجية التنمية . التأويل وسؤال التراث–مطاع صفدي ص١٠ .

الكلمة التأثير في افكار الآخرين ، لا أن تقوم بنقل الافكار نقلاً مجرداً ، ومن العلماء من يذهب الى ابعد من ذلك فيرى «إنّ كثيراً من المسائل الظاهرة في طبيعة التفكير ليست في الحقيقة أكثر من مسائل لغوية ، وانّ المنطق ، وماوراء الطبيعة بل الرياضيات كلّها في جوهرها انّما هي بنية اجتماعية ذات طبيعة لغوية في اساسها» (٦) .

وعلى هذا فاننا اذا اردنا أن نفهم الفكر ، والنتاج الفكري باشكاله المتنوعة فالواجب أن ندرس اللغة ، واذا اردنا أن ندرس اللغة فعلينا أن ندرس عملها في المجتمع » (٧) لانّ «اللغة وطن الانسان ، ووطن الانسان لغته ، فهي انسانية ثانية ، او هي الانسان نفسه لانّها تؤمنّ لنا امكانية التوجه اللامحدود في العالم المحدود ، وتخلق عند اكتمالها العلم» (٨) بل تخلق الحياة ، ومسلوب اللغة ، أو المتخلف التعبير لايتضايق فقط من علاقته بالآخرين بل هو ايضاً محدود بالنسبة لمستوى تفكيره الموضوعي ، ومن هنا كانت اللغة الطريق الامثل للابلاغ ، وللبيان ، وللتعبير عن الافكار .

هل من لغة علمية ؟

لقد صارت اللغة العربية في مطلع هذا القرن محور نقاش في اكثر من قطر عربي بين فريقين : احدهما : (مغرّب) لا يرى في العربية قدرة على استيعاب العلوم والمعارف الانسانية ، فيدعو إلى ابقائها لغة للدين ، والأدب ، والفن. واستبعادها لغة للعلم والتقنية(٩).

وثانيهما : منتصر للعربية لا يرى جديداً في اعتمادها لغة للعلوم بانواعها ومراحلها، لان ذلك عنده ادعى إلى التلازم مع المنطق ، والتاريخ ، والمبادىء القومية التي يطمح اليها ابناء العروبة في كل مكان .

لقد ادركنا منعطف الحداثة بما فيه من تقنيات وعلوم ، أدركنا ونحن في نقطة الصفر ـــ أو نكاد نكون ـــ فلانحن على ما كنا عليه ، ولا صرنا إلى ما يجب أن نكون اليه ، ورحنا

(٦) اللغة العربية أساس نهضة امتنا ووحدتها . د. عبد الكريم خليفة ص٨

(٧) اللغة والمجتمع . د، محمد السعران ص ٩٤ .

(٨) اللغة والفكر . بون شوشار . تر . صلاح ابوالوليد . ص١٠ .

(٩) انظر : حتمية التعريب في التعليم العالي . مازن المبارك . ص٥٩ .

نخضع لغتنا لجدل عقيم ، وكأنها المسؤولة عن أوضاعنا ، وعن تخلفنا العلمي حتى ضاع علينا التمييز بين العلة والمعلول ، ونسينا إن اللغة بأهلها لا بنفسها ، وانها ليست اصطلاحاً بل هي كالانسان الذي ينطق بها واقع كلي ينمو كلاً ، ويتردى كلاً (١٠) .

إن قضية لغة العلم وصلاحية اللغة العربية للعلوم ، او عدم صلاحيتها ليست هي القضية الاولى والكبرى ، وإنه لمشكل خاطىء لو لم نتدبر «الامر على اعتبار الوقائع الموضوعية لا على الاوهام التي تعشعش في نفوس بعض المرتابين ، وتخالط اذهان بعض الحائرين، فلقد اثبتت كل الوقائع أن تفوق الانسان في اعماله ، وبناء مجتمعه ، وترسيخ قيمه ، او فشله في ذلك كله ، انما تدل عليه الثروة اللغوية التي يملكها . فالدين لغة ، والعلم لغة ، والفن لغة ، والعمل لغة ، والاقتصاد لغة ، والمأثورات الشعبية ، والتاريخ ، والتراث لغات ، ومعنى ذلك إن كل عمل لا يتم مجتمعياً الا بالتواصل اللغوي بين افراد البيئة للتفاهم وتحقيق المشاريع ، «فاللغة وعاء حضاري ترتسم فيه معالم الفكر وتتجسد فيه مسميات المحيط وتبرز فيه مظاهر الثقافة» (١١) .

ولقد ارتسمت في اللغة العربية معالم الفكر العربي ، واقامت اللغة العربية الحجة على قدرتها في نشر المعرفة بكل ضروبها ، ولم تظهر قصوراً وتقصيراً في الحياة العامة ، فالخوارزمي ، والبيروني ، وابن النفيس ، والرازي ، والادريسي وغيرهم كثيرون الفوا بالعربية ، وتُعد تآليفهم علمية ، بل مراجع في بابها وحجة على ما وصل اليه البحث العلمي في عهدهم فاللغة لم تعقهم عن ان يصلوا إلى القمة المعرفية ويكونوا أساتذة عباقرة عالميين» (١٢)

ولهذا فاني لا أميل إلى تقسيم اللغة إلى لغة علمية أو غير علمية «فلا تخصص في اللغات ، واللغة باعتبارها ظاهرة انسانية ليس لها على وجه التحديد ما نريد قوله ، والقضية بعد هذا ليست قضية لغة دين ، أو أدب ، أو علم — وان كنا نجد لكل من هذه المعارف سماتها ،

(١٠) قضايا الادب العربي المعاصر . انطون مقدسي ص٢٣ .
(١١) الدين والحضارة الانسانية . د. محمد البهي ط٢ . ص٧٣ .
(١٢) انظر : في اللغو واللغة . محمد عزيز الحبابي . ص١٦٣..

واساليبها ، ومناهجها ، وغاياتها ، إن القضية هي قضية امة عالمة فاعلة ، وامة خاملة تابعة ، لا تعمل على بذر التجربة العلمية في التربية اللغوية ، ولا تقبل بالعلم اسلوباً ، ومنهجاً لتنظيم حياتها ؛ إن كل شيء أصبح اليوم علماً ، فاذا ارتضينا بالعلم اسلوباً ، حسمنا الموقف لصالحنا ، وصالح لغتنا» (١٣) .

إن نجاح العمل اللغوي أدبياً كان أم علمياً يعتمد في الاساس على عمق الفكر ، وصفاء اللغة التي سبك بها هذا الفكر ، واذا كنا نجد النقاد وعلماء الجمال لم يتفقوا على المعايير النقدية ، او الجمالية التي تجعل اللغة معبرة عن المعنى بشكل تام وجميل (١٤) ، واذا كنا نرجح مذهب تلك الطائفة التي عزت ذلك الى جمال (صياغة) ذلك العمل (١٥) ، بان لنا انّ العمل اللغوي أدبهُ اوعلمه انّما هو نتاج تقنية لغوية سواء على مستوى اللفظ ام المعنى أم الجرس ام التركيب ، ولهذا يذهب بعض الباحثين الى القول بان « كلا العنصرين الفكري والعاطفي لاينفكان في كل لغة ، وانّ التعبير عن كل فكرة لايخلو مطلقا من لون عاطفي » (١٦) . وانْ كان لكل تعبير أدبي ، اوعلمي ، اوفني اساليبه ، وانماطه ، من حيث الرموز ، والأشعاع الوجداني للكلمات ، والقدرة على الأيحاء ، والموسيقى ، وتداعي المعاني ، ومايؤثر فيها من متشابه ، ومترادف ، ومتضاد ، ومشترك ، واقتران بالزمان او المكان ، وغير ذلك مما يؤثر في عملية التداعي (١٧) .

ان علاقة اللغة بالفكر ، هي صلة الأنسان بوجوده الروحي والفكري معاً فالعبارات ، بتعاقبها البسيط اوالمعقّد ، بطابعها المتقطع المبتور ، اللامتصل او بانسيابها الهاديء المتصل اوالصاخب يمكن ان تسهم بقسط وافر في التعبير عن المواقف والمشاعر ، والأهواء من

(١٣) التعريب والترجمة . ضرورة قومية وبعد حضاري . د. هادي نهر . ص١٨٧ .

(١٤) انظر : الشعر . لا رسطوطاليس . تر . بشر متي بن يوسف . ترجمة شكري عياد ص

(١٥) هذا مذهب ابي عمر الشيباني . وانظر : دلا ئل الاعجاز . ص ١٦٥–١٦٦ ، والعمدة ١/١٢٧ ، والحيوان ٢٠/١٣١/ط٢ .

(١٦) اللغة ، ج فندريس . ص٢٠٢ ، انظر : التفكير واللغة . ل،س . فيجوتسكي ص٢٥٣

(١٧) أنظر : ابحاث نقدية مقارنة . د. حسام الخطيب ص٢٢ ، والنقد الجمالي روز غريب ص٢٣–٢٤ ، وتذوق الادب . د. محمد ذهني ص٨٥ .

كل نوع ولون ، اذ المفروض في الأحوال جميعها — مهما تنوعت ان « يشفّ » الداخلي عن نفسه عبر التعبير اللفظي ، وان يعين طابعه (١٨) ان التنوع ، والتعدد ، والأختلاف في الأساليب انما يجري على نمط اصل من اللغة ، ذاتهـــا ، وبـــدور فلك منها نفسها ،ويتحرك في داخل اطار بمسكه ان يفلت ، او ينحرف ، وهو دليل على انها حقاً اللغة الواحدة ،وهو حين يدل على وحدتها انما يدل على اصالتها ، وتماسك شخصيتها وعلى قدرتها على البقاء ، وعلى الحياة المستمرة ، وذلك من خلال قدرتها على النمو السليم النابع من ذاتها ، المحكوم باصولها ، وقواعدها ، سواء كان ذلك النمو في الألفاظ المستجدة التي يستحدثها العصر للوفاء بحاجاته ، ، ام في الأساليب والتراكيب ، وسواء كان المكتوب علما ، ام ادبا ، ام فنا ، فكل يجري في استحداثه ونّموه وتجدده ، على وفق اصول وقواعد من القياس ، والذوق ، والألف في السمع ، ومايتصل بكلّ ذلك من مثل القدرة على الشيوع ،والأفهام ، مع الحاجة الحقيقية الى هذا الأستحداث (١٩) وبناء على هذا اؤكد القول بعدم جواز تقسيم اللغة الواحدة على اقسام كثيرة فنقول : اللغة الأدبية ، واللغة العلمية ، واذا سلمنا جدلا بان هناك مايسمى باللغة العلمية ، فهي وثيقة الصلة بلغة الأدب تتعاونان ، وتتفاعلان ، ولاتكاد نهضه أدبية الاّ وتصاحبها نهضة علمية وكم من علماء ، وفلاسفة هم في الوقت نفسه أدباء ، ويوم ان ازدهر العلم اليوناني ، ازدهر معه الأدب ، ووجدنا في أثينا ابان القرنين الرابع والخامس قبل الميلاد حركة ، علمية وادبية زاهرة ، وافلاطون بين اليونان رمز للادب الرفيع ، والفلسفة السامية ، وفي القرنين السادس عشر ، والسابع عشر الميلاديين اقترنت في بغداد النهضة العلمية بالنهضة الأدبية ، ورأينا أئمة في العلم والأدب معاً امثال النظّام ، والجاحظ وغيرهما وادب اليوم ذو طابع علمي واضح ،ويحرص العلم بدوره على ان يعرض في ثوب أدبي قشيب

(١٨) فن الشعر . هيجل . ص٧٠ .

(١٩) اللغة العربية وقضايا الحداثة . د. ناصر الدين الاسد . ص١٢٢ .

ويكفي ان نشير الى (برجسون)شيخ الفلسفة الفرنسية المعاصرة الذي يعد من كبار الأدباء(٢٠)

إن اللغة ليست من صنع جمهور البلغاء، أدباء، وشعراء، وخطباء، ولم تكن ملكاً خاصاً لمجموعة لسانية دون اخرى ، انها نتاج جماعي، تنمو بنمو الجماعة إرتجالاً ، أو اشتقاقاً ، أوغيرهما من وسائل النمو اللغوي ، ولهذا نرى فيما يكتبه العلماء مكسباً جديداً للعربية يوازي مامنحته حركة الترجمة والصحافة من حدث لغوي ، فقد طوع العلماء العرب منذ القديم من خلال كتاباتهم العلمية اللغة لمعان جديدة، واساليب مستحدثة ، والفاظ مبتكرة ، ولم يكن لها وجود من قبل ، ولم يكن ذلك ، بمخرج عن العربية، عن حقيقة جوهرها ، وطبيعة قوانينها ونظمها الكلية فالعالم ليس حراً من كل قيدفثمة ضوابط لايمكن التسامح فيها ، والحرية الصحيحة منفذ خاص، من منافذ اخرى لكل منها حدوده ولهذا ينبغي ان تقيد حرية العالم في التصرف باللغة بضوابط ، وقواعد خاصة تضع أمامه الأسس التي تسير عليها اللغة في نموها ،وتطورها، وما يعتري حركتها من عوائق وحوائل وماأمتازت به العربية من عناصر اساس على المستويات الصرفية والتركيبة جعلها طيعة قادرة على استيعاب مايستجد من علوم ومعارف في أية لغة معاصرة، هذا من جهة.

ومن جهة ثانية فأن على اللغويين رصد حركة التأليف العلمي ، وتحديد أخص القضايا المعاصرة التي بينها وبين اللغة العربية صلة لبيان مدى صلاحية اللغة العربية في التعبير عن هذه القضايا ، ومالسبل التي تعتمدها العربية في ذلك ، ومن خلال هذا يتبين أمامنا موضع القصور ان كان في العربية نفسها أصواتاً وبنيان وتراكيب أم هو في اهل هذه اللغة. كل ذلك من اجل الوصول الى حقيقة المشكلة القائمة بين انصار العربية وبين المغربين من الخصوم .

اللغة العربية وقضايا العصر :

ان من اخص القضايا المعاصرة التي بينها ، وبين العربية صلة تندرج في ثلاثة مسارب اساس هي: (٢١)

---

(٢٠) انظر : في اللغة والأدب . د. ابراهيم مدكور ص ٦٩ .

(٢١) انظر اللغة العربية وقضايا الحداثة . ص١٢٣ .

الأول: قضايا العصر السياسية، والأجتماعية، والأقتصادية من تحرر، وعدالة وحريـة، ومايتصل بها ويتفرع عنها ويكملها .

والثاني: قضايا العصر الأدبية والفنية ، وماتستحدثه من اجناس، ومدارس واتجاهات.

والثالث: قضايا العصر التعليمية، والعلمية، والتقنية(التكنولوجية)، ومايترتب عليها من مشكلات تفرض نفسها على اللغة، وتهزها هزاً رقيقاً حيناً وعنيفاً في أكثر الأحايين .

ولسنا بصدد الحديث عن المسربين الأول والثاني فقد اثبتت كل الوقائع ان العربيـــة اسعفت اصحابهما والمهتمين بهما بما شاءوا من الألفاظ، والمصطلحات والتراكيب، ومختلف اساليب التعبير عن أدق المعاني .

اما المسرب الثالث فهو صلب المشكلة التي تواجه العربية، ويحاول بعضهم ان يسيء اليها من خلاله، وهو مسرب تعددت ميادينه وتنوعت، ولكنا نقف على ثلاثة منها :

الأول: التعليم وهمومه، ومايترتب على ذلك من دعوات مشبوهة تطعن العربية وتدعو الى اتخاذ اللغات الأجنبية لغات للدرس في الأقسام العلمية في الجامعات وطرح الحرف العربي، واستبداله بالرسم اللاتيني .

وكان من نتائج ذلك نمو الأزدواج اللغوي ،والثنائيات اللغوية، واشاعة العاميات في الأقطار العربية ، وتباينها وتباعدها حتى تعذر على مخاطبين عربيين بأمتين مختلفتين ان يفهم بعضهما الاخر .

والثاني: لغة التدريس والمصطلح العلمي فقد اجهد المغربون انفسهم في الدعوة الى ان تكون اللغات الأعجمية كالأنكليزية والفرنسية وغيرهما لغات تدريس المواد العلمية في الجامعات معتذراً بقصور العربية في ان تكون لغة للعلم وكان غياب المصطلح العلمي من ابرز الحجج التي يحتج بها هؤلاء وفي الوقت الذي لاننكر فيه ان المصطلح العلمي الذي تفرزه العلوم بسرعة مذهلة وبلغات اعجمية كثيرة جزء هام من المنهج العلمي ولـن يستقيم منهج علمي الا اذا قام على

مصطلحات خاصة يؤدي بها العالم الحقائق التي يعالجها ، وقديماً قالوا: العلم لغة أحكم وضعها وان المصطلحات العلمية ضرورة من ضرورات العلم لأنها تستحضر المعنى بأيسر وسيلة وانها احد الدعائم الأساس في عمليتي التعريب والترجمة ، فأنا نجد العربية بما امتلكته من اساليب الأشتقاق ، والنحت والتوليد وغيرها قد استطاعت ان تستوعب المصطلحات العلمية قديماً ، بل اصطلح العلماء العرب مئات المصطلحات العلمية ، والفوا فيها كتباً من أمثال : مفاتيح العلوم (للخوارزمي) وكشاف اصطلاحات العلوم (للتهانوي) ، وتعريفات (الجرجاني) وغير ذلك ، مما اضاف الى اللغة العربية مئات من المصطلحات العلمية على وفق قواعد خاصة كائنة في النظام اللغوي العربي ، امكن الأستهداء بها في اساليب سن المصطلحات واختيارها (٢٢)

واذا كان الحال هكذا قديماً ، فليس من الأنصاف أن نجعل من المصطلح العلمي سبباً في نعت العربيةبالقصور ، زد على ذلك ان قيمة المصطلح العلمي في انتشاره، والأخذ به وبذلك يصبح جزءاً من اللغة ، واذا كانت المصطلحات العلمية تشكل الجانب الأكبر في لغة العلم فأن هذه اللغة جزء من اللغة العامة، ومن هنا كانت اللغة الواحدة كما قلنا . وتطور العلم تطور لمصطلحاته، وتطور لنظرياته، ومن ثم تطور اللغة التي يكتب فيها ،وأن المصطلح العلمي لايوجد في فراغ ، وإنما يوجد حيث بدأ التفكير فيه ، وعلى العالم ان يخترع الألفاظ حينئذ أختراعاً ، أويخلقها خلقاً عليه أن يبتكر اللفظ كما يبتكر المعنى أوالحقيقة التي يكشفها بتجربته وملاحظته مما يضيف الى اللغة ثروة لغوية جديدة .وعلى ذلك فأن هوس المصطلح العلمي ليس هو نقطة البدء في الأنتقال من التخلف الى الحداثة والى ركب العلم كما يظن بعض البسطاء .

الثالث : وسائل الأعلام. ففي الوقت الذي يود فيه اللسانيون أن يروا في نصوص التبليغ الجماهيري قيماً لغوية لاتخرج عن منظومة اللغة لانها لاتخل بها ومن ثم تعمل على

(٢٢) انظر على سبيل المثال : في اساليب اختيار المصطلح العلمي . د جميل الملائكة ص١٨٤ وما بعدها والمصطلحات العلمية في التراث العربي . د. عبد الله الجبوري والمصطلح الكيماوي في التراث د. جابر الشكري .

أفساد الذوق ، نجد من طرف ثان ان الأعلاميين كثيراً مايخرجون عن دائرة تلك المنظومة اللغوية ، بما أشاع اشكالا لغوية معينة ، أوهيأ الظروف الملائمة لذيوعها ، مما حدا باللسانيين أن يدعوا الأعلاميين الى وجوب تحقيق (التعادلية) (٢٣) بين الخصائص اللغوية المشتركة في هيكل اللغة العربية جميعه وشعبية وسائل الأعلام وذيوعها ، مما يبرز دور وسائل الأعلام الفاعل في ازالة الحدود اللغوية بين افراد الشعب العربي ، وموالفة العامية الفصيحة ، وتذويبها فيها ليس من خلال اشاعة استخدام الفصيحة في الأعلام فحسب . وانما عن طريق دعم الأحساس بالحذر تجاه العامية واستغلالها للتفريق بين ابناء الشعب الواحد ، وبأمكان وسائل الاعلام زيادة على ذلك العمل على تربية الذوق اللغوي، واكتساب المهارة والقدرة على التفكير المتزن، وحل المشكلات ، وتكويىن ، الأتجاهات والقيم، وغير ذلك من المثل ، والعادات الأجتماعية والمكونات الثقافية والعلمية .

اللغة العربية والعلم . اشكالية التأصيل والتحديث :

من المعروف ان العلم ملكه لاتحصل الا بالخبرة التي يكتسبها الأنسان من مناهج علم خاص ،أوعلوم شتى وهو ليس مجموعة من المباديء والقوانين، والمصطلحات ،كما يظن ظان.واذا فهمنا العلم هذا الفهم الخاطيء جاز ان نقول ان هناك لغة علم.وهناك لغة أدب وعلى اساس من هذا التصور. وبدل ان نصرف الوقت في مناقشة صلاحية العربية للعلوم او عدم صلاحيتها نرى ان القضية التي يجب ان تطرح فيهذا السياق للمناقشة هي: كيف يمكن للعربية ان تقترب من مجالات التفكير العلمي ، وان تكون لغة العلوم كلها مستوعبة ضروب الحداثة بما فيها من تقلبات واكتشافات ، واختراعات ؟

لقد استطاعت لغتنا بمعجمها العظيم ،وتراكيبها الوفيرة، واساليبها الدقيقة أن تتطور مع العصور ،وان تستجيب لقضايا العلم في كل عصر ،اتسعت لحياة العرب قبل الأسلام

(٢٣) انظر : النحو لرجال الا علام . د. عبدالعزيز شرف وزميله ص٣٠ .

وطوعها الأسلام لتكون اداته في الأبلاغ، وحين « اخذ العرب المسلمون يبنون قاعدة فكرهم العلمي، ويؤصلون منهجهم داخل دينهم. وقوميتهم أسعفتهم هذه اللغة واستوعبت العلوم التي اصبحت تعرف بالعلوم العربية والأسلامية ثم استطاعت العربية أن تطلق طاقاتها الأشتقاقية لتعبر عما نقله العرب من علوم غيرهم عقلية نظرية، ام تطبيقية تجريبية، فكانت لغة العلم والحضارة قروناً، وتركت ميسمها فيما خلفت في اللغات الأخرى، ومنهـا اللغات الحية المعاصرة» (٢٤)

وقد اصطنع العربية كتاب وباحثون من اجناس مختلفة ، منغول وبنغاليون اتراك واكراد وفرس، آسيويون وافريقيون، وانضم اليهم عدد غير قليل من اهل اوربا فـي صقلية والأندلس، بهرتهم الثقافة العربية الأسلامية، واعجبوا بعلمها وفنها. تبحر هؤلاء في العربية وجودوها ،وكتبوا فيها ادباً وسياسة وعلوماً وغير ذلك مماحرصت اللاتينية على ان تتغذى منه قرابة قرنين اويزيد من الزمان، تنقل عنه، وتحذو حذوه ، وتترجمـه «وبذا كانت فكرة اللغة العالمية، وماينبغي ان تقوم عليه من شروط واوضاع» (٢٥) فما الذي اختلف بين الأمس واليوم ؟

بالأمس جابه العرب .... المشكل اللغوي وهم في موقع القوة والتفوق الحضاري . فخلصوا من كل مركب نقص واليوم نواجهه من موقع منحدر ، والذي يزيد من حيرة العرب اليوم الى حد الذهول انهم يواجهون العصر، فيستشعرون تدحرج شأنهم في العلم وتقنياته ،فلما استنجدوا فيما استنجدوا به بتراثهم اعتراهم الحرج أن الأجداد حازوا في بعض افنان العلم الأنساني مالم يدركوا منه الا الجزء اليسير، فتضاعف الأشكال ، وعسر الحسم » (٢٦) ، وراحت البلوى تصيب فيما تصيب – اللغة وكأنها المسئولة عما آلت اليه أوضاعنا ، وصارت اللغة تعاني من صور التحريف والتشويه حتى لو توسعنا في مقاييس الصواب اللغوي، وقبلنا كل مايمكن قبوله من الألفاظ،والتعبيرات ،والأساليب ،وانحسر

---

(٢٤) اللغة العربية وقضايا الحداثة . ص١٢٢

(٢٥) العربية بين اللغات العالية الكبرى . د. ابراهيم بيومي مدكور ص٤ .

(٢٦) القواميس اللغوية والظاهرة الاصطلاحية . د. عبد السلام السعدي . ص١٩ .

ظلها ، واصبحت وقفاً على القلة القليلة من الكتاب الذين ملكوا ناصيتها، وصبروا انفسهم على تعلمها، واتقانها. (٢٧).

ولا يمكن ان يجادل احد في ان من يكتبون العلوم باللغة العربية قد جاءوا بانماط واساليب وتراكيب معينة بعيدة عن الحد الأدنى الذي يمكن ان تتساهل فيه العربية . وفي الوقت الذي لانريد فيه الدعوة الى التقعر في اللغة، أو التشدق في العبارة، والا خذ بالغريب الشاذ ، او تكليف الكتاب والباحثين والدارسين مالايطيقونه من الوجوه الأعرابية المتكلفة والتأويلات المعقدة، والتفريعات المتشعبة ، نجد اننا بحاجة الى وعي لغوي سليم يـربط الحاضر بروافد الماضي لنكون امناء على تراثنا ولغتنا ، نريد الا تكون مايسمى بـ (لغـة العلم) على حساب الأخطاء اللغوية، والأملائية، والركاكة والأساليب المهلهلة ، وضعف التحصيل الثقافي العام، والأنقطاع عن التراث « والانفصال بين العبارات والمضاميـن. بحيث تكاد تتصافع وتتهاوى في مساقط متباعدة لايلم شتاتها جامع ، فتغمض معانيهـا على من يحاول فهمها يضاف الى ذلك فساد في نطق الحروف واخراجها من غير مخارجها الصحيحة ، فيما يفرض علينا وعلى أولادنا ان نسمعه في المدارس حيناً ، وفي الجامعات حيناً آخر وفي عقر بيوتنا أحياناً فيشيع بين الناشئة» (٢٨) ثم يعيش معهم الى اجل غير مسمى .

وليس الأشكالية التي تعيشها العربية محصورة على الأختلاف الدائر بين الفرقاء مـن محافظين يدعون الى الأخذ بأسباب التمسك بالأصالة اللغوية كما وردت عن اسلافنـا البعيدين عن العجمة واللحن، وداع الى طرح العربية لغة للمعلم بأسم التحديث ، ومواكبة المستحدثات الجديدة التي مافتئت تتقاذف الى الساحة العربية من كل حضارات العالـم تتطلب وصفاً لغوياً .دقيقاً ،مرناً ،وبين هذا الطرف وذاك مستشرقون، مغربون ومرتابون يثيرون جذوة الخلاف، وانما الأشكالية ذات جوانب كثيرة متشعبة تشير الى تراكـم نواحي القصور في الوضع القائم الذي تعيشه اللغة العربية، ولعل ابرز تلك الجوانب مايمكن ايجازه بالاتي :.

(٢٧) اللغة العربية بين الموضوع والاداة . د. احمد مختار ص١٤٢ .
(٢٨) اللغة العربية وقضايا الحداثة . ص١٢٥ .

أولا:

ان من اهم اسباب عجز اللغة في المجتمع الضعيف عن ايفاء متطلبات العلم اهمال هذا المجتمع لغته القومية في التعليم ، والسماح بالأزدواجيات والثنائيات اللغوية
ثانياً:

الفجوة بين اللسان والفكر عند أكثر المتعلمين والمثقفين العرب بمافيهم التدريسيون واساتذة الجامعات ، وقد يكون لهذه الفجوة آثارها السيئة على اللغة العربية ،« وعلى الحياة الثقافية عامة، وعلى مستقبل التعريب في الوطن العربي لأن اللغة والفكر لاينفصلان ، واننا حينما نفكر انما نفكر بوساطة اللغة، وحينما نستخدم اللغة فنحن نستخدمها لنعبر عن فكرة اورأي، بل من اللغويين من نادى بأن اللغة هي المتحكمة في الفكر، وانها هي التي توجهه وجهة معينة،ومعنى هذا ان «تسليم اللغة يعني في الحقيقة تعليم الفكر» (٢٩) وان اية فجوة بين اللغة والفكر ستؤدي –فيما تؤدى– الى انفصال اللغة عن التفكير العلمي ،وترسيخ مقولة من يقول ان اللغة الفصيحة لاتصلح الا لمن يريد ان يحترف الأدب اويصطنع الشعر ،وانها لاطائل من ورائها لمن يتجه الى العلوم أويفكر في الحقائق العلمية (٣٠)
ثالثاً:

الهوة الفاصلة بين الفصيحة والعامية ، فقد صارت اللغة العربية لغة غنية بالعاميات على الرغم من امتلاكها لساناً جامعاً ، وقد اصبح الأنفصام خطيراً بين الفصيحة والعامية مما جعل الأولى تمثل في الواقع مجالا مستقلا عن الحياة وكأنها،ارض محرمة Norman's Land بالنسبة لاغلب الشعب بمافيه الأجهزة التعليمية والأدارية وتلك هي مأساة (٣١)

---

(٢٩) اللغة العربية بين الاداة والموضوع . ص١٤٤ .

(٣٠) انظر المصدر السابق . ص١٤٤ .

(٣١) انظر : في اللغو واللغة . ص١٧٥ .

رابعاً :

صيرورة العربية الفصيحة – الى حدّ ما – لغة للاعمال الكتابية ، فقد كادت تختفي من حيث هي حوار ومحاضرة ، اوتكاد ، والأنكى ان بعض المتخصصين في اللغة العربية ودراستها ، وتدريسها يستخدمون العامية في التعبير عن ذات انفسهم « واعضاء المجامع اللغوية يناقشون مشكلات اللغة ويضعون الحلول لتطويعها بلسان عامي غير فصيح (٣٢) .

خامساً :

ضعف مستوى مدرس العربية في المرحلتين المتوسطة والأعدادية ، فقد رأى اكثر من ٨٠٪ من المفكرين ، والمهتمين بتعليم العربية في الوطن العربي ان مستوى مدرس اللغة العربية غير مناسب ، وانه يصل في ذلك الى درجة الضعف بل يزيد عند بعض من وجّه اليهم الأستفتاء ، فيرى انه مستوى وصل الى حدّ التدهور (٣٣).

هذه هي الحال الكئيبة التي آلت اليها اللغة . فما الحل؟ وماالسبيل الى استرداد لغتنا ومكانتها لتعود لغة للمعرفة في شتّى فروعها وفنونها ؟ هذا مانجيب عنه في الصفحات اللاحقة

حلول ومقترحات :

ان الدعوة الى التغيير لابد ان تنطلق من القدرة على الجمع بين الثوابت والمتغيرات ، الأصول ثوابت ، والفروع متغيرات ، كذلك اللغة والأدب ، والفن ، والعلم ، بل كذلك الحياة السليمة عامة .

ولهذا لايمكن لأحد ان يضع الحلول لمشكلات اللغة العربية دون ان يعي ذلك التغريب الذي تعيشه العربية بعين الموضوعية المدركة للواقع الحضاري العالمي الذي مافتىء يقذف الى الساحة العربية بمستحدثات في ميادين العلوم تتطلب سرعة مذهلة لمواكبه العصر

(٣٢) اللغة العربية بين الاداة والموضوع . ص١٤٣ .

(٣٣) ندوة خبراء ومسؤولين لبحث وسائل تطربور اعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي . ص٤٦ .

—في الأقل— في التغطية اللغوية بما يشير الى حرص أكيد على جعل العربية لغة اصيلة ومنفتحة — ذي آن واحد— على الساحة العالمية، وذلك لايتم الا بالتمسك بالمادة اللغوية القديمة ذات العمق الضارب في الوجدان والتراث العربيين ، وتجلية غوامضها، ونفض الغبار عنها، وذلك بغربلة لغوية شاملة افقياً وعمودياً بأستقراء المادة اللغوية لتكوين رصيد لغوي واضح ذي اقتصاد في استعمال اللغة استعمالا محدداً ، واضحاً . ويتم ذلك بالكشف عما في اللغة العربية من خصائص ومزايا تمنح صاحبها مرونة واسعة في التصرف اللغوي، وتمده بأسباب التعبير عما يخالجه ، أويفكر فيه.

ولعل من اظهر السبل للوصول الى هذه الغايات يكمن في تحديد مواقفنا من بعض القضايا اللغوية التي يمكن ايجازها بالاتي :

اولاً : موقفنا من النمو اللغوي :

للعربية حق على ابنائها الغيارى في الكشف عما فيها من عوامل التطور ، والتجديد كتطويع الدلالات ، والتوسع المجازي، والتوليد، والأشتقاق، والتداعي (٣٤) ،والنحت

---

(٣٤) تستند الدلالة في بعض طرائقها نموها الى تداعي المعاني التي تقوم في معناها على علاقتي المجاورة والمشابهة ، الاولى نلحظها في تغير الاصوات ، او تحول الصيغ ، كما نقف في كلام العرب على مايخالف القياس المالوف كأستعمال المذكر في صورة المؤنث او بالعكس . والثانية نلحظها في توازن الالفاظ ، او في ازدواج الكلام ، او في تتابع المعاني ، او توارد ها في الاضواء الناشئة اصلا من كلمتين متناقضتين في المعنى ، او غير ذلك .

انظر : علم اللغة . د. علي عبد الواحد وافي . ص٣١٦ .

والالحاق (٣٥)، والتحوير (٣٦)، وغير ذلك من طرائق النمو اللغوي الذي يعد ابرز صورة على حيوتها ونصجها، وصلتها بالمحيط، وفي ضوئه كانت في العربية دائماً كلمات (مولدة) — أو هكذا نعتها الأقدمون، ونعدها «من اللحن في اللغة» لكنا نجدها قداستعملت في القديم، وجرت على السنة العامة بعد ذلك في العصر الحديث، وتناقلها الناس بالاستعمال حتى تطورت، واخذت النظرة اليها تتجدد، وتتباين عند القدماء والمحدثين، فهي ظاهرة لحن عند القدماء، وظاهرة صحية عند المحدثين. فأين يقف مستعمل اللغة اليوم ؟

ان النمو الدلالي للكلمات ظاهرة صحية اذا وافق صيغ العربية، فمستعمل اللغة لا يهمه ان يعرف تاريخ الكلمة، ودلالاتها السابقة، انه يستعملها آنيا فهي مكتسبة عرفيه اقرها المجتمع، وتواضع عليها. فاذا نظرنا الى كلمة(بطاقة)مثلا وجدنا ان كلمة (رقعه) تستعمل بجانبها. فهي عند القدماء «رقعة صغيرة مولدة» (٣٧) بل انها عند بعضهم من الألفاظ المبتذلة في لغة مصر وغيرها من الولايات المجاورة لها (٣٨).

---

(٣٥) يعد الالحاق من الجوانب اللغوية المتصلة بالدراسة الصوتية للكلمات اذا حللنا اصلها في صورة الحاق حرف في المقطع الصوتي، او زدنا عليه بعض الاصوات الاخرى، او اضفنا اليه كلمة من جنسه بحيث تكون تابعاً له. فلك ان تلحق المقطع (ار) مثلا فنقول: ارب، ارث، ارز، ارض — أرق — ارى، اراه ... الخ فتغيير وزن الكلمة يدل على تغيير معناها.

ويقال نحو: رجل شغب جغب. فشغب صفه للرجل وجغب ملحق به ويعد زيادة في اللفظ. انظر: اللسان مادة (جغب).

(٣٦) يتصل التحوير بالتغيير الصوتي الذي يأتي للتخفيف في الكلام عند النطق ويتم ابدال صوت بصوت، او تصحيف حرف ليحل محل آخر في الكتابة واللفظ.

انظر الخصائص: ١/٧، ١٢، ١٨، ٦٤، ١٢٤، ١٣٩، ١٤١ وغيرها.

(٣٧) شفاء الغليل للخفاجي ص٣ ومابعدها

(٣٨) اللسان مادة (بطق)

وعلى هذا الأساس يكون لفظ بطاقة من الألفاظ العامية التي تتم تداولها بين الناس حتى صارت من كلماتهم المعبرة عن حياتهم في ظلّ تلك البيئة المصرية القديمة ، وكانت من الألفاظ المولّدة التي استعملت في القديم وجرت على السنة العامة بعد ذلك ، ثم تناقلهـا الناس بالاستعمال الى يومنا هذا حتى باتت شائعة على السنة الجميع ، متشبهة بدورها الى دلالات اخرى فهناك بطاقة التعريف ، وبطاقة البحث ، وبطاقة السفر وغير ذلك .

ان النمو اللغوي اوقل — الثراء اللغوي — ثراء ثقافي في الأصل ، وثورة ذهنيـة ونفسية واجتماعية ،ومالثقافة الامحصلة كاملة لمجموع المعطيات الفكرية والأخلاقيـة والذوقية والعلمية للحضارة ، واما كانت الثقافة تفكيراً ، وقيما ومعايير ، فان علاللتها ، باللغة علاقة جدلية ، فالثقافة تمر باللغة بعد ان ترتفع كلّ كلمة من كلمات هذه اللغـة الى مستوى المفاهيم المعينة ، والحياة الثقافية تضفي على اللغة بعض التنوع في الأستعمال ، ولهذا كانت وسيلة متنامية وذات طواعية لاستيعاب مايستجد من دلالات .

فنمو الكلمة مرتبط بثقافة الأنسان ، وامكاناته اللغوية التي تيسر له استعمال اللفظ على وفق ماتقتضيه الحاجة العلمية ، او الفنية اوالأدبية اوغير ذلك .

ان النمو اللغوي للدلالات قد ساعد على تكاثر المشتقات ، وتباين المعاني في الألفاظ ، سواء كان هذا النمو ذا وجه داخلي يتعلق بالبنية اللغوية ، اوالصيغة ، ومايلحقها من تغير ومايصادفها في اللهجات من تبدل في هيأة تركيبها ، اوفي قلب بعض اصواتها ، اوفي حذف بعض حروفها ، ام ذا وجه خارجي مرتبط بالتطور الذي يأتي في أسر الكلمات اللغوية نتيجة الأتصال الذي « يحدث التزاوج بين الفكر والمحيط : فينمي المفردات اللغوية » (٣٩) .

ولقد سجلت بعض المعاجم اللغوية العربية نموا لغوياً متحددا بالخروج السلبي عن اصول اللغة النثرية ، وقد سبق للعالم العربي الفذ سيبويه ت (١٨٠هـ) ان اثرى هذه الناحية في كتابه قال : « اعلم انه يجوز في الشعر مالايجوز في الكلام من صرف مالا ينصرف

(٣٩) انظر النحو اللغوي من خلال لسان العرب .القاسم لبرير .ص٨٢ .

J.Dobois, ,Dictiomaire de Linguistique P. 200:

يشبهونه بما ينصرف من الأسماء لأنها اسماء ، كما انها اسماء ، وحذف مالايحذف يشبهونه بماقد حذف واستعمل محذوفا ، كما قال العجاج :

مواطناً مكةَ من ورق الحمي

يريد الحمام » (٤٠)

ولحظ الباحث ان حذف الميم الأخيرة من كلمة (حمام) . قد ساعد على نمو كلمة جديدة هي (حمي) وقد تولدت بعامل الضرورة الشعرية خارجه من وضعها المستعمل في الكلام العادي الى وضع اخر عرفته لغة الشعر .

ومن الجدير بالذكر ان الوزن الشعري ينوع في تطور دلالته ، وفي اسلوبه حسب ما تقتضيه الضرورة الشعرية في الأستعمال ، فقد تنمو الصيغة الجديدة من ابدال حرف بحرف ، أوبحذف صوت في الكلمة ، اوبتغيير حركة فيها لتتبع حركة اخرى ، اوبالخروج من لهجة الى اخرى بحثا عن المفردة الصالحة للقافية ، اوغير ذلك . بل قد يأتي النحو بارتجال صيغ جديدة ارتجالا لاينسجم مع القوانين المعقدة للغة من ذلك « قول رؤية

يتركن بالامالس السّمالج (٤١)

للطيرّ واللواغس الهزالج (٤٢)

كلّ جنين معمر الحواجج (٤٣)

«جمع حجاجا على غير قياس واظهر التضعيف اضطرارا » (٤٤) .

---

(٤٠) سيبويه ٨/١ طبعة بولاق .

(٤١) الأمالس: الأرض التي ليس بها شجر ولا كلأ : السمالج : اللين الحلو الدسم

(٤٢) اللواغس: عشب لين رطب يؤكل سريعاً. والهزالج : السراع الخفاف من الذائبات

(٤٣) معمر : قليل الشعر ، والحوالج :جمع حجاج

انظر اللسان المولد: (ملس)، (سملج)، (لفس)، (هنرلج)، (معر)، (حجج) على التوالي .

(٤٤) اللسان(مادة: حجج) .

وفي اللسان كثير من هذا (٤٥)

ومن هنا فأن النمو اللغوي عامل من عوامل توسيع افاق اللغة ومايؤلف بها. انه خلق. وتفجير للطاقة الكامنة في المفردات اللغوية لتتسع معان جديدة ، وتشمل مدلولات حضارية عضوية لم يسبق للغة ان احتوتها .

ان المعنى يتجاوز حدوده اللسانية ، وهذا مايطرح مانسميه اليوم بدراسة الرموز اللغوية في اطارها الأجتماعي (٤٦). اذ ان تحديد مصطلح الرمز اللغوي يضمي على الكلمة التي ننطق بها، أو الكتابة التي نقرؤها معنى خاصاً نلمسه في استعمال ذلك الرمز . «وعلى قدر وضوح الدلالة ،وصواب الأشارة، وحسن الأختصار ، ودقة المدخل يكون اظهار المعنى وكلما كانت الدلالة اوضح وافصح ،وكانت الأشارة ابين وانور ، كانت أنفع وانجح» كما يقول الجاحظ (٤٧)

يضاف الى هذا كله ان في قواعد العربية توسعاً، وترخصاً، وانماطاً من الأختصار والتكثيف ،والحذف، والتقديم، والتأخير، وغير ذلك مما يهيء للكاتب ان يخلق آثاراً ذوقية، ونفسية، وعلمية بأسلوب مؤثر طيع، قريب المنال، بشرط الايكون ذلك التوسع أوالترخص يغاير مااستنبط من ضوابط وقوانين لغوية تبين طرائقها في التعبير وتحكم حركتها بمالايترك مجالا للايقاع بها، او التحامل عليها .

ثانياً تيسير النحو

لابد لكل من ينادي بتيسير النحو العربي الا يتخطى حقيقتين :

أولاهما: ان البناء الذي اقامه النحاة العرب قد صمد للتطبيق منذ القرن الثاني للهجرة ، حتى اليوم ، وهذا يؤكد ما لأولئك النحاة الافذاذ من فلسفة حقيقية في دراساتهم

---

(٤٥) انظر على سبيل المثال اللسان المواد .(صهيج)، (عور)،(حرم) ، (بلت) (خبت) (خصر)

(٤٦) انظر : Roland E. pour aborder La Linguistique. p. 142.

(٤٧) البيان والتبيين: الجاحظ ١٥/٧٥.

اللغوية ، وفهم واع لما سنوه من قواعد وقوانين للغة العربية ، شهد لهم فيها أكثر معارضيهم اذ يقول ابن مضاء القرطبي (٥٩٢هـ) — على تبرمه بالنحو والنحاة — « واني رأيت النحويين — رحمة الله عليهم — قد وضعوا النحو لحفظ كلام العرب من اللحن ، وصيانته من التغيير فبلغوا من ذلك الى الغاية التي أموا ، وانتهوا الى المطلوب الذي ابتغوا» (٤٨) .

وقد تم لهم ذلك بعد استقراء مسموع اللغة وتقليبه على أوجهه حتى استقام لهم هذا البناء المحكم الذي حفظ العربية وصانها من الشوائب. ومن هنا فأن اية دعوة للتيسيريجب الاتكون بالخروج على صحة اللغة وسلامتها— وقواعدها الكلية الأصلية ، واما بتذليل صعوبات هذه القواعد وتقديمها بأساليب واوجه ميسرة» (٤٩)

وثانيهما: ان الدعوة الى تيسير النحو لاتعني اصوله، أوحذف فروعه، لأن النحو في حقيقته قانون بني عليه اللسان ، وانما نعني تبسيط الصورة التي تعرض فيها تلك الأصول والفروع ، أعني تركيز الأهتمام على تبسيط طرائق تعليم مسائل النحو وقوانينه لاعلى النحو نفسه لانه علم محض، ونحن « لانستطيع اطلاقاً ان نبسط اللغة مهما كانت شاقة وعسيرة ، ولكننا نملك تبسيط تعليمها فقط ، وان الجانب الأهم والأولى بالتقديم هو فقه النحو ، وفهم وظيفته على حقيقتها ، وتكوين المعلم الذي يستطيع ان يدرك ذلك ويتمثله . ثم يكون قادراً على ابلاغ هذا الطراز من المعرفة الى الذين يقوم على تدريسهم » (٥٠) بشرط الآيكون ذلك امراً قائما بذاته منقطعا عما سواه عن تعليم سائر المواد ، فامرها يتصل اوثق الأتصال بالعربية كما سنرى ، ويمهد لاتقانها .

وهذا لايتم الابعد توازن يقوم بين طبيعة القطاع التعليمي المعين الذي يجري فيه تعليم العربية ، والمادة الموضوعية التي يمكن ان تطرح للدراسة والتطبيق وهذا يقتضي عمل دراسات مستوعبة للحقول والمجالات الدلالية ، والفكرية التي تناسب الأعمار المختلفة

---

(٤٨) الرد على النحاة ابو مضاء القرطبي . ط ٢ ص٧٢ .

(٤٩) في قضايا اللغة التربوية .د. محمد السيد. ص٢٥ «بنصرف».

(٥٠) مجلة المجمع اللغوي الأردني .العدد (٢٥-٢٦) ص ١٢٥.

والأختصاصات المتباينة ، ومن الخطأ ان يكون منهاج اللغة العربية في غير اقسام الأختصاص — مثلا — واحداً في جميع تلك الأقسام اذ يعطى طالب الترجمة مايعطى طالب المكتبات اوعلم النفس ، اوالتاريخ ، ولكل قطاع من هذه نشاطه الخاص ، وحاجاته المعينة من اللغة وقواعدها . زد على ذلك ان القواعد اللغوية ليست متساوية في اقدارها ووجوب اتباعها فهي على انواع مختلفة ، منها مايجب المحافظة عليه ، ومايحسن اتباعه ، ومنها مايمكن التساهل في تطبيقه . اذا كان في اتباعه ارهاق، او تردد ، اوامتهان فكر ، ومنها مالايفيد منه الكاتب)، اوالقاريء ومنها ماهو مفتعل افتعالاً لا اصل له من مادة ، ومنها مايجب نبذه حتى لايعرفه الآمن يروقه مثل هذا العلم من بين المحترفين » (٥١) .

انّ فكرة تيسير النحو كما نفهمها فكرة تعليمية لازمة ، وهي مشكلة تربوية لابدّ من وضع الحلول لها بما يدفع عن النحو سمةّ (الصعوبة) التي يحاول ان يلصقها به بعض المغرضين ، ويحملّ النحو العربي في ضوئها مسؤولية ضعف العربية لدى جماهير اكثر المتعلمين ، بل اكثر المثقفين .

اما متخصص النحو او دارسه فلايطالب لهما مايطالب لغيرهما ، وانما يقتضيهما مزيد من التوضيح ، وسبك الوسائل النحوية ، بما يبعدها عن ضروب البراعة في التأويلات والتخريجات الأفتراضية المتكلّفة ، مع الأخذ بعين الأعتبار ان سلامةّ اللغةّ لاتنفي انّها في تطور دائم ، فلاسلامة في الجمود ، انّما السلامة في الأحتفاظ باصول اللغة ، وقواعدها ونظامها ، ثم في تعبيرها عن حاجات العصر ومتطلباته .

ثالثاً : التعليم ومناهج اللغة :ـ

لابد ان تحقق مناهج اللغة العربية الأهداف العامة ، للتربية من حيث بناء المواطن ذي التفكير العلمي ، البعيد عن الأنفعال ، الصحيح في نفسه ، والمعتز بقوميته الغيور على لغته ، لكونها هويته ، واساس دينه ، وموطن تراثه ، المؤمن بقدرتها

(٥١) اللغة العربية المعاصرة. محمد كامل حسين .ص٧٩« بتصرف » .

على تمثل الأشياء الجديدة ، العامل على كشف زيف الأساليب التي اتبعها الخصوم في القول بعدم صلاحية العربية للعلم .

ومن هنا فان على جميع المهتمين بشؤون تعليم العربية وسنّ مناهجها مراعاة الحقائق الأتيه :

١ — العمل على ان تحظى اللغة العربية في المدارس باهتمام اكثر على مستوى المنهج اوالقائمين بالتدريس ، وباهتمام خاص بالقدرات الأساس في اعداد المتعلمين تذوقية وتعبيرية ، ونقدية ، ونحوية ، وقرائية ، وخطية .

(ب) الأهتمام بلغة الطفل منذ سن مبكرة « فايّة محاولة للاصلاح اللغوي اذا لم تبدأ من مرحلة الطفولة فلا جدوى منها ، واذا لم تواكب التلميذ في سن المدرسة وقبل سن المدرسة فسيكتب لها الفشل . ولهذا فان نقطة البداية لاصلاح حال اللغة العربية — اذا اردنا الأصلاح — هي اصلاح حالها في المرحلة الأبتدائية ، وفشل المرحلة الأبتدائية في تعليم اللغة العربية سيعقبه حتما فشل المرحلة الأعدادية ثم الثانوية ، ويصل ، الشاب الى الجامعة بعد ان يكون قد نضج عقليا ولكنه مع الأسف لم ينضج لغوياً، ويظل عجزه اللغوي ملازما له بقية سنوات عمره ، حتى لوتخصص في اللغة العربية ، ودخل احد اقسامها في ايةّ جامعة عربية « فالجامعة ليست المكان المناسب لتعليم المهارات اللغوية ، وانما هي المدرسة الأبتدائية » (٥٢) .

لقد اكدت الدراسات العلمية الحديثة فعل المدرسة الأبتدائية ، ودورها في تنمية الثروة اللغوية السليمة لدى التلاميذ كتلك الدراسة التي اجراها (سيشور) حول عدد المفردات التي يحصل عليها التلميذ مابين ٤ — ١٠ سنوات من عمره وهي اكثر من عشرين الف كلمة اساسية (٥٣) ، وهذه ثروة لغوية هائلة المفترض اذا احسن تعليمها نطقا ، واستعمالا

(٥٢) اللغة العربية الموضوع والأداة: ص١٤٧.

(٥٣) انظر : تدريس اللغة العربية في المرحلة الأبتدائية د. محمد صلاح الدين مجاور ص٢٥٦.

ان تساعد صاحبها فـي تحصيله العلمي فـي المراحـل اللاحقة ، وتزيد من قدراته الذهنية وطاقاته التعبيرية .

ج. يجب أن يسلط واضعو مناهج اللغة الضوء على الجانب العلمي للغة ودراسته وتحليله،وتقنيته، وفي الأستفادة من معطيات علم اللغة الحديث وتوظيفها في خدمة اللغة العلمية ، لتطويعها ، وتطويرها ، وتقديمها بصورة عصرية الى جماهيرنا المثقفة، والى طلابنا الذين يتجاوبون مع اعقد المعادلات الرياضية ، وادق النظريات العلمية ، ولايتجاوبون مع دروس اللغة العربية (٥٤) .

ولايقتصر الأمر في هذا على دروس اللغة العربية من نحو ، وادب ، وبلاغة ، وقراءة وكتابة ، بل يجب ان يتعداه الى مناهج المواد العلمية نفسها فهذه المواد تساعد في اكساب الدارسين : مهارات لغوية ، وتعرفهم بمفردات جديدة ، فمواد مثل الحساب والعلوم، والكيمياء والفيزياء ، وغير ذلك يجب ان تقدم زاداً لغوياً جديداً للطلبة في وقت مبكر ، وتعرفهم بمسميات جديدة مما يعمل على تنمية اللغة ، وزيادة المعارف ، وتدرب الطلبة على تذوق الكلمات ، والأحساس بجمال المفردات ، والتراكيب ، والصور ، ويبرز في هذا المجال دور درس اللغة العربية في تهذيب تلك المعارف اللغوية وتدريب الطلبة عـلى استعمالها من خلال النصوص الأدبية واللغوية(٥٥).

(د) التركيز على الجانب العملي التطبيقي في التعليم زيادة على الجانب النظري ، فاللغات تكتسب بالممارسة سماعا ونطقاً ، وليس المقصود من تعليم اللغة شحـن ذاكرة المتلقي بالمفردات والتراكيب والقوانين اللغوية المهمل منها والمستعمل،وانما المقصود هو تحصيله مهارة معينة،وهي المقدرة الكبيرة على التعبير الدقيق عن جميع الأغراض،وجميع ماتقتضيه الحياة العصرية « وظروف التبليغ الكتابي . الشفوي بصفة عامة » (٥٥).

ومن هنا يبدو ماللسماع من اثر حاسم في اتقان اللغة العربية السليمة وخلق العادات ، اللغوية الصحيحة في النطق ، والتعبير ، والكتابة ، وهذا مايكشف دور وسائل الأعلام

(٥٤) انظر اللغة العربية بين الموضوع والأداة. ص١٤٧.
(٥٥) أثر اللسانيات في النهوض بمستوى اللغة العربية . ص١٣٠ .

في التوجيه السليم للنشيء ازاء لغتهم ، ويظهر خطورة الدور الذي يجب ان يقوم بـه المعلم ، والمدرس ، والخطيب ، واولو الأمر من الساسة ، والحكام في مخاطبة الناس .

رابعاً : المصطلح العلمي :

المصطلح العلمي اداة البحث العلمي ، واساس المصطلح لايوجد في فراغ ولاينشأ الا اذا وجد التفكير فيه ، وبذلت الجهود لوضعه ، وقيمة المصطلح في انتشاره ، والأخذ به وبهذا يصير جزء من اللغة ، اما ان يختلف من باحث الى باحث ، ومن قطر الى اخر فانه «يبقى عملة غير متداولة » (٥٦) ، ولعل امثل السبل لتوحيد المصطلحات في الوطن العربي واشاعتها تقتضي الأخذ بالاتي :

١ ـ توثيق المصطلحات العلمية في التراث العربي لتكون الخطوة الأولى في سبيل ايجاد نظرية عامة للمصطلح العربي ، وللقضاء على مشكلات صنعه والحوائل التي تمنع توحيده ، (٥٧). فالمشكلة لاتكون في المصطلح ، وانما تكون فيما حوله ، في تعدد الجهات او الأفراد الذين يسهمون في وضع المصطلحات ، اوتفسيرها ، دون ان توجد اسس موحدة ، ومباديء متفق عليها عن كيفية وضع المصطلح اواشاعته بين الناس .

(ب) اتفاق العلماء العرب على دوال معينة ، متجنبين استعمال النافر الغريب من الألفاظ عند صوغ المصطلحات ، بما لايؤدي الى مصطلحات معقدة ، غير مأنوسة لاتألفها الأذن العربية ، ولايؤدي الى الغموض والأبهام فنحن لسنا بحاجة الى ، مصطلحات من نحو :

ازكنفص : للدلالة على ايونات الفضة .

وكرا كصد :للدلالة على كربونات الصوديوم .

---

(٥٦) في اللغة والأدب. ص٦٨

(٥٧) انظر في وسائل توحيد المصطلحات العربية: مقدمة في علم المصطلح علي القاسمي ص ١٢١ ومابعدها .
والعربية تواجه العصر د. ابراهيم السامرائي ص ١٢ ومابعدها

ونتا كصد: للدلالة على نترات الصوديوم .

وفقد من : للدلالة على فقر الدم .

وسمعصي : للدلالة على (سمعي بصري). (غير ذلك من المصطلحات النافرة الغريبة) (٥٨).

(د) تنشيط حركة تعريب الكتب العلمية ، واستعمال المصطلح العلمي في الكتب التي يتفق على ترجمتها ، اوتعريبها ، بما يؤدي الى اشاعة المصطلحات العلمية في العربية .

(هـ) تنشيط دور المجامع اللغوية في تحديد مفاهيم الكلمات ، وتثبيتها ، وايجاد المقابل لما يستجد من الأختراعات ، والأفكار ، والمتطورات انقاذا للامة من احد أسباب البلبلة ، والتناقض ، والتفكك ، ويعمل على توحيد الأنماط الحضارية التي ولدت متباينة بين قطر عربي آخر .

خامساً : المعجمات اللغوية :ـ

للعرب في ميدان المعجمات باع طويل بزوا به الامم جميعها، وتلك حقيقة لانقولها من باب الأدعاء ، اوالفخر القومي ، ولكنها حقيقة تذكر للعرب من غير ابنائها ، ولذا لانعجب ان الفينا عالما لغويا اوربيا هو (هاي‌وود) يبهر بجهود المعجميين العرب فيطلق لسانه بهذه الشهادة التي يقول فيها : « الحقيقة ان العرب في مجال المعجمات يحتلون مكان المركز سواء في الزمان ام المكان بالنسبة للعالم القديم والحديث وبالنسبة للشرق والغرب » (٥٩) .

---

(٥٨) انظرفي ذلك: في اساليب أختيار المصطلح العلمي ص ١٩٠ ومابعدها والأشتقاق :عبد الله أمين ص ٤٤١– ٤٤٢– والنحت في العربية د. محمد ضاري .

(٥٩) العربية بين اللغات العالمية الكبرى ص ٨.

لقد تفنن العرب في دراساتهم المعجمية ، وكانت لهم منذ القرن الثاني للهجرة مدارس معجمية متعددة قائمة على مناهج متباينة وبما جعل للعربية ثروة كبيرة من المعجمات اللغوية القديمة، وفي العصر الحديث خطا المعجم العربي خطوات فسيحة نحو التطور والأرتقاء غير ان معجماتنا مازالت في حاجة الى تجديد وتهذيب لتكون أدوات بحث . ومراجعة سهلة . محكمة الترتيب والتبويب ، وهذا لايتم في تقديري الاباتباع الخطوات الأتية :

(آ) ترتيب الكلمات على حسب نطقها ، لاعلى حسب تصريفها « ومن اليسير تطبيق ذلك على العربية ، ولكن في حدود المادة ، لان العربية لغة اشتقاقية ، وهذا ما أخذ به مجمع القاهرة فيما اخرجه من معجمات » (٦٠)

(ب) زيادة المعجمات وضوحا وجلاء بصوغها بلغة سهلة ، وعبارة دقيقة واختصار ماامكن اختصاره من الشواهد والأمثلة ، والأستعمالات المجازيـة المتعددة التي جعلت اكثر معاجمنا مصابة بالتخمة والأسهاب .

(ج) ينبغي ان يساير المعجم تطور اللغة وما ادخل عليها من الفاظ حضارية ومصطلحات علمية ، ولايتحقق ذلك الا بصنع معجمات متخصصة تجمع فيها الفاظ العلـم المعين ، ومصطلحاته في العربية ، ولدينا اليوم معجمات لابأس بها من ذلك .

(د) وضع الأسس الكفيلة بصنع عدد من المعجمات التي تحتاجها اللغة العربية مثل المعجم السياقي ، والمعجم الطلابـي ، ومعجم اللغة العربية الفصيحة المعاصرة . ونحو ذلك من المعجمات .

(هـ) الأكثار من المعجمات التي تيسر مهمة تعليم الأجانب لغتنا ، معجمات مختصة سهلة ، تقف عند الكلمات الكثيرة الورود ، والذائعة الأستعمال .

(و) عدم اغفال فنّ اخراج المعجمات ، فهو وسيلة ناجحة من وسائل نشر معجمنا العربي وتقريبه الى القراء ، ولعل استعمال الصور والرسوم وحسن الطباعة والترتيب من خير الوسائل لذلك .

---

(٦٠) العربية بين اللغات العالمية الكبرى . ص٨.

سادساً : الحوار مع العامية :

انني ارى في وجود (العاميات) مقابل الفصيحة مدعاة الى تفكك الفكر العربي ، واذا تفكك الفكر استحالت البداية المريضة اعني (العاميات) الى نهايات متأصلة في كل قطر عربي بل في كل مدينة اوقرية ، اوحي من الأحياء العربية ، وهذا يمكّن الأجنبي ان يشيع هذه العاميات ليفيد منها في مدّ نفوذه ، وكسب انتصاره في معركة الثقافة ، فيضع لكل منها قواعد ، واذا بالقومية تصبح قوميات .

ولانريد ان نهشم العاميات ، لانها واقع معاش ، وحقيقة لامفرّ منها ، وفيها ماهو على ارث من اللسان العربي الفصيح ، ولكننا ندعو الى عقد حوار معها ، واعداد دراسات تقابلية بينها وبين الفصيحة من جهة ، وبين الفصيحة واللهجات العربية من جهة اخرى مستفيدين بذلك مما في العاميات واللهجات المحلية من نقاء لغوي يمكن رده الى جسد اللغة الأم . وبذلك نحقق امرين :

اولهما :تقليص الهوة الفاصلة بين العامية والفصيحة .

وثانيهما: تقليص حضور العامية الىابعد حد ممكن .

وعمل مثل هذا لابدّ ان تجتمع عليه اكثر من جهة ، من وسائل اعلامية ومؤسسات ثقافية اوتعليمية .

وا خيراً فانّ للعرب (لغة علمية) واضحة في كثير من اوجه البحث العلمي اننا نؤلف في الأقتصاد ، وفي السياسة ، وفي القانون ، وعلم النفس ، والطب والفلسفة ، والفلك والهندسة ، والكيمياء ، منذ مئات السنين وما زلنا نؤلف ونكتب هذه العلوم وغيرها بلغة عربية نؤدي بها جزءاً من رسالتنا الكريمة ، وايا كانت مواقف بعضنا من مسألة اللغة العربية والعلم فانّ من الثابت عندنا ان فرض (لغة عامية) على مجتمع يعاني من التخلف العلمي لايؤدي الى حصول تطور علمي .

ان احدى اهم الوسائل لحصول مثل هذا التطور هو تعميم التعليم ، ولن يتأتى ذلك الا بجعل اللغة الأم لغة العلم والحياة ، وبأتخاذ العلم منهجا دائما للحياة العربية بكل صورها ، وانشطتها وتطلعاتها ، واما لها .

مصادر البحث

أولاً — الكتب العربية :

١ — ابحاث نقدية مقارنة ، د. حسام الخطيب ط١ — دمشق — ١٩٧٢ .
٢ — الأشتقاق . عبدالله امين ، القاهرة ١٣٧١هـ — ١٩٥٦
٣ — البيان والتبيين . الجاحظ تحـ — وشرح عبد السلام هارون ، مصر — ١٣٨٨ هـ، ١٩٦٨ .
٤ — تأملات في اللغو واللغة محمد عزيز الحبابي ، الدار العربية ، ليبيا — تونس ، ١٩٨٠
٥ — تدريس اللغة العربية في المرحلة الأبتدائية د . محمد صلاح الدين — مصر ١٩٧٤ .
٦ — تذوق الأدب — طرقه ووسائله — د . محمود ذهني ، مكتبة الأنجلو — القاهرة
٧ — التفكير واللغة .ل.س. فيجو تسكي .تر . طلعت منصور — القاهرة — ١٩٧٦
٨ — تنمية اللغة العربية في العصر الحديث — د . ابراهيم السامرائي . القاهرة — ١٩٧٣
٩ — الحيوان . للجاحظ . تحـ.عبدالسلام محمد هارون . ط١ القاهرة — ١٩٤٣ .
١٠ — الخصائص . ابن جني . تحـ . محمد علي النجار ط٢ ، بيروت .
١١ — دلائل الأعجاز لعبد القاهر الجرجاني ، تحـ . محمد عبدالمنعم خفاجي القاهرة ، ١٩٦٩ .
١٢ — الدين والحضارة الأنسانية . محمد البهي . ط١ — بيروت — ١٩٧٤ .
١٣ — الرد على النحاة . ابو مضاء القرطبي . تحـ . د . شوقي ضيف . ط١ — مصر — ١٩٨٢ .
١٤ — الشعر .ارسطو طاليس . تر. بشرمتي بن يوسف .تحـ.د. شكري عياد . مصر — ١٩٦٧ .
١٥ — الشعر والشعراء ابن قتيبه .تحـ. احمد شاكر . مصر — ١٩١٦ .

١٦ ـ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل . شهاب الدين الخفاجي . تحـ. محمد عبدالمنعم خفاجي . مصر ـ ١٩٥٢ .

١٧ ـ العربية بين اللغات العالمية الكبرى .د. ابراهيم مدكور . بيروت ـ ١٩٧٣

١٨ ـ العربية تواجه العصر . د. ابراهيم السامرائي . بغداد ـ ١٩٨٢ .

١٩ ـ علم اللغة .د. علي عبدالواحد وافي . ط٧ ـ مصر ـ ١٩٧٢ .

٢٠ ـ العمدة في صناعة الشعر ونقده . ابن رشيق القيرواني .تحـ. محمد محي الدين عبدالحميد ط٣ مصر ـ ١٩٦٣ .

٢١ ـ فن الشعر . هيجل . تر . جورج طرابيشي . بيروت ـ ١٩٨١ .

٢٢ ـ في قضايا اللغة التربوية .د. محمود السيد . الكويت .

٢٣ ـ آ ـ في اللغة والأدب .د. ابراهيم مدكور ، مصر ـ ١٩٧١ .

٢٣ ـ ب كتاب سيبويه . سيبويه طبعة بولاق .

٢٤ ـ لسان العرب ـ ابن منظور ـ الطبعة المصورة عن بولاق

٢٥ ـ اللغة العربية المعاصرة .د. محمد كامل حسين . مصر ١٩٦٩ .

٢٦ ـ اللغة والفكر . بول شوشار .تر. صلاح ابوالوليد ـ باريس .

٢٧ ـ اللغة والمجتمع . رأي ومنهج د. محمد السعران القاهرة ـ ١٩٦٣

٢٨ ـ مقدمة في علم المصطلح د. علي القاسمي . بغداد ـ ١٩٨٥

٢٩ ـ النحو لرجال الأعلام . .د. عبدالعزيز شرف .د. محمد عبدالمنعم الخفاجي . مصر ١٩٨٣ .

٣٠ ـ النقد الجمالي . روز غريب . بيروت ـ ١٩٥٢ .

ثانياً : الدوريات والملتقيات

٣١ ـ استراتيجية التسمية : التأويل وسؤال التراث . مطاع صفدي مجلة الفكر ، العربي المعاصر . العددان ٣٠ ـ ٣١ . بيروت ـ ١٩٨٤ .

٣٢ ـ التعريب والترجمة ضرورة قومية وبعد حضاري .د. هادي نهر مجلة آداب المستنصرية ١٩٨٧

٣٢ — حتمية التعريب في التعليم العالي . د . مازن المبارك من بحوث مؤتمر تعريب ، التعليم العالي. ١٩٨٠ بغداد

٣٤ — في اساليب اختيار المصطلح العلمي ومتطلبات وضعه .د. جميل الملائكة . مجلة المجتمع العلمي العراقي . المجلد ٣١ . بغداد ١٩٧٩ .

٣٥ — قضايا الأدب وضرورة انتاجه . انطوان مقدسي
الندوة العلمية لقضايا الأدب العربي . تونس — ١٩٧٩ .

٣٦ — اللغة العربية اساس لنهضة امتنا ووحدتها .د. عبدالكريم خليفة
مجلة المجمع اللغة العربية الأردني . العدد المزدوج (٢٥ — ٢٦) عمان — ١٩٨٤.

٣٧ — اللغة العربية بين الموضوع والاداه . د. احمد مختار عمر .
مجلة فصول . العدد (٣) القاهرة ، ١٩٨٤

٣٨ — اللغة العربية وقضايا الحداثة .د. ناصر الدين الأسد . مجلة فصول — العدد الثالث — القاهرة — ١٩٨٤ .

٣٩ — المصطلحات العلمية في التراث العربي .د. عبدالله الجبوري .
مجلة أداب المستنصرية . العدد الرابع .بغداد/ — ١٩٧٩ .

٤٠ — المصطلح الكيمياوي في التراث العربي .د. جابر الشكري .
مجلة المجمع العلمي العراقي : المجلد الأول . بغداد — ١٩٨٠

٤١ — النحت في العربية واستخدامه في المصطلحات . المجلد (٣١) العدد (٢) . بغداد ١٩٨٠ .

٤٢ — ندوة خبراء ومسؤولين لبحث وسائل تطوير اعداد معلمي اللغة العربية في الوطن العربي . الرياض / ١٣٩٧ هـ — ١٩٧٧ .

ثالثاً : المصادر الأجنبية

٤٣ — Dictionnaire de Linguistique, Dubois (J.) & Dautres Paris, Librairie Larousse 1973.

٤٤ — Pour aborder La Linguistique, Eluerd (Roland) Paris, Les ed itions ESF .1977.



البطل في الشعر العربي وفي نقده
الطائيان والآمدي انموذجاً

د . قاسم المومني
جامعة اليرموك — دائرة اللغة العربية
الاردن — اربد

لاشك ان للبطل في أداب الأمم — والعربية احداها — مكانة سامقة . هذه المكانة ترتد بالطبع — الى مجموعة اسباب يمكن التأكيد بنحو خاص على ثلاثة منها : اولها جلال الدور المتميز الذي يلعبه البطل في حياة الأنسان على مستوى الفرد اوالجماعة (١) . وثانيها ، طبيعة البطل المتفردة على مستوى التكوين الخلقي والخلقي على السواء ، واخرها انفطار المتلقي في طبيعته على الأنتساء بالنموذج والقدوة اوبالمثل والقيمة واعني بذلك البطل بطبيعة الحال .

كل هذه الأسباب تفسر لنا بنحو اوبأخر تمحور الأداب والعربية منها بخاصة حول البطل ، تتغنى بمهامه ، وتراع بتفوقه وتفرده ، وتدعو فيما تقدمه الى ضرورة التمسك به والتحلي بشمائله وخصاله .

اماالبطل في الشعر العربي وفي نقده وهو الذي ترومه الدراسة فالبطل لافي الحرب وحدها ، بل فيها وفي السلم في آن . المهم ان الأحتفاء بالبطل — بهذا الفهم — انما تضرب جذوره في فترة مبكرة من تاريخ الشعر العربي ترجع الى العصر الجاهلي (٢) ، وكذا فان الأهتمام بالبطل — بالفهم نفسه — قديم في النقد بشكل يوازي الشعر وان كان لايساويه ، والأهم ان البطل الذي تهدف الدراسة الى الكشف عنه ان هو الا البطل عند الطائيين هذا في الشعر ، وان هو الا البطل في تصور ناقدهما وهذا في النقد والأنتقاء اوالأختيار — هنا — له مسوغاته واسبابه بالطبع .

(١) راجع هذا الدور عند شكري عياد: البطل في الأدب والأساطير: ٦٣
(٢) راجع شوقي ضيف : البطولة في الشعر العربي : ١٦-٣١

اما الطائيان – ابوتمام والبحتري – فانهما من شعراء العربية الفحول ولاشك انعقدت بينهما صلة قوامها – في كل مايقال – المودة والتقدير هذا على المستوى الشخصي اما على المستوى الفني فانهما فيما يقوله ناقدهما لمختلفان ، فأبوتمام على الجملة « شديد التكلف صاحب صنعة ويستكره الألفاظ والمعاني ، وشعره لايشبه اشعار الأوائل » (١) والبحتري بالجملة «اعرابي الشعر مطبوع ، وعلى مذهب الأوائل،ومافارق عمود الشعر المعروف (٢) اما ناقدهما – الأمدي – فانه من النقاد العرب الكبار الذي اكتسب تقدير معاصريه وخلفهم على السواء ، وليس ذلك رغم كل مايقال عنه الا لاعتبار الرجل من الحراض على استيفاء مادة علمه وعلى دقة منهجه فيه ، كل ذلك في نطاق من الموضوعية يشار اليها في تاريخ الحركة النقدية الخاصة بالشاعرين : ابي تمام والبحتري (٣)

قد اقول ان هناك ثمة دراسات معاصرة قد عالجت – فمن اهتماماتها بشعر الحرب عند العرب – شعر الحرب عند الطائيين (٤) ، الأمر الذي يتطلب بداهة الأهتمام بالبطل والبطولة ، وقد اقول ان هاتيك الدراسات قد انتفعت – حتما – من جهد الأمدي ، ناقد الشاعرين في كل ما انتهت اليه عن شعر الحرب عندهما ولكن دراسة من هاتـــه الدراسات لم نتوقف ابدا عند ذلك الكتاب المعقود ل « البأس والنجدة » ضمن كتب «الموازنة » وابوابها ، وهو الكتاب الذي يستقل اولا واخرا بالموضوع الذي تتناوله الدراسة الأمر الذي ظل يعوز الدراسات السابقة وان كان لاينتقص من شأنها هذا من ناحية ، والذي ظل وراء اختيار الدارس لموضوع درسه ، وهذه هي الناحية الثانية .

---

(١) الامدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: ١ : ٦

(٢) نفس المصدر والصفحة .

(٣) راجع بيان ذلك عند الباحث: الموازنة بين ابي تمام والبحتري– للامدي تحليل ودراسة : ٨٣ وما بعدها .

(٤) يمكن الأشارة– تمثيلا لاحصراً الى دراسة زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب في العصرين الأموي والعباسي الىعهد سيف الدولة: ١٧٦– ٢٣٩ ودراسة نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم في ضوء التأريخ (العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع) : ١٦٥– ٢٠٢ .

لقد قلت ان للبطل عند الطائيين مقاما جليلا ، وله عند ناقدهما مثل هذا المقام ، وكذا فقد قلت ان للبطل في الشعر العربي قبل الطائيين مقاماً كمثل هذا ، بل لقد قصر الرجلان فيما يزعمه ناقدهما عن قوافل الشعراء قبلها في تصوير معاني البطولة لابل بعضها . (١) المهم في كل ماأقوله ان تمجيد البطل والتغني بشمائله وبخلاله حقيقة متواصلة في الشعر العربي ،والأهم ان هذا يشي لابمواكبة الشعر للاحداث وبملازمته لها فحسب بل بتقييده لجليها من خلال ذلك الجلال الذي يؤديه البطل ولايؤديه غيره . هل يرجع مثل هذا التغني الى استشعار المبدع كفرد لاهمية البطل في توجيه مسار الأنسان فردا كان اوجماعة هل يرجع ذلك الى اعتبار البطل حقيقة يفرضها واقع الأنسان — على مستوى الفرد او الجماعة — بالجملة ، سياسية واجتماعية واقتصادية ؟ هل يرجع ذلك الى حضور البطل الذي يفرض نفسه بكل ماله اوعليه على وجدان الأنسان ؟

قد تتعدد الأسباب التي تعلل كلف الطائيين بالبطل وبالبطولة ، فتكثر اوتقل . وقد يكون البطل في شعريهما خليفة اواميراً اورجلا من رجالات الحرب وقد يكون البطل رجلا من رجالات السلم . اللافت في كل ذلك ان صورة البطل واحدة ، وان الملامح التي تساهم في تشكيل هذه متعددة ، وان الصورة — عندهما — بكل ملامحها ان هي الا امتداد لسابقتها ، ولكن كيف تبدو هذه الصورة ؟ وماهي الملامح التي تتقوم بائتلافها عند هذا المستوى سنجد انفسنا في حاجة للنظر بروية في شعر الطائيين وفي نقده ، وذلك هو الذي سافعله .

ان البطل الذي يستحق كل الأكبار وكل التقدير فيما يقدمه شعر الطائيين ان هو الا البطل الذي يرتفع بقامته عن قامات الأخرين ويجوز بهامته هاماتهم فكل ذلك ليس الا بسبب حقيقة ما يتحلى به ويتصف بالطبع . وقد تتعدد الصفات — هنا — التي تخلع على البطل البطولة . فتشمل — مثلا — مايمكن ان ينطوي تحت الجانب النفساني كاحتمال المكاره والحزم والأنفة وغيرها ، وتشمل مايستوعبه الجانب الخلقي كالوفاء وحماية الجار والكرم وتتخطى ذلك لتشمل مايمكن ان يندرج ضمن الجانب القتالي او الحربي كالاستبسال في المعركة والأستماتة في الذود عن الحمى . المهم ان هذه الجوانب

---

(١) راجع الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: الجزء المخطوط : ٩٣ أ .

بكل تفاصيلها (١) ماذكرته منها ومالم اذكره هي التي تشكل بتآزرها مايمكن ان يقال عنه شخصية البطل اوصورته ، والأهم ان هذه الجوانب تقر في ذات البطل على نحو يعز عند غيره ولانصادفه فيمن سواه الافي النادر الفذ :

قد يقول ابو تمام مثلا :

وقد علم الأفشين وهو الذي به ... يصان رداء الملك عن كل جانب
بانك لما استحكك الأمر واكتسى ... لهابي تشفى في وجوه التجارب
تجللته بالرأي حتى أريته ... به ملء عينيه مكان العواقب
بارشق اذ سالت عليه غمامة ... جرت بالعوالي والعتاق الشوازب
نضوت له رأيين سيفا ومنصلا ... وكل كنجم في الدجنة ثاقب
وكنت متى تهزز لخطب تغشه ... ضرّائب امضى من دقاق المضارب (٢)

وقد يتبع التلميذ – البحتري – الشيخ – ابا تمام – في التأكيد على مايقول :

الى صامتي الكيد لو لم يكن له ... قريحة كيد لاكتفى بالتجارب
عليهما خلف العواقب ان سرت ... رويته فضلا بما في العواقب
وصيقل اراء يبيت يكدها ... ويشحذها شحذ المدى للنوائب
يحرق تحريق الصواعق الهبت ... برعد وينقض انقضاض الكوا كب(٣)

فافهم مما يقوله الطائيان معا ان سداد الرأي وحسن التدبير في مقدمة هاتيك الخصال ، التي تكسب البطل البطولة ، وافهم مما يقولانه ان سداد الرأي ومضاء العزيمة يعادلان في فعلهما فعل المهند وافهم مما يقوله ابو تمام والبحتري ان سداد الراي ومضاء العزيمة لايتأتيان بالصدفة بل هما محصلة لتجربة ثرة وفطنة متميزة .

---

(١) راجع هذه التفصيلا ت عند شوقي ضيف : البطولة في الشعر العربي : ٥ ، ١٦ .

(٢) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٤ ب وقارن بديوان ابي تمام، المجلد الأول : ٢١٠ – ٢١٢

(٣) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط . ٩٤ ب وقارن بديوان البحتري المجلد الأول : ١٨٣.

ان سداد الرأي وحسن التدبير يفيد ان في ساحة الوغى ويفيدان في ساحة السلم على السواء ، اما في الحرب فانهما يجلبان الظفر ويقيان من شر الهزيمة ، اما في السلم فانهما يؤديان لامحالة الى الأستقرار والى الرخاء ومن المنطقي و الأمر كذلك ان يؤكد الطائيان بنحو لافت على حسن الرأي ومضاء العزيمة تأكيداً يطالعه مثلا في ابيات ابي تمام التي يتغنى فيها ببطولة الثغرى ابي سعيد اذ يقول :ـ

يقظان احصدت التجارب حزمه شزرا وثقف عزمه تثقيفا
واستل من اراثه الشنل التي لوانهن طبعن كن سيوفا
كهل الأناة فتى الشذاة اذا غدا للروع كان القشعم الفطريفا(١)

ونصادفه ــ مثلا ــ في قول البحتري :ـ

بعيد مقبل السر لايدرك التي يحاولها منه الأريب المخادع ،
ومكتتم التدبير ليس بظاهر على طرفه الرأي الذي هو تابع
ولايعلم الأعداء من فرط عزمه متى هو مصبوب عليهم فواقع
خلائق ماتنفك توقف حاسداً له نفس في اثرها متراجع
ولن ينقل الحساد مجدك بعدما تمكن رضوى واطمأن متالع(٢)

كل هذا التوكيد الذي نقرأه في شعر الطائيين ،وماذكرت من امثلته الا اقلها (٣) حلقة في عقد متصل الحلقات ، بيد انها ــ عندي ــ الواسطة ، ويمكن ان نلمح مثل هذا عند ناقدهما . فالبحتري احسن في هذا الباب ــ حسن التدبير وسداد الرأي ــ احسانا كثيراً ، وبرغم ذلك فقد قصر التلميذ عن ابي تمام ، ولنا ان نتصور والأمر كذلك مبلغ احسان الأخير ، ولقد رجحت بسببه كفته .

---

(١) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٥ أوقارن بديوان ابي بي تمام : المجلد الثاني : ٣٨٢

(٢) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ١٩٥ وقارن بديوان البحتري : المجلد الثاني : ١٣٠٥ .

(٣) راجع امثلة اخرى عند الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٣ب .

(٤) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٧ ب وقارن بديوان ابي تمام : المجلد الثاني ٤٦٠ــ ٤٦٢ .

وكل هذا التأكيد ليس الا جزءا من كل الذي يدخل في نطاق الكل – هنا – فيضاف الى سابقه الأقدام في ساحة الوغى والشجاعة عند الرحى . البطل فيها كالسبع وهو فيها سيف بل انه المنية تطيعه فتفعل مايأمرها به اوهو كما يقول عنه شاعره : –

ركوب لاثباج المتالف عالم بان المعالي بينهن المهالك
مطل على الروح المنيع كأنه لصرف المنايا في النفوس مشارك(٥)

اوهو كما يقول آخر :

اذا التهبت في لحظ عينيه غضبة رأيت المنايا في النفوس تؤامره

البطل – اذا – شريك للمنايا في القدرة على النفوس ، بل انه القدر الذي لامرد لانصبابه على النفوس وماقوله عن البطل هنا – هو الذي يعبر عنه شاعره تماما (١) :

ضرب الجبال بمثلها عن رأيه غضبان يطعن بالحمام ويضرب
اوفى فظنوا انه القدر الذي سمعوا به مصدق ومكذب (٢)

والبطل – في صورة ثانية ، سيف ، وليس كل من يحمل سيفا بقادر على استخدامه انه البطل وحده الذي يحسن استخدام السيف ، فيصير بيده رمزا للقوة ولايصاف حتى بغير قوة ، ويصير السيف بيده رمزاً للعدل وليس هناك من قيمة للعدل ان لم يقترن بقوة تحوطه ، ويصير بيده رمزا للخير والهناء الذي هو في امس الحاجة لسيف يكلأه . السيف بيد البطل في ظل كل ماتقدم تتكسر على نصله سيوف الأعادي ، ومادامت للسيف كل هذه القيمة فان من المنطقي ان يشبه البطل بالسيف اويقال عنه ان هو السيف بذاته ، ومن المنطقي – بعد – ان يتخطى الشاعر العربي هذا التشبيه – او القول – ليتحدث عن السيف من حيث نصله ، لمعانه ، مضاوءه ، فعله ، يكفي ان تستحضر الدراسة تلك الصورة الوصفية للبحتري التي يقدم لها ناقده بقوله « ولكن الذي وصف السيف وابرّ فيه على كل محسن ممن تقدم وتأخر البحتري في قوله :

(١) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٧ ب وقارن بديوان البحتري : المجلد الثاني ٨٧٨

(٢) الأمدي الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٨ أوقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٧٥ .

قد جدت بالطرف الجواد فثنـــه لاخيك من أدد أبيك بمنصل
يتناول الروح البعيد منالــه عفوا ويفتح في القضاء المقفل
يانارة في كل خطب مظلـم وهداية في كل نفس مجهل
ماض وان لم تمضه يد فارس بطل ومصقول وان لم يصقل
يغشى الوغى فالترس ليس بجنة من حده والدرع ليس بمعقل
مصغ الى حكم الردى فاذا مضى لم يلتفت واذا قضى لم يعدل
متوقد يبرى باول ضربة ماأدركت ولو انها في يذبل
واذا اصاب فكل شيء مقتل واذ ا اصيب فماله من مقتل
وكأنما سود النمال وحمرها دبت بايد في قراه وان جل
وكان شاهره اذا استضوى بـه الزحفان يعصي بالسماك الأعزل
سملت حمائله القديمة بقله منذ عهد عاد غضة لم تذبل (١)

وهذه صورة يعقب عليها الآمدي بقوله « فقد بان فضل البحتري في هذا الباب (وصف السيف) على ابي تمام وبهذه الأبيات على كل احد في وصف السيف . (٢)

والبطل — في صورة ثالثة ليث ، كل الفارق بينه وبين الليث في الواقع الخارجي الفارق الذي يتضمنه قول ابي تمام :

كالليث ليث الغاب الا ان ذا في الروع بسام وذاك شتيم (٣)

اما وجوه الشبه بينهما فمتعددة يجمع بينها الأقدام ولكن لافي أماراته الدنيا بل في أماراته المنتهية الى غاية بعيدة والتبسم — هنا — احداها : —

(١) الآمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ١٠٢أ— ١٠٢ب وقارن بديوان البحتري المجلد الثالث : ١٧٥٠ — ١٧٥٢ .

(٢) الآمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ١٠٢ ب.

(٣) الآمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٩أ وقارن بديوان ابي تمام : المجلد الثالث : ٢٩٠ .

ضحوك الى الأبطال وهو يروعهم وللسيف حد حين يسطر ورونق
حياة وموت واحد متناهما كذلك غمر الماء يروى ويغرق(١).

وهناك امارة ثانية تتمثل في شديد الهيبة وهي امارة تساهم دون شك في بعث الأمان والطمأنينة ويشيع بسببها الأستقرار ويعم الهدوء . الذي لابد من التأكيد عليه ان الهيبة التي اتحدث عنها ليست الا محصلة لممارسة البطل بطولته على الصعيد العملي ، وهي بطولة تشي بها ابيات البحتري التي يقول فيها :

اذا ارتد يوم الحرب ليلا رددته نهارا بلألاء السيوف الصوارم
وان غلت الأرواح ارخصت سومها هنالك في سوق من الموت قائم
بضرب يشيد المجد في كل موقف ويسرع في هموم الطلي والجماجم
فتصرف وجه المجد ابيض مشرقاً بوجه من الهيجاء اغبر قاتم (٢)

ان البطل الذي يسوق الأرواح رخيصة في سوق الوغى لامفر من مهابته ولابد من خشيته خاصة ان لم يقترن السوم بهوان او ببطش . فالمهابة في هذه الحالة لاتتأتى من فراغ ولا توجد من عدم بل هي نتيجة لسلوك عملي يتجلى في فرض كل مايؤدي اليها ، وعند هذا المستوى نفهم بالضبط معنى قول ابي تمام في عبدالله ابن طاهر : —

ويأأيها الساري اسر غير محاذر جنان ظلام اوردى انت هائبه
فقد بث عبدالله خوف انتقامه على الليل حتى ماتدب عقاربه (٣)

ومعنى مايقوله في المعتصم :

لم يغز قوما ولم ينهد الى بلد الاتقدمه جيش من الرعب (٤)
لو لم يقد جحفلاً يوم الوغى لغدا من نفسه وحدها في جحفل لجب

---

(١) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٩أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الثالث ١٤٩٦ .

(٢) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ١٠١ وقارن بديوان البحتري : المجلد الثالث ١٩٧٢ .

(٣) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ١٠١أ وقارن بديوان ابي تمام : المجلد الأول : ٢٢٩

(٤) ديوان ابي تمام ، المجلد الأول : ٥٩ .

وكل هذه اقاويل تنبيء بهيبة البطل لا في روع خصومه وحدهم بل فيهم وفي جمهوره على السواء .

قد اقول ان هاته الصور صور تليدة في الشعر العربي ، يكفي ان يشار الى ما ورد منها عند شعراء كمثل امريء القيس وزهير بن ابي سلمى وعنترة العبسي واوس بن حجر وقيس بن الخطيم وقطري بن الفجاءة والفرزدق وبشار بن برد ومسلم بن الوليد وكأخرين غيرهم (١) وقد اقول ان هناك ثمة صورا تفوق في امكاناتها الفنية مثيلاتها عند الطائيين (٢) ، وقد اقول ان هناك ثمة صورا — عند غير الطائيين في الموضوع الذي ندرسه مما لانجده عندهما (٣) المهم في كل هذا الذي اقوله انه لاينقص البتة من شأن الطائيين لاعلى المستوى الفني ولا على المستوى التاريخي ، فالرجلان قد حاولا ما وسعهما الجهد ، ان يرسما باخلاص وبنحو يتميز بما يتميز به الشعر صورة للبطل في عهدهما فتكتسب المحاولة من هذه الزاوية قيمة وهذه صورة تنظر دون ريب الى الأحداث تنفعل بها وتتفاعل معها فتكتسب بهذا ، الذي تفعله قيمة مضافة .

ودون ان امضي في استحضار الصور التي تساهم في الدلالة على صورة البطل في اقدامه فان الذي يعنيني ان اقوله ان محصلتها على الجملة ان البطل في ساحة العراك مغوار معطاء وان العطاء عنده ليس الامن جنس الفعل . اعني بذلك انه في المعركة يبذل ذروة مايمكن ان يبذله انسان . اما المبذول — عنده — فان هو الا الروح . اما البذل فانه يقترن لابنزق ولابطيش بل بروية وبأناة لنا ان نتخيل — والأمر على ماتقدم — كيف يكون العطاء ؟ وإلام يؤول ؟! .

ثم فرقت من كتائب آرائـ ـك جندا لايأخذون عطاء
بين ضرب يفرج في الهام انصا فا وطعن يفرج الغماء

(١) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٨ — ١٠١ .
(٢) نفس المصدر والجزء : ١٠١أ
(٣) نفس المصدر والجزء: ١٠١ ا—ب

ويود العدو لو تضعف الجيش عليهم وتصرف الأراء (١)

وهذا كمثل قول ابي تمام :

مستشار في المعضلات اذا ما ارتتج الخطب عن نداء وليده
ومصيب مفاصل الرأي ان حارب كانت اراؤه من جنوده
قومت عزمه الأصالة والرمح تقيم الثقاف من تأويده (٢)

وليس من الضروري ان يتوقف العطاء عند حدود بذل النفوس فحسب . صحيح ان العطاء من هذا النمط اعز انواع العطاء على الأطلاق واعلاها قيمة ولاشك وصحيح ان مثل العطاء يكتسب بسبب اقترانه بالروية قيمة زائدة . كل ذلك صحيح ،ولكن الصحيح ايضاً ان بذل المال قصد المكارم يمكن ان يعادل سابقه دون ان يبارقه اويناقضه ، وعلى هذا الأساس يمكن ان نتدبر قول ابي عبادة البحتري :

غمام حيا ماتستريح بروقه وعارض موت ماتقيل رواعده
تظل العطايا والمنايا قرائنا لعاف يرجيه وغاو يعانده
اذا افترقت أسيافه وسط جحفل تفرق عنه هامه وسواعده (٣) ،

فافهم منه ان اجتماع المنايا والعطايا يساهم هو الأخر ضمن غيره من الشيم في اكتساب البطل البطولة الحقة ، تماما كما يساهم في الدلالة عليها في ان وعلى السواء .

التدبير والعدل والأقدام والجود ، كل هاته صفات يتفوق بها الأنسان على الأنسان ، تتجلى في واحد ويقصر عنها آخر . اللافت في صورة البطل التي يرسمها الطائيان انه يموت بها وبمثلها مما يندرج تحت واحدة منها غيره ، ذلك هو مؤدى ما قلته ، وذلك هو الذي يتضمنه قول الوليد بن عبيد البحتري :

(١) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٤ب وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول ١٨-١٩ .

(٢) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٩٤ ب وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٥٩٨ .

(٣) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : .. اب وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٥٨٥-٥٨٦ .

فات الرجال وفي الرجال تفاوت بخصائص الأخلاق والأداب(١)

ويشيء به قوله :

اقام به في منتهى كل سؤدد فعال اقام الناس دون مناله

فان قصرت اكفاؤه عن محله فان يمين المرء فوق شماله (٢)

— ٣ —

هناك فعال أخرى تعضد ماقبلها وترفدها ، فتضفي على البطولة اصباغا غير هاتيك التي سلفت هذه الفعال قد تكثر هي الاخرى وقد تقل . وقد نصادف منها — مثلا — في القدر الذي يمثله شعر الطائيين احتمال البطل للمكاره عند النزال .

فتى مات بين الضرب والطعن ميتة تقوم مقام النصر ان فاته النصر

وما مات حتى مات مضرب سيفه من الضرب واعتلت عليه القنا السمر

وقد كان فوت الموت سهلا فرده اليه الحفاظ المر والخلق الوعر (٣)

وقد نفتقد منها العفة مثلا ، وقد نصادف — اولا نصادف — امثلة لغير ماذكرت المهم ان كل هذا الذي يتغنى به الطائيان ويمجدانه في معرض رسمهما لصورة البطل لايقع الافي نطاق ماتعارف عليه النقاد الأسلاف بـ« الفضائل النفسية » .

صحيح ان البحتري قد تغنى — مثلا — بما اتصل من الخصال بالهيأة كجمال الوجه وجهارة الصوت ، وربما كان صحيحا ان ذلك يساهم بنحو ازيد في ايقاع هيبة البطل في اوهام الناس ، كل ذلك صحيح اويكاد يكون ، ولكن الصحيح ان هذا عند ابي عبادة استثناء وليس باصل . الأصل عنده كما هو شيخه ، بل ان الأصل عند الرجلين هو كمثله عند الشعراء من قبل ، الذي يعتد به عند الجميع الفضائل مااتصل منها بالنفس لاالجسد .

فهل يرجع هذا الأعتداد الى تقليد توارثه الخلف عن السلف فحواه ان الذي به يتميز الرجال

(١) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٦٩ب وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٢٩٦ .

(٢) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٧٢أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الثالث : ١٦٢٥ .

(٣) الأمدي : الموازنة : الجزء المخطوط : ٢٧أ وقارن بديوان ابي تمام المجلد الرابع ٨٠.

بعضهم على بعض ان هو الا اكتسابهم الفضائل طالما انها مكتسبة لاموروثة ؟ ذلك شيء ، نجده في الشعر ، ونجد مثله في الكتابات النقدية الخاصة به قديمها وحديثها ، وذلك هو الذي ساوضحه ، ولكن باجمال دون اخلال .

عندما يقول قدامة « لما كانت فضائل الناس (١) من حيث هم ناس لا عن طريق ماهم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ما عليه اهل الألباب ، انما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا وبما سواها مخطئا » (٢) . او يقول «وجب ان يكون ... المصيب من الشعراء من مدح الرجال بهذه الخلال لابغيرها ، والبالغ في التجويد الى اقصى حدوده من استوعبها ولم يقتصر على بعضها » (٣) — فقد كان يطرح ربما للمرة الأولى في تاريخ النقد العربي تصوره الخاص بالفضائل الخلقية المهم في هذا التصور ان الرجل يؤكد على حقيقتين اثنتين : اما الأولى فهي ان الذي يعطى الأنسان انسانيته الحقة الفضائل النفسية لاالخلال الجسدية اوالمادية ، اما الثانية فهي ان الأولى — الفضائل الخلقية — يتوصل اليها الأنسان بالعمل ويكتسبها بالجهد ، عكس السابقة التي تلعب فيها الوراثة دورا بعيداً ، الأمر الذي يترتب عليه ان تقدير الأنسان ان هو الا امر يقاس بالفعل وبالعمل لاباللون ولابالجنس .

قد اقول ان قدامة قد افاد من جهود السابقين عليه في ذات التصور ولقد قال قدامة نفسه ان كتاب «الأخلاق » لجالينوس واحد ضمن كتب عديدة امدته في تصوره (٤)

(١) هناك تسميات اخرى يقدمها قدامة فهي عنده مرة «فضائل الأنسان»ومرة ثانية «الفضائل النفسية» واخرى« الفضائل النفسانية» ورابعة «الخلال» وخامسة «الفضائل الحقيقية » وسادسة «الخصال وهناك اختلاف في تحديدهذه الفضائل فهي عنده« العقل والشجاعة والعدل والعفة» «وهي عنده» العقل والشجاعة والتسخاء والعفة« وهي عنده في مرة ثالثة «العقل والشجاعة والحلم والعفة» راجع كل ذلك —بالترتيب — هذه التسميات— وكذا التحديدات عند قدامة: نقد الشعر : ٧٠ ، ١٢٠ ، ٩٥ ، ٦٩ ، ١٢٠ ، ٦٩ ، ٦٩ ، ١١٥ ، ٢١٥ .

(٢) قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ٦٩.

(٣) نفس المصدر : والصفحة .

(٤) نفس المصدر : ٤٥.

بل ان الفضائل الأربع فيما يقوله احد دارسي قدامة قد اصبحت من التراث الفلسفي الشائع في عصر قدامة (١) . الذي تنطوي عليه هذه الأقاويل برمتها ان قدامة قد ترامت اليه عناصر التصور اومضامينه منقوصة غير كاملة ومتفرقة غير مجتمعة ، وان قدامة قد استطاع ان يوحد بينها في اتساق ويجمع بينها في انتظام ، على نحو يمكن ان ينسب معه التصور لقدامة لالغيره .

الفضائل التي يتحدث عنها قدامة يتصل بعضها ببعض ، فلا تنعزل الواحدة منها عن الأخرى ، ولاتفهم احداها بمنأى عن غيرها . ان الفضيلة من هاته تتواصل مع الفضيلة ليتشكل من هذا التواصل مجاميع من الفضائل فرعية يصل عددها عند الرجل الى ست ، تكون في مجموعها مايمكن ان يقال عنه « الأنسان الكامل » ومايمكن ان اقول عنه « البطل » على اعتبار انه انموذج يتغنى بكماله الشعراء اوكما يقول قدامة اما ما يحدث عن تركيب العقل مع الشجاعة فالصبر على الملمات ونوازل الخطوب والوفاء بالابعاد . وعن تركيب العقل مع السخاء البر وانجاز الوعد وما اشبه ذلك . وعن تركيب العقل مع العفة التنزه فالرغبة عن المسألة والأقتصار على ادنى معيشة وماشبه ذلك وعن تركيب الشجاعة مع السخاء الأتلاف والأخلاف وماشبه ذلك . وعن تركيب الشجاعة مع العفة انكار الفواحش والغيرة على الحرم . وعن السخاء مع العفة الأسعاف بالقوت والأيثار على النفس وماشاكل ذلك وجميع هذه التركيبات قد يذكرها الشعراء في اشعارهم . (٢)

ومايقوله قدامة – هنا – يأخذه حازم القرطاجني من بعده ، بل ان توافق الأخير مع سلفه في الموضوع الذي اتحدث عنه ليس الأ جزءا من توافق اعم يجمع بين الرجلين ، وهو توافق له مايؤدي اليه دون ريب . (٣) صحيح ان هذا التوافق لايلغي الأختلاف بينهما ، وصحيح ان النظر في هذا الأختلاف اوالحديث فيه امر لاتحتمله طبيعة الدراسة

---

(١) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ١٤١ .

(٢) قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ٧١– ٧٢ .

(٣) راجع تفاصيل ذلك عند الباحث : موقف حازم القرطاجني من الأسترفاد بالشعر بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني : العدد المزدوج ٢٨–٢٩ تموز– كانون أول : ١٨٣ .

ولايقتضيه منها جها . المهم في كل ماقوله ان الأختلاف بين الأول — قدامة — وبين الأخير — حازم — ان هو الا اختلاف تتطلبه الفوارق الفردية وتفرضه تفاصيل الموضوع في طبيعته، كل هذا في ناحية، ومن ناحية ثانية — وهذه هي الاهم — فأن حازماً يأخذ عن قدامة تصوره الخاص بالفضائل الأربع ويقتبس منه قوله «لما كانت فضائل الناس من حيث هم ناس لا من طريق ما هم مشتركون فيه مع سائر الحيوان على ماعليه اهل الألباب انما هي العقل والعفة والعدل والشجاعة ، كان القاصد للمدح بهذه الأربعة مصيبا ، وبما سواها مخطئا (١) وينقل عن قدامة رأيه في ان الفضيلة وسط بين ضدين مذمومين او رذيلتين متضادتين (٢) . وكذا فان حازما لايتوقف عند حدود النقل عن قدامة بل يتخطى ذلك ليؤازره ولينصفه من ناقديه كالامدي وابن سنان الخفاجي خاصة .

اما الأمدي فانه ينطلق في القضية التي اناقشها من زاوية تغاير تلك التي انطلق منها قدامة لقد انطلق الأخير من زاوية تلح على المحمول الأنساني للشعر وتؤكد على فكرة الأنسان الكامل الذي يستوعب الفضائل فلايمدح الرجل الا بما يكون فيه وبما ينبغي له ، ولايكون المدح مدحاً بحق وبحقيقة الا اذا كان لصيقاً بالفضائل الأنسانية للانسان انسانا . فالرجال يتميز بعضهم عن بعض ويتقدم الواحد منهم الأخر بالفضائل التي يتوصلون اليها بالمكابدة

(١) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ١٦٥ .

(٢) هل رأى قدامة هذا — وهو الذي ينقله حازم — من وحي اجتهاداته الخاصة أم انه محصلة لأطلاع قدامة على مصادره ومنها كتابات الفارابي الدارس ميال الى ترجيح الثاني وهو ترجيح يشي بأسبابه قول احد الدارسين: « ان التوسط الذي يتحدث عنه الفارابي في نصه« ان الشجاعة خلق جميل وتحصل بتوسط في الأقدام على الأشياء المفزعة والأحجام عنها ... والسخاء يحدث بتوسط في حفظ المال وانفاقه .... والعفة تحدث بتوسط في مباشرة التماس اللذة « والذي يسميه قدامة« الأمر الأوسط » او «الحدالأوسط» يشير عند كليهما، كما يشير عند ارسطو الى ضرورة التوازن او الأعتدال بين قوى النفس كي تحيا هذه النفس حياة فاضلة جميلة، فالجمال قوامه الأعتدال. والتوازن سواء في النفس اوفي الطبيعة. او لنقل ان توازن النفس شرط اساسي لتناسب الفن، مما يجعل علة الجمال في الفن مرتبطة بعلة الفضيلة وما تنطوي عليه من توازن بين قوى النفس . » راجع ذلك عند جابر عصفور: مفهوم الشعر: ١٤٢ .

والجهد او لأقل بكلمة واحدة يكتسبونها لابالصفات وبالملامح التي يرثونها مادامت الفضائل مكتسبة لاموروثة ، كما يتوهم الأمدي وكذا ابن سنان الخفاجي .

يفترض الأمدي — اذا — ان الفضائل فطرية لامكتسبة ، توجد مع الناس بالقوة لاالفعل . المهم في هذا الأفتراض ان لرجل ينظلق من زاوية الممدوح اوبما يمكن ان يجلب اليه البهجة والمسرة اويساهم في تضخيم هيبته في اوهام لرعية خواصها وعوامها . واهم من ذلك ان الممدوح في ظل هذا الأفتراض يفرض على شاعره ان يتغنى بكل مايمكن ان يزيد في ايقاع الخوف من بأسه والخشية من بطشه اوفي تصوير هيبته ووقاره . ان صفات مثل الجمال والجلال والبهاء والجهارة تزيد في هيبة الممدوح ولاشك . بل ان هذه الصفات تعادل في فعلها الفضائل وتؤازرها ، هذا ان لم تكن فوقها . جمال الوجه — مثلا — فيما يقوله ابوالقاسم الأمدي« يزيد في الهيبة ويتيمن به العرب،لانه يدل على الخصال المحمودة ، كما ان قبح الوجه والدمامة يسقط الهيبة. ويدل على الخصال المذمومة ، وذلك ماتكرهه العرب، وتتشاءم به ، لان اول ماتلقاه من الأنسان وتعانيه وجهه . الاترى — والقول للأمدي — الى قول البحتري : —

اغر كبارق الغيث المرجى   يحبب في الأباعد والأداني
تخاضعت الوجوه لحسن وجه   يدل على خلائقه الحسان

وقال في مثل ذلك :

حسن الوجه والرواء وكم د   ل على سؤدد الشريف رواؤه
ماء وجه اذا تبلج اعطا   ك امانا من نبوه الدهر ماؤه
يتعالى ضياؤه فيجلى   طخية الحادث المضب ضياؤه (١)

ان جمال الوجه — عند الأمدي — ليس الاصفة من متعدد . هذه الصفات تساهم — مثل الفضائل — كلها في ايقاع الوقار ولكن بنحو ازيد ، هذا امر وامر أخر فان في عادات العرب واعرافهم مايؤيد هذا ويعززه، وامر ثالث هو ان ابا عبادة البحتري قد تفنن في استخدام الصفات المادية اوالجسدية وجمال الوجه احداها — بنحو جعل الأمدي يفتن

(١) الأمدى: الموازنة : ٢ : ٣٦ .

به بنحو لافت . كل ذلك يشير اليه كلام الأمدي الذي نقلته ضمنا او صراحة ، وكل ذلك — او بعضه — يشي به قول الأمدي الذي يعقب به على ماذهب اليه قدامة من ان المدح بالحسن والجمال ، والذم بالقبح والدمامة ليس بمدح على الحقيقة ،ولاذم على الصحة «فعدل بهذا المعنى عن مذاهب كلها عربيها وعجميها ، واسقط اكثر مدح العرب وهجائها وقد بينت قبح غلطة في هذا تبيينا شافيا مستقصى في كتاب منفرد » (١)

ولا يختلف ابن سنان الخفاجي في موقفه ازاء الموضوع الذي اتحدث عنه من قدامة عن الامدي ، يقول ابن سنان معقباً على رأي الامدي « ان كان قدامة يعتقد ان ذلك ليس بفضيلة لما كان الانسان قد خلق عليه فهذا حكم جميع الفضائل النفسانية فان الكريم قد خلق كريماً والشجاع قد خلق شجاعاً والعاقل عاقلاً وكما لايقدر القبيح الوجه على ان يستبدل صورة غير صورته ، كذلك يقدر الجاهل على ان يستفيد عقلاً فوق عقله » (٢) .

يغاير الامدي في كل ماقدمت — وما اقوله عنه يمكن ان يقال عن الخفاجي — قدامة ولاضير في أن يخالفه،فالتكوين الثقافي له غيره بالنسبة لقدامة، والظروف السياسية التي كانت متاحة للاخير غيرهاتيك التي كانت متاحة للامدي ولابن سنان،(٣) وتصور قدامة الاخلاقي الذي يتاح منه في تعامله مع الشعر غير تصور ابن سنان ومن قبله الامدى (٤) ، وعلى الجملة فاني لست اعقد مقارنة بين ذين وذاك لأتتبع وجوه الافتراق او وجوه التشابه يكفي ان اقول ان الذي ذكرت يساهم بنحو او بآخر في تفسير الاختلاف ويعلله واهم من ذلك ان اقول ان الاختلاف بين قدامة من جهة وبين الامدي وابن سنان من جهة اخرى ليس محض اختلاف بان المدح بالحسن او الجمال والذم بضده ليس بمدح على الحقيقة ولا ذم على الصحة انه اختلاف ابعد من ذلك واشمل، هو اختلاف يرجع الى طبيعة نظرة واحدة ممن ذكرت للانسان . فقدامة يرى ان الانسان انما يتميز عن غيره بانسانيته وقوامها فضائله الاخلاقية التي لايصل اليها بالطبع الا بعد سعي وكد .

---

(١) نفس المصدر والجزء والصفحة .

(٢) ابن سنان الخفاجي : سر الفصاحة : ٢٥٦ .

(٣) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ١٤٥. ١٥٣

(٤) نفس المرجع : ١٥٣– ١٥٤ .

ومن هنا فلا مناص من ان يمدح الانسان بما هو خاص به دون سواه ، الامر الذي يعني بالضرورة ان المدح الحق ان هو الا المدح الذي يؤكد على مايتميز به الرجال بعضهم على بعض وعلى مايكون لهم وفيهم ،ولايتميز الرجال وفق هذه النظرة الا باقتدارهم على اكتساب الفضائل لانها مكتسبة وليست موروثة . اما الامدى وابن سنان فانهما يتجاهلان هذه الحقيقة لسبب بسيط قدمته ، مفاده انهما ينطلقان في نظرتهما الى هذه المسألة من زاوية الممدوح ليس الا . ويتقبلان اعتقاداً فحواه ان فعال الانسان شأنهما شان صفاته الجسدية لادخل له فيها ، تولد وتنشأ معه دون ان تكون له يد في تغييرهـــا أو تبديلها ، يكتسبها بالوراثة لابالجهد والمكابدة وبذلك كله يتمايز الرجال على الرجال .

اما حازم القرطاجني فقد ادرك الحقيقة التي تغافل عنها الناقدان الامدي وابن سنان بعده ، ورد عليها قولهما ان الكريم كريم بالقوة وان الشجاع شجاع بالقوة ، وان العاقل عاقل بالقوة « لان الحكماء المتكلمين في الفضائل قد اتفقوا على ان الأنسان قد يقدر عـلى ان يكتسب بعض الفضائل بالتطبع وان يستكمل كثيراً مما ينقصه من ذلك بالاعتياد والرياضة ومجاهدة النفس ، فينتقل برياضة النفس في ذلك حالا فحالا حتى يصير الصعب قبل التطبع والأرتياض سهلا بعدهما . ومازال الناس يروضون أخلاقهم بالتأديب والتدريب ، فتترقى بذلك في مراتب الفضل درجاتهم وتتهذب بعد الجفاء اخلاقهم .. فاما خلقة الأنسان وصورته فليس في قدرته نقل شيء منها عما وجد عليه ، فحمد الأنسان بما يستحسن من هذا القبيل مخادعة له ، وذمه بما يستقبح من ذلك تحامل عليه ، ويشهد لهذا ماحكاه ، الرواة من ان المغيرة بن جبناء وزيادا الأعجم لم يزالا يتهاجيان حتى عيره زياد بعلل كانت اصابت بعض اهل بيته ، فقال المغيرة ، ماذنبنا فيما ذكره ، هذه ادواء ، وانما يعير المرء بما اكتسبه » (١)

لقد حرصت ان انقل رفض حازم لما يقوله الأمدي وابن سنان — رغم طوله — لانه بالغ الأهمية في الدلالة على امور عدة ، فالرفض الذي يمثله النص يشيء بانتصار حازم لقدامة وانصافه اياه من ناقديه ، والرفض الذي ينبىء به النص يكشف عن تأكيد حازم على مضمون الشعر الأخلاقي ، وهو تأكيد لاحظنا مثله عند قدامة قبل ، والرفض الـذي

(١) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٦٩.

يتجلى من خلال النص يقدم اسناد حازم ماحكاه قدامة الى ما في عادات العرب وتقاليدهم فيصبح مفهوم الفضائل النفسية — في هذه الحالة — موافقاً للمعترف به في عرف العرب وللمألوف عندهم ، ويضيف اليه رأيا هو بلغة حازم « وانما يمدح بما هو خارج عن الفضائل الأربع اذا كانت من شأنه ان توجد الفضائل ابدا بوجوده فتورد كالادلة عليه »(١).

قد اقول ان الألحاح على الفضائل النفسية يمكن ان ينتهي الى نتاج مؤثر فهو يساهم — مثلا — في تعزيز محاولات الأصلاح التي تروم للمجتمع الصلاح ، وهو يؤكد — سواء بالتصريح اوبالتلميح — قيمة الشعر وجدواه في كل عملية تغيير اوتبديل خاصة بالقيم وكأننا — فيما يقال — من خلال تغيير القيم السائدة يمكن ان نغير من الفساد ، القائم ، وتدعم كل محاولات الأصلاح التي اضطلع بها اقران قدامة ، في محاولة طوباوية لاصلاح ماهو قائم . (٢) وقد اقول ان التأكيد على الفضائل النفسية يعني استمالة شعر لشعراء كبار لايمكن اسقاطه ، الأمر الذي يتفادى بالطبع التأكيد على المدح بالخصال الجسدية اوالمادية ، وكذا فان الألحاح على الفضائل النفسية يعني تجاوز المعهود من شرائط المديح عند شعراء البلاط — وكذا عند نقاده — وهي شروط نقرأها في صورة ابي عبادة المدحية التي يقول فيها :

ولما حضرنا سدة الأذن اخرت … رجال عن الباب الذي انا داخله

فافضيت من قرب الى ذي مهابة … اقابل بدر الأفق حين اقابله

فسلمت واعتاقت جناني هيبة … تنازعني القول الذي انا قائله

فلما تأملت الطلاقة وانثنى … الي ببشر آنستني مخايله

دنوت فقبلت الندى في يد امريء … جميل محياه ، سباط انامله

صفت مثل ماتصفو المدام خلاله … ورقت كما رق النسيم شمائله

وهي صورة جعلت ناقده يشيد به اشادة لافتة حيث يقول «هكذا لعمري تمدح الملوك»(٣) .

---

(١) نفس المصدر والصفحة .

(٢) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ١٥٤

(٣) الآمدي : الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ٢ : ٣٧٠ .

محصلة الأقاويل السابقة ان لكل مذهب مذهباً في القضية التي اعالجها ماله وان عليه ماعليه ، وكذا فان لكل مذهب اشياعه ولكل مذهب ناقدوه ، ولم يكن قدامه والآمدي وابن سنان والخفاجي وحازم القرطاجني الا امثلة منتقاة ، ونماذج مصطفاة تكشف عن اختلاف الأسلاف في طبيعة نظرتهم الى القضية . المهم ان الأختلاف عندهم لايصل الى حد التضاد بل هو اختلاف واقع في اطار التفصيلات وفي نطاق الجزئيات فحسب . اما المواقف الكلية فنظرة الجميع اليها — رغم اختلاف التكوين الثقافي من واحد لاخر — واحدة . ان الأنسان النموذج — البطل لامندوحة عن ان يمدح باتفاق الجميع بما لايمدح به غيره وذلك لسبقه من سواه في الأنتهاء الى الفضيلة ، ولكن فيم يتم المدح وما العول عليه فيه ؟ عند هذا الحد يمكن لقدامة المنطقي ان يقول الفضائل اولا ويمكن لحازم تابعة ان يتبعه ، وعند هذا المستوى يمكن للامدي اللغوي وكذا لابن سنان ان يقولا الصفات الجسدية تساهم في الوصول بالمدح الى نحو افضل . فافهم الأختلاف — هنا — على انه اختلاف واقع في تقديم عنصر على اخر ليس غير .

الذي انا في حاجة لبيانه دون ان اقدم مذهبا او اؤخر اخر هو ان تأكيد قدرة الأنسان على التحول والأنتقال من الأخلاق الرذيلة الى الأخلاق الفاضلة يعني دون شك قــدرة الأشعـر على توجيه مسار المتلقي ، والأنتهاء به الى الفضيلة ، ولقد قيل « ان المخطط الأخلاقي الذي يحدد للشعر وظيفته يغدو مخططا فارغ المضمون مالم يعتمد على التسليم بمقولة الأخلاق المكتسبة ، وبدون هذا التسليم يظل الأثر الاخلاقي المصاحب للشعر بغير اساس واضح ، بل يصبح أمراً مشكوكا في صحته ، وفي ظل هذا التسليم لم يكن للناقد القديم مناص من ان يقول ان اهم مايميز الأنسان عن غيره العقل الذي ينبثق من مجاهدته كل الفضائـل النوعية للنوع الأنساني ، وبهذا التسليم تتضاءل قيمة الأسرة اوالعرق اوالثراء بالقياس الى نظائرها المنبثقة عن العقل » (١) .

---

(١) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ٣٧٠.

— ٤ —

لقد قلت ان البطل فيما يصوره شعر الطائيين هو ذلك الذي يتميز بفعاله او هو بقول اخر ذلك الذي ترفده فعاله بقدرة يفوت بها الرجال ويتخطاهم في الحرب وفي السلم على السواء . وليس هناك ما يمنع فيما يقوله ناقدهما ان يكون البطل متميز الخلقة حسنها ، فيصير البطل — والأمر كذلك — بطلا لامن جهة بل من اثنتين ولا من زاوية بل ثنتين ولقد المعت ان البطل بسبب هذا التميز يظل انموذجا تطمح بمحاكاته الخلائق ويتغنى بشمائله المبدعون ويتمدح بها المتلقون ولقد اسلفت بالتالي ان ليس كل ممدوح بطلا وان كان كل بطل ممدوحا واعني بهذا ان ماذكرته عن المدح في معرض الحديث عن الفضائل النفسية او الصفات المادية — عند اسلافنا — ينطبق من باب اولى على البطل وان كان ماقلته عن البطل لايمكن ان ينطبق كله اوجزء منه على الممدوح .

معنى ماقلته هنا اوهناك ان البطل في كل شعر يرسمه ان هو الا الرجل الذي يرسم بطولته بفعاله ويفرض حضوره بمواقفه . ولم يكن الأقدام ولا الحذر ولا العقل ولا البذل الا امثلة من فعال عديدة يرفد بعضها بعضا لتساهم بتآزرها وبأئتلافها في الأنتهاء الى البطولة الحقة . بهذه الفعال يمكن للبطل ان يفل شوكة اعدائه ، وبكل هذه الأفعال — ولم اذكر منها الاقليلها — يمكن له ان يصون حماه من عبث العابثين ، وبكل هذه الأفعال — بعد تتجدد البطولة يوماً اثر يوم عاما اثر عام — البطل كما يقول عنه شاعره عوضا عما اقوله:

رمى الروم بالغزو الذي ما تتابعت	نوافذه الا اصبن المقاتلا
غزاهم فافناهم ولم يقتصر لهم	على العام حتى جدد الغزو قابلا
رويدك انظرهم لتنتجع الربى	منورة او تحلب الارض حافلا
فقد غزت بالغارات في وهداتهم	وليا ووسميا رذاذا ووائلا
وسقت الذي من بالمعاقل منهم	فلم يبق الا ان تسوق المعاقلا (١)

وهذا المشهد الوصفي لابي عبادة كمثل المشهد الذي يتحدث فيه ابوتمام عن بطل آخر :

(١) الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: الجزء المخطوط : ١٠٨أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الثالث: ١٦٠٥–١٦٠٦ .

اوقدت من دون الخليج لاهلها ... نارا لها خلف الخليج شرار
الاتكن حصرت فقد اضحى لها ... من خوف قارعة الحصار حصار
فهناك نار وغى تشب وههنا ... جيش له لجب وثم مغار
خشعوا لصولتك التي هي عندهم ... كالموت يأتي ليس فيه عار
غادرت ارضهم بخيلك في الوغى ... فكان امنعها لها مضمار
فاقمت فيها وادعا متمهلا ... حتى ظننا انها لك دار (١)

واحسن مما تقدم واحلى فيما يزعمه الأمدي – ناقد الشاعرين – قول الوليد بن عبادة البحتري : –

ووصلت ارض الروم وصل كثير ... اطلال عزة في لوى تيماء
في كل يوم قد نتجت منية ... لحماتها من حزبك العشراء (٢) .

ان الجامع بين البطل – هنا – وبينه في المشهد الذي قبله ، وبينه فيهما وبينه في الأول ان البطل لاينفك يجدد الغزو غزوة بعد غزوة ، ولايفتأ يسرق من بالمعاقل من اعدائه بل ان المعاقل تكاد تسابق اربابها امتثالاً لاوامره وامتثالا لنواهيه . وذلك امر منطقي مادامت صولة البطل كالاجل الذي لاراد له وكالموت الذي لامحالة هو ات ، ومادام امنع اراضيهم مضمارا له كيف لا ولقد صار السير الى ارض العدو عند البطل وصالا ، وصار الوصال هنا كوصال كثير ديار عزة ؟!

ان نزال البطل لاعاديه نزال لايتقيد بشكل ما ولابزمان ما ولا بمكان ما . انه فوق كل الشكوك والأزمنة والأمكنة . انه فوق كل ذلك وابعد منه . هو قبله وهو بعده ، هو بالجملة صراع الخير ضد الشر اوصراع الفضيلة ضد الرذيلة وهذا صراع قديم ولاشك حاضر باق دون ريب . ان ساحة الوغى على اليابسة اوالبر ان هي الا ساحة تضاف اليها اخرى هي ساحة الوغى في البحر .المهم في ذلك ان البطل هو هو ، يقارع الخصم دون ان يكل

(١) الأمدي : الموازنة بين ابي تمام والبحتري : الجزء المخطوط : ١٠٧أ وقارن بديوان ابي تمام المجلد الثاني : ١٦٩–١٨١.

(٢) الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: ١٠٨أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول: ١٠–١١.

ويجدد الغزو دون ان يضعف . اويمل والمهم في ذلك ايضاً ان ابا عبادة البحتري دون ابي تمام قد توقف عند الحرب في البحر بنحو نال اعجاب ناقديه في القديم وفي الحديث على السواء (١) ، وهو اعجاب ينظر الى قدرة الرجل في رائعته على التغني بصفات البطولة بنحو فني مؤثر . وهي رائعة تستأهل والأمر على ماذكرت — منا وقفة .

عندما يقول البحتري :

ولما تولى البحر والجود صنوه   غدا البحر من اخلاقه بين ابحر

اضاف الى االتدبير فضل شجاعه   ولاعزم الا للشجاع المدبر (٢)

فانما يستوعب بما يقوله صفات البطل القائد واهمها عنده الجود والتدبير والشجاعة والعزم ، كل هذه الصفات مهم بالنسبة للبطَل وذلك امر قلته ، وقلت ان كل هذه الصفات امر يشتمله المعنوي من الصفات لاالمادي منها . وكل هذه الصفات تتجمع فيصير البطل بكاملها مجموعا ويصبح ماعداه — حتى البحر — جزءا في هذا المجموع ، ويجمع البحتري كل هذه الصفات في بيتين هما من القصيدة بمنزلة الواسطة لتنبث في سائر اجزاء الرائعة وقبلها مقدمة في وصف الربيع متميزة هي الأخرى تميز معركة البحر في شعر الطائيين .

ان لم يكن هناك ثمة مفاضلة بين صفة من هاته واخرى فان الذي يؤكد عليه ابو عبادة في قصيدته بعد المقدمة — المهابة والأقدام . وهو تأكيد له مايبرره بحق . فالذي تموله ،

---

(١) راجع مثلا لهذا الأعجاب— في القديم— عند الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري الجزء المخطوط : ١١٢ ب وراجع امثلة لهذا الأعجاب— في الحديث — عند زكي المحاسني : شعر الحرب في أدب العرب : ٢٢٤ وعند نصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم: ١٩٧.

(٢) الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري :١١٢أ وقارن بديوان البحتري: المجلد الأول: ١٩٨٢ .

الدراسات النقدية القديمة وكذا الحديثة — ضمنا اوصراحة — ان هاتين من اشد الصفات لزوما للبطل في ساحة الرحى (١) . اما المهابة فذات اثر بين في قول البحتري :

اذا زجر النوتي فوق علاته ... رأيت خطيبا في ذؤابة منبر
يغضون دون الأشتيام عيونهم ... وفوق السماط للعظيم المؤمر (٢)

ومهابة الممدوح — البطل — تمتد لتشمل مركبه ، بل ان اسم المركب « الميمون » يشي بالمهابة وينبيء بانها مستقاة من مهابة راكبه :

غدوت على الميمون صبحاً وانما ... غدا المركب الميمون تحت المظفر
امال بعطفيه ومر كأنما ... تشوف من هادي حصان مشهر (٣)

اما الأقدام فعلى صفحته تتكسر عوامل الرماح :

اذا شجروه بالرماح تكسرت ... عواملها في صدر ليث غضنفر (٤)

اما المهابة والأقدام معا فبهما دون غيرهما من الصفات يمكن للبطل ان يتعامل مع جنده يمدهم بقوة من عنده ويستمد من قوتهم قوة فيسوقون بكل هذه القوة اسطولا سفينة كسحائب الصيف ، جهامها وممطرها ، يمخرون به البحر ، يلاطم الأمواج فتلاطمه فيحدث جراء ذلك نغم مطرب ، بيد انه النغم الذي ينذر بقدوم النصر لامحالة وبالفعل يجدع البطل وجنده انوف اعدائهم ويصرعونهم ، فيصير البحر كالبر تتناثر فوقه —

(١) راجع ذلك — تمثيلا دون حصر — عند قدامة بن جعفر : نقد الشعر : ٩٣ وعند الأمدي الموازنة بين ابي تمام والبحتري : ٢ : ٣٧٠ والجزء المخطوط : ١١٢ب وكذا راجعه عند شوقي ضيف : البطولة في الشعر العربي : ١٣—١٤ ونصرت عبد الرحمن : شعر الصراع مع الروم : ١٧٥ .

(٢) الأمدي : الموازنة بين ابي تمام والبحتري : الجزء المخطوط : ١١٢أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٩٨٢— ٩٨٣ .

(٣) الأمدي : الموازنة بين ابي تمام والبحتري : الجزء المخطوط : ١١٢أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول ٩٨٢.

(٤) الأمدي : الموازنة بين ابي تمام والبحتري : الجزء المخطوط ١١٢أ وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ١٩٨٢ .

بفعل أدوات الحرب ـ الأشلاء وتتطاير الهامات ، كل الفرق بين البر هنا وبين سابقه ان لاريح تطوح نقع المعركة وان لارض للصريع كما هو الشأن في حرب البر .

وحولك ركابون للهول عاقروا كؤوس الردى من دارعين وحسر
تميل المنايا حيث مالت اكفهم اذا اصلتوا حد الحديد المذكر
اذا رشقوا بالنار لم يك رشقهم ليقلع الا عن شواء مقتر
صدمت بهم صهب العثانين دونهم ضراب كما يقاد اللظى المتسعر
يسوقون اسطولا كأن سفينة سحائب صيف من جهام وممطر
كأن ضجيج البحر بين رماحهم اذا اختلفت ترجيع عود مزجر
يقارب من زحفيهم فكأنما يؤلف من اعناق وحش منفر
فما رمت حتى اجلت الحرب عن طلبي مقطعة فيهم وهام مطير
على حين لانقع تطوحه الصبا والارض تلقى للصريع المقطر (١)

ان صنيع البطل هنا ليس امرا مستحدثا ، ولاهو بالامر الوافد عليه من خارج بل هو امر قد تلقفه فيما يقال أباً عن جد فكان خير خلف لخير سلف . ان البطولة في ذات البطل الذي يمدحه البحتري ويتمدح بخلاله ـ احمد بن دينار ليست الأ استمرارا لبطولة تليدة عريقة فهو سليل كسرى « ابن كسرى » وكذا فان عدوه الذي ينازله ويقارعه كمثله في علو الهمة وسمو المرتبة . انه هو الآخر « سليل قيصر » وذلك برمته يساهم في تميز البطولة بنحو اشد ولاشك .

وكنت ابن كسرى قبل ذاك وبعده مليا بان توهى صفاة ابن قيصر (٢)

ومن المنطقي ، والأمر على ماقدمت ، ان تنجلي المعركة التي يصفها البحتري عن هزيمة نكراء يلحقها الأول (ابن كسرى) بالاخر (ابن قيصر) . المهم ان المعركة في نهايتها تستوعبها

(١) الأمدي : الموازنة بين أبي تمام والبحتري : الجزء المخطوط : ١١٢أ ـ ١١٢ب وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٩٨٣ ـ ٩٨٥ .

(٢) الأمدي : الموازنة بين أبي تمام والبحتري : الجزء المخطوط : ١١٢ب وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول : ٩٨٥ .

ابيات هي بالنسبة للقصيدة التي اتحدث عنها خواتيمها ، واهم مما ذكرت ان ابا عبادة ، يحرص ان يظهر المهزوم بمظهر يستشير من خلاله سخرية المتلقي وربما عطفه عليه . اما السخرية فتتمثل فيما يبديه المهزوم من ولائه للريح وعرفانه بفضلها لانها هي التي قادته للنجاة من موت ذعاف . اما العطف فيشمل في استشعار المهزوم لمرارة الهزيمة ومعاناته — اكثر من غيره — لكل مايترتب عليها اوكما يقول الشاعر البحتري .

جدحت له الموت الذعاف فعافه وطار على الواح شطب مسمر
مضى وهو مولى الريح يشكر فضلها عليه ومن يول الصنيعة يشكر (١)

بطولة احمد بن دينار في كل مايقوله البحتري — اذا — بطولة متقدمة ، فهل يتطلب مثل هذا تقدما على مستوى الأداء الفني ؟ ذلك شيء يراه الدارس ، ويرى ان ذلك ربما كان وراء قول ابي القاسم الحسن بن بشر الآمدي الذي يعقب به على ماتصل من النص بحرب البحر « وهذا من احسان ابي عبادة المشهور الذي يفوق كل احسان » (٢) .

هل يرجع تفوق ابي عبادة الى استيفائه كل مايتقوم به العمل الشعري ؟ هل يرجع تفوق ابي عبادة الى ارتباط الشعور بسابقه ؟ هل يرجع ذلك الى استيفاء الفن والشعر فن ، للحدث من كل الجهات وبكل التفصيلات ؟ كل هذه امور ممكنة ، وكل هاته امور يشير اليها دارسون معاصرون ضمنا اوصراحة وبشكل اوباخر .

ان مجالات الشعر — فيما يقال — هي كل شيء يتصل بحياة الأنسان على مستوى الفرد او الجماعة من قريب اومن بعيد (٣) ، وعليه فان الأساس في كل عمل شعري ، متميز ارتباطه بمدى العون الذي يقدمه للانسان في تجاوز مستوى الضرورة الى مستويات اكثر سموا تصل الأنسان بكل ماينبغي ان يكون عليه . (٤) ويقال ان المعول عليه في كل

---

(١) الموازنة بين ابي تمام والبحتري: الجزء المخطوط: ١١٢ وقارن بديوان البحتري : المجلد الأول: ٩٨٥ .

(٢) الموازنة بين ابي تمام والبحتري: الجزء المخطوط : ١١٢ب .

(٣) جابر عصفور : مفهوم الشعر : ٢٧٣ .

(٤) نفس المصدر: ٢٥٣.

عمل شعري متميز مايمكن ان يغني به النشاط الأنساني ، ويهدي المسعى الأنساني الذي يحتوي كل مايفعله الأنسان اويطلبه اويعتقده . (١) وكذا فان اهمية العمل الشعري المتميز لاتتوقف فيما يقوله ناقده عند حدود اتصاله باغراض الأنسان وباهتماماته بل تتجاوز ذلك لتشمل مايتميز به الشعر عما سواه من انشطة الأنسان وفنونه ،وذلك هو أداته، مما يعطي العمل الشعري قيمة مضافة . انها القيمة المقترنة باقتدار الكلمة فيه — وهي وحدة الأداء اللغوي في الشعر — على ان تنطق وتعرب عن كل شيء : عن الطبيعة والانسان واحداث التاريخ ويصير العمل الشعري — بهذا الفهم — قادرا على ان يبني وينحت ويصور ويروي فهو بجمع الفنون ، وهو من ثمة الفن الكامل . (٢)

يفسر الدارس — اذا — تفوق ابي عبادة بكل الأمكانات السابقة ، ويقوى هـذا التفسير عنده مايعلمه من ان الشعر الذي يتغنى في اي كان ولكن لافي البطل انما يقترن — على الأغلب الأعم — اما برهبة واما برغبة الأمر الذي يدفع بمبدعه ولو من طرف خفي الى اصطناع مشاعره والأنسلاخ عن ذاته والنظم فيما لايحبه . اما الشعر الذي يتغنى بالبطل والبطولة ، وضمنه شعر الطائيين ، فان الكلمة تقترن فيه بالاحساس وتتحد الصورة فيه بالشعور فيخلو من كل زيغ وزيف ويصير الشعر في هذه الحالة الى رجل هو من بابه ولاشك ولايعود حلية من فضله ، ان شعر البطولة — بهذا الفهم — متميز تميز البطل ذاته . انه التميز الذي تقترن فيه الكلمة لابدلالة بل بدلالات هي من التعدد بعدد المتلقين، وكذا فان الصورة فيه تقترن لابايحاء بل بايحاءات . واهم مما ذكرت ان شعر البطولة انما يتميز التميز الذي تظل فيه اللغة — على صعيد الكلمة وعلى صعيد الصورة — متصلة بالاحساس اوثق اتصال واقواه ، فينأى بمثل هذا الأتصال عن التزويق الذي لم يأت الا ما اتصل منه بالموقف الشعوري . كل ذلك في قصائد طوال مبدوءة — على الأغلب — ، بمقدمات غزلة مصوغة بأوزان هي الأخرى طوال تساهم بأئتلافها ضمن غيرها من اجزاء العمل الشعري في تثبيت صورة البطل في اوهام الرعية ، بكل مافي هاته الصورة من تغن

---

(١) نفس المرجع : ٢٦١ .

(٢) عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأدب: ٩٧ .

بأهمية الفضائل يجسدها البطل واعتقاد بجدواها . وبكل مافي الصورة من تأكيد على ضرورة تخطي الأنسان للرذل وتجاوزه بل على ضرورة تغييره وتبديله .

طريق البطولة طريق صعب ولاشك ، هو صعب لأنه محفوف بالمخاطر ، محاط بالمشاق ، وهو صعب لأنه قرين مجاهدة النفس ومكابدتها ، وهو صعب لأنه قرين ايثار النفس على البدن والغير على الذات ، هو بالجملة صعب لأن من يرومه لابد هو مؤثر نعيم نفسه الباقي على نعيم جسده الفاني. من هذه الزاوية تتجلى اهمية البطولة وسموها، ومن ذات الزاوية تتبدى قيمة البطل ويلوح تميزه ومن الزاوية نفسها يمكن ان نفهم — — بالتالي — وجود ابطال في حقبة على حين لات ابطال في اخرى .

ومادمت اتحدث عن البطل في شعر الطائيين خاصة وفي نقده، فأن الذي لابد من التأكيد عليه لبينونته ان زمن الشاعرين — ابي تمام والبحتري— قد شهد بشكل يلفت الأنتباه عدداً من الأبطال هو من الوفرة بنحو لم تشهده ازمان لاحقة وربما لم تشهد الا مثله ازمنة سابقة .

ولست اؤرخ لوقائع التأريخ عهد الطائيين ولا لأحداثه. فأتحدث بالتفصيل عن هاتيك الأسباب التي يمكن ان اعلل بها لما قلته للتو. حسبي ان اقول ان المعنيين بالأمر يقولون ان عصر الرجلين قد تميز بحدة الصراع بين العرب وبين اعدائهم وبأتساع مجاله وبتناوب الغلبة بينهم وبين غيرهم (١) . ويقولون ان هناك ثمة صفحات مشرقة في سفر الصراع زمن الطائيين تعز ويعز نظيرها في الشعر (٢) ويقولون ان البطولة ان هي الا الا نتاج للمتقدم من الأسباب تماماً كما ان ما ذكرته منها لايتم بغير بطولة ، ولقد كان زمن الشاعرين زمن بطولة فيما قبل. (٣)
قد أقول ان زمن الطائيين لم يخل من احن ولا من فتن تتمثل في احنة هنا وفي فتنة هناك، وقد اقول ان زمن الطائيين لم يخل صراع غير الذي قدمت في طبيعته وفي مرامه

(١) نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم ، ٦٠.
(٢) نفس المرجع : ٩٥ .
(٣) نفس المرجع: ٩٧ .

كالصراع على السلطة مثلا، وقد اقول ان كل تلك امور لم يسهم عنها شعر ولاشعراء، وانها — والأمر كذلك — تفت في عضد الصراع، وتجد — وهذا هو الأهم — من ان يضاف الى ابطاله ابطال والى بطولته بطولة. المهم في كل ما اقوله ان الصراع الذي كان يستقطب الناس حوله هو صراع العرب ضد اعدائهم واهم مما قلته ان البطل الذي يتحلق حوله الشعر وشعر الطائيين خاصة هو البطل الذي يدافع عن الأنسان على مستوى الفرد وعلى مستوى الجماعة فيرمز في هذه الحالة الى الحق كله والى الخير كله والى الفضيلة كلها .

—٥—

يحرك البطل في كل مايطلبه وفي كل مايفعله حوافز ، ويزكي فيه البطولة في كل حين بواعث وأسباب. الذي يقدمه شعر الطائيين منها اثنان هما : الدين والعربية . اما الدين فأن البطل فيما يصوره شاعراه لابد ان يكون حاميه معزاً له، غيوراً عليه . الدين بالبطل قوي، وهو بالدين قوي ، يقوى الدين بالبطل على مواجهة الكفر فيمحقه ، ويواجه للبطل بالدين عدوه فلا يخشاه لأنه لايخشى قاهر اللذائذ اصلا .

امسى بك الأسلام بدرا بعدما محقت بشاشته محاق هلال

أكملت منه كل نقص بعدما نقصته ايدي الكفر بعد كمال

البسته ايامك العز التي ايام غيرك عندهن ليال (١)

وما يقوله ابو تمام عن البطل — وهو هنا المعتصم — لاينفك يعيده المرة تلو الأخرى في جل احاديثه ان لم يكن في كلها عن الأبطال الذين يتغنى الرجل ببطولتهم واظهرهم في شعره المعتصم ، فالبطل عنده وهو المعتصم ، عصمة لعز الدين وبسبب من هذا فأنه رأفة للعالمين ورحمة وهو العدل في كل مكان وحين ، والنصير للاقوياء والمستضعفين انه على الجملة كما يقول عنه شاعره :

بمعتصم بالله قد عصمت به عرا الدين والتفت عليه وسائله

رعى الله فيه للرعيه رأفة تزيله الدنيا وليست تزايله

(١) الآمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: ٢: ٣٥٧ قارن بديوان ابي تمام المجلد الثالث ١٣٢.

فأضحى وقد فاضت اليه قلوبهم ورحمته فيهم تفيض ونائله
وقام فقام العدل في كل بلدة خطيباً واضحى الملك قد شق بازله
وجرد سيف الحق حتى كأنه من السل مود غمنده وحمائله
رضينا على رغم الليالي بحكمه وهل دافع امرا وذو العرش قائله (١)

والبطل عنده فعال بفعل الدين معطاء بمعطاته:

تدبير معتصم بالله منتقم لله مرتقب في الله مرتغب (٢)

والبطل بالجملة فيما يقوله ابو تمام او فيما يؤدي اليه قوله ، نصير الدين لأنه رمز الحق ينتقم له لأنه نقيض الشرك، ضد الكفر :

لما رأيت الدين يخفق قلبه والكفر فيه تغطرس وعرام
أوريت زند عزائم تحت الدجى اسرجن فكرك والبلاد ظلام
ماكان للاشراك فوزة شهد والله فيك وانت والأسلام (٣)

ان كل ما يقوله ابو تمام عن البطل في الأشعار التي لم اتخير منها إلا منتقاها هو الذي يقرأه عند محبه واعني به ابا عبادة البحتري، فالبطل عند هذا الأخير به تتوطد دعائم الدين و تتمكن، وبه تثبت اركانه وتشتد، وكل ذلك لسبب بسيط هو انه يحوطه ويكلاءه ويمنعه اويموت دونه، وما اقوله عن البطل ــ هنا ــ نطالعه في تفاريق شعر ابي عبادة ، فالبطل في معنى من هذه المعاني عن الأسلام ومفتخرة :

فأسلم جزيت عن الأسلام من ملك خيراً فأنت له عز ومفتخر (٤)

والبطل في معنى من المعاني التي ذكرت :

---

(١) الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: ٢: ٣٥٧ وقارن بديوان ابي تمام المجلد الثالث: ٢٦- ٢٧ .

(٢) ديوان ابي تمام : المجلد الأول :

(٣) ديوان ابي تمام: المجلد الثالث: ١٥٤- ١٥٧.

(٤) ديوان البحتري: المجلد الثاني : ٨٨٣.

دفعت عن الأسلام مالو يصيبه لما زال شخصاً بعدها متضائلا (١)

والبطل في غير ماذكرت :

غيروان في طاعة الله حتى يطمئن الأسلام في طمينا (٢)

والبطل في معنى آخر :

انزلت بالأنجيل ثم بأهله ذلا اراهم عز اهل المصحف (٣)

والبطل في اخر مشهد مما اتخيره :

وفي يدك السيف الذي امتنعت به صفاة الهدى من ان ترق فتخرقا

وما اظلم الأسلام الا تألقت نواحيه في ظلمائه فتألقا

اذا امراء الناس عفوا تقيه عففت ولم تقصد لشيء سوى التقى (٤)

البطل في كل ما تخيرته لأبي عبادة لايختلف فيما يرومه وفيما يسعى اليه عنه عند ابي تمام، هو هناك شأنه هنا. الذين عنده هو الذي يرام لأقتراناته الفضلى ، هو مثلا قرين الخير والفضيلة والحق والقوة والعدل والتقى والعفة، هو في كل هذه الأقترانات على الضد من الشرك، وهو بسبب كل هذه الأقترانات يفرض على البطل في كل صوره مهما تعددت واختلفت ان ينصره وان يذب عنه، وكذا فأن شاعره يقيد هذا الأنتصار ويبرزه بنحو يساهم في ازكاء البطولة لاعند البطل وحده، بل عنده وعند معشره على السواء ، ويساهم في تقدير الأنسان للبطل واجلاله له.

قد يقول الناقد القديم ان البطولة مقامات كما ان الناس انفسهم في درجات (٥) فقد يكون الخليفة بطلا ، وقد يكون والي الثغور بطلا ، وقد يكون القائد بطلا، وقد يكون

(١) ديوان البحتري: المجلد الثالث: ١٦٠٨ .

(٢) ديوان البحتري: المجلد الرابع : ٢١٦٨ .

(٣) ديوان البحتري: المجلد الثالث: ١٤٢٠ .

(٤) ديوان البحتري: المجلد الثالث: ١٥٠٦ .

(٥) راجع مايعزز ذلك عند قدامة بن جعفر: نقد الشعر: ٨٨، ٩٣ والأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: ٢: والعسكري: الصناعتين: وابن رشيق: العمدة: ١: ٧٥، ٢ ١٢٩ ١٢٩ وحازم القرطاجني: منهاج البلغاء وسراج الأدباء : ١٧٠.

الجند ابطالا ، وقد يقول الناقد القديم ان ما يمدح به الخليفة في معرض البطولة غير ما يمدح به كل واحد من هؤلاء «والعيب على الشاعر ان يمدح غير الخليفة بما لايستحقه الا الخليفة» (١) وقد تتبع هذه الأقاويل روادف وتوابع فيقال مثلا لاضير في ان يبالغ الشاعر في مدح الخليفة او من يكون نائباً عنه اومن ينفذ في أكثر البلاد امره (٢) ويقال «وسبيل الشاعر ان يتفقد مثل هذا، فقد جرت به على قوم من الشعراء سلكوا دون هذا المسلك مكاره، وكان الحرمان احسن احوالهم التي عادوا بها» (٣)- فافهم من هذه الأقاويل ان الشعر بما فيه شعر البطولة بالطبع ، جهد صناعي واع ، المقدم فيه العقل لا الطبع هذه واحدة، وافهم من الأقاويل ذاتها ان هناك ثمة اسباباً وعللا وراء الجوانب الواعية فيه اومايمكن ان يقال عنه « عقلانية الشعر» وهذه هي الثانية ، وافهم من هذه الأقاويل ،وهذه هي الناحية الثالثة ، ان نقد الشعر ، وضمنه شعر البطولة، لم يكن موجها بل مسجلا لما ال اليه العمل الشعري في الجانب الوظيفي منه أو مايمكن ان يقال عنه «مهمة الشعر الأجتماعية» ،وذلك امر منطقي مادامت المظلة التي يتفيأ بظلالها الشعراء هي ذات المظلة التي تظل النقاد .

وقد يقول الناقد المعاصر ان الألحاح على الجهد الواعي المبذول في العمل الشعري يعني تجاهل الجوانب الأنفعالية فيه والتغافل عنها ، ولقد قيل ان الشعر لايمكن ان يقوم دون هذه الجوانب (٤) وقد يقول الناقد المعاصر ان للبطل خصوصية تفرض مثلها على الشعر الذي يواكبها ، الأمر الذي يعني بالضرورة ان ماهو اصل في كل شعر غير شعر البطولة قد يكون نافلة في شعر البطولة وليس بأصل ولقد قيل ان العلة الفاعلة في كل عمل شعري ناجح تفاعل مبدعه مع موضوعه وانفعاله به (٥) . وقد يقول الناقد المعاصر ان الأصل في نقد الشعر ان يكون موجها لما ينبغي ان يكون عليه العمل الشعري قبل ان يكون

(١) الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري :٢:٣٥٦.

(٢) حازم القرطاجني : منهاج البلغاء وسراج الأدباء: ١٧٠-١٧١

(٣) الأمدي: الموازنة بين ابي تمام والبحتري: ٢ : ٣٥٨.

(٤) جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي : ١٠٤ .

(٥) جابر عصفور: مفهوم الشعر: ٢٩٠-٢٩١.

مسجلا له او راصداً ولكن شيئاً مما اقوله هنا أو هناك كان من الصعب على الناقد القديم ان يتقبله لسبب بسيط هو ان الشعر عنده صنعه كما قدمت ، وان هذه الصنعة عقلية و هذا امر قدمته ايضاً ، ومن المنطقي ان يظل المعول عليه وفق هذه النظرة الجهد الواعي المبذول بغض النظر عن فاعلية القدرة التخيلية التي يتميز بها الشاعر او الطبع هذا ان استخدمت من النقد القديم مصطلحه .

اما العربية فأنها تماثل في فعلها وفي اثرها في ذات البطل الدين اوتكاد، هذا مايقدمه شعر الطائيين ، وكذا فالذي يقدمه ان هناك ثمة تواصل مكين بين الدين وبين العربية ، تحتضن فيه الأخيرة سابقها وترعاه،وتكتسب فيه الأخيرة من سمو سابقها ورفعته سموا ورفعة .

ويتبدى مااقوله عن العربية هنا وعن صلتها بالدين في أكثر من نص في شعرالطائيين المهم ان البطل في نص منها تكاد تكون صورته واحدة. انه في غيرته على العربية فوق كل الغير، وهو في نصرته لها في المقدمة، تستمد منه العربية هيبة وجلالا. وتغذي فيه العربية البطولة وتمنحه كل اسباب الظفر والغلبة . هو بالجملة لايختلف عنه في هاتيك الصورة التي عرفناها عندما كنا نتحدث عن موقفه من الدين. وليست هناك ثمة حاجة — مادام الأمر كذلك — للتوقف من جديد عند ملامح الصورة اوتفاريقها ، يكفي ان نطالعها في اشد القصائد جمعاً لها . ويكفي ان نختار منها اثنتين واحدة لأبي تمام و اخرى للبحتري وان نختار من ابيات واحدة منها مافي الأعتقاد انه ابلغ الأبيات في الدلالة على الصورة وفي التعبير عنها على السواء، ونبدأ أولا بأبي تمام :

عندما يقول ابو تمام في حديثه عن ابي عبد الله حفص بن عمر الأزدي البطل :

وانت وقد مجت خراسان داءهـــا ... وقد نغلت اطرافها نغل الجلد

وأوباشها خــزر الـى العرب الألى ... لكيمـا يكـون الحر من خول العبد

ليـالي بـات العز في غيـر بيتـــه ... وعظـم وغـد القـوم في الزمن الوغد

وما قصدوا اذ يسحبون على المنـى ... برودهـم الا الى وارث البـــرد

فمجـوا بـه سما وصابا ولـو نأت ... سيوفك عنهم كان احلى من الشهد

ضممت الى قحطان عدنان كلها ولم يجدوا اذ ذاك من ذاك بيد

فأضحت بك الأحياء اجمع الفة كما احكمت في النظم واسطة العقد

ولما اماتت انجم العرب الدجى سرت وهي اتباع لكوكبك السعد

فهم منك في جيش قريب قدومه عليهم وهم من يمن رأيك في جند(١)

فأن فحوى مايقوله ان الأزدي رجل وكالرجال، فمن هو الأزدي هذا والأم يرجع تميزه؟ وما دلالة ذلك؟

لااريد ان اتحدث عن حفص بن عمر في التأريخ ، ولست ارغب في ان اتحدث عنه سيرة حياة ، ولكن الذي اريد ان اتحدث فيه حفص بطلا، وعمدتي في ذلك معطيات الأبيات المتقاة فحسب .

تبدأ الأبيات على مستوى الخطاب الشعري بأستخدام ابي تمام ضمير المخاطب(انت) فيكون في السياق اللغوي مبتدأ، ويتأخر الخبر – وهذا هو الأصل– عن المبتدأ ،ويفصل مابين الأول وما بين الأخير وقائع واحداث يستوعبها – على صعيد – ذلك الصراع المتواصل بين الدين وبين نقيضه ، ويستوعبها– على صعيد ثان– ذلك الصراع بين العربية وبين ضدها . المهم ان نلمح ذلح التواصل الذي اشرت اليه بين الدين وبين العربية ، والأهم ان نتلمس موقع ابي عبد الله حفص ابن عمر الأزدي .

يقترن الدين في الصراع بضد ما يقترن به نقيضه . فما هي اقترانات هذا الأخير؟ قد تتعدد الأقترانات هنا فتكثر اوتقل، هو اقتران واحد يستوعب كل ما يقع في بابه وكل مايندرج تحت جنسه، انه (الجند) الذي يعبر عنه ابو تمام في ذروة ما يكون التعبير :

وراموا دم الأسلام لامن جهالة ولاخطأ بل حاولوه على عمد

فمحوا به سما وصابا ولو نأت سيوفك عنهم كان احلى من الشهد

وراموا دم الأسلام لامن جهالة ولاخطأ بل حاولوه على عمد

فمحوا به سما وصابا ولو نأت سيوفك عنهم كان احلى من الشهد

وبالمثل فأن ما يقترن به الدين ينسحب لتقترن به العربية ، او لا قل ان مايقترن به نقيض

---

(١) ديوان ابي تمام : المجلد الثاني : ١٢١–١٢٣ .

الدين ينتقل هو نفسه ليقترن به ضد العربية، وذلك امر منطقي ، مادامت الصلة بينهما — الدين والعربية— قوية ، وما دامت الصلة بينهما في قوتها وفي سموها كصلة الرحم. فالعربية لغة الدين، تحفظه وتذيعه فتذيع نوره ، وتبسط هديه، تميت بذلك ظلم الشرك ودجاه .

ان صراعاً كالصراع الذي تنبيء به الأبيات وحرباً كالحرب التي يفصح عنها من الأبيات اخرها لهي حرب لاتنتهي بزمن ولاتتقيد بصورة . المهم ان حرباً كهذه ليست ككل الحروب، هي فوقها في الضراوة وفي العنف . كل الحروب بالنسبة لها (هزل) وهي بالنسبة لكل الحروب (جد)، والأهم ان حرباً كهذه تبعث البطولة وتتطلبها، وبطلها فيما تقدمه الأبيات (ابو عبدالله حفص بن عمر) .

اما ابو عبد الله — البطل الممدوح — فأنه يرد سلاح الأعداء للعربية وللدين الى نحورهم هؤلاء يستخدمون بث الفرقة بين ابناء العربية سبيلا للانتهاء بهم الى الوهن والخور . اما هو فعلى الضد من ذلك. يجمع بين ابناء يعرب في توحد ويؤلف بين قلوبهم بأحكام :

ضممت الى قحطان عدنان كلها ... ولم يجدوا إذ ذاك من ذاك بد
فأضحت بك الأحياء اجمع الفة ... كما احكمت في النظم واسطة العقد

يستمد ابو عبدالله في كل ذلك من تأريخ العربية منعة ومن اشراقها قوة ، فيغدو الرجل بكل ما يفعله انموذجاً ، يتحلق الناس حوله فيرون فيه قائداً معطاء لا بل بطلا يكتسب الناس من اقدامه البأس ومن حكمته الظفر، وعند هذا المستوى يمكن لشاعره ان يقول :

ولما أماتت انجم العرب الدجى ... سرت وهي اتباع لكوكبك السعد
فهم منك في جيش قريب قدومه ... عليهم وهم من يمن رأيك في جند

ان مانراه في الأبيات التي من قصيدتها الأم متخيرها يمكن ان ترى مثلها عند ابي عبادة البحتري، ولكن في حديث عن بطل اخر هو ابو سعيد الثغري يقول البحتري :

نكره العاجز الضعيف اذا جا ... ء وكنت القوى فينا الامينا
ثبت الله وطأة لك أمست ... جبلا راسياً على المشركينا
ربما وقعة شملت بها الرو ... م فباتوا اذلة خاضعينا
فزعوا بأسمك الصبي فعادت ... حركات البكاء منه سكونا

لم يكن قلبك الرقيق رقيقا لا . ولا وجهك المصون مصونا
ما اطاقوا دفن الذي اظهروه كبر الحقد ان يكون دفينا
بعض بغضائكم فليس مفيقاً او يرد الأديان بالسيف دينا
همه في غد تغليف هام في قرى العزرون والمازرونا
ولعمري ماجاء زمزم احلى عنده من دم بزارمينا
يجعل البيض حين يأسر اغلى لا لاسراه والمنايا سجونا (١)

اما ابو سعيد فعلم يشار اليه في تأريخ الصراع بين العرب وبين اعدائهم ، وقد لقب بالثغرى لشدة ملازمته الثغور التي كانت في مواجهة الروم وطول صحبته لها ودفاعه عنها ، ولعل هذا هو الذي كان وراء وفرة قصائد الصراع التي نظمها ابو عبادة فيه ، فقد بلغت- فيما يقال - عدداً ما لم تبلغه في بطل من ابطال الصراع في عصره . (٢)

ولست امضي في الحديث عن ابي سعيد من خارج ، فأفيد لزاماً - في هذه الحالة من كتب التأريخ اومن كتب التراجم ، وانما الذي تحتاجه الدراسة استنطاق شعر ابي عبادة في قصيدة منه بل في ابيات مصطفاة منها ، ومحاولة التعرف - هنا - على جانب واحد من جوانب بطولة الرجل المتعددة وهو الجانب الخاص فيها بالعربية . وكذا الدين بالطبع .

اما القصيدة التي تخيرت منها ابياتاً بعينها فواحدة من ست يعرض فيها البحتري لبطولة الثغري في صراعه ضد الروم، وهذا مجموع لانصادف مثله في غير ابي سعيد من الأبطال الذين يتغنى ببطولتهم الطائي، فهل يرجع ذلك الى تقدم الثغري في مضمار البطولة ؟ هل يرجع ذلك الى تردد بطولة ابي سعيد وتكرارها في غزوة غزوة وفي غارة اثر غارة ؟ كل تلك امور ممكنة . وكل تلك امور يميل الدارس الى الأخذ بها .

تبدأ الأبيات بالأشارة الى بأس الثغري وامانته وتنتهي بأخلاصه لدينه وحرصه على ان يقر ويذيع . وما بين اول الأبيات واخرها نطالع بطولة ابي سعيد في غير اتجاه ، اهم

---

(١) ديوان البحتري: المجلد الرابع : ٢١٦٥- ٢١٦٨ .
(٢) نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم: ١٦٨، ١٩٠- ١٩١.

الأتجاهات فيما تقدمه الأبيات اثنان: البطولة في الدفاع عن العربية . ثم البطولة في الدفاع عن للدين، وما يتصل بذلك مما تقدمه العربية ويقدمه الدين للبطل في مجال البطولة:

ان للبطولة موجباتها ولاشك، فعدو العربية، وهو عدو العقيدة بالطبع لايفتأ يحقد عليها ويصل الحقد الى ذروة مايمكن ان يصل اليه حقد:

ما اطاقوا دفن الذي اظهروه كبر الحقد ان يكون دفينا

ويستلزم الأمر ان يرد على الحقد بحقد اشد، وبالفعل فأن الأبيات تشير الى غير صورة من صور الحقد، ربما كانت اقواها وابلغها تلك التي يتضمنها بيت ابي عبادة:

ولعمري ما ماء زمزم احلى عنده من دم بزارمينا

وكذا بيته الذي يقول فيه:

همه في عند تفليق هام في قرى العازون والمازرونا

ان الحقد بين العرب وبين الروم قديم دون ريب، ويقال ان له اسبابه التي ترجع اساساً الى كثرة الحروب التي كانت تنشب بين الطرفين وما يعقبها من قتل وسبي واسر وتشريد. او خضوع طرف لطرف (١) وذلك على اقل تقدير. وذلك هو الذي يتضمنه قول البحتري:

ربما وقعة شملت بها الـ روم فباتوا اذلة خاضعينا

يقترن الحقد - اذا- بالدمار وبالخراب وبما يتصل بهما من صور وصنوف. أو لا قل ان الحقد بين الطرفين يقترن بالدم، هو فيما يمكن ان اقوله (حقد دموي). المهم ان نتذكر ان الحقد - بهذا الفهم - محصلة لسلسلة متواصلة من الحروب، والمهم ان نلاحظ ان ابا عبادة يحرص ان يظهر مبلغ الحقد عند العرب بنحو يبز فيه العرب غيرهم ومن المهم ايضاً ان نتنبه الى ان اللافت في ابيات ابي عبادة انه يقرن الحقد بالبطل ويراه مظهراً من المظاهر الدالة على البطولة، وكذا فأن الحقد في ممارسات البطل ضد اعدائه ان هو الا امر يفرضه منطق الدفاع عن العربية وكذا عن الدين، وانه من جنس السلاح الذي يستخدمه عدوهم ليس الا.

(١) نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم: ١٢٠

ان الضغينة التي يدفنها اعداء العربية (كبر الحقد ان يكون دفيناً) وهم بالطبع اعداء الدين، وهم في السياق الروم لاتتوقف عند حد ولا تتقيد بقيد هي فوق القيود وهي ابعد من الحدود .

من هذه الزاوية يمكن ان نفهم الحاح ابي عبادة المتواصل على ضرورة ان يتصدى البطل بكل قوة لاعادي العربية فينال منهم مناصلهم، ويجعل البيض لهم اغلالا والمنايا سجونا :

يجعل البيض حين يأسر أغلا لا لاسراه والمنايا سجونا

ومن المنطقي ان تمنع بطولة هذا اعداء العربية من بث سموم ضغينتهم . وذلك لسبب بسيط يرتد اولاً ويرجع اخيراً الى خشيتهم منه وخوفهم عقابه، وهو خوف يعبر عنه البحتري بنحو شعري مؤثر اذ يقول :

فزعوا بأسمك الصبي فعادت حركات البكاء منه سكونا

وهذه صورة كمثل الأخرى التي يعبر عنها الشاعر نفسه في قوله :

ثبت الله وطأة لك أمست جبلا راسياً على المشركينا

الجامع بين الصورتين ان البطل يكاد شخصه يمثل في كل حين فيبث الرعب في كل عين ترقبه ، وتحول بطولته دون كل فعل يمكن ان يلحق اذى بالعربية او بالدين .

البطل في آخر ماقلته عنه هو الذي يفرض الموقف دون ان يفرضه الموقف اعني بذلك ان البحتري يظل يتحدث عن البطل دون ان يتحدث عن الموقف من حوله فيصف -مثلا- المعركة اسلحتها ، جندها ، مجرياتها ، معطياتها وبالجملة فأن كل هاته امور يمكن تخيلها وتصورها ولكن من خلال البطل فحسب، هذا ديدن البحتري في كل قصائده التي يتحدث فيها عن البطل أو يصف فيها البطولة ، وهذا هو الفارق الأساس بين ابي عبادة من ناحية وبين ابي تمام من جهة اخرى (١). ان البطل عند هذا الأخير يمكن الأنتهاء الى تصور بطولته من خلال النقع الذي يثيره في سماء المعركة ، ومن خلال لمعات السيوف

(١) نصرت عبد الرحمن، شعر الصراع مع الروم : ١٩٢.

فيها ، ومن خلال جندلة الأعادي ، ومن خلال الفناء الذي يلحقه بمعاقل اعدائه .

ومهما اختلفت الأساليب والوسائط التي يستغلها ابو تمام في التعبير عن حقيقة البطـل وفي تصوير البطولة التي تتجلى من خلاله عنها عند البحتري فأن البطل عند الأول هو نفسه عند الأخير . البطل عند كليهما من الغيرة على العربية ومن الحرص على الدين يدفع عنهما كل سوء ويقيها كل شر يلاقي في ذلك الصعاب فيتجشمها ولايخشـى المشاق ، يرفده في كل ذلك ويعينه اخلاق فواضل وطبائع مهذبة هو صبـور عند الصبر مقدام عند اللقاء معطاء عند العطاء هو بالجملة صدوق فاضل خير ، يؤثر غيره على ذاتـه ويروم بوحي من هذا الأيثار اسعاد غيره فيتحلق الناس حوله يستمد من بأسهم بأسا ومن نجدتهم نجدة انه بجوامع من الكلم اصل بها آخر الكلام بأوله متميز عمن سواه بحق ، بخلقته ضد ناقد وبخلائقه عند آخر وكذا فأنه عند شاعريه يتطلب نمطاً في التعبير عـن بطولته لايمكن استبداله بغيره هو نمط تتداخل فيه كل الأمكانات الخاصة بالشعرية على نحو يوقع المتعة والفائدة في ان والأثارة والتأثر على السواء .



مصادر البحث ومراجعه

* جابر عصفور: مفهوم الشعر، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٨.

:الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي. دار المعارف، القاهرة ١٩٧٣م.

* حازم القرطاجني (ابو الحسن): منهاج البلغاء وسراج الأدباء،تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجه، تونس ١٩٦٦م .

* حبيب بن اوس (ابو تمام): ديوان ابي تمام، تحقيق محمد عبده عزام ، دار المعارف القاهرة ، الطبعة الرابعة . ١٩٧٦.

* الحسن بن بشر (الأمدي): الموازنة بين ابي تمام والبحتري ، تحقيق السيد احمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ١٣٨٠هـ/ ١٩٦١م .

الموازنة بين ابي تمام والبحتري، جزء مخطوط مصور عن نسخة بمكتبة جامعة كمبردج .

* الحسن بن رشيق (القيرواني): العمدة في صناعة الشعر ونقده ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، القاهرة ،الطبعة الثالثة ، ١٣٨٣هـ / ١٩٦٣م .

* الحسن بن عبد الله بن سهل (ابو هلال العسكري) : الصناعتين ، تحقيق محمد علي البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، مطبعة الحلبي ، القاهرة، الطبعة الثانية، بدون تأريخ .

* زكي المحاسني: شعر الحرب في ادب العرب، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

* شكري عياد: البطل في الأدب والأساطير ، دارالمعرفة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧١م .

* شوقي ضيف: البطولة في الشعر العربي، دارالمعارف ،القاهرة، ١٩٧٠م .

* عبد المنعم تليمة: مقدمة في نظرية الأداب ، دار الثقافة للطباعة والنشر ، القاهرة. ١٩٧٣م .

* قاسم المومني: الموازنة بين ابي تمام والبحتري الامدي – تحليل ودراسة ، دار النشر المغربية، الدارالبيضاء ، ١٩٨٥م .

: نقد الشعر في القرن الرابع الهجري، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٨٣م .

:موقف حازم القرطاجني من الأسترفاد بالشعر، بحث منشور في مجلة مجمع اللغة العربية الأردني، العدد المزدوج (٢٨–٢٩) شوال ١٤٠٥هـ– ربيع الثاني ١٤٠٦هـ، السنة التاسعة ، تموز– كانون اول ١٩٨٥م .

* قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى ، مطبعة السعادة، القاهرة ،الطبعة الثانية، ١٩٦٣م .

: نقد الشعر ، تحقيق س. ابو نيباكر ،بريل ، ليدن ، ١٩٥٦ .

* محمد بن سعيد (ابن سنان الخفاجي) : سر الفصاحة ، تحقيق علي خودة ، المطبعة الرحمانية الطبعة الأولى، ١٣٥٠هـ / ١٩٣٢م .

* نصرت عبد الرحمن: شعر الصراع مع الروم في ضوء التأريخ ،مكتبة الأقصى عمان الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م .

* الوليد بن عبيد (البحتري): ديوان البحتري، تحقيق حسن كامل الصيرفي ،مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٦٣م .

«مسألتان في آية قرآنية»

الدكتور

عيد المجيد عبد السلام المحتشب

هذا بحث في مسألتين تشتمل عليهما الاية الثالثة من سورة النساء في قول الله تعالى : (وان خفتم الا تقسطوا في اليتامى فأنكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث وربـاع فإن خفتم الاتعدلوا فواحدة أوما ملكت ايمانكم ذلك أدنى الا تعولوا) .

والمسألة الأولى هي اباحة تعدد الزوجات وتحديد ذلك بأربع نسوة لكل ناكح مـن الأحرار والمماليك حسب ظاهر معنى الاية الكريمة ، وفي صدد هذه الاية روى الأئمة واللفظ لمسلم صاحب الصحيح عن عروة بن الزبير عن عائشة قالت لأبن اختها عروة بن الزبير رضي الله عنهم : « هي اليتيمة تكون في حجروليها تشاركه في ماله فيعجبه مالهـا وجمالها ، فيريد وليها ان يتزوجها من غير ان يقسط في صداقها ، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره ،فنهوا ان ينكحوهن الا ان يقسطوا لهن ويبلغوا بهن أعلى سنتهن من الصـداق ، وأمروا ان ينكحوا ماطاب لهم من النساء سواهن .

وكانت العرب تتحرج في اموال اليتامى ولاتتحرج في العدل بين النساء،يتزوجـون العشرة فأكثر فنزلت في ذلك ، اي كما تخافون الاتقسطوا في اليتامى فكذلك فتحرجوا في النساء، وانكحوا على هذا الحد الذي يبعد الجور عنه.

وقد أدرك المفسرون والفقهاء معنى هذه الاية الكريمة عبر العصور منذ السنة الثامنـة للهجرة مع وجود خلاف بينهم في بعض الجزئيات والفرعيات ، أدركوا ان الإسلام يحث على الزواج ، ومن هذه الاية وغيرها وبعض الأحاديث الصحيحة عرفوا ان الحكم الشرعي في الزواج مندوب اليه وليس فرضاً، وان الله سبحانه وتعالى يأمر المؤمنين بالعدل والإحسان مطلقاً، في تعامل وليّ اليتيمة مع اليتيمة ،وفي حال رعايتها صغيرة أو الزواج بها ، وفي حال الزواج بواحدة، وفي حال تعدد الزوجات ، وان المسلم ان خاف عدم تحقيق العدل في حالة تعدد الزوجات فالأولى الزواج بواحدة حرة أو ماشاء من ملك اليمين وان ذلك أقرب الى عدم الجور والظلم اي العدل والإنصاف .

وقد أطلق الله عزوجل ماملكت الأيمان فلم يحد فيهن حدا ينتهي اليه ، فللرجل ان يتسرى كم شاء. وفي ذلك باب واسع لتحرير الرقيق في المجتمع الإسلامي لأن ملك اليمين أو الأمة اذا ولدت تصير ام ولد، وتتحرر تلقائياً بعد وفاة سيدها .

وانتهى ما أحل الله بالنكاح الى اربع . ودلت سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم المبينة عن الله عزوجل على ان انتهاءه الى اربع تحريماً منه لأن يجمع أحد غير النبي صلى الله عليه وسلم بين أكثر من أربع ، الا انه يحرم ان ينكح في عمره أكثر من اربع اذا كن متفرقات ما لم يجمع بين أكثر منهن . ولانه اباح الأربع وحرم الجمع بين أكثر منهن ، وقال لغيلان بن سلمة ونوفل بن معاوية وغيرهما اسلموا وعندهم أكثر من اربع أمسك اربعا وفارق سائرهن، ويرى الإمام الشافعي رحمه الله في هذه الاية دليلا على انه انما خاطب بها الأحرار دون المماليك ، لأنهم الناكحون بأنفسهم لاالمنكحهم غيرهم والمالكون لا الذين يملك عليهم غيرهم (١).

وأبان المفسرون والفقهاء عن حقوق الزوج وواجباته وعن واجبات الزوجة الحرة والأمة وحقوقها في حال التوحد وفي حال التعدد بحيث يؤدي ذلك الى تحقيق العدل والإحسان. ولان المسلم يجب ان يتصف ويتحلى بالعدل دائماً فقد اباح الله سبحانه له ان يتزوج بأربع مما لذ له وحل من النساء من غير قيد أو شرط أو تعليل. واذا رأى المسلم ان صفة العدل تنتمي عنه فالأولى الزواج بواحدة أو ماملكت يمينه .وذلك أقرب الى العدل.

وقد فهم بعض المفسرين والفقهاء من هذه الآية وغيرها وبعض الأحاديث الصحيحة والسنّة العملية أن الأصل في الزواج التعدّد . ومع ذلك فلا يأثم المسلم إن عزف عن الزواج بواحدة إن صان نفسه عن الحرام . والنفوس البشرية ليست واحدة ، بل تتفاوت وكل ميّسر لما هو له . وسبحان الذي وضع في كل قلب مأأشغله .

وفي القرن الثامن الهجري جاء ابن قيّم الجوزية الدمشقي الفقيه الحنبلي المفسّر الأصولي ونظر في هذة الآية القرآنية وخرج بنتيجة مفادها أن قوله تعالى : « ذلك أدنى ألاّ تعولوا »

(١) الإمام ابو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي المتوفي سنة (٢٠٤هـ/ ٨١٩م) الأم ، دار الفكر، بيروت، ٥ج ، ط ٢، ١٩٨٣م ج ٥، ص١٥٥، ١٥٦ ، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا: الشافعي ،الأم .

تعليل لكل واحد من الحكمين المتقدمين ، وهما نقلهم من نكاح اليتامى إلى نكاح النساء البوالغ ، ومن نكاح الأربع إلى نكاح الواحدة أو ملك اليمين (٢) . وجمهرة المفسرين والفقهاء رأت أن الله سبحانه أباح الزواج بأربع دون قيد أو شرط أو تعليل ، وأن تحقيق العدل حكم شرعي في حال الواحدة أو الاثنتين أو الثلاث أو الأربع ، وأن الاقتصار على واحدة أقرب إلى العدل ، وقد لايتحقق العدل في حال الواحدة أحياناً ، وقد يتحقق العدل في حال التعدد أحياناً . ومن الجائز أن قول الله تعالى «ذلك أدنى ألاّ تعولوا» حكمة وليس تعليلاً لكل واحد من الحكمين المتقدمين . والحكمة غير العلّة . والعلّة تدور مع المعلول وجوداً وعدماً . فحكمة الصلاة أنها تنهى عن الفحشاء والمنكر وليس للصلاة علّة . لأن الله سبحانه لم يعلّلها .

ويأتي الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية في العقد الثاني من القرن الرابع عشر الهجري وفي العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي يفسر كتاب الله بشكل منظم متّصل . وكانت الآية الثالثة من سورة النساء من جملة مافسّر من القرآن الكريم . وأعني بذلك دروس التفسير التي كان يلقيها في الأزهر الشريف على تلاميذه ومريديه . وكان ذلك بمشورة تلميذه محمد رشيد رضا وإقناعه به .

وقبل دروس التفسير بعشرين سنة تقريباً كتب الأستاذ الشيخ محمد عبده نفسه في «الوقائع المصرية» مقالاً تحت عنوان «حكم الشريعة في تعدّد الزوجات» قال فيه : « أفبعد الوعيد الشرعي وذلك الإلزام الدقيق الحتمي الذي لايحتمل تأويلاً ولا تحويلاً ، يجوز الجمع بين الزوجات عند توهم عدم القدرة على العدل بين النسوة فضلاً عن تحققه ؟ فكيف يسوغ لنا الجمع بين نسوة لايحملن عن جمعهن إلاّ قضاء شهوة فانية ، واستحصال لذّة وقتية ، غير مبالين بما ينشأ عن ذلك من المفاسد ومخالفة للشرع الشريف» (٣) .

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن بكر الزرعي ثم الدمشقي الشهير بابن قيم الجوزية المتوفى سنة (٧٥١هـ/ ١٣٥٠م) ، التفسير القيم للإمام ابن القيم ، حققه محمد حامد الفقي لجنة التراث ، بيروت ، ١٩٤٨م ، ص٢٢١ . وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا : ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم .

(٣) محمد رشيد رضا ، تأريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبدة ، ٣ج ، القاهرة ، مطبعة المنار ط٢ ، ١٩٢٥م ، ج ٢ ، ص١١٤ .

ولا جدال في أن الأستاذ الشيخ محمد عبده نظر في كلام ابن قيّم الجوزية الذي مرّ بنا آنفاً وفي أخطاء بعض المصريين المعاصرين له الذين تعدّدت زوجاتهم عندما سجّل موقفه من تعدّد الزوجات في جريدة الوقائع المصرية .

ويقول محمد عبده في دروس التفسير عند تفسيره للآية الثالثة من سورة النساء : « جاء ذكر تعدد الزوجات في سياق الكلام عن اليتامى والنهي عن أكل أموالهن ولو بواسطة الزوجية فقال إن أحسستم من أنفسكم الخوف من أكل مال الزوجة اليتيمة فعليكم ألاّ تتزوجوا بها ، فإن الله تعالى جعل لكم مندوحة عن اليتامى بما أباحه لكم من التزوج بغيرهن إلى أربع نسوة ، ولكن إن خفتم ألاّ تعدلوا بين الزوجات أو بين الزوجتين فعليكم أن تلتزموا بواحدة فقط ، ولما قال : فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة» علّله بقوله : «ذلك أدنى ألاّ تعولوا» ، أي أقرب من عدم الجور والظلم فجعل البعد من الجور سبباً في التشريع ، وهذا مؤكد لاشتراط العدل ووجوب تحريه ومنبّه إلى أن العدل عزيز . وقد قال تعالى في آية أخرى من هذه السورة (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) ....فمن تأمل الآيتين علم أن إباحة تعدد الزوجات في الإسلام أمر مضيّق فيه أشد التضييق كأنه ضرورة من الضرورات التي تباح لمحتاجها بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن من الجور . وإذا تأمل المتأمل مع هذا التضييق ما يترتب على التعدد في هذا الزمان من المفاسد جزم بأنه لا يمكن لأحد أن يربي أمة فشا فيها تعدد الزوجات ، فإن البيت الذي فيه زوجتان لزوج واحد لاتستقيم له حال ولا يقوم فيه نظام ، بل يتعاون الرجل مع زوجاته على إفساد البيت كأن كل واحد منهم عدو للآخر ، ثم يجيىء الأولاد بعضهم لبعض عدو ، فمفسدة تعدّد الزوجات تنتقل من الأفراد إلى البيوت ومن البيوت إلى الأمة .

كان للتعدد في صدر الإسلام فوائد أهمها صلة النسب والصهر الذي تقوى به العصبية ولم يكن له من الضرر مثلما له الآن ، لأنّ الدين كان متمكناً في نفوس الرجال والنساء، وكان أذى الضرّة لايتجاوز ضرّتها . أما اليوم فإن الضرر ينتقل من كل ضرّة إلى ولدها إلى سائر أقاربه ، فهي تغري بينهم العداوة والبغضاء، تغري ولدها بعداوة إخوته ، وتغري زوجها بهضم حقوق ولده من غيرها ، وهو بحماقته يطيع أحبّ نسائه إليه ، فيدب الفساد في العائلة كلها .

ولو شئت تفصيل الرزايا والمصائب المتولدة من تعدد الزوجات لأتيت بما تقشعرّ منه جلود المؤمنين ، فمنها السرقة والزنا والكذب والخيانة والجبن والتزوير ، بل منها القتل حتى قتل الولد والده والوالد ولده والزوجة زوجها والزوج زوجته ، كل ذلك واقع ثابت في المحاكم ... أما والأمر على مانرى ونسمع فلا سبيل إلى تربية الأمة مع فشوّ تعدّد الزوجات فيها ، فيجب على العلماء النظر في هذه المسألة خصوصاً الحنفية منهم الذين بيدهم الأمر وعلى مذهبهم الحكم ، فهم لاينكرون أن الدين أنزل لمصلحة الناس وخيرهم وأن من أصوله منع الضرر والضّرار ، فإذا ترتّب على شيء مفسدة في زمن لم تكن تلحقه فيما قبله ، فلا شكّ في وجوب تغيّر الحكم وتطبيقه على الحال الحاضرة : يعني على قاعدة درء المفاسد مقدّم على جلب المصالح . وبهذا يعلم أن تعدّد الزوجات محرّم قطعاً عند الخوف من عدم العدل» (٤) .

والآن نناقش الأستاذ الشيخ محمد عبده فيما ذهب إليه فنقول : إن قوله تعالى : «فأنكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى ألاّ تعولوا» تحديد عدد الزوجات بأربع ، وكانوا في الجاهلية يزيدون على الأربع . وهذه الآية نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة للهجرة ، وكان نزولها لتحديد عدد الزوجات بأربع ، وقد كان إلى حين نزولها لاحدّ له . ومعنى الآية : تزوّجوا مالذّ لكم وطاب من النساء اثنتين وثلاثاً وأربعاً . والآية تبيح تعدّد الزوجات وتحدّده بأربع ، ولكنّها تأمر بالعدل بينهنّ ، وترغّب في الاقتصار على الواحدة في حالة الخوف من عدم العدل ، لأن الاقتصار على الواحدة في حالة الخوف من عدم العدل أقرب إلى عدم الجور ، وهو مايجب أن يتصّف به المسلم . إلاّ أنه يجب أن يُعْلَم أنّ العدل هنا ليس شرطاً في إباحة تعدّد الزوجات ، وإنما هو حكم لوضع الرجل الذي يتزوج عدداً من النساء فيما يجب أن يكون عليه في حالة التعدّد ، وترغيب في الاقتصار على الواحدة في حالة الخوف من عدم العدل ، وذلك أنّ معنى الجملة قد تمّ في الآية في قوله : (فأنكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع)

---

(٤) محمد رشيد رضا، تفسير القرآن الحكيم- تفسير المنار، ١٢ ج القاهرة مطبعة المنار بمصر، ط١، ١٩٠٧م، ج ٤، ص٣٤٨، ٣٤٩ .

وهذا معناه جواز حصول التعدّد مطلقاً ، وقد انتهى معنى الجملة ، ثم استأنف جملة أُخرى وكلاماً آخر فقال : (فإن خفتم) ولا يتأتى أن تكون (فإن خفتم) ، شرطاً لأنها لم تتصل بالجملة الأولى اتصال الشرط ، بل هي كلام مستأنف ، ولو أراد أن تكون شرطاً لقال : (فآنكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع إن عدلتم) ، وذلك لم يكن ، فثبت أن العدل ليس شرطاً ، وإنما هو حكم شرعي آخر غير الحكم الأوّل . فإنه أولاً أباح تعدّد الزوجات بأربع ، ثم جاء بحكم آخر وهو أن الأولى الاقتصار على واحدة إذا رأى أنّ تزوجه بأكثر من واحدة يجعله لايعدل بينهنّ . ومن ذلك يتبيّن لنا أن الله تعالى أباح التعدّد دون قيد ولا شرط ودون أي تعليل ، بل لكل مسلم أن يتزوج اثنتين وثلاثاً وأربعاً مما يطيب له من النساء ، ولهذا نجد الله تعالى يقول (ماطاب لكم) أي ماوجدتموه من الطيبات لكم . ويتبيّن أن الله قد أمرنا بالعدل بين النساء ورغّبنا في حالة خوف الوقوع في الجور بين النساء أن نقتصر على واحدة ، لأن الاقتصار على واحدة أقرب إلى عدم الجور .

وإذا كان العدل شرطاً في تعدّد الزوجات على أساس ماذهب إليه الأستاذ الشيخ محمد عبده فيعني ذلك أنه إن يغب العدل وينتف ينفسخ عقد الزواج مثل الحالة التي يزني فيها الزوج يصير عقد الزواج منفسخاً بمجرد ثبوت ذلك عليه . قال صلى الله عليه وسلم : «لايزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» . أو كما قال :

ومعلوم أن تدخل حكمين ، حكم من أهل الزوج ، وحكم من أهل الزوجة او مايسمى بالمجلس العائلي في حال نشوز الزوج أو الزوجة ، والهجران في المضجع والضرب غير المبرّح يدل دلالة قاطعة على غياب العدل في مثل هذه الحالات بين الزوجين ومع ذلك يبقى عقد الزواج منعقداً كما هو ولا ينفسخ . وهذا يدل على ضعف ماذهب إليه الشيخ محمد عبده وبطلانه . وإذا كان العدل شرطاً في تعدّد الزوجات فلماذا لايكون كذلك في حالة الزوجة الواحدة لأن الله يأمر المسلمين بالعدل والإحسان مطلقاً ؟

وكيف يستقيم الأمر عندما يكون المدار في تعدّد الزوجات على أساس الثقة بإقامة العدل والبعد عن الجور ؟ عند ذلك يوافق القاضي على عقد الزواج للرجل الواثق بإقامة

العدل . وتحقيق العدل لايحصل عملياً إلاّ بالمعاشرة الزوجية ، أي بعد عقد الزواج لاقبله والوضع الصحيح أن يكون المدار على أساس تقوى الله تعالى في السرّ والعلن في قلب كل مسلم يرغب في أن يبقى عَزَباً دون زواج أو يتزوج بواحدة أو بأثنتين أو بثلاث أو بأربع .

وقد غاب عن الأستاذ الشيخ محمد عبده أمر هام هو الحكمة من إباحة تعدّد الزوجات في الإسلام . والذي يتزوج أكثر من واحدة في الغالب الأعمّ من المسلمين هو الغنّي ذو الثروة . وتعدّد الزوجات غالباً ينتج عنه كثرة الأولاد مما يؤدي إلى توزيع الثروة الضخمة بين أولاد كثيرين بعد وفاة صاحب الثروة وتفتيتها . وهذا الوضع ينسجم مع الحكم الشرعي الوارد في الآية الكريمة (ماأفاء الله على رسوله من أهل القرى فللّه وللرّسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كي لايكون دُولةً بين الأغنياء منكم) (٥) وهذه الآية الكريمة وإن كانت خاصة بأحكام الفيء والأنفال تنظم الوضع المالي للمسلمين عامة . وأن يتداول الأغنياء المال في المجتمع الإسلامي فيما بينهم دون غيرهم وضع لايقرّه الإسلام ، بل يحاربه ويقضي عليه .

والواقع أن الأستاذ الشيخ محمد عبده ضخّم المساويء الناتجة عن تعدّد الزوجات عند بعض إخواننا من أهل مصر . والعيب يكمن فيمن أساء في استعمال المباح وليس العيب في التشريع . وكانت لكتابات الأستاذ الشيخ محمد عبده في مسألة تعدّد الزوجات الأثر الواضح على وضع قيود في المحاكم الشرعية في بعض البلاد الاسلامية ومنها العربية على من يريد الزواج بأكثر من واحدة . ومعلوم أن الزواج بواحدة في بلاد المسلمين في هذه الايام مشكلة قائمة يعاني منها كثير من المسلمين بفعل ارتفاع تكاليف المعيشة وزيادة متطلبات الحياة الحاضرة ، وهذا الوضع دفع كثيراً من شباب المسلمين إلى الزواج بالأجنبيات ، وأدى ذلك بدوره إلى كساد وبوار بين المسلمات الشابات .

وجاء بعد الأستاذ الشيخ محمد عبده مفكرون ومفسرون لانستطيع حصرهم في مثل هذا البحث ، تبنّوا أفكاره في مسألة تعدّد الزوجات نذكر منهم الأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي .

(٥) سورة الحشر : الاية ٧.

يقول الأستاذ الشيخ أحمد مصطفى المراغي في تفسير الآية الثالثة من سورة النساء : «والخلاصة — إن البعد من الجور سبب في تشريع الحكم ، وفي هذا إيماء إلى اشتراط العدل ووجوب تحرّيه ، وإلى أنه عزيز المنال كما قال تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) . والعدل إنما يكون فيما يدخل تحت طاقة الإنسان كالتسويه في المسكن والملبس ونحو ذلك ، أما مالا يدخل في وسعه من ميل القلب إلى واحدة دون أخرى فلا يكلّف الإنسان بالعدل فيه ، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم في آخر عهده يميل إلى عائشة أكثر من سائر نسائه ، لكنه لا يخصّها بشيء دونهنّ إلاّ برضاهنّ وإذنهنّ ، وكان يقول : (اللهم إنّ هذا قسمي فيما أملك فلا تؤاخذني فيما لا أملك) يريد ميل القلب . وقد استبان لك مما سلف أن إباحة تعدّد الزوجات مضيّق فيه أشدّ التضييق ، فهي ضرورة تباح لمن يحتاج إليها بشرط الثقة بإقامة العدل والأمن من الجور» (٦) وهذه الأفكار هي نفس أفكار الأستاذ الشيخ محمد عبده التي ذكرت آنفاً وتمت مناقشتها.

والأستاذ سيد قطب يقول في تفسير الآية الثالثة من سورة النساء : « وهذه الرخصة في التعدد مع هذا التحفظ عند خوف العجز عن العدل ، والاكتفاء بواحدة في هذه الحالة ، أو بما ملكت اليمين ، هذه الرخصة — مع هذا التحفظ — يحسن بيان الحكمة والصلاح فيها جاء الاسلام لا ليطلق ، ولكن ليحدد ، ولا ليترك الأمر لهوى الرجل ، ولكن ليقيّد التعدد بالعدل ، وإلا امتنعت الرخصة المعطاة . ولكن لماذا أباح هذه الرخصة ؟ إن الاسلام نظام للإنسان . نظام واقعي إيجابي . يتوافق مع فطرة الإنسان وتكوينه ، ويتوافق مع واقعه وضروراته .....» (٧) .

فالأستاذ الشهيد سيّد قطب يتبنى أفكار الأستاذ الشيخ محمد عبده في أن التعدد مقيّد بالعدل أو أن العدل شرط في التعدّد .

(٦) أحمد مصطفى المراغي ، تفسير المراغي ، ١٠م، ٣٠ ج ، دار الفكر بيروت، ط٣ ، ١٩٧٤م، م٢، ج ٤، ص١٨٠. وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا : المراغي ، تفسير المراغي .

(٧) سيد قطب، في ظلا ل القرآن، ٨م، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت، ط٧، ١٩٧١م. م٣، ج ٤، ص٢٤٢، ٢٤٣.

ونلاحظ أن الاستاذ الشهيد يستعمل لفظة «الرخصة» أربع مرات في النص الذي أوردناه . ولست أدري أيستعملها الأستاذ الشهيد هنا بالمعنى اللغوي الذي يعني الإذن أو الإجازة أو بالمعنى الاصلاحي ؟

والرخصة اصطلاحاً ماشرع من الأحكام تخفيفاً للعزيمة لعذر مع بقاء حكم العزيمة ولم يلزم العباد للعمل به . فمثلاً الصوم عزيمة ، والفطر للمريض رخصة ، والصلاة قائماً عزيمة ، والقعود في الصلاة عند العجز رخصة ، وهكذا فالعزيمة ماكان تشريعه عاماً فلا تختص ببعض المكلفين دون بعض ، ولا يخيّر بين العمل بها والعمل بغيرها ، بل يلزم بالعمل بها وحدها ، والرخصة ماكان تشريعه طارئاً لعذر فيكون تشريعه معتبراً ماوجد العذر ، ولا يعتبر إذا زال العذر وهو خاص بالمكلفين المتصفين بهذا العذر وحده والرخصة حتى تعتبر رخصة شرعاً لابدّ أن يدل عليها دليل شرعي ، وما لم يدل عليها دليل شرعي لاتعتبر رخصة . والرخصة بالمعنى الاصطلاحي الذي أوردناه لاينطبق على الحكم الشرعي المتضمن إباحة تعدّد الزوجات . والإباحة شرعاً غير الرخصة .

والأستاذ الشيخ إبراهيم القطان يتبنّى أفكار الأستاذ الشيخ محمد عبده في مسألة إباحة تعدّد الزوجات ، إذ يقول في تفسير الآية الثالثة من سورة النساء : «أنزل الله تعالى هذه الآية مرشدة لهم بأن من كان عنده يتيمة وأراد أن يتزوج بها أو يزوجها من بعض أبنائه لا لغاية أكل مالها أو أكل مهرها ، فلا مانع من ذلك . أما إذا أراد أن يتزوجها ليأكل مالها أو مهرها ، فإن الله يأمره أن يتركها تتزوج غيره ، وله أن يتزوج غيرها . ولقد أباح له الزواج بأكثر من واحدة إلى أربع نساء ، ثمّ وضع شرطاً مهمّاً جداً فقال : «فإن خفتم ألا تعدلوا» بين الزوجات فعليكم أن تكتفوا بواحدة فقط ،لكم أن تتمتعوا بمن تشاؤون من السّراري ،واختيار الواحدة أقرب من عدم الجور والظلم ، إذ أن العدل بين النساء من الأمور الصعبة جداً . لذلك قال تعالى في آية أخرى : «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتهم» . والمقصود بالعدل هنا هو المعاملة الطيبة ، والنفقة ، والمعاشرة الحسنة للزوجات على السواء . أما العدل في مشاعر الرجل وميله

القلبي فإنه غير ممكن وليس هو المقصود. فإن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول : (اللهم هذا فعلي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) (٨) .

وإنني أوافق الشيخ إبراهيم القطان على أن العدل في مشاعر الرجل وميله القلبي بين زوجاته غير ممكن بدليل قول الرسول عليه السلام : (اللهم هذا قسمي فيما أملك ، فلا تلمني فيما تملك ولا أملك(وبدليل أن الأب يميل إلى ولد أكثر من غيره وهم من صلبه وجميعهم أولاده ، فكيف بالزوجات اللائي لسن من صلبه بل من صلب غيره ؟ ولكني أختلف مع الأستاذ إبراهيم القطان إذ يفسّر العدل في الآية الكريمة «ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلّقة وإن تُصلحوا وتتقوا فإن الله كان غفوراً رحيماً » (٩) بالمعاملة الطيبة ، والنفقة ، والمعاشرة الحسنة للزوجات على السواء . والصحيح أن العدل المقصود في هذه الآية هو العدل القلبي .وهو غير ممكن فعلاً . والعدل المقصود في الآية الثالثة من سورة النساء هو القسم والنفقة والمعاشرة الحسنة . وهو ممكن وما يستطاع ، بدليل قوله تعالى « فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع) ، وبدليل تفسير مجاهد لقول الله تعالى (فلا تميلوا كل الميل) : لاتتعمدوا الإساءة بل الزموا التسوية في القسم والنفقة ، لأن هذا مما يستطاع وفي هذا الصدد يقول أبو عبدالله القرطبي : « أما الحبّ والبغض فخارجان عن الكسب فلا يتأتى العدل فيهما ، وهو المعني بقوله صلى الله عليه وسلم في قسمه (اللهم هذا فعلي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك) . أخرجه النسائي وأبو داود عن عائشة رضي الله عنها . وفي كتاب أبي داود يعني القلب ، وإليه الإشارة بقوله تعالى : (ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم) (١٠) . والمصادرة على المطلوب أن يكون

---

(٨) الشيخ ابراهيم القطان، تيسير التفسير ، ٢م، ٢ج ، عمان ، ط١ ، ١٩٨٢م،١م، ج ٤ ، ص٣٤٨.

(٩) سورة النساء ، الاية ١٢٩.

(١٠) ابو عبد الله محمد بن احمد القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م)، الجامع لأحكام القرآن، ١٠م، ٢٠ج ، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، مصورة عن طبعة دار الكتب ، ١٩٦٧م، م٧، ج ١٤، ص٢١٧، وسيشار لهذا المرجع فيما بعد هكذا: القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن .

معنى العدل في الآية التاسعة والعشرين بعد المائة هو نفس معنى العدل في الآية الثالثة من سورة النساء . والقرآن في تراكيبه منزه عن هذا الخلل والتناقض الذي يؤدي إلى تصادم الأحكام والمعاني (ولن تستطيعوا) تفيد النفي على التأبيد . وقوله (فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة) تفيد إمكان حصول العدل وأنه مما يستطاع . وفي هذا الصدد يقول الأستاذ الإمام الأكبر محمود شلتوت : «وقد يكون من أعجب مااستنبط من هذه الآيات أنها تدل على أن التعدّد غير مشروع ، بحجة أن العدل جعل شرطاً بمقتضى الآية الأولى ، وأنبأت الآية الثانية أن العدل غير مستطاع ، وبذلك حال معنى الآيتين : يباح التعدد بشرط العدل ، والعدل غير مستطاع ، فلا إباحة للتعدد . وواضح أن هذا عبث بآيات الله ، وتحريف لها عن مواضعها ، فما كان الله ليرشد إلى تزوج العدد من النساء عند الخوف من ظلم اليتامى ويضع العدل بين الزوجات شرطاً في التعدد بأسلوب يدل على استطاعته والقدرة عليه ، ثم يعود وينفي استطاعته والقدرة عليه ، وإذن فتخريج الآيتين الذي يتفق وجلال التنزيل وحكمة التشريع ، ويرشد إليه سياقهما وسبب نزول الثانية منهما أنه لما قيل في الآية الأولى : (فإن خفتم ألا تعدلوا) فهم منه أن العدل بين الزوجات واجب ، وتبادر إلى النفوس أن العدل بإطلاقه ينصرف إلى معناه الكامل الذي لايتحقق إلاّ بالمساواة في كل شيء مايملك وما لايملك ، فتحرج بذلك المؤمنون ، وحتّى لهم أن يتحرّجوا ، لأن العدل بهذا المعنى الذي تبادر إلى أذهانهم غير مستطاع ، لأن فيه مالا يدخل تحت الاختيار ، فجاءت الآية الثانية ترشد إلى العدل المطلوب في الآية الأولى ، وترفع عن كواهلهم هذا الحرج الذي تصوروه من كلمة (فإن خفتم ألاّتعدلوا) وبهذا يتضح جليّاً أن الآية الثانية تتعاون مع الآية الأولى على تقرير مبدأ التعدد بما يزيل التحرج منه» (١١) .

وخلاصة القول : تعدّد الزوجات مباح في الإسلام . والعدل حكم شرعي إن التزم به الذي يعدّد يثاب عند الله وإن لم يلتزم به فيلحقه الإثم ، ويبقى عقد الزواج قائماً صحيحاً

(١١) محمود شلتوت ، الإسلام عقيدة وشريعة ، دار الشروق ، بيروت ، مطابع الشروق ، ط٢ ، ١٩٨٣م ، ص١٨٢ ، ١٨٣ .

لأن العدل ليس شرطاً في التعدّد . والمدار في معرفة حصول العدل والعزم عليه هو نفس الشخص الذي ينوي التعدد: ولا يستطيع القاضي أن يتثبّت من ذلك أثناء العقد . والمسلم لايغش الناس ولا يغش نفسه . ولدى المسلم قناعة يسيّر سلوكه بحسبها في هذا الموضوع وهي أن الله سبحانه وتعالى قال: (ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون) (١٢) .

وأنه لاقيمة للمودة والرحمة إن غاب العدل وحلّ الظلم مكانه . وقد حرّم الله الظلم على نفسه وحرّمه على عباده . ولا يليق بالمسلم أن يكون ظالماً . ولا يعقل أن يرشد الله سبحانه المسلمين إلى البعد عن الزواج باليتامى في حال أكل أموالهن وهذا ظلم إلى فتح باب واسع هو إباحة التعدّد ليحل محله ظلم جديد . ولو علم ضعاف النفوس بالخيط الدقيق الذي يربط بين الظلم اللاحق باليتامى وبين البعد عن العدل في حال التعدد لفكروا طويلاً قبل البدء بالتعدّد ولأحجموا عنه .

أمّا المسألة الثانية فتقوم على معنى «العَوْل» ومفهومه في الجملة القرآنية (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) .

والمختار عند أكثر المفسرين أن العول هنا في الجملة القرآنية يعني الميل والجور والظلم . فيكون تفسير قوله تعالى (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) ذلك أقرب من ألاّ تجوروا وتميلوا وتظلموا . وذلك إشارة إلى التوجه إلى زوجة واحدة حرّة أو ماملكت الإيمان في حالة الخوف من العدل بفعل تعدّد الزوجات الحرائر .

ولكن الإمام محمد بن إدريس الشافعي صاحب المذهب فسّر العَوْل هنا بكثرة العيال وهو بذلك قد خالف جمهرة المفسرين .

يقول الشافعي : «قال الله تبارك وتعالى : (فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ماملكت أيمانكم ذلك أدنى الاّ تعولوا) : فكان بيّنا في الآية – والله أعلم – أن المخاطبين بها الأحرار ، لقوله عزّ وجل (فواحدة أو ماملكت أيمانكم) لأنه لايملك إلاّ الأحرار ، وقوله تعالى : (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) .

(١٢) سورة الروم ،الاية ٢١.

فإنما يعول من له المال ، ولا مال للعبد .... وقول الله عزّ وجل (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) يدلّ — والله أعلم — على أن على الزوج نفقة امرأته . وقوله : (ألا تعولوا) أي لايكثر من تعولون ، إذا اقتصر المرء على واحدة ، وإن أباح له أكثر منها» (١٣) .

ومن الطبيعي أن يقف المفسرون وعلماء اللغة مواقف متباينة من تفسير الإمام الشافعي للفظة (تعولوا). فمنهم من خطّأه بدون دليل قوي ، ومنهم من خطّأه وتحامل عليه ،ومنهم من وافقه مستنداً إلى أدلة قوية ، ومنهم من أورد كلامه دون تعليق عليه . فأبو إسحق إبراهيم بن السرّي الزّجاج يقول : «فأما قوله : (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) : فمعناه ذلك أقرب ألا تجوروا . وقيل في التفسير ألا تميلوا ، ومعنى تميلوا تجوروا . فأما من قال : ألا تعولوا : ألا تكثر عيالكم فزعم جميع أهل اللغة أن هذا خطأ ، لأن الواحد تعول ، وإباحة كل ماملكت اليمين أزيد في العيال من أربع ، ولم يكن في العدد في النكاح حدّ حين نزلت هذه الآية »(١٤) .

أما أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصّاص الحنفي فقد ذكر أن العلماء خطأوا الشافعي في تفسيره الذي ذهب إليه من ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه لاخلاف بين السلف وكل من روي عنه تفسير هذه الآية أن معناه أ لا تميلوا وألاّ تجوروا ، وأن هذا الميل هو خلاف العدل الذي أمر الله به من القسم بين النساء .

والثاني : خطؤه في اللغة ، لأن أهل اللغة لايختلفون في أنه لايقال في كثرة العيال عال يعول ، ذكره المبرد وغيره من أئمة اللغة .

---

(١٣) الإمام ابو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي المتوفى سنة (٢٠٤هـ/٨١٩م) احكام القرآن ج٢ ، م١، جمعه الإمام ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي النيسابوري صاحب السنن الكبرى المتوفى سنة (٤٥٨هـ/١٠٦٥م) ،دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٩٧٥م، ج ١ ،ص١٧٩، ١٨٠ ، ٢٦٠ ، ٢٦١ .

(١٤) ابو اسحق ابراهيم بن السري الزجاج المتوفى سنة (٣١١هـ/٩٢٣م) معاني القرآن واعرابه، م٢ ، ج٢ ،تحقيق عبد الجليل عبده شلبي ، منشورات المكتبة العصرية ،بيروت ، ١٩٧٤م، ج ٢، ص٧ .

والثالث : أن في الآية ذكر الواحدة أو ملك اليمين ، والإماء في العيال بمنزلة النساء ولا خلاف أن له أن يجمع من العدد من شاء بملك اليمين ، فعلمنا أنه لم يرد كثرة العيال ، وأن المراد نفي الجور والميل بتزوج امرأة واحدة إذ ليس معها من يلزمه القسم بينه وبينها ، إذ لاقسم للإماء بملك اليمين (١٥) .

أما أبو بكر محمد بن عبدالله المعروف بابن العربي المالكي فقد تصدى في المسألة الثانية عشرة لقول الله تعالى (ذلك أدنى ألا تعولوا) . وذكر أن العلماء اختلفوا في تأويله على ثلاثة أقوال . وأولها قول الشافعي ألاّ يكثر عيالكم . وذكر أن أصحاب الشافعي أعجبوا بكلام الشافعي هذا ، وقالوا هو حجة لمنزلة الشافعي في اللغة ، وشهرته في العربية ، والاعتراف له بالفصاحة . وتحامل ابن العربي المالكي على الشافعي في عصبية مذهبية واضحة وقال : كل ماقال الشافعي أو قيل عنه أو وصف به فهو كله جزء من مالك ، ونَغْبَة من بحره ، ومالك أوعى سمعاً ، وأثقب فهماً ، وأفصح لساناً ، وأبرع بيانا ، وأبدع وصفاً ، وأورد ابن العربي أقوال علماء المالكية في معاني «عال» لغة ، لتركب عليها معنى الآية . وانتهى من البحث إلى أن تفسير الشافعي لايصح (١٦) .

وابن قيّم الجوزية الحنبلي أورد كلام الشافعي في معنى العول وأنه بذلك خالف جمهور المفّسرين من السلف والخلف . وأورد قول الواحدي في بسيطه بأن معنى تعولوا تميلوا وتجوروا ، وهذا عن جميع أهل التفسير واللغة .

ويرجّح ابن قيّم الجوزية المعنى الذي ذهب إليه الجمهور ، مع أن ما ذكره الشافعي لغة حكاه الفرّاء عن الكسائي الذي قال : هي لغة فصيحة سمعتها من العرب ، ويدعم ابن قيم الجوزية كلام جمهرة المفسرين وعلماء اللغة بوجوه عشرة (١٧) .

(١٥) ابو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص الحنفي المتوفى سنة (٣٧٠هـ/ ٩٨٠م)، أحكام القرآن، ٣م، ٣ج ، دار الكتاب العربي ، بيروت، طبعة مصورة عن طبعة الأوقاف الإسلامية في اسلامبول، ج ٢، ص٥٦، ٥٧ .

(١٦) ابو بكر محمد بن عبد الله المعروف بأبن العربي المتوفى سنة (٥٤٣هـ/ ١١٤٨م) احكام القرآن ، ٤ق، ٤ج ، تحقيق علي محمد البجاوي، القاهرة، مطبعة عيسى البابي الحلبي ط٣ ، ١٩٧٢م، ج ١، ص٣١٣-٣١٦ .

(١٧) ابن قيم الجوزية ، التفسير القيم ، ص٢١٩-٢٢١.

والآن نذكر أبرز الذين وافقوا الإمام الشافعي ونصروه في هذه النقطة .

ففي مادة «عال» يقول أبو منصور الأزهري : «قال الله عزّ وجل : (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) . قال أكثر أهل التفسير : معناه ذلك أقرب ألا تجوروا وتميلوا ، روي عن عبدالرحمن بن زيد بن أسلم أنه قال في قوله (ذلك أدنى ألاّ تعولوا) أي أدنى ألاّ يكثر عيالكم.

قلت : وإلى هذا القول ذهب الشافعي فيما أخبرني عبد الملك بن الربيع عنه . قلت : والمعروف في كلام العرب : عال الرجل يعول إذا جار وأعال يعيل إذا كثر عياله . وقد روى أبو عمر عن أحمد بن يحيى عن سلمة عن الفرّاء أن الكسائي قال : عال الرجل يعيل إذا افتقر ، وأعال الرجل إذا كثر عياله . قال الكسائي : ومن العرب الفصحاء من يقول : عال يعول إذا كثر عياله .

قلتُ : وهذا يؤيد ماذهب إليه الشافعي في تفسير الآية . لأن الكسائي لايحكي عن العرب إلاّ ماحفظه وضبطه .

وقول الشافعي نفسه حجة ، لأنه عربي اللسان فصيح اللهجة . وقد اعترض عليه بعض المتحذلقين فخطأه ، وقد عجل ولم يتثبت فيما قال . ولا يجوز للحضري أن يعجل إلى انكار ما لا يعرفه من لغات العرب» (١٨) .

ويأتي أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي الشافعي ويدلي بدلوه في هذه القضية تحت باب وجوب النفقة . وأبو الحسين الرازي العالم اللغوي لاينكر أنّ العَوْل قد يقع على الجور ، فلا حاجة للمخالفين إلى الاستشهاد الكثير ، ولكنه يقول إن قوله : (ذلك أدنى ألا تعولوا) إنما أريد به كثرة العيال ، وذلك أن زيد بن أسلم قد قاله ، وعبد الرحمن إبن زيد ، ووافقهما على ذلك الشافعي ومن قال بمقالته ، والشافعي من اللغة بالمكان الذي كان به ، فهذا من جهة التوقيف . وأما اللغة ، فقد قال بعض أهل العلم : إنّ العرب تقول : عال الرجل إذا كثر عياله وأعال بمعنى واحد .

(١٨) ابو منصور محمد بن احمد الأزهري المتوفي سنة (٣٧٠هـ/٩٨٠م) تهذيب اللغة ١٥م ، ١٥ج ،تحقيق عبد الحليم النجار وزميله، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة ، مطابع سجل العرب، ١٩٦٤م، م٣، ج ٣، ص١٩٤، ١٩٥.

ومن الدليل على صحة قول أنصار الشافعي في هذه النقطة، أن العرب تقول: عال الرجل: إذا كان ذا عيال، قول جرير:

والله أنـزل في الكتـاب فريضـة لابـن السبيـل وللفقيـر العائـل

أراد به ذا العيال الذي يعول عياله، لا معنى أن يقول «وللفقير» فعلم أنه أراد به ذا العيال.
ويتصدى أبو الحسين الرازي لأبي بكر بن داود الأصبهاني الظاهري الذي تصدى للرد الشديد على الإمام الشافعي وقصد الطعن وأورد أقوال ابن داود وقام بإبطالها وتفنيدها.

ثم أورد قول بعض أهل الأدب الذي يصف كلام الشافعي بأنه غلط، وقام بمناقشته وتفنيده (١٩).

أما الزمخشري صاحب الكشاف فإنه يقف موقفاً رائعاً دقيقاً فيه تأييد ونصرة للإمام الشافعي على شاكلة قوله: «وقد روت عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم، ألاّ تعولوا: ألاّ تجوروا. والذي يُحكى عن الشافعي رحمه الله أنه فسّر (ألا تعولوا): ألا تكثر عيالكم، فوجهه أن يجعل من قولك: عال الرجل عياله يعولهم، كقولهم: مانهم يمونهم إذا أنفق عليهم، لأن من كثر عياله لزمه أن يعولهم. وفي ذلك ما يصعب عليه المحافظة على حدود الكسب وحدود الورع وكسب الحلال والرزق الطيب. وكلام مثله من أعلام العلم وأئمة الشرع ورؤوس المجتهدين، حقيقي بالحمل على الصحة والسّداد، وألا يظن به تحريف تعيلوا إلى تعولوا، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: لا تظنّن بكلمة خرجت من فيّ أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملا. وكفى بكتابنا المترجم بكتاب «شافي العيّ من كلام الشافعي» شاهداً بأنه كان أعلى كعباً وأطول باعاً في علم كلام العرب، من أن يخفى عليه مثل هذا، ولكن للعلماء طرقاً وأساليب، فسلك في تفسير هذه الكلمة طريقة الكنايات. فإن قلت: كيف يقل عيال من تسرّى، وفي السرائر نحو ما في الحرائر؟ قلتُ: ليس كذلك، لأن الغرض بالتزوج التوالد والتناسل

---

(١٩) ابو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي المتوفى سنة (٣٩٥هـ/١٠٠٤م)، حلية الفقهاء، تحقيق عبدالله التركي، الشركة المتحدة للتوزيع، بيروت ط١، ١٩٨٣م ص١٨٨-١٩٣).

بخلاف التسرّي ، ولذلك جاز العزل عن السراري بغير اذنهن ،فكان التسري مظنّة لقلة الولد بالإضافة إلى التزوج ، كتزوج الواحدة بالإضافة إلى تزوج الأربع . وقرأ طاووس ألا تُعيلوا ، من أعال الرجل إذا كثر عياله . وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي رحمه الله من حيث المعنى للذي قصده» (٢٠) .

اما الفخر الرازي الشافعي فيرى في تفسير (ألا تعولوا) وجوها :

الأول: معناه: لاتجوروا ولاتميلوا. وهذا هو المختار عند أكثر المفسرين .

الوجه الثاني: قال بعضهم : المراد ألا تفتقروا ، يقال : رجل عائل اي فقير ، وذلك لأنه اذا قل عياله قلت نفقاته، واذا قلت نفقاته لم يفتقر .

الوجه الثالث : قول الشافعي في معنى (ذلك أدنى الا تعولوا) : ذلك أدنى الا تكثر عيالكم

ويفند الفخر الرازي أقوال أبي بكر الرازي الجصاص الحنفي التي مر ذكرها، ويذكر أنه لم ينقل عن الشافعي أنه طعن في قول المفسرين أن معنى الاية الا تجوروا والا تميلوا ولكنه ذكر فيه وجهاً آخر. وقد ثبت في أصول الفقه أن المتقدمين اذا ذكروا وجها في تفسير الاية فذلك لايمنع المتأخرين من استخراج وجه آخر في تفسيرها. وان الشافعي جعل كثرة العيال كناية عن الميل والجور، لما ان كثرة العيال لاتنفك عن الميل والجور فجعل هذا تفسيراً له لاعلى سبيل المطابقة، بل على سبيل الكتابة والاستلزام ، وهذه طريقة مشهورة في كتاب الله (٢١).

وأبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المالكي يورد زعم ابن العربي المالكي صاحب «احكام القرآن » أن « عال» على سبعة معان لا ثامن لها، ويقرر ان هذا الحصر لايصح .وان « عال» كثر عياله ذكره الكسائي وابوعمر الدوري وابن الأعرابي

(٢٠) جارالله محمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة (٥٣٨هـ/١١٤٣م)، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ٤ج ، دار الكتاب العربي، بيروت، ج١، ص٤٦٨-٤٦٩.

(٢١) ابو عبد الله محمد بن عمر المعروف بأبن الخطيب المتوفى سنة (٦٠٦هـ/ ١٢٠٩م) التفسير الكبير، ١٦م، ٣٢ج ، دار الكتب العلمية، طهران، ط٢، ج ٩، ص١٧٦-١٧٩.

سئل ابو عمر الدوري عن هذا وكان اماماً في اللغة غير مدافع ، فقال: هي لغة حمْير ، وانشد :

وان الموت يأخذ كل حي بلا شك وان أمشى وعالا

يعني وان كثرت ماشيته وعياله (٢٢).

أما أبو حيان الأندلسي صاحب البحر المحيط فيورد اقوال المفسرين ومنهم الشافعي في تفسير الجملة القرآنية (ذلك أدنى الاتعولوا) ، ويذكر أنه قد رد على الشافعي في قوله من جهة المعنى ومن جهة اللفظ . ويفند أبو حيان الأندلسي اقوال مخالفي الشافعي في تفسيره من جهة المعنى ثم من جهة اللفظ ، ويستشهد بقول الكسائي وببيت الشعر الذي أنشده أبو عمر الدوري . وينقل أبو حيان الأندلسي كلام الزمخشري في هذه المسألة مع الخصومة الشديدة التي بينهما في تضاعيف البحر المحيط . وكلام الزمخشري فيه ثناء واضح على الشافعي ، ويذكر أبو حيان الأندلسي ان طلحة بن مصرف الهمذاني الكوفي قرأ« الاتعيلوا» بفتح التاء، أي لاتفتقروا من العيلة كقوله (وإن خفتم عيلة) . ويذكر أبو حيان الأندلسي ان طاووساً قرأ «ألا تعيلوا» من أعال الرجل اذا كثر عياله . وهذه القراءة تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده ، (٢٣) .

أما ابن جزي الكلبي الأندلسي فيورد تفسير جمهرة المفسرين للجملة القرآنية (ذلك أدنى الا تعولوا) وتفسير الشافعي دون ذكر اسمه ، ويستعمل صيغة المبني للمجهول دلالة على ضعف ذلك عنده، وبغير تعليق أو تعقيب على شاكلة قوله: «ذلك أدنى الا تعولوا» الإشارة الى الأقتصار على الواحدة، والمعنى ان ذلك أقرب الى الا تعولوا . ومعنى تعولوا تميلوا ،وقيل يكثر عيالكم» (٢٤) .

(٢٢) ابو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفى سنة (٦٧١هـ/ ١٢٧٢م) الجامع لأحكام القرآن، ١٠م، ٢٠ج دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧م ج ٥ ، ص٢٠- ٢٢ .

(٢٣) اثير الدين محمد بن يوسف بن علي الغرناطي الجياني الشهير بأبي حيان الأندلسي المتوفى سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، البحر المحيط ، ٨م ، ٨ج ، مكتبة ومطابع النصر الحديثة، الرياض، ج٣، ص١٦٥-١٦٦.

(٢٤) محمد بن احمد بن محمد بن جزي الكلبي الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة (٧٤١هـ/ ١٣٤٠م)، كتاب التسهيل لعلوم التنزيل ، ٢م، ٤ج المكتبة التجارية الكبرى بمصر القاهرة ، مطبعة مصطفى محمد ،ط١ ١٩٣٦م، ج ١ ، ص١٣٠

مما تقدم نستطيع ان نقول ان موقف أبي اسحاق الزجاج وابي بكر الرازي الجصاص الحنفي وابن العربي المالكي وابن قيم الجوزية الحنبلي من تفسير الشافعي غير دقيق وفيه تحامل على الشافعي مع تفاوت بينهم في ذلك .

فالشافعي لم يطعن في تفسير جمهرة المفسرين لمعنى العول ولكنه ذكر وجها آخر ، وله الحق في ذلك .

وأن «عال» كثر عياله ذكره الكسائي وابو عمر الدوري وابن الأعرابي، وذكر أبو عمر الدوري أنها لغة حمْير وانشد بيتاً من الشعر .

والكسائي زعيم مدرسة الكوفة في النحو واللغة. وهو من القراء السبعة .

وابو عمر الدوري البغدادي المقرىء الأزدي روى عن الكسائي وغيره، وكان إماماً في اللغة غير مدافع .

ومحمد بن زياد المعروف بابن الأعرابي الكوفي كان أحفظ الناس للغات والأيام والأنساب، وكانت طرائقه طرائق الفقهاء والعلماء .

والشافعي لم يخالف المفسرين، فقد سبقه بمقالته هذه زيد بن أسلم العدوي المدني من كبار التابعين بالمدينة ، وابنه عبد الرحمن واشهر من أخذ التفسير عن زيد بن أسلم ابنه عبد الرحمن، ومالك ابن أنس امام دار الهجرة صاحب المذهب المعروف.

وقراءة طاووس« الا تعيلوا» بضم التاء من أعال الرجل اذا كثر عياله تعضد تفسير الشافعي من حيث المعنى الذي قصده .

اذن ، لاوجه لتشنيع من شنع على الإمام الشافعي جاهلا باللغات والآثار.

وكان الشافعي رحمه الله قد خرج الى البادية، وتعلم كلام هذيل. وقال ابن هشام صاحب المغازي: الشافعي ممن يؤخذ عنه اللغة. وكان ابن هشام بمصر كالأصمعي بالعراق

وقال ابو عثمان المازني : الشافعي حجة عندنا في النحو .

وسمع الأصمعي يقول: صححت اشعار الهذليين على شاب من قريش بمكة يقال له: محمد بن إدريس الشافعي .

وسئل ابو عمر غلام ثعلب عن حروف أخذت على الشافعي مثل قوله: ماء مالح ، ومثل قوله: (ذلك أدنى الا تعولوا) أي لايكثر من تعولون .... فقال : كلام الشافعي فصيح (٢٥).

والواقع انني لاأرى تناقضاً بين ماذهب اليه الشافعي رحمه الله وبين ماذهب اليه جمهور المفسرين .

ومعلوم ان الإسلام يحث على الزواج، وان الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم أمر المسلمين ان يتناكحوا ويتناسلوا لأنه يباهي بالمسلمين المؤمنين الأمم يوم القيامة.

وان الله سبحانه هو الذي يتكفل بالأرزاق عقيدة عند المسلم. ولكن في القرآن الكريم والسنة المطهرة مايؤكد ان الله سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقبض الرزق ويقدر لمن يشاء من عباده . وهذا قانون إلهي ينطبق على المسلم والكافر. وقد يكون رزق المسلم واسعاً أو مضيقاً فيه . وهذا الوضع ينطبق على الكافر أيضاً. وقد يكون رزق الكافر أوسع بكثير من رزق المؤمن. وفي المجتمع الإسلامي لايكون المسلمون جميعاً سواء في الثروة . منهم الغني ومنهم متوسط الحال ومنهم الفقير. ومعلوم أن الدولة الإسلامية تعمل جاهدة للقضاء على الفقر واتاحة الفرصة لجميع رعاياها للحصول على الغنى والثروة. والإسلام لايحارب الغنى والثروة بدليل وجود من يدفع الزكاة والصدقات .

والأحكام الشرعية عندما شرعها الشارع وهو الله سبحانه وضعت أوشرعت لجميع المكلفين دون فرق بين غني وبين فقير وبين رجل وبين امرأة الا بوجود نص من الشارع الحكيم .

فالصلاة فرض على جميع المسلمين البالغين العاقلين لافرق بين غني وفقير وبين رجل وبين امرأة. أما الحائض والنفساء فإنهما تتوقفان عن اداء الصلاة لوجود نص في ذلك.

---

(٢٥) ابو بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة (٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م)، مناقب الشافعي ٢م، ٢ج ، تحقيق السيد أحمد صقر ، مكتبة دار التراث، القاهرة، دار النصر للطباعة ط١ ، ١٩٧١م، ج ١، ص٩٥، ج٢، ص٤٣، ٤٤، ٥١، ٥٢ .

وتحديد عدد الزوجات الحرائر بأربع لكل مسلم حر بغض النظر عن الغنى أوالفقر أو توسط الحال حكم شرعي. وكذلك تحقيق العدل حكم شرعي في حال الزوجة الواحدة وفي حال التعدد انتهاء بأربع ،لأن الله يأمر بالعدل والإحسان مطلقاً.

وفي الحديث الصحيح : (ماعال من اقتصد)، (أن تدع ورثتك أغنياء خير من أن تتركهم عالة يتكففون الناس)، (والأقتصاد في النفقة نصف العيش) .

ومعلوم ان الغني من المسلمين أقدر من الفقير على تعدد الزوجات الحرائر ، وكذلك الحال بالنسبة الى التسري بملك اليمين من الإماء الجواري . وهذا باب لتحرير الرقيق يحفز عليه الإسلام . والمشكلة بالإضافة الى الغني لاتكمن في الإنفاق على الحرائر الأربع والسراري بدون تحديد ، وانما تكمن في تحقيق العدل بين زوجاته الحرائر وفي رعاية السراري والرفق بهن أو مايسمى بحسن الملكية .

أما المشكلة بالإضافة الى الفقير ان كان قادراً على تعدد الزوجات فتكمن في الإنفاق عليهن اولا وتحقيق العدل بينهن ثانياً ، لأن الإنفاق على المرأة الحرة حكم شرعي ، وكذلك حصول العدل .

وبناءً على ذلك ، فإن تفسير (ذلك أدنى الاتعولوا) : ذلك أقرب الا تجوروا وتميلوا وتظلموا، وهو ماذهب اليه جمهرة المفسرين ، ينصب في الغالب على الأثرياء من المسلمين الذين هم أقدر من غيرهم على تعدد الزوجات الحرائر والتسري بالسراري.

ويكون تفسير الإمام الشافعي (ذلك أدنى الا تعولوا) : ذلك أقرب ألا يكثر عيالكم ، منصباً على الفقراء ومتوسطي الحال والعلماء من المسلمين . لأن كثرة العيال عند هذه الفئات ينتج عنه عجز عن الإنفاق. وفي ذلك مخالفة لحكم شرعي بالإضافة إلى الحرائر دون الإماء الجواري . والعجز عن الإنفاق يدفع الى الجور والميل والظلم غالباً. وبهذا ندرك وجاهة التفسير الذي ذهب اليه الشافعي، وانه مكمل للتفسير الذي ذهب اليه الاكثرون من المفسرين .



اشكالية المصطلح
في الدراسات اللغوية المعاصرة في العراق
مصطفى جواد نموذجاً

الدكتور محمد عبد المطلب البكاء
كلية الاداب — الجامعة المستنصرية

العربية عند الدكتور مصطفى جواد: «لغة جسيمة عظيمة قويمة لأمة كريمة »(١). تبنته فكان من أكرم ابنائها براً بها ، وحدبا عليها، غيوراً على حرمها يحرسه بمين ويذود عنه بساعد، مكنه من ذلك ملكة تكمن في الملحظ الذي اهتدى اليه، والمنهج الذي اعتمده ، وثروة لغوية تعود مصادرها، الى :

١ — حبه الشديد للغة العربية وعلو مكانتها في نفسه ، ذلك العلو الذي أفصح عنه في أكثر من مناسبة وكان السبب الرئيسي لكل اسهاماته التي هدف من ورائها خدمة اللغة العربية.

٢ — احاطته الشاملة والواسعة لأغلب مافي هذه اللغة من أسرار ودقائق ، وتذوقه لما فيها من سحر وبيان، وشاعرية وسعة اشتقاق .

٣ — اشتغاله بتعليمها أكثر من خمس واربعين سنة ، وقد جعله هذا يعايش عن قرب مشكلاتها ومشكلات دارسيها، ومايقف في طريق نحوها وازدهارها وبحكم على أغلب الجهود المبذولة في تنميتها واستفراغ الطاقة في تعليتها لأنها كما يرى: «لاتزال فاترة، غير قادرة على السير في طريق الحضارة البشرية الجديدة فضلا عن مسايرتها اياها جنباً الى جنب ، كما هو اليوم شأن اللغات الحية

المتمدنة الأخريات، عراها ذلك الفتور، واصابها ذلك العجز، مع انها من اللغات المنطوية على عناصر الحياة الكامنة فيها قوة النماء والأنتشار والأزدهار»(٢).

ان هذه المصادر الثلاث التي كانت وراء اهتمام مصطفى جواد باللغة العربية كانت في جانبها الاخر سبباً في دفعه الاهتمام بتدارس مشكلاتها والأسهام بتذليلها، ليضاف جهده مع جهد من سبقوه أو عاصروه ليؤدي الى غاية نبيلة، ألا وهي خدمة (اللغة العربية) كما دفعه ذلك الى تقويم الجهود المبذولة في سبيل تنميتها من قبل الاخرين لتؤدي اسهاماته في هذا اوذاك الى الغاية التي سعى من اجلها ووقف حياته عليها (٣).

ان مشكلة (المصطلح العلمي) عند الدكتور مصطفى جواد هي أولى مشكلات اللغة العربية في هذا العصر، ويصفها بالكبرى لأتصالها بالسيرة العلمية. أما أسباب نشوء هذه المشكلة فهي :

١ ـ النهضة الحديثة في العالم العربي في السياسة وفي العلم وفي الأدب .(٤)
لأن هذه اللغة لم تشهد عصراً أحفل بالعلوم والفنون والصناعات من هذا العصر الذي لاتنفك فيه ملكات الإبداع وقوى الأختراع واليد الصناع ، تقوم عن اشياء كثيرة المنافع للانسان في سيرته العقلية ، وسيرته العلمية، وسيرته الأجتماعية، وغيرها من ضروب السير الأخر كالسيرة العسكرية ، والسيرة الصحية، فألوف كلمات إفرنجية في علم الحيل (الميكانيك) والطب، ولتشريح، والطبيعيات ، والكيمياء ،والرياضيات. ومنها الهندسة على اختلاف انواعها والقوانين العدلية ، والقواعد التجارية والمالية، والفلسفة، وعلم النفس ، والتربية الحديثة، والتعبئة والقتال، والفنون :

كالحكاية المشهودة (التمثيل المسرحي)والحكاية المصورة (التمثيل السينمي) وغيرها ، مابرحت تنتظر اصطلاحات عربية تقابلها (٥).

٢ ـ التقصير في اغفال كتب التراث العربي ، وعدم الألتفات الى الأشياء التي عالجها القدماء ، والمعاني التي اخترعها الأسلاف ، والفنون التي عالجوها وضمنوهـا

كتبهم، ويضرب مثلا لذلك بـ(أصحاب السماجة) قال: « فالسماجة وردت في كلام الكاتب أبي حيان التوحيدي وهو يصف الصاحب بن عباد، وذلك حيث يقول وهو في كل ذلك يتشاكى ... ويتفاتل ويتمايل ... ويخسرج في أصحاب السماجات» (٦) وقد مرت كلمة « السماجات» من سمع مصححي الكتاب ومخرجيه أو مرت بها اعينهما فلم يعرفا ماأراد الكاتب بها وتركاها غفلا لاسمة عليها ولاشرح وظنا ان معنى « السماجات » هو كثرة مايراد بالسماجة وهو القبح فكأنه قال : « أصحاب المقابح » والحقيقة أن « اصحاب السماجة» هم حكاة هزالون مضحكون أي ممثلون هزليون ، ويعتمدون في فنهم على برقشة ملابسهم وغرابتها وغرابة حركاتهم ، ولهم صور في ذلك ، عرفوا بهذا الأسم منذ أوائل القرن الثالث للهجرة، وفيهم يقول عبد الله بن المعتز :

تميل في رقصهم قدودهم كما تثنت في اربح سروات
وركب القبح فوق حسنهم وفي سماجاتهم ملاحات

أتيت بذلك مثالا لتقصير اللغويين في تقييد الأصطلاحات على اختلاف ضروبها واصولها حتى العربية الأصل منها ، وكان عليهم ان يجمعوا عامة ماورد منها في كتب العلوم والفنون والأدب ولاسيما دواوين الشعر المتأخر الأزمان ، فأن تلك الأصطلاحات تحمل قسماً كبيراً من حضارة العرب والأسلام ، وتعين على فهم كثير من الأمور المستبهمة علينا في تراث الأمة العلمي وتراثها الأدبي وتراثها الفني .(٧)

٣ — قلة ماسجل من الأصطلاحات في المؤلفات العربية ، على الرغم من أن أفراداً من فضلاء القدماء قد بذلوا مجهودهم في تسجيل قسم من الأصطلاحات كالخوارزمي مؤلف كتاب(مفاتيح العلوم) والجرجاني صاحب كتاب(التعريفات) ومحمد علي الهندي التهانوي مؤلف كتاب «كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم» وشهاب الدين أحمد الخفاجي المصري المتوفي سنة(١٠٦٩هـ) جامع كتاب «شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل» وقد سبقه الى هذا النوع من انواع اللغة الجواليقي البغدادي في كتابه (المعرب) الا ان تباعد عصورهما جعل كتاب (شفاء الغليل) يطفيء بعض الغلة في العطاشى الى الأصطلاحات .

ونحن اذا اعتبرنا ماورد في هذه الكتب وفي غيرها مما يصح ان يقع عليه اسم (الأصطلاح) او(المصطلح) ألفيناه قليلا بالأضافة الى ماانبث منها في الكتب العربية ودواوين العرب، ووجدنا قسماً منه تقل الحاجة اليه لأنه مجموعة نقول مأخوذة من فصول الكتب كما في (كشاف اصطلاحات الفنون) فهو في كتب دوائر المعارف أدخل منه في كتب المصطلحات (٨) .

٤ — قصور الترجمة قديماً وحديثاً: فإن المترجمين الأولين اي القدماء لم يكونوا على حظ وافر من العربية فلذلك استسهلوا نقل مصطلحات العلوم والفنون والصناعات بأعيانها في الغالب ولو كانوا من الفوقة في اللغة لعصموها من كثير من هذه الألفاظ الأعجمية البغيضة ، كما فعل المترجمون الذين جاءوا بعدهم فأصلحوا نقلهم وترجمتهم ولم يغيروا من مصطلحاتهم الا القليل لأن الإستعمال كان قد ذهب كل مذهب ، وشرق بها وغرب ، فلم يروا فائدة في الأستدلال بعد فوات إبانه وانصرام زمانه . (٩)

ان الأصطلاح العلمي والفني في العصر الحديث يعتمد على المعرفة بلغات الحضارة الجديدة كالأنكليزية والفرنسية والألمانية واتقان اللغة العربية الفصيحة ولم يكن في العراقيين في أول النهضة اللغوية الحديثة (١٠) من أختص بالمصطلحات المذكورة ولامن الم بها لأن العناية كانت مصروفة الى اللغة التركية لغة المسيطرين على العراق، واستعملوا في مخاطباتهم ورسمياتهم ومصطلحاتهم التي هي مزيج من التركية والعربية على النحو الذي يتخذونه ويفهمونه كتسميتهم « ديوان العشر» المستوفي لعشر التجارات وغيرها« احتساب ميري » أي « المكس الأميري» ، و«التذكارات العسكرية» للتجهيزات العسكرية وماتحتاج التعبئة اليه (١١).

أما ماترجم من الألفاظ السياسية والمصطلحات المالية والعسكرية وجملة من الكلم العلمية فإن قسماً غير قليل اسيئت ترجمته ، وقصور المترجمين في البحث عما يقابله من العربية، وذلك لضعف هذه اللغة عندهم، والمترجم اذا ضعفت عنده احدى اللغتين كثرت اساءته في الترجمة، فنحن لانزال نقاسي الأذى مما

خلفه التراجمة المشار اليهم مع اعترافنا بفضلهم وسبقهم الى افادة العرب . (١٢)

٥ — الأقوام الذين عاشوا بين العرب في اوطانهم ولايتصلون بهم في خلق ولادين ولا شعور والذين كانوا يتعمدون استعمال الأصطلاحات الغربية، ويتوفرون على اذا عتها بين الناس ليوهنوا هذه اللغة الأصيلة ، ويسيئوا الى اهلها بسبيل غير منظور وبذلك اصبحت اللغة تحت وطأة جمهرة من الكلمات الثقيلة البغيضة غير العربية كالكمبيالة والديزيتو،والسيكورتاه، والجيرو، والجيكنيك، والفالسو، والطابو والتياترو، والكورنيش،والبروتوكول، والأتيكيت، والأتوماتيك، والميكانيك، والفونتيك، والدبلوم، والدبلوماسية، والكلاسيك، والكلاسيكي، واللسيانس والماكياج، والدوبلاج، والبلاج، والكراج، وعشرات أخرى من الكلمات (١٣)

٦ — عدم وحدة المصطلح في الأقطار العربية ، فالقسم الذي اصطلح عرب هذا العصر على تسميته بأسماء عربية لايزال مختلفاً في تسميته ، في الأقطار العربية، أو في القطر الواحد منها بحيث تمتنع تسمية الكلمة منه اصطلاحاً ، لأن شرط الأصطلاح اتفاق اثنين أو أكثر عليه (١٤) .

ان حاجة اللغة العربية الى المصطلحات مسألة اتفاق لدى الباحثين اللغويين العرب على الرغم من تباين الاراء والأجتهادات في حل هذه المشكلة التي تعد من أكبر مشكلات العربية في العصر الحاضر إذ: « يمثل المصطلح نوعاً من مشاغل العربية وهمومها ويرتبط بجملة من هذه الهموم ، فهو من ناحية استكمال لأنتشار العربية داخل الوطن العربي، وهو من ناحية أخرى ، استيفاء لعوامل نشرها خارج البلاد العربية، ثم هو من ناحية ثالثة ، محاولة لطرد الأزدواجية اللغوية في أرقى الطبقات العلمية العربية» (١٥) .

وفي العراق يعد الأب انستاس ماري الكرملي أول من تكلم على المصطلحات العلمية أيام النهضة اللغوية الحديثة ، فقد أصدر ببغداد في (تموز ١٩١١م) مجلة عربية سماها: « لغة العرب» عالج فيها اللغة والأدب والمصطلحات والتأريخ العراقي (١٦) وفيما يخص (المصطلح) قال في أول جزء منها: « لاندع ديواناً من دواوين هذه

المجلة الا ونورد فيه شيئاً من المصطلحات الحديثة ، والأوضاع العربية الطريفة ، مما يوسع لغتنا الشريفة، ويحدو بنا الى مجاراة الأقوام المتقدمة في الحضارة المنيفة بما يستحدث فيها من الموضوعات العصرية ، والمدلولات العقلية، والأدوات . الفنية أو الصناعية والأفكار العلمية التي لامقابل لها ولامرادف في لساننا في هذا العهد، لأنقطاع نظام العقد بكثرة ماانتاب هذه الربوع من النوائب والرزايا وانقطاع ديارنا عن معالم الحضارة ومعاهدها الغربية التي مازالت في سير حثيث شديد وتقدم وتجدد وتوسع وتولد، ونحن لانزال في ريث وئيد ووقوف وجمود وخمود وركود (١٧) .

وسار على أثر الأب الكرملي الباحث رزوق عيسى الذي آلمه تهافت أقوامنا على إدخال الألفاظ الغربية على لغتنا العربية بسبب افتقار هذه اللغة اليها ولاسيما في الامور المستحدثة أو المستنبطة في هذه العصور الأخيرة» (١٨) والدكتورأمين المعلوف الذي يعد أول من عني بالمصطلحات العلمية والفنية بالعراق بعد الأحتلال البريطاني(١٣٣٥هـ ـ ١٩١٧م) وكان من أصحاب الملك فيصل الأول فأنتقل معه الى سورية ثم العراق فرتبه فيصل الأول مديراً للأمور الطبية في الجيش العراقي فصرف همته الى البحث عن مصطلحات عربية تقابل المصطلحات العسكرية الأنكليزية في الرتب والفنون الحربية، وألف في ذلك معجماً يجري ، مجرى الأقتراحات، ومالبثت تلك الأقتراحات ان ثبتت واستعملها الجيش العراقي وكان المعلوف فيما قبل الحرب الكبرى الأولى ينشر في مجلة (المقتطف) مصطلحات في الحيوان والنبات .(١٩)

وممن عني بالمصطلحات العلمية في العراق الأستاذ عز الدين التنوخي ففي سنة (١٩٢٤م) أخذ في ترجمة الألواح التشريحية وغيرها مما استجلب من أوربا لإيضاح الدروس في المدارس، ودرس انواع الأحجار والصخور فترجم أسماءها الأجنبية الى العربية ،وفي سنة (١٩٢٦م) ندبه الأستاذ ساطع الحصري الى نقل كتاب في الطبيعيات للفرنسي (فرنان) الى اللغة العربية وسماه(مبادىء الفيزياء (٢٠).

وممن اشتغل بالمصطلحات بالعراق عبدالمسيح وزير مترجم وزارة الدفاع

العراقية اذ زاد جملة من الأصطلاحات العسكرية على ماوضعه الدكتور أمين المعلوف . والدكتور محمد أكبرخان (بيطار هندي كان ضابطاً بيطرياً ببغداد) الذي ألف كتاب (الأقرباذين البيطري (٢١) وذكر فيه جميع مايختص بالطب البيطري من المصطلحات الأنكليزية شفوية بما يقابلها في العربية (٢٢) .

ولم تقف العناية بالمصطلح العلمي في العراقي على الجهود الفردية . اذ حاول -المعهد العلمي- ببغداد في سنة ١٩٢٥م ان يؤسس مجمعاً لغوياً فدعا جماعة من رجال العلم والأدب الى اجتماع عقدوه في (٢٣ كانون الثاني ١٩٢٥م) فعرض عليهم الأديب ثابت عبد النور فكرة إنشاء المجمع اللغوي فقرروا بالإجماع مايأتي «... بعد المداولة في موضوع تأسيس مجمع لغوي يقوم بتعريب الكلمات وإيجاد الأصطلاحات العلمية وترجمة الكتب التي يحتاجها العالم العربي قررنا ان تأسيس مجمع علمي لتحقيق هذه الأمنية من الضروريات الحيوية للغة العربية ونهضة البلاد ....» (٢٣)

وفي سنة (١٩٢٦م) أنشأت وزارة المعارف العراقية مجمعاً لغوياً ووضعت له اعتماداً مالياً في ميزانية (١٩٢٦) وصدق المشروع مجلس الوزراء وأقره مجلس الأمة، ووجه وزير المعارف بكتاب الى الشاعر معروف الرصافي والأب الكرملي يبلغهما بأنتخابهما عضوين لهذا المجمع، ويرجو اجتماعهما لأنتخاب بقية الأعضاء، وبعد أن تم لهما انتخاب بقية الأعضاء ، وضع المجمع الجديد منهجاً لعلمه دعاه «تعليمات الأصطلاحات العلمية في وزارة المعارف» ومماجاء فيها :

— تنظر اللجنة في الاصطلاحات العلمية والأدبية وكل مايجد ويحدث من الكلمات في اللغة ، وخاصة في الاصطلاحات التي تستعمل في المدارس والكتب المدرسية ، وبالجملة تسعى الى كل مايؤدي إلى إصلاح اللغة وتوسيعها وإنهاضها الى مستوى لغات العلم والأدب في العصر الحاضر ، وتنظر في الكتب المدرسية وغيرها مما يعرض عليها وتبدي رأيها فيها من وجهة اللغة والاصطلاحات العلمية .

— تستشير اللجنة في المسائل المهمة والمصطلحات الجديدة التي تضعها المجامع

العلمية في مصر وسوريا ليحيطوا علماً بها ، ويبدوا فيها رأياً وبعد تلقي آرائهم تعيد نظرها فيها ثم تقرر قرارها النهائي (٢٤) .

وفي سنة (١٩٣٤م) تأسس في بغداد نادي أدبي علمي أطلق عليه اسم : (نادي القلم العراقي) يهدف الى تعارف المؤلفين وحملة الأقلام وإحكام الروابط بينهم وتعزيز الأدب العربي وكان أول رئيس له الشاعر جميل صدقي الزهاوي ، وبقي هذا النادي حتى قيام ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨م . وكانت تلقى فيه المباحث والمحاضرات إلا أنها لم تكن تهتـم بالمشكلات اللغوية ، إذ كان توجهه أدبياً ثقافياً .

وفي سنة (١٩٤٥م) أسست وزارة المعارف العراقية لجنة لمؤازرة المؤلفين والمترجمين والناشرين دعتها (لجنة التأليف والنشر) واستمرت الى سنة (١٩٤٧م) ، إلا أنها لم تقدم شيئاً بخصوص المصطلح العلمي أو مشكلات اللغة العربية الأخرى .

بعدها نظرت وزارة المعارف العراقية الى منزلة العراق في البلاد العربية قديماً وحديثاً وما ينبغي من توسيع نطاق النشاط العلمي ومجاراة الأمم الناهضة في مضامير الارتقاء فألغت (لجنة التأليف والنشر) وأنشأت (المجمع العلمي العراقي) في (٢٦ تشرين الثاني ١٩٤٧) . بدلاً منها وعلى نمط آخر أبعد هدفاً وأوسع عملاً وأجدى نفعاً . وقد أشارت المادة الثانية من نظامه رقم (٦٢) لسنة ١٩٤٧م الى :

أ ــ العناية بسلامة اللغة العربية ، والعمل على جعلها وافية بمطاليب العلوم والفنون وشؤون الحياة الحاضرة .

ب ــ البحث في العلوم والفنون الحديثة وتشجيع الترجمة والتأليف فيها وبث الروح العلمية في البلاد .

وقد أوجز مصطفى جواد أعمال المجمع العلمي العراقي بالقول أن : « من أعمال المجمع الأصلية بذله الرعاية للمصطلحات والعناية بها » ليلتقي بذلك مع نظيريه (المصري) الذي أسس في سنة ١٩٣٢م و(السوري) الذي أسس في سنة ١٩١٩م وركزا على المحافظة على سلامة اللغة العربية والنظر في أوضاعها العصرية ونشر آدابها واحياء مخطوطاتها وتعريب ماينقصها من كتب العلوم والصناعات والفنون وجعلها وافية بمطالب العلوم (٢٥) .

وهذا مادفع الدكتور شكري فيصل للقول : « لعل البذرة الأولى لتأسيس المجامع اللغوية العربية كانت قضية المصطلح ، كان ذلك في الشام وكان كذلك في مصر ثم تتابع في العراق والأردن» (٢٦)

إن معالجة مصطفى جواد لمشكلة (المصطلح العلمي) الذي تحتاجه العربية لم تولد من فراغ ، فقد سبقته كما رأينا جهود فردية وجمعية نهضت بها مؤسسات علمية ولغوية وقدمت مقترحات وجيهة لإثراء العربية وتحرير ألفاظها العلمية بإيجاد مايقابلها في اللغة العربية عن طريق (التوليد) وذلك بطرائق عديدة هي : الاشتقاق والمجاز والنحت والتركيب أو (الترجمة) .

لقد إنحصرت جهود مصطفى في معالجة مشكلة المصطلح العلمي في متابعة ماقدم من آراء ومقترحات لمعالجة هذه المشكلة التي شخص أسبابها بعناية بالغة ، ونقدها أو الإضافة إليها ، كذلك دراسة ماألف في المصطلحات لبيان صلاحيتها ومدى مطابقتها للدوال التي تشير اليها وإنسجامها وقواعد اللغة العربية وروحها وحسن بيانها ، ثم اقتراح بعض الحلول التي رآها ضرورية لاستكمال معالجة هذه المشكلة البالغة الخطورة والأهمية بعد أن : «أنقض ظهر اللغة العربية ديون قرون من الاصطلاحات ، وفاتها أزمان إصلاحات عدة وتخلف عن ركب الحضارة الحافد بتخلف أهلها وذهاب سلطانهم ، وتضاؤل إيمانهم بحقهم في الاستقلال ، وترادفت عليها نوائب الزمان ، باستيلاء الأعاجم والأفرنج على بلادها واستفحال اللهجات العامية في أقطارها وأمصارها »(٢٧)

إن إثراء اللغة العربية بالمصطلحات الضرورية التي تحتاجها في حياتها الحافلة في هذا العصر والاستغناء عن المصطلحات الأجنبية التي بدأت تتوالد بنسب كبيرة نتيجة التقدم العلمي يتم عبر طريقين ، أحدهما : (الترجمة) ، وقد سبق أن بينا رأي مصطفى جواد بالترجمة قديماً وحديثاً كما أنها طريق لانلجأ اليه إلا إذا أعيتنا الحيلة ولم تسعفنا اللغة في توليد المصطلح العلمي الذي نحتاجه ، والثاني : (التوليد) وما يتفرع عنه من (اشتقاق ومجاز وتعريب ونحت وتركيب) والذي أنحصرت جل الدراسات اللغوية العربية بدراسته ، الإهتمام به لأنه يتصل بقدرة اللغة العربية وحيويتها واستجابتها لمتطلبات العصر . كما تباينت آراء الدارسين بشأنه والتعامل معه وتغليب بعضه على بعض .

لذا سنتعرض في دراستنا هذه لأهم طرق التوليد :
(الإشتقاق ـ التعريب ـ النحت والتركيب) مولين في هذا الجانب، اهتماماً خاصاً بآراء الدكتور مصطفى جواد ومعالجاته .

الاشتقاق

يعرف الاشتقاق : «بأنه أنتزاع كلمة من كلمة أخرى على أن يكون ثمة تناسب بينهما في اللفظ والمعنى» . وقد أولاه علماء اللغة والصرفيون خاصة عنايتهم لأنه يساعد على إيجاد الجديد وبالتالي يمد اللغة بأسباب الحياة والنمو . وقد جاء في أقوال المؤتمر الأول لاتحاد المجامع اللغوية والعلمية : انه العون الأكبر والملاذ الأخضر للغة العربية اليوم في إعداد المصطلحات العلمية والفنية والأدبية وينبغي الإستفادة من جميع ألوانه وأبوابه الواسعة (٢٨) .

لذا فإن الاشتقاق يعد من أهم الوسائل لتوليد الألفاظ والصيغ ، والصلة بينه وبين القياس وثيقة ، لأن الاشتقاق هو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى ، أمّا القياس فهو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية لكي يصبح المشتق مقبولاً معترفاً به بين علماء اللغة ، فالقياس هو النظرية والاشتقاق هو التطبيق (٢٩) . وقد أولى الباحثون اللغويون من قدماء ومحدثين الاشتقاق عنايتهم لأنه يمد اللغة بالحياة الدائمة والنمو المتواصل ، قال أسعد داغر : «أنّ الاشتقاق هو اللغة وانّ اللغة هي الاشتقاق ، وهو قوامها وعمادها» (٣٠) .

وأتخذ مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، قراراً بإجازة الاشتقاق من أسماء الأعيان للضرورة في لغة العلوم ، مع مراعاة القواعد التي سار عليها العرب عند الاشتقاق من أسماء الأعيان (٣١) . ثم اتخذ بعد ذلك قراراً آخر : بالتوسع يجعل الاشتقاق من أسماء الأعيان جائزاً من غير تقييد بالضرورة (٣٢) .

وفي عام (١٩٢٦م) أقرت اللجنة التي شكلتها وزارة المعارف العراقية في مواد عدتها قواعد ودساتير تتبعها فيما تضعه وتقرره من المصطلحات العلمية والكلمات اللغوية ، ومن هذه القواعد المتعلقة بالاشتقاق :

أ ــ إن الاشتقاق قياسي في اللغة قياساً مطلقاً في أسماء المعاني التي هي عرضة لطروء التغير على معانيها ، ومقيداً بمسيس الحاجة في الجوامد .

ب ــ إن وضع الكلمات الحديثة في اللغة يجري إما على طريقة : الاشتقاق ، وإما على طريقة : التعريب ، ولا مانع من الجمع بينهما كما في (مسرة) و(تلفون) ويرجع الى النحت عند الحاجة .

جـ ــ لايذهب الى الاشتقاق في وضع كلمة حديثة إلا إذا لم يعثر في اللغة على مايؤدي معناها بخلاف التعريب فانه يجوز تعريب كلمة أعجمية مع وجود اسم لها في العربية كما هو الشأن في أكثر المعربات الموجودة في اللغة .

د ــ يشترط في الكلمات التي تختار من كتب اللغة ليعبر بها عما حدث وتجدد أن تكون مأنوسة غير نافرة ، والا وجب تركها والذهاب الى طريقة الاشتقاق أو التعريب (٣٣) .

ويعد الأستاذ ساطع الحصري (الاشتقاق) من أهم الوسائل التي يمكن الإستفادة منها لتكوين كلمات جديدة بقصد الدلالة على معان جديدة وهذه الوسائل تتلخص في طرق ثلاثة : الاشتقاق ، والتعريب ، والنحت ، قال : « ولا ريب في أن الاشتقاق هو أهم هذه الوسائل الثلاث لأنه الأفعولة الأصلية التي كونت اللغة العربية ، فستبقى هذه الأفعولة بطبيعة الحال أهم الأفاعيل التي ستعمل على توسيعها ، زد على ذلك ان عملية الاشتقاق تشمل الوسيلتين الآخريين ، ومع هذا لاشك في أن الاشتقاق وحده لايكفي لتوليد الكلمات التي يحتاج اليها التفكير البشري ، لأن عمله مقصور على أوزان وقوالب معينة وهذه الأوزان والقوالب مهما كانت كثيرة وولودة لاتستطيع أن تستوعب جميع المعاني العقلية (٣٤) .

أما الدكتور مصطفى جواد فانه يذهب الى للتأكيد على الاشتقاق في توليد المصطلحات قياساً الى التعريب والنحت ، لأن العربية عنده « لغة اشتقاقية » (٣٥) . كما أنه يرى :

١ ــ أن اللغة نظام القومية للأمة وقوامها ، وأن أرشد السبل في الحفاظ على سلامة اللغة وصحتها الاقتصاد والاستقامة فلا يجوز التفريط فيها ولا إنتقاصها ولا

الاستهانة بها بدعوى أن هذه المصطلحات جديدة وأن اللغة قديمة ، ذلك لأن اللغة العربية هي أوسع اللغات الحية اشتقاقاً وأرخاها نطاقاً (٣٦) .

٢ ـ أنّ الاشتقاق من أكثر الوسائل فائدة في إغناء اللغة وترقيتها إلاّ أنّ المجامع اللغوية لم تستطع أن تستفيد منه إستفادة تامة فاقتصرت على إقرار قواعد اشتقاقية أكثرها بديهية ، فتركت مثلاً قياسية صيغة (فعال) و (فعالة) كالإطار والغمامة والنظام والحمالة ومئات غيرها من أسماء الآلات والأدوات (٣٧) .

٣ ـ إن العالم بالاشتقاق في العربية قلما يعجزه أداء مصطلح من الاصطلاحات الغربية الاشتقاقية على الضد من اللغوي الغربي فانه يلتجيء غالباً الى التركيب المزجي والنحت أو الكسع (suffixe) أو التصوير (Prefixe) (٣٨) .

٤ ـ أن الحاجة سبب الاشتقاق ولا يمكن أن تقيد العربية بقيود الجمود في هذا العصر عصر التطّور والحرية ، وأنكر على المتشدد تشدّده في رفض صيغ اشتقاقية تؤيدها الطبيعة اللغوية وتفرضها الحاجة في العصر الحاضر لمواكبة الحياة العلمية المتطورة (٣٩) .

وقد ثبت أن التحجر الشديد في اللغة دليل على التفخر والدعوى العريضة التي لابينة لها وأن التساهل الكثير دليل على قلة العلم بها أو التقصي من تبعة الخطأ فيها ، وكلاهما مضر بالعربية مخل بالقومية . فان اللغة قوامها ونظامها . وأرشد السبل في المحافظة على سلامة اللغة وصحتها الاقتصار والاستقامة ومعنى ذلك ان التخطئة والمؤاخذة ينبغي أن تكونا على حسب المقام (فالاسلوب العلمي أشد احتياجاً إلى التساهل من الأسلوب الأدبي) وأن تعتمدا عند امتناع وجوه التأويل اللاحب والقياس المطرد والاشتقاق المستتب والتعريب الرشيق ، فأما وجوب التساهل في الأسلوب العلمي فلأن اللغة العربية حديثة الاتصال بالعلوم والفنون الجديدة وقد كان لها عصر ازدهار علمي في العصور الخالية ، كثرت فيه اصطلاحاتها ومعرباتها وزادت به مشتقاتها ودام نماؤها واستديم فناؤها وبهاؤها ولم ينته ذلك العصر المديد الا بانتهاء حركة التأليف والتصنيف العلمي فيها (٤٠) .

٥ — إن وجوب الأخذ بالإشتقاق القياسي وسيلة من وسائل ترقية اللغة العربية ، قال ذلك في رده على أسعد داغر الذي خطأ الكرملي في استعمال «وقد تطورت» ورأى أنّ الصواب : نشأت أو تحولت أو ترقّت ،وأضاف : فالتطور أيها الفاضل غير النشوء ، والنشوء غير الترقّي ، ولـم تصب إلاّ في «تحوّلت» وهـو مثـل «تطورت» في الاشتقاق والتوليد ، فالتطوّر مأخوذ من الطور ، والتحوّل مشتق من الحال ، ومن هذا القياس المطرّد «التلوّن والتكوّن والتغيرّ والتقلب» فمن ذا الذي منع اشتقاق «تطوّر» وهو من ذلك القياس ، وأيّ أعجمي يحق له أن يكبح الغريزة العربية والسليقة العدنانية عن طبيعتهما ، ونحو هذا (التزندق والتمجس والتهوّد والتنصر) فالسليقة العربية جارية أبداً وانّ قوماً مرنت لغتهم على اشتقاق الكلمات من أسماء الذوات فقالوا : (أسـّد فلان ، وتأنث الرجل ، ودنـّر الوجه) وتحجر الشيء ، وأستأنس الحمار) لأبعد الناس عن الجمود اللغوي وتعطيل سبل الرقي ، ثم انّ (التطورّ) قد اشتق منذ عهد بعيد ماضي وجرى على الألسنة ووافق روح العربية (٤١) .

٦ — أجاز التوسع في الاشتقاق وعدم خصه باسم المعنى ، قال : أنّ المادة وماجرى مجراها من مشهود ومسموع أصل للاشتقاق وأن دعوى ذلك لاسم المعنى إنما هي مستندة الى المذهب البصري في كون المصدر أصلاً للمشتقات ، فالفعل يجري مجرى المادة لكونه مشهوداً وهو سابق للمصدر وأظهر منه للشهادة والاحساس . وأضاف : لانشك في أن القول بمذهب البصريين في كون المصدر أصلاً للاشتقاق ضرب من العبث ، والجدل في اثباته نوع من المراء المضّر بالعربية في حالها ومستقبلها كما كان مضراً بماضيها ، فيجب حذفه من كتب الصرف في مدارس العالم العربي وإحلال رأي الكوفيين محله ، وتلافي ماترك في اللغة من أسواء وبلاء فهو الذي كان سنداً لقولهم « أصل الاشتقاق من اسم المعنى لامن اسم الذات » ذلك القول الباطل بتقديمه التجريد على التجسيد المضاد لطبيعة اللغات(٤٢) .

٧ — جواز الرجوع الى الكلمات القديمة المهملة في المصطلحات العلمية والمصطلحات الفنية الحديثة ، مع بعض التصرف أو الاشتقاق ان دعت الحاجة الى أحدهما

ومن البين الراهن أو المجامع اللغوية في العالمين أسست لهذا الغرض وأمثاله ، ولولا ذلك لضوئلت فائدتها حتى للتفاهة ، ولأخذت المصطلحات بأعيانها وألفاظها ، فليس بالناس حاجة الى جماعة مختارة يقولون لهم «ان الأكسبرس هوالأكسبرس (٤٣)».

واتخذ من هذا رداً على الذين يحرصون على استعمال المصطلحات الغربية ولا يجدون للاحتجاج لفعلهم حجة أقوى من أن اللغة العربية لم تعرف تلك المسميات ، وأن مااختير منها من الكلمات لايطابق تلك المصطلحات كل المطابقة ، قال : «و رد عليهم بما تفعله المجامع اللغوية الغربية من استعمال الكلم القديم للمعاني الحديثة ، وبأن (المصطلح) مأخوذ من (اصطلح القوم على كذا) فكأنهم تنازعوا في تسميته ، هذا يسميه اسماً وهذا يسميه اسماً ، ثم تخلوا عن التنازع وارتضوا اسماً من تلك الأسماء فسمي « مصطلحاً » أي مصطلحاً عليه . ولو كان الاسم بمعناه الوضعي يدل على مسماه ويحيط بأوصافه ، مااختلفت فيه الآراء ، وما سمي مصطلحاً (٤٤) . ويضرب لذلك مثلاً بالقول : في سنة (١٨٩٠م) . استطاع كليمنت أدر أحد المهندسين الفرنسيين أن يحقق أول طيران بآلة من الآلات ، سماها (آفيون)(avion) مشتقاً لها من (آفيس) (avis) اللطينية ، أي الطائر وهي الطيارة المعلومة . ثم وافق المجمع العلمي الفرنسي على استعمال هذا الاسم لتلك الآلة ،واشتق منه مصدر آفياسيون (aviation) أي الطيران .

من المعلوم أن (الطائر) ذو وجود في العالم المشهود ، وكان ينبغي أن لايؤخذ اسمه لتسمى به الآلة الطائرة الجديدة ، الا أن الذي سوغ الأخذ به ، هو كون الاسم الجديد مشتقاً من القديم ، وكون الشعب الذي يستعمل الجديد لايستعمل القديم فهو عنده بمنزلة الأسماء الميتة ، بل أن ذوي الأكثرية منه يجهلونه لأنه بلغة خاصة الخاصة وان كانت هي اللغة الأم .

ويضرب مثالاً آخر في اللغة العربية ، فيقول : أسس قطار السكة الحديد بالعراق في أيام حكم العثمانيين ،وكانت اللغة الفرنسية أشيع اللغات الغربية فيه ،فسموه (شمن دفر) بالاسم الفرنسي ، وبعد الاحتلال الانكليزي للعراق ترك الناس الاسم الفرنسي وسموه (ريل واي) ، ثم استطالوه فقالوا (ريل) حتى وضع له بعض الأدباء اسم (القطار) آخذاً

له من الجمال المقطورة وهي القطعة من الابل يلي بعضها بعضاً في السير على نسق . وقد شاع اسم القطار في مصر قبل العراق ، الا أن المصريين كانوا يسمونه بالجمع (القطر) وهو جائز ، لأن كل قسم من العربات يؤلف قطاراً ، وكان يضاف فيقال (قطار السكة الحديد) . ثم إكتفى بالقطار وحده ، وصار الناس لايفهمون من لفظ (القطار) إلا هذه العربات المتصل بعضها ببعض التي تجري على السكة الحديد ، وسميت العربة الآلية التي تسحبها (القاطرة) ، واياها عنى بعض الشعراء العصريين بقوله :

وقاطرة ترمي الفضا بدخانهـــا « وتملأ وجه الأرض في سيرها رعبا

وكان شيوع استعمال (القطار) لقافلة الحديد المتحركة مستغرباً مع وجود القطار في الصحاري والمسالك ، الا أن الذي منع الالتباس وأقنع الناس هو أن (القطار) القديم قد بطل أستعماله أو كاد ، فلا ينصرف الذهن عند سماعه لفظ (القطار) الى الجمال المقطورة واذا زال الالتباس أصبح استعمال اللفظ سائغاً حسناً ، هذا الى أن ذوي العدد من العرب والمتكلمين بالعربية العصرية لايعرفون معنى ، «القطار القديم» .

وكذلك الأمر بالنسبة الى (السيارة) التي كانت تسمى (أوتوموبيل) أثناء حكـــم العثمانيين في العراق ، وكان أهل السواد يستثقلون هذا الاسم فجعلوه (اطرامبيل) وغيره البدو الى (اطرمبيل) . وبعد دخول الانكليز العراق مال فريق كبير الى الاسم الانكليزي (موتوركار) واستمر التنازع بين (اطرامبيل وموتوركار) حتى ظهرت لفظة (السيارة) فقتلت الاسمين الغربيين ، وأصبح العامي فضلاً عن الخاصي يأنف من استعمال الكلمة الغربية فلا يعرف (السيارة) الا باسم (السيارة). والسيارة هي القافلة وقد ورد ذكرها في القرآن الكريم ، الا أنها لاتستعمل في اللغة العصرية ، فلذلك لم يخشى التباس السيارة الجديدة بسيارة القافلة ، وان كانتا تلتقيان أحياناً في الصحراء ، وما أدري كيف وضع السيارة واضعها ؟ أنظر الى من فيها من الركاب فاعتدهم سيارة أم أراد الدلالة على سرعة سيرها ؟ وأياً كان الأمر ، فقد غلب الاستعمال كل جدال ، لان للسيارة صلة بالسير الذي هو المراد بهذه الآلات .

وكذلك القول في (الكهرباء) و (السلك الاسلاك) و (السماعة) و(الناقلة) و(الاذاعة) و(المصفى) و(السكة) و(الدراجة) و(البندقية) و(الباخرة) و(البارجة) و(الطابعة) و(الجريدة)

و(المجلة) و(اللاقطة) و(الكلية) و(الجامعة) و(الخنزيرة) لآلة من الحديد (والمغل) و(المحرك) و(البرقية) وعشرات غيرها من المصطلحات العسكرية على اختلاف فنونها مما يجده الطالب له في (المعجم العسكري) الذي أثبت أصوله جماعة من المترجمين البارعين .

فالمصطلح لايعني تسمية جامعة مانعة للمسمى ، كما يظن الذين لم يدرسوا علوم اللغات بل يرمز الى مسماه رمزاً لصلة بين الرمز والمرموز اليه ، وهذه الصلة تختلف قوة وضعفاً على حسب الأحرف المؤدية للمعنى ، فالذي نعلمه من اسم الآلة مثلاً أنه يعالج به الفعل الأصلي كالمفتاح فانه يعالج به الفتح ، ولكننا إذا دققنا النظر في (الممطر) وهو مايلبس في المطار يتوقى به منه ، و (المنفض) وهو كساء يبسط على الأرض ليقع عليه من الثمر والورق أدركنا الخطأ في نسبة العلاج إلى أسماء الآلة ، ألا ترى أنه لو كان الأمر كذلك لكان (الممطر) آلة يستنزل بها المطر ، ولكان (المنفض) آلة تحرك بها الأغصان وتهصر ليسقط الثمر أو الورق ؟ ومن المعلوم أن (المطر) و (المنفض) من الأسماء الموضوعة لمعانيها وليسا من الاصطلاح في شيء ، فان جاز مثل هذا في الوضع فما أحراه ان يجوز في الاصطلاح . فالاصطلاح مقصر دائماً عن الاحاطة بمعنى المسمى اصطلاحياً ، ومن أجل ذلك يقال في كثير من العلوم المستحدثة والفنون المستجدة « هذا الاسم لغة معناه كذا واصطلاحاً معناه كذا» (٤٥) .

ـ التعريب :

التعريب أو مايعرف في علم اللغة الحديث بالاقتباس أو الاقتراض ، وسيلة من وسائل إغناء اللغة ، ويعرفه الدكتور مصطفى جواد : «أنه في الأصل أخذ الكلمة غير العربية وإحداث بعض التغيير اللفظي فيها بحسب مايقتضيه النطق العربي من قلب كثير من التاءآت طاءآت وقلب الهاء في أواخر الكلمات الفارسية قافاً أو جيماً أو كافاً وصب الكلمة المستعارة في قالب عربي ، هذا أيام كانت مخارج الحروف عند العرب محدودة على أنهم عالجوا الحروف الأعجمية التي لم تكن في لغتهم حتى مرنت ألسنتهم على النطق بها كالپاء « P » والجيم « Ch » الانكليزية و«V» والكاف « g » وقد ذكر ذلك ابن سينا في رسالته ، أسباب حدوث الحروف » كما أن جماعة منهم لم يوجبوا موازنة الألفاظ

العربية في التعريب فلسنا ملزمين اليوم أن نقول « اللطيني و اللاطيني » بدلاً من « اللاتيني» و «السينما طغرافي» ولا «الطرمومطر» للسينما تغرافية والترمومتر، إن أردنا تعريبهما» (٤٦)

وقد لجأ العرب الى (التعريب) قديماً وحديثاً وذلك حين اتسعت حياتهم وحضارتهم واتصلوا بالأمم المجاورة والثقافات الأجنبية فانتقلت الى العربية ألفاظ جديدة خضع قسم كبير منها الى النسج الرقيق للكلمة العربية من حيث الأوزان والصيغ وتبدّل بعض الحروف وتغيّر موقع النبر حتى أصبحت على صورة شبيهة بالكلمات العربية وهي التي سماها علماء العربية بالألفاظ المعرّبة ، أما غيرها من الكلمات الأجنبية التي بقيت على صورتها الأصلية فأطلق عليها الألفاظ الدخيلة (٤٧) . وقال السيوطي : وقد يطلق على المعرب اسم الدخيل أيضاً (٤٨) .

وقد أنكر قسم من الباحثين العرب المعاصرين ، منهم : أحمد الاسكندري ، ومصطفى صادق الرافعي ، ورشيد بقدونس ، وعزالدين علم الدين التنوخي ، إدخال الكلمات الأعجمية في متن اللغة العربية بعد عصور الفصاحة لأنها لم تجد إماماً من أئمة اللغة يصرح بقياسية التعريب ، ويرى أن نسد حاجتنا إلى المفردات بطرق أخرى : كالاشتقاق والنحت والإبدال وغيرها .

وذهب مذهب هؤلاء من اللغويين العراقيين المعاصرين السيد محمود شكري الآلوسي (ت ١٩٢٤) وأنكر دخول اللفظ الأعجمي في متن اللغة العربية ، إلا إذا لم يوجد في أصل اللغة مايرادفه أو لم يكن صوغ مثله . فالدخيل عنده ضرورة تقدّر بقدرها (٤٩).

في حين ذهبت طائفة من الباحثين اللغويين العراقيين الى الأخذ بمذهب (التعريب) ومن هذه الطائفة الدكتور مصطفى جواد الذي يرى : أن التعريب اسلوب من أساليب وجدان المصطلحات العلمية والفنية . وهو اسلوب قديم أخذ به العرب قديماً ، وهنالك بعض الألفاظ المعرّبة التي وردت في القرآن الكريم ، وقال رداً على من قال : كيف يجوز أن يكون في القرآن غير لغة العرب ، وقد قال الله تعالى : «قرآناً عربياً» وقال : «بلسان عربي مبين» ؟ أن الكلمة وإن كان أصلها من لغة أخرى فإنها إذا عربت في العربية واستعملها أهلها فقد صارت عربية كسائر ماتتخاطب عليه العرب من كلامها . لذلك جاز أن يخاطب الله بها العرب (٥٠) .

وعلى الرغم من أن الدكتور مصطفى جواد يرى أن التعريب واحد من اساليب وجدان المصطلحات العلمية والفنية ، وان هناك بعض الألفاظ المعرّبة التي جاءت في القرآن الكريم مما يدلل على قدم التعريب في العربية ، إلا أنه يأخذ موقفاً متحفظاً في عملية الأخذ به ، فهو إذ ينادي : بإباحة التعريب ، فان ذلك في رد من أنكره ، وحين يقرر وجوب أن يكون التعريب مقيداً مشروطاً ، فذلك في رد من ينادي بالإباحة التامة للتعريب ، قال :

لانرى بدأ من إباحة التعريب ، أي نقل الأسماء الأعجمية الى العربية بحروفها ، بسبب أنّ العربي لايصعب عليه التلفظ بالكلمة الأعجمية على صورتها الأصلية ، ولكن التعريب يجب أن يكون واضح المعالم محدوداً مشروطاً بالاضطرار ، فأسماء الأعلام واللباس والشراب والطعام والأثاث واجب تعريبها ، ويلحق بباب الأعلام أسماء العقاقير غير العربية والأدوية والعلاجات المادية وأسماء الحيوانات التي لايعرفها العرب ، وكذلك اسماء الأمراض الوافدة من البلاد الغربية ، لأن أسماءها معلومة بسبب تقدمّ علم الطب تقدماً كبيراً (٥١) .

ان التعريب عند مصطفى جواد مقيد بوضوح المعالم مشروط بالاضطرار لذا نراه يدافع عن رأيه هذا قائلاً : ولقائل أن يقول : كيف أوجبتَ أن يكون التعريب واضح المعالم محدوداً مشروطاً باضطرار وهذا كتاب (المعرّب) لابن الجواليقي فيه زهاء تسع مائة كلمة من المعربات ومنها أعلام بلاد وأعلام رجال ؟ والجواب : أنّ أعلام البلاد وأعلام الرجال ليس في تعريبها جدال فأما المعربات الأخرى فهي مما عرّب منذ أزمان الجاهلية الى القرن السادس للهجرة فان عددنا القرون الخاصة بالتعريب الى زمانه وهي ستة قرون وقسمنا المعربات بينها أصابت كل سنتين ثلاثة معربات وهذا مقدار نزر جداً (٥٢) .

إن مصطفى جواد وإن كان من الآخذين بالتعريب للارتقاء بالعربية وجعلها وافيــة بمتطلبات العصر والحضارة ، إلا أنه لايفتح باب التعريب دون قيد أو شرط ، وإذا كنا قد لاحظنا دفاعه عما اشترطه أو قيد التعريب به ، فإنه أنكر على المنادين بالاباحة التامة للتعريب، قال : اذا كان لكل عمل علة وباعث وسبب يحق لنا ان نسائل عن حكمة الإباحة التامة للتعريب تلك التي يدعو اليها فريق من الباحثين : أيكون ذلك العمل لكـــي

يستفيد العالم باللغة الأجنبية أم الجاهل لها أم الأجنبي نفسه؟ ان العالم باللغة الأجنبية لايحتاج الى تعريب الأسم لأنه يقرؤه بلفظه في مظنته، والأجنبي ليست به حاجة الى التعريب الا اذا كان لغوياً مختصاً بفقه اللغة، وهذا اندر النادرين، والجاهل للغة الأجنبية لا تعنيه التسمية دون موضوع العلم أو الفن فاذا تعلم مواضيعهما ففي اثناء التعلم يقال له أو يكتب له على سبيل نافلة المعرفة: ان هذا العلم وهذا الشيء من الفن يسمى باللغة الفلانية «كذا وكذا» وهذه الأشارة تغنيه طوال عمره، وينبغي لنا أن نشير هنا الى ان ترجمة المصطلح الغربي الى العربية تفيد غير العالم باللغة الأجنبية فائدة حسنة لمابين الأسم العربي وما اصطلح له من تجاوب في المعنى واللفظ على الضد من بقاء المصطلح بلفظه الأعجمي المستعجم.

والأحتجاج بأن باب التعريب اذا فتح فتحاً كاملا كان ذلك اجدى واعم فائدة «لكي يكون كثير من الكلمات خصوصاً العلمية، أممية أو شبه أممية، مما يخفف على طالب العلم شيئاً كثيراً عند مراجعته الكتب العلمية» قد قدمنا الجواب عنه بأن العالم باللغات الغربية لايحتاج الى تعريب المصطلح لأنه يقرؤه بلفظه في مظانه، فأن كان الدارس مبتدئاً في تعلم اللغات متقدماً في العلوم، وهذا نادر جداً، فقد قلنا أن الكتب التي يدرسها هذا وأمثاله، توضع لهم فيها اسماء العلوم والفنون باللغة الغربية الى جانب اسمائها بالعربية، وقراءة واحدة للاسم العربي تجعله عالماً به، فمسألة التعريب تختص في الأغلب الأعم بالذين لايحسنون اللغات الأجنبية، وقد قلنا ان معرفتهم للاسم الأجنبي بصورته اللفظية لاتقدم ولاتؤخر في دراسة العلم، الا انها حرب للغة العربية مادام الأسم الأجنبي هو المستعمل في كتب العلم المترجمة، والكلام. فالأحتجاج قائم خيالياً أكثر منه واقعياً. (٥٣)

ان دقة رأي مصطفى جواد في مناقشة المنادين بفتح باب التعريب واباحته اباحة تامة جعلته يأخذ موقفاً وسطاً بينهم وبين المتشددين الذين قالوا: ان التعريب سماعي لايقاس على ماورد منه عن العرب، قال:

«وفي مشكلة المصطلحات لايزال الجدل قائماً في قضية التعريب، وقد أقر المجمع اللغوي المصري التعريب في قراراته الأولى بقوله: يجيز المجمع ان يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية عند الضرورة على طريقة العرب في تعريبهم (٥٤) وفي الحق ان هذه الضرورة

هي موضع الخلاف ، وقد نشر في جزء القرارا ت عينه مقال في بيان الغرض من قرارات المجمع وفي الأحتجاج لها ، فاحتج كاتبه بأن العلماء أجمعوا على ان التعريب سماعي لايقاس على ماورد منه عن العرب، وبأنه يخشى من فتح باب التعريب تفشي الأعجمية في الكلام وغلبتها على العربية، فتنحرف على توالي الجهود بل تنقرض فتنقرض معها القومية العربية ويستغلق القرآن ويبيد كل ما(دون) باللسان العربي من العلوم والآداب والشرائع . (٥٥)

وفي ذلك شيء من المبالغة، فالكاتب نفسه استعمل الفعل (دون) وهو مشتق من الديوان (الكلمة الفارسية) وقد استعملت كلمة (الديوان) في اللغة العربية حقيقة ومجازاً كديوان الدولة ودواوين الشعراء ... واشتق هو (دون يدون تدويناً) وصار الأسم والفعل من كلام العرب، والصواب عندي :أن أسماء الأمراض الجديدة وادويتها واسماء الأدوية الجديدة لكل مرض أواسماء الحيوانات التي لم تعرفها العرب واسماء كل مالم تعرفه العرب من الماديات الساذجة اي الخام كما تقول العامة ،والأسماء الخفيفة كالتوم أي (Terme) والخفيفة(اختصاراً كالسينما ينبغي تعريبها واستعمالها او يجوزان في الأقل». (٥٦)

ان موقف مصطفى جواد المتحفظ من (التعريب) والمقيد الشروط ينطلق من ان المعايشة والأختلاط كانت سبباً في التعريب، قال: «ان المعربات أكثرها فارسية الأصل ، وغير مجهول اختلاط العرب بالفرس منذ عصور الجاهلية الى اليوم خصوصاً في العراق فالتعريب كان قائماً في الأعم الأغلب على المجاورة الدائمة والمعايشة والمخالطة والمتاجرة والمصاهرة واين هذا من التعريب المتناول من وراء البحار؟ انك اذا عربت الكلمة الأنكليزية اولم تعربها لم تتأثر اللغة العربية ولاالمجتمع العربي بذلك لأن الأنكليز لايعرفون العربية ولايعايشوننا حتى تحصل الفائدة من استعمال المعربات كما كان الفارسي يفعل وهو يتكلم العربية، ويخالط العرب ويتكلم بلغته الفارسية في الزمن نفسه» . (٥٧)

ان بواعث رأي مصطفى جواد في الحدمن التعريب واللجوء الى الوسائل اللغوية الأخرى تنطلق من أمرين هما: ان التفاعل الأجتماعي بين العرب والأقوام المجاورة

أصبح محدوداً على العكس مما كان عليه في السابق. الثاني: ان في كثرة التعريب اذلالا للغة العربية» (٥٨) على حد قوله.

وعلى الرغم من كل ماقيل في محاسن التعريب وتزيينه خاصة وان الكثير من معاهدنا العلمية والجامعية مازالت تدرس موادها العلمية باللغات الأجنبية، فأن الحدود التي اشرها مصطفى جواد تصح ان تكون اساساً لما يعرب، اما ماعداها فان الوسائل اللغوية الأخرى متكفلة بمعالجته يعزز هذا قدرة العربية وسعتها وغناها لأن: «اللغة العربية رحبة غنية تنمو بالتوالد شأن الأحياء وبنى الأنسان، وتنتظم مفرداتها في اسر وقبائل في تقاربها وتجانسها وتكاثرها ويظل الاشتقاق دوره الكبير في اغنائها وملاءمتها مع حاجات العصر كيما تستمر لغة المعرفة والحضارة كما كان شأنها في عصور ازدهارها السالفة» (٥٩).

النحت :

النحت هو انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر، وتسمى تلك الكلمة المنزوعة منحوتة أما التركيب فهو امتزاج كلمتين من كلمات اللغة، ويكون لهما في حالة التركيب معنى لم يكن لهما في حالة الأفراد. ويعد النحاة واللغويون العرب كلا من النحت والتركيب شيئاً واحداً ويسمونه (النحت)، الا أن الفرق بينهما هو ان في النحت اختزالا واختصاراً اما التركيب فليس فيه اسقاط لشيء من مادة المفردات التي تدخل في تركيب الكلمة الجديدة (٦٠).

وعلى الرغم من ان النحت مظهر اشتقاقي، الا ان الفرق بينه وبين الأشتقاق هو: «ان الأشتقاق في اغلب صوره عملية اطالة لبنية الكلمات في حين ان النحت اختزال واختصار في الكلمات والعبارات» (٦١).

وقد أختلفت الاراء اللغوية المعاصرة في قبول النحت والتوسع فيه، قال ساطع الحصري: «نحن نعتقد بأننا وصلنا الى دور اشتدت فيه حاجتنا الى الأستفادة من (النحت) اشتداداً كبيراً ونظن ان الأفعولة ستعود الى النشاط وتجود علينا بعدد كبير من المصطلحات التي نحتاج اليها في نهضتنا الفكرية الجديدة» (٦٢).

واعترض الأب انستاس ماري الكرملي على خطة المجمع اللغوي العراقي الذي اسس عام (١٩٢٦) بعد ان ذهب معظم اعضائه الى قبول البحث ، قال : « لا أرى حاجة الى النحت لأن علماء العصر العباسي مع كل احتياجهم الى الفاظ جديدة لم ينحتوا كلمة واحدة علمية، هذا فضلا عن ان العرب لم تنحت إلا الألفاظ التي يكثر ترددها على الستهم فكان ذلك سبباً للنحت، اما التي لايكثر ترددها على السنتهم فلم يحلموا بنحتها(٦٣).

وايد مصطفى جواد الأب الكرملي في اعتراضه هذا،قال : « ونحن نرى ان رأي الأب انستاس على صواب ... وعلى ذكر النحت اود ان اشير الى اني لا أركن اليه في المصطلحات الجديدة الا نادراً ،لأنه نادر في اللغة العربية ويشوه كلمها. وماذكره ابن فارس في مقاييس اللغة وفقه اللغة لايعدو الظن والتخمين والتأويل البعيد . وكل ماثبت عندي منه عدة« رموز جملية» مثل: (سبحل) و(حوقل) و(طلبق) و(دمعز) ولولا ان هذه الجمل كانت من الشهرة والتكرار بالمكان المعلوم مااستجازوا لها هذا الأختصار، ثم ان النحت اتخذ للأفعال لا للاسماء اعني انهم كانوا يقولون : (سبحل فلان وحوقل) ولم يقولوا في العادة: (اعتادفلان السبحلة والحوقلة) فالمصدر لم يكن مراداً في استعمالهم النحت مع ان وضعنا للمصطلحات يعني الأسماء قبل غيرها فاذا احتجنا الى الافعال اشتققناها من المصطلح نفسه» (٦٤).

واذ يبرر الأستاذ ساطع الحصري الإقدام على النحت والأختزال بمقياس واسع فذلك بدعوى أن قصر اللفظ وسهولته من اهم الأوصاف التي يجب ان تتصف بها المصطلحات سيما اذا كانت مما ستتداول على الألسن تداولا كبيراً .فاذا نظرنا الى المصطلحات الأفرنجية رأينا معظمها قصيرة وسهلة التلفظ كما أننا نرى بعضها آخذة في التطور نحو صيغ أقصر من ذي قبل. فقد صار الناس يقولون : (سينما) مقام(سينما طوغراف) و(راديو) مقام (راديوفون) و(مترو) عوضاً عن (متروبوليتان) كما ان علماء الفلك صاروا يقولون (Pamec) عوضاً عن تعبير (Parallaxe Seconbe) أي اختلاف المنظر ثانية واحدة . فلايجوز لنا والحالة هذه ان نعتمد كثيراً على التراكيب الأضافية الطويلة التي تتألف عادة من اسمين وحرف تعريف بل يتحتم علينا ان نهتم بأمر

القصر والسهولة اهتماماً كبيراً... ونحن نعتقد ان التوسع في النحت أصبح من اهم حاجات اللغة العربية ،ونظن أيضاً انه لاسبيل بدون ذلك الى اغنائها بما تحتاج اليه من الأصطلاحات العلمية المتنوعة الجديدة.. اننا لانقصر من النحت تركيب الكلمات العربية من بعض الجذور الأعجمية كما يقترحه بعض الكتاب بل نقصد النحت الأصولي الذي أدخل في اللغة العربية عدداً غير قليل من الكلمات والتعبيرات المختزلة مثل(شقحطب)(وبسملة)و(ملاشاة) و(حبرمة)تلك الكلمات والتعبيرات المختصرة التي تفتقر العلوم الحديثة الى امثالها أفتقاراً شديداً (٦٥) ».

واضاف الحصري :لايمكن نشر العلم بالتراكيب المطولة فاذا لم نقبل النحت فسنضطر الى استعمال الأصطلاحات الأفرنجية نفسها ولاحاجة للاثبات ان اتساق اللغة في هذه الحالة يصبح أشد تعرضاً للخطر (٦٦) .

ومن خلال ماتقدم نرى ان الأستاذ ساطع الحصري كان من أشد المتحمسين للأخذ بالنحت لأجل الأصطلاحات العلمية ، ودعا جميع الكتاب والمفكرين والناطقين بالضاد الى التأمل في هذه المسألة المهمة برحابة ذهن واهتمام تام .وهو بذلك يلتقي ومارآه السيد محمد شكري الألوسي الذي قرر :ان النحت أسلوب أصيل من اساليب العرب في كلامهم وانهم استعملوه في كثير من الألفاظ التي يكثر ورودها في كلامهم ومحاوراتهم ورد ذلك الى حدة أذهان العرب وجودة افهامهم ، وانهم يتنبهون للرمزة الدقيقة ، وينتقلون للإشارة اللطيفة،فلذلك كان كلامهم مشحوناً من انواع الإيجاز والأختصار والحذف والأقتصار (٦٧) .

الان الدكتور مصطفى جواد يرى العكس من ذلك تماماً وقد سبق في هذا الأب انستاس ماري الكرملي الذي قال: النحت لم يذهب اليه أحد اذ لم يوضع له ضابطه والألفاظ المنحوتة التي وصلت الينا هي حروف جاءتنا في مواضيع مختلفة نطق بها الناس بعد أن صقلتها السنتهم وهي غيرجارية اطراداً على وجه من الوجوه ، والأشتقاق يقوم مقامه ويوفي حقه بل يفوقه وقد وضعت له قواعد وصنفت الكتب فيه وجاءت أبوابه في جميع المعاني وكل لفظة منحوتة وضعت في العلم نزعت منه ولم تعش طويلا .

واضاف الكرملي : ولغتنا ليست من اللغات التي تقبل النحت على وجه لغات أهل الغرب كما هومدون في مصنفاتهم ،والمنحوتات عندنا عشرات اما عندهم فمئات بل الوف لأن تقديم المضاف اليه على المضاف معروف عندهم فساغ لهم النحت أما عندنا فاللغة تأباه وتتبرأ منه، ويشترط الكرملي للنحت شرطين هما :

١ ــ ان تكون الألفاظ خفيفة النطق والصيغة .

٢ ــ ان تكون مادتها تشبه المادة العربية وإلا فانك لاتقول :

«فوطغرف يفوطغرف» اشتقاقاً من الأسم الأفرنجي المنحوت «فوطغرافية» ان قبلناها فما كل منحوت افرنجي نقبل كما لانشتق دائماً منه فعلا يفيدنا مرادنا ،فالأمر مركول الى الذوق العربي وأوزان لساننا وصيغ الألفاظ نفسها ومادتها وهذا مايجب ان ينتبه له.(٦٨)

أما الدكتور مصطفى جواد الذي لايركن الى النحت في المصطلحات الجديدة، وايد من قبل رأي الكرملي في اعتراضه على خطة المجمع اللغوي العراقي بقبول النحت، فأنه ينظر الى المسألة من جانب آخر يتعلق بوضع المصطلح ومشكلته، قال : الصعوبة في مشكلة المصطلحات قائمة في وجدانها ولافي ايجادها فالمصطلحات رموز الى مسمياتها وكنايات عنها واشارات اليها وليس من مصطلح في كل لغة يدل على جميع مافي مسماه فذلك محال. تأمل كلمة (الممطر) في العربية فهي مشتقة من المطر ويقابل المطر في الفرنسية Le mantean impermiable أي ملحفة لاينفذها الماء وليس في أصل الأصطلاح مايدل على الماء ثم أختصروه فقالوا (L'impermiable) اي مالاينفذه الماء فالممطر معناه شيء له صلة بالمطر واوضح أوجه هذه الصلة انه يحدث المطر ويوجده لأنه اسم آله مع انه في الحقيقة بعيد عن ذلك المعنى ، لأن الممطر هو الذي يحول بين المطر ومرتديه ويدفعه عنه وكذلك لفظ impermeal في الفرنسية لايدل الا على عدم النفذ ومنع النفوذ وهو معنى عام واسع . فالمصطلح يوضع أحياناً لأدنى ملابسة بينه وبين مسماه وأوهى صلة بينهما ، وانما الصعوبة كل الصعوبة في تعميم المصطلحات واعمامها ونشرها

في الأصقاع العربية موحدة متفقاً عليها منظوراً اليها بعين الحاجة لابعين المشـــاكسـة واللجاجة (٦٩) .

وهو بذلك يرد دعوى الحصري في الخفة والسهولة التي بررت له الألتجاء الى النحت والأخذ به لتوليد المصطلحات العلمية، ويضيف الدكتور مصطفى جواد جانباً آخـر لعدم ركونه الى النحت اذ يقول :

قلت في المحاضرة التي القيتها في مؤتمر ادباء العرب في بيت مري في لبنان الذي أقيم (١٨ أيلول ١٩٥٤م) عند الكلام على ترجمة الطب النفسي الجسمي Psychosomatic

ولايصح النحت في هذا الأسم بأضافة شيء من أحرفه كأن يقال: (النفسجي) و(النفسجسمي) مما يبعد الأسم عن أصله، فيختلط بغيره وتذهب الفائدة المرتجاة منه (٧٠).

واذا كان الأب الكرملي قد اشترط شرطين لقبوله النحت كما مرّ بنا ، فأن الدكتـور مصطفى جواد يقرر قبول النحت عند الأضطرار في الكلمات المضعفة، قال: « ينبغي ان نلجأ الى النحت ان اضطررنا الى الكلمات التي فيها تضعيف ، لكيلا تضيع صورهـــا الأصلية» (٧١) .

لأن النحت فيه على الحقيقة مايشبه التركيب المزجي لوجود الحرف المضعف. وبهذا فأنه يقبل ماذكره الأستاذ ساطع الحصري في « الغبمدرسي » "Postscolaire و(الشقحطب) التي نقلها ،لأن في الأولى حذف لأحد الضعفين وهو احدى الباءين وبقي مثيله دالا عليه ،وفي الثانية حذف أحد الضعفين وهو (القاف) وبقي مثيله دالا عليه.

ان الاراء في طرق ايجاد المصطلح في اللغة العربية مهما تباينت واختلفت سواء في معالجة اشكالية المصطلح أوفي تفضيل بعض هذه الطرق على بعضها الاخر الا انها تلتقي جميعاً في ضرورة السعي لايجاد حل سريع وناجع لحل مشكلة من أهم المشاكل المرتبطة بأحد مقومات الأمة ووجودها وشخصيتها. كما أنها في الوقت نفسه ترفع الحيف والأذى الذي لحق العربية جراء التهاون في معالجة مشكلاتها أو الأستخفاف» بالمخاطر المحدقة بها اذ ان :

«شيوع الأسماء الغربية في المصطلحات لايعني عجز اللغة العربية، بل يعني تهاون ابنائها، وتقصير علمائها، وضعف المترجمين في نقلهم، واستهانة الدخلاء عليها بوجودها وافتخارهم بمعرفة اللغات الغربية، حين يلوون اشداقهم ويطيلون انفاسهم ويركزون احساسهم في التلفظ بها، فهؤلاء لايلتفت الى غمزهم للغة العربية ولايؤخذ بأقوالهم في أمر مصطلحاتها» (٧٢).

لقد وعت الأمة العربية منذ بداية نهضتها القومية المخاطر المحدقة بلغتها والتي لاتقل ضراوة عن بقية الأخطار الأخرى ان لم تكن في مقدمتها، ولكن هذا الوعي ظل في حدود التمني والجهود الفردية المخلصة، حتى ان المجامع اللغوية العربية التي أنشأت قصد العناية باللغة وحل اشكالياتها المعاصرة ظل عملها حبيس قراراتها وتوصياتها.

وفي العراق الذي يعد: أول من سن تشريعاً بأن تكتب لوحات المتاجر باللغة العربية فوق أي لغة أجنبية واول من لبى دعوة حكومة مصر الى عقد مؤتمرات لتوحيد الثقافة في الأقطار العربية (٧٣)، ظلت جهود علمائه الفردية ومؤسساته العلمية واللغوية ـ شأنها شأن جهود العلماء والمؤسسات الأخرى في بقية أقطار الوطن العربي محصورة في حدود التأليف والمناقشة ولم تأخذ حيزاً واسعاً في التطبيق ولعل سبب ذلك هو القول: بأن النشوء والزمان لهما أثر كبير في المصطلحات (٧٤) ولكن هذا القول مردود، فاذا كان مراد المعترض (تطور المصطلح) وتغير الفاظه، فذلك لايعني اللغة العربية، لأنها تصطلح على تسمية العلم والفن وأجزائهما بالصورة التي وصلت اليها عند الدراسة والترجمة، فلايهمها ان يكون الشيء قد سمي قبل خمسين سنة، بأسم كذا، فهذا عمل دارسي التطور العلمي والتطور الصناعي وان كان مراد المعترض ان المصطلح يقوى استعماله ويتم انتشاره مع الزمان فليس ذلك بلازم، فهذا (الواير) مثلا بقي سنين مستعملا في العراق، وكذلك (الوايرلس) فلما وضع لهما (السالك) و(اللاسلكي) ماتا موتا فجائياً وحيا حتى ليصعب على الباحث ان يجد متلفظاً بهما الا ان يكون من الذين يكرهون العربية اصلا. فلو كانت مصاحبة الزمان للمصطلح واجبة، لبطل عمل المجامع العلمية والمجامع اللغوية من حيث الأصطلاح

ولقيل ان الزمان قد فات. ولكن المصطلح يعتمد استعماله وانتشاره قبل كل شيء على الرغبة والغيرة والدعوة، والزمان يساعد على ترسيخه وتثبيته كالأمور الأخرى (٧٥) .

لقد شهد الوطن العربي انعقاد اول مؤتمر للتعريب في مدينة (الرباط) المغربية ١٩٦٩م وتدارس الخطة العامة للتعريب وتوحيد المصطلح ،اعقبه المؤتمر الثاني للتعريب-الجزائر العاصمة في ١٩٧٣م، وتم توحيد المصطلح العربي في مواد الكيمياء والجيولوجيا والرياضيات والنبات والحيوان والفيزياء في مستوى التعليم العام. ان المؤتمر الثالث الذي عقد في طرابلس في الجماهيرية الليبية عام ١٩٧٧م فقد درس وصادق على مشروعات معاجم في التعليم العام، في مصطلحات الجغرافيا والتأريخ والفلسفة، والفلك والرياضيات والصحة، ذلك الى مصادقته على مشروعي معجمين في مادتي الأحصاء والرياضيات في مستوى التعليم العالي والجامعي .

وفي المؤتمر الرابع الذي انعقد في طنجة- المغرب ١٩٨١م تم التركيز على اقرار توحيد معاجم المصطلحات المهنية والتقنية في مرحلة التعليم العام في مختلف الشعب والفروع ،الى جانب المصادقة على مشروع معاجم في مستوى التعليم العالي والجامعي، في تخصصات النفط والجيولوجيا، والأعلاميات .

أما المؤتمر الخامس للتعريب الذي عقد في عمان- الأردن في عام ١٩٨٥م. فقد تدارس مشروعات تسعة معاجم في مختلف المجالات التي تم تنسيقها وتوحيدها واكسابها الصفة القومية ، لتصبح هي المصطلحات المعبرة وحدها عن المفاهيم المحددة لها ، وتدور مشروعات هذه المعاجم حول مصطلحات علم الأجتماع والتربية واللسانيات ، والفيزياء العامة والفيزياء النووية ،والكيمياء، والرياضة البدنية (٧٦) .

ان هذه الجهود الخيرة المباركة تدحض قول القائل : «ان اللغة العربية لاتصلح ان تكون آلة للتجاري في ميدان التخصص العلمي والتخصص الفني » لأن المصطلحات الخاصة بذلك لم يكن لها وجود في العربية حتى ينسب اليها عدم كونها وسيلة للتفاهم ، فمتى مازود الصناع والعمال ورؤساؤهم تلك المصطلحات العربية يستطيع الفاحص أن يعرف استعداد اللغة أو عجزها، أما مع أفتقار اللغة الى المصطلحات فلا يجوز ان يقال ذلك القول

ثم ان التجاري اذا كان بين العمال والصناع فعامتهم عرب ومستعربون ، وهم لايحبون التراطن باللغات الأعجمية ،فنشر المصطلحات بينهم ومشافهتم بها يغنيهم كل الغناء عن الألتجاء الى مصطلحات بلغات قل منهم من يعرفها ، ان الذي يحب العرب والعربية لايستسيغ ان يقول في محادثته العملية: «ايلكتريسيتي وبوزتيف ونيكاتيف » بدلا من « الكهرباء والمثبت والمنفي» كما ان الصناع والعمال يميلون بطبيعتهم الى تقليد الخاصة فاذا رأوا تعظيم الخاصة للغة العربية و استعمالهم اياها اتبعوهم راغبين ،فاللوم على الذين درسوا العلوم والفنون في البلاد الغربية، وبقوا على تراطنهم في اثناء اعملهم ببلادهم العربية (٧٧) .

ان هذه الجهود اذا دحضت الأتهامات الموجهة للغة العربية فأنها تؤشر في جانب آخر مدى التقاعس عن النهوض بمهمة التعريب في الحياة العلمية والعملية بعد أن أبانت اللغة العربية عن قدرتها في استيعاب متطلبات الحياة المعاصرة وظلت وفية لألتزاماتها تجاه ابنائها وفي مختلف المجالات ، الأمر الذي يستدعي الغيرة القومية، والنخوة العربية لحفظ الكيان اللغوي العربي وحل مشكلة المصطلح التي تعد من أولى مشكلات العربية في العصر الراهن .

الهوامش :

(١) الدكتور مصطفى جواد ، قل ولا تقل (المقدمة) ط٢ مطبعة أسعد - بغداد ١٩٧٠
(٢) الدكتور مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ص٣ ط٢ مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٥
(٣) أنظر كتابنا (مصطفى جواد وجهوده اللغوية) ص ١٧ - ٢٢ ط٢ دار الشؤون الثقافية - بغداد ١٩٨٧ .
(٤) الدكتور مصطفى جواد ، مشكلات اللغة العربية وحلها، مجلة المعلم الجديد - بغداد المجلد (٥) ١٩٤٠ ص ٩٨ .
(٥) الدكتور مصطفى جواد ، المباحث اللغوية في العراق ، ص ٤٢٣ .
(٦) أنظر : الامتاع والمؤانسة ٥٩١١ .
(٧) المباحث اللغوية في العراق ص ٥ .
(٨) السابق ص ٦ .
(٩) السابق ص ١٢٥ .
(١٠) تبدأ النهضة اللغوية في العراق الحديث منذ ولاية الوالي المملوك داود باشا لبغداد سنة ١٢٣٢هـ ١٨١٦م .
(١١) المباحث اللغوية ص ٥٢ ، ٥٣ .
(١٢) السابق ص ٣٩ ، ٤٠ .
(١٣) الدكتور مصطفى جواد ، مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد (٢) ١٩٥١ ٢٠٧١٢ .
(١٤) المباحث اللغوية ص ٤
(١٥) الدكتور شكري فيصل ، قضايا اللغة العربية المعاصرة ، بحث في الاطار العام ، للموضوع مجلة اللسان العربي العدد (٢٦) ١٩٨٦ ص ٣٠ .
(١٦) المباحث اللغوية في العراق ص ٥٥ .
(١٧) مجلة لغة العرب ١/١ - ٣ وأنظر : المباحث اللغوية في العراق ص ٥٦ .
(١٨) المباحث اللغوية في العراق ص ٥٧ .
(١٩) السابق ص ٧٨ ، ٧٩ . وقد طبع معجمه للحيوانات بمطبعة المقتطف سنة ١٩٣٢م .
(٢٠) السابق ص ٧٩ ، ٨٠ .
(٢١) طبع في مطبعة الفلاح - بغداد ١٩٢٦م في (١٧٠) صفحة من القطع المتوسط ، وقد أعانه على تأليفه الدكتور أمين المعلوف ، وأصلح له لغته ، ونقح له عبارته الأستاذ منير القاضي ، وقد ذكر هو ذلك في تصدير معجمه - أنظر : المباحث اللغوية ص ١٠٦ .

(٢٢) المباحث اللغوية في العراق ص ١٠٦ .
(٢٣) السابق ص ٨٣ .
(٢٤) السابق ص ٨٤ ، ٨٥ .
(٢٥) أنظر : د. عبدالله الجبوري ، المجمع العلمي العراقي : نشأته ، اعضاؤه ، اعماله، مطبعة العاني - بغداد ١٩٦٥ ص ٢١ - ٣٧ .
(٢٦) انظر : مجلة اللسان العربي العدد (٢٦) ١٩٨٦ ص ٣٠ .
(٢٧) المباحث اللغوية في العراق ص ٤ .
(٢٨) شحادة الخوري ، التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها ، مجلة اللسان العربي العدد (٢٩) ١٩٨٧ ص ١١ ، ١٢ .
(٢٩) انظر : الدراسات اللغوية في العراق ، د. عبدالجبار جعفر القزاز : دار الطليعة للنشر بيروت ١٩٨١ ص ٢٤٠ .
(٣٠) السابق ص ٢٤٠ .
(٣١) أنظر : مجلة اللغة العربية (١٩٣٤) ١/٣٦ ، ومجموعة القرارات العلمية التي أصدرها مجمع اللغة العربية ص ٨٢٧ . والمباحث اللغوية في العراق ص ١٦
(٣٢) أنظر : الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٤٣ .
(٣٣) المباحث اللغوية في العراق ص ٨٥ ، ٨٦ .
(٣٤) السابق ص ٩٤ .
(٣٥) أنظر : كتابنا (مصطفى جواد وجهوده اللغوية) ط٢ ص ٢٣٩ .
(٣٦) مجلة المجمع العلمي العراقي المجلد ٢ ٢/٢٠٥ والمباحث اللغوية في العراق ١١٤ .
(٣٧) الدكتور مصطفى جواد ، وسائل النهوض باللغة العربية وتيسير قواعدها وكتابتها ، المؤتمر الأول للمجامع اللغوية العلمية ، دمشق ١٩٥٦ ص ١٢٣ .
(٣٨) المباحث اللغوية في العراق ص ١١١ .
(٣٩) الدكتور مصطفى جواد ، الحاجة سبب الاشتقاق ، مجلة المقتطف المجلد (٧٤) ١٩٢٩ ص ٣٢٧ .
(٤٠) أنظر : المباحث اللغوية في العراق ص ١١٣ ، ١١٤ .
(٤١) أنظر : الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٤٨ ، ٢٤٩ .
(٤٢) المباحث اللغوية في العراق ص ١٦ ، ١٧ .
(٤٣) مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/٢٠٥ .
(٤٤) السابق ص ٢٠٨ .

(٤٥) السابق ص ٢٠٥ — ٢٠٨ .
(٤٦) المباحث اللغوية في العراق ص ١٠٤ .
(٤٧) الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٦٦ .
(٤٨) السيوطي ، المزهر ٢٦٩/١ .
(٤٩) أنظر : الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٦٨ ، ٢٧٠ .
(٥٠) أنظر : المباحث اللغوية في العراق ص ١٠٤ .
(٥١) مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٠٥/٢ وأنظر : المباحث اللغوية في العراق ص ١١٩ .
(٥٢) المباحث اللغوية في العراق ص ١٢٠ .
(٥٣) مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢٠٩/٢ ، ٢١٠ .
(٥٤) أنظر : مجلة المجمع اللغوي المصري ٣٣/١ .
(٥٥) أنظر : الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٨٧ .
(٥٦) السابق .
(٥٧) المباحث اللغوية في العراق ص ١٢١ .
(٥٨) السابق .
(٥٩) شحادة الخوري ، التنمية اللغوية ودور الاشتقاق فيها ، مجلة اللسان العربي العدد (٢٩) ١٩٨٧ ص ٢١ .
(٦٠) الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٥٤ .
(٦١) د. إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ص ٨٦ .
(٦٢) أنظر : المباحث اللغوية في العراق ص ٩٥ .
(٦٣) السابق ص ٨٨ .
(٦٤) السابق ص ٨٨ ، ٨٩ .
(٦٥) السابق ص ٩٣ .
(٦٦) السابق ص ١٠٢ .
(٦٧) أنظر : الدراسات اللغوية في العراق ص ٢٥٦ وما بعدها .
(٦٨) مجلة لغة العرب المجلد ٥ (١٩٢٨) ص ٢٩٣ ، وأنظر : المباحث اللغوية في العراق ص ١٠٣ ، ١٠٤ .
(٦٩) أنظر : المباحث اللغوية في العراق ٩٣ ، ٩٤ ، ومجلة المجمع العلمي العراقي ٢٠٨/٢ .
(٧٠) المباحث اللغوية في العراق ص ٨٨ .

(٧١) السابق ص ١٠٥ .
(٧٢) مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/٢٠٧ .
(٧٣) المباحث اللغوية في العراق ص ١٠٦ .
(٧٤) أنظر : مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/٢١٣ .
(٧٥) السابق ص ٢١٣ ، ٢١٤ .
(٧٦) أنظر : كلمة د. محيي‌الدين صابر في افتتاح مؤتمر التعريب الخامس ، مجلة اللسان العربي العدد ٢٦ ١٩٨٦ ص ١١ ، ١٢ .
(٧٧) مبحث في سلامة اللغة العربية /٢ ، مجلة المجمع العلمي العراقي ٢/٢١٢ .



النادر اللغوي في الأبنية الصرفية : مفهوم ووصف

نهاد فليح حسن
مدرس مساعد /قسم اللغة العربية
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة :

هذا البحث جزء من كتاب شارفت – ان شاء الله – على انجازه، كاملا ، وهو دراسة علمية موسعة للنادر اللغوي على وفق اعتبارات عديدة ثبتها في التمهيد .

– ١ –

تكتسب دراسة موضوع النوادر اهمية بالغة في الدرس اللغوي عند العرب قديماً وحديثاً من جوانب عديدة يكفينا ان نذكر منها :

أولا – اهتمام العلماء انفسهم بالتصنيف في هذه الظاهرة اللغوية في وقت مبكر جداً، حيث جاء مصاحباً بواكير نشاط الحركة الفكرية، أوائل القرن الثاني للهجرة حين بدأ وضع التصانيف اللغوية بشكل ينم على خلفية علمية ناضجة آتت أكلها. وقد ظهرت بوادر هذا النشاط واسسه على يد الرعيل الأول من علمائنا – رحمهم الله – ولعل أول من صنف فيه، ابو عمرو بن العلاء (ت ١٥٤هـ) والخليل إبن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥هـ) ، ويونس بن حبيب (ت١٨٢هـ) وقطرب (ت٢٠٦هـ)وغيرهم ،ولم يكن علماء الكوفة أقل اهتماماً من معاصريهم في البصرة فأول مبادرة كانت من الكسائي(ت ١٨٩هـ)، وابي يحيى بن المبارك (ت٢٠٢هـ) وابي عمرو الشيباني (ت٢٠٦هـ)، والفراء (ت٢٠٧هـ) وغيرهم .

ووضع فيه أبو زيد الأنصاري (ت٢١٦هـ) كتابه المعروف بـ (النوادر في اللغة)، وابن الأعرابي، محمد بن زياذ (ت٢٣١هـ) كتابه (النوادر)، وابو

مسحل الأعرابي، عبد الوهاب بن حريش (ت٢٥٠هـ تقريباً) كتاب (النوادر) ايضاً (١) .

ثانياً ــ ان ظاهرة النادر في اللغة كما الفيناها في مباحث القدماء ، قد ضمت مادة علمية غنية بموضوعاتها تشكل اساساً لأغلب الدراسات اللغوية، اذ يقف الباحث فيها على معالجات نحوية وصرفية وعروضية فضلا عن تناولها الظواهر اللغوية ، المعروفة في العربية كالمشترك اللفظي والأضداد،والترادف ،والقلب،والأبدال ، والمعرب وغيرها .

وسيكون من مهمات البحث كشف ماحوته مصادر اللغة من المعالجات الصرفية .

ثالثاً ــ حاول البحث الكشف عن بعض الظواهر اللهجية للغة العربية وهذه الظواهر ــ في رأينا ــ تدعم الدرس اللّهجي عند العرب بشذرات من الخصائص اللغوية التي وقف عليها علماؤنا في سياق بحثهم النادر وتوسع دائرة هذه الدراسات المهمة في الوقت الحاضر .

رابعاً ــ اشكالية المصطلح اللغوي : اذ يمثل الوقوف عنده ،جانباً مهماً، يكسب هذه الدراسة أهمية خاصة ، فلقد أنصرف مصطلح النادر في مباحث العلماء الى مصطلحات أخرى من نحو:(الشاذ)،و(الساقط)، و(خلاف الفصيح)، و(ما غرب استعماله)، و (ماقل في الأستعمال وكان معدوداً في بابه) ،(وما إنطبق عليه قانون قياس العربية)، وتوسع مفهوم النادر عند بعضهم فجاء مرادفاً للضرورة الشعرية وغيرها من المفاهيم .وتحديد هذه المصطلحات وبيان مدى صلاحيتها وتطبيقاتها اللغوية يعد من مهمات الباحث في هذه الدراسة .

---

(١) لم تتحدد وفاة ، ابي مسحل الاعرابي بالضبط ، وتقدر بمنتصف القرن الثالث للهجرة، لقد استعرضت في مقدمة الكتاب الحياة التاريخية لهذا التصنيف اللغوي ، انظر : الفهرست ابن النديم ٦٨ ــ ١٣٠ .

-٢-

وقد اتبعت فيه منهجاً وصفياً استقرائياً لقناعتي بأنه أكثر المناهج ملاءمة للبحث في مثل هذه الموضوعات ، وان لم يكن وصفياً خالصاً لأننا نحتاج الى بيان الأسباب والتحليل في بعض الحالات التي تتطلب الدقة المعيارية .

-٣-

ولاتصال الدراسة بأغلب ابواب الصرف المعروفة عند اللغويين قسمت البحث الى اربعة مباحث رئيسة: الأول لأبنية اسماء الذات الجوامد والثاني لأبنية الأفعال ، والثالث لأبنية المصادر ، والرابع لأبنية المشتقات ويشمل : اسم الفاعل اسم المفعول ، اسمي الزمان والمكان ، اسم الالة ، اسم التفضيل . وصدرته بدراسة من اشكالية مصطلح (النادر) وفرز الخلط بينه وبين المصطلحات الأخرى ، واردفته بخاتمة لخصت فيها أهم النتائج التي توصلت اليها .

آمل ان يكون في دراستي هذه شيء من الجدة والطرافة وان تكون في هذه الدراسة اضافة جديدة صغيرة الى صرح علم الصرف الكبير .

التمهيد

النادر : اشكالية المصطلح

وصف علماء اللغة الألفاظ اللغوية بصفات مختلفة فأستعملوا مصطلحات من نحو غالباً ،وكثيراً، ونادراً ، وقليلا، ومطرداً (٢) ورددوا في آثارهم مصطلحات أخرى أختلطت مفاهيمها لديهم وتشعبت الاراء حولها، فقالوا : هذا لفظ شاذ، وهذا فصيح وهذا شارد، وهذا حوشي، وهذا غريب ، وهذا نادر .

ولابد للباحث في مثل هذا الموضوع من تحديد مفاهيم هذه المصطلحات - كما صدرت عنهم- لبيان الفروق الدلالية لكل منها وفرز الخلط الحاصل بينها - فالشاذ: من

(٢) المزهر ١/٢٣٤ .

شذ عنه يشِذّ ويَشُذّ شُذوذاً: انفرد عن الجمهور وندر، فهو شاذ، قال الليث (ت١٧٥هـ) شذ الرجل : اذا انفرد عن اصحابه وكذلك كل شيء منفرد فهو شاذ وكلمة شاذة (٣).
يتضح من هذا : ان الشاذ يعني المتفرد من الألفاظ .

و(الفصيح) : المنطلق اللسان في القول، الذي يعرف جيد الكلام من رديئه والفصيح من الفصاحة :وهي البيان، ومدار الفصاحة في الكلمة : كثرة استعمال العرب لها، واللفظ الفصيح : ماخلص من تنافر الحروف ومخالفة القياس اللغوي (٤). قال ثعلب (ت٢٩١هـ) في مقدمة كتابه الفصيح : « هذا كتاب اختيار فصيح الكلام مما يجري في كلام الناس وكتبهم» (٥)، يعني هذا آن الفصيح ما طابق قياس العربية وكثر استعماله.

و(الشارد): يقال: شَرَدَ البعير والدابة يشرُد شُرداً وشِراداً وشُرُودا: نفر فهو شاردٌ وتشرَّدَ القوم: ذهبوا، والتشريد: الطرد والتفريق ، وذهب السيوطي (ت٩١١هـ) الى: ان الشوارد جمع شاردة ، وهي بمعنى الحوشي والغريب ومن أصل باب التفرد والشذوذ والنوادر (٦). وهذا مما لم يُسلّم الباحث به للبعد الحاصل بين النادر والشاذ وما بمعناهما.

و(الحوشي): الغامض المشكل من الكلام ، وغريبه ووحشيه . ويقال: فلان يتتبع حوشي الكلام وعقمي الكلام بمعنى واحد، والوحشي من الكلام : مانفر عنه السمع ، وهو اللفظة الخشنة المستغربة لايعلمها الا الأعرابي القح» (٧) .

و(الغريب): الغامض العميق من الكلام الذي يحتاج الى تفسير ،وكلمة غريبة ، وقد غربت وهو من ذلك، والأغراب: الأتيان بالغريب ، والغرائب جمع غريبة وهي بمعنى الحوشي، وتكلم فأغرب اذا جاء بغرائب الكلام ، وقد غربت هذه الكلمة اي غمضت فهي غريبة، والغريب اللغوي «ماقل استماعه من اللغة» (٨) .

---

(٣) لسان العرب ، تاج العروس ، القاموس (ش ذ ذ) .
(٤) الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس (ف ص ح) .
(٥) الفصيح ، ثعلب ٢ .
(٦) لسان العرب ، تاج العروس ، (ش ر د) ، المزهر ١ : ٢٣٤
(٧) لسان العرب ، تاج العروس ، القاموس المحيط (ح و ش) ، العمدة ، ابن رشيق ٢/٢٣٥
(٨) الايضاح ، الزجاجي ٩٢ ، لسان الغرب ، التاج ، أساس البلاغة (غ ر ب) .

و(النادر) : من : ندر الشيء يندر ندوراً : سقط ، وقيل ، سقط وشذ ، ونوادر الكلام تندر ، وهي ماشذ وخرج عن الجمهور وذلك لظهوره (٩) ، ونوادر الكلام أيضاً ماكانت مرتبة استعمالها في اللغة ذات نسبة يحددها ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) بأدنى مرتبة ، قال : « العشرون بالنسبة الى ثلاثة وعشرين (غالبها) والخمسة عشر بالنسبة اليها (كثير)لاغالب ، والثلاثة (قليل) والواحد (نادر) فعلم بهذا مراتب مايقال فيه ذلك « (١٠) ، وقال القفطي (ت ٦٤٦هـ) «النادر هو الصحيح لكنه غير مستعمل » (١١)، وعن ابن هشام قوله : » والنادر أقل من القليل» (١٢) ،وجاء عن السيوطي قوله: ومن عبارات العلماءالمستعملة في ذلك (النادرة) وهي بمعنى الشاردة ،وكلام نادر : غريب خارج عن المعتاد، والنوادر جمع نادرة وهي من اصل باب الشذوذ (١٣) ، ويقابل النادر : المطرد ، من اطرد الكلام : اذا تتابع ، واصل مواضع (طرد) في كلامهم : التتابع والأستمرار ، فجعل أهل علم العرب مااستمر من الكلام في الأعراب وغيره من مواضع الصناعة مطرداً (١٤) والمطرد لا يتخلف على حدّ قول ابن هشام (١٥) .

من خلال هذا يتبين لنا اختلاط المصطلحات في مفاهيم اللغويين فما يعد نادرا يقال عنه شاذّ ، اوغريب ، اوغير ذلك حتى يتبين للدارس ان ماجاء في مصطلحات من نحو : غريب ووحشي وحوشي ، وقليل بمعنى واحد ، والمتأمل في العينات اللغوية الموصوفة بالنادر من وجهة نظر علماء اللغة أنفسهم لايجد علاقة حتمية بينه وبين غيره من المسميات المذكورة آنفا ولايمكن للغه ان يسبغ على النادر اللغوي صفة الشذوذ اوالغرابة او التفرد ،

(٩) لسان العرب ، تاج العروس ، أساس البلاغة (ن د ر) .
(١٠) المزهر ٢٣٤/١
(١١) انباه الرواة ، القفطي ٢٢٦/١ .
(١٢) المزهر ٢٣٤/١ .
(١٣) مجمل اللغة ، الصحاح ، لسان العرب ، تاج العروس ، أساس البلاغة (ن د ر)
(١٤) الخصائص ، ابن جني ٩٦/١ – ٩٧ .
(١٥) المزهر ٢٣٤/١ .

فقد وسع امامنا مدلول مصطلح : النادر ليشمل (ماخرج عن القياس) ، و (ماقل في الأستعمال وكان معدوداً في بابه) ، و (ماشذّ عن سنن العربية وقوانينها) و (ماتفرّد عن أقرانه) ، و (ماغرب استعماله) ومن هنا حاولت في الصفحات الأتية ان احدد مفهوما جديداً للنادر يفرزه من غيره من المفاهيم التي وقع فيها ، او وقعت عليه وان يتبين ان كانت الندرة قياسا او استعمالا اوكما ، سواء من حيث المستوى الصرفي او التركيبي اوغير ذلك من الظواهر اللغوية كالمشترك اللفظي ، اوالترادف ، او الأضداد ، او القلب والأبدال ، او المعرب اوغيرها ، ليمهد بذلك طريقاً سليما لمن اراد دراسة هذا الواقع اللغوي .

أولاً — أبنية أسماء الذات الجوامد —

من الأبنية التي عدت نادرة في مفهوم القدماء واختلف الرأي حولها بناء (فعْلُل) فقد اهمل سيبويه هذا البناء واستدركه عليه غيره (١) ، فهو في مفهوم ثعلب من الأبنية النادرة التي لم تخالف قياس البنية العربية لكن الواقع اللغوي لم يسعفه بأكثر من حرفين مسموعين طابقا البنية هما : الضِّئْبُل : الداهية ، والزئبُر : مايظهر من درز الثوب ، قال عنهما : « لانعلم في الكلام فعلل فان كان هذان الحرفان مسموعين بضم الباء فيهما لغة فهو من النوادر » (٢) .

وأخذ المعجميون عنه قولهم : وليس فعلل غيرهما (٣)

وتابعه الرأي ابن سيده (ت ٤٥٨ هـ) في بناء الخماسي المجرد على مثال (فعلل) مثل الأصفند : من اسماء الخمر ، قال : « وانّما أثبته في الخماسي ولم أحكم بزيادة النون لأنّه نادر لامادة له ولانظير في الأبنية المعروفة وأحر به ان يكون في الخماسي كـ (انقحل) في الثلاثي » (٤) .

(١) المزهر ٢ : ٨٢ .
(٢) الصحاح ، الجوهري مادة (ض ب ل) .
(٣) القاموس المحيط ، الفيروزابادي (ض ب ل) ، ز ب ر) .
(٤) المحكم والمحيط الاعظم ، ابن سيدة ٢ : ٣٢٩ — ٣٣٠ ، وجاء في المعرب للجواليقي (ت ٥٤٠ هـ) : «الإسفنط والإسفنط والإسفند والاسفند : من أسماء الخمر ، ويروى عن ابن السكيت انه قال : هو اسم بالرومية معرب وليس بالخمر وانّما هو عصير عنب، ويروى لنا عن ابن قتيبة : الاسفند والاسفنط ، وقال ابن ابي سعيد : الاسفنط والاصفند بالصاد : أعلى الخمر واصفاها» . المعرب ، الجواليقي : ١٨ .

وبناء (فَعْلُول) وهو في الأبنية المستدركة على سيبويه (٥) وتأتي ندرته في مفهوم الأزهري (ت ٣٧٠هـ) والصاغاني (ت ٦٥٠هـ) من انه لم يسمع على هذا الوزن غير (صعفوق) : وهي قرية باليمامة ، وزاد الزبيدي (ت ٣٧٩هـ) اسما آخر، هو : زَرْنُوق : وهو عمود البئر . قال الأزهري : «كل ماجاء على وزن (فعلول) فهو مضموم الأول مثل زنبور وبهلول ، وما اشبه ذلك الا حرفا جاء نادرا وهو (صعفوق) لخول باليمامة وقيل في الوصف : الذي لامال له ، او اللئيم من الرجال (٦) .

يتضح لنا من هذا ان النادر من أبنية اسماء الذات الجوامد في مفهوم ثعلب والأزهري وابن سيده ، ومن تابعهم ، هو البناء الذي لم يسمع على مثاله الا الفاظ محدودة جدا لم يحكم بشذوذها اومخالفتها لقياس العربية .

ومن الأبنية الأسمية أيضاً (جمع التكسير) ، وهو الأسم الدال على أكثر من اثنين بتغيير صورة مفردة : اما بزيادة كصِنو وصنوان ، واما بنقص كتُخمة وتُخم أوبتبديل شكل كأسدَ وأُسْد ، اوبزيادة وتبديل شكل كرجل ورجال ، او بنقص وتبديل شكل كقَضيب وقُضُب ، أوبهن كغُلام وغِلمان .

وله سبعة وعشرون بناء ، اربعة منها موضوعة للقليل وثلاثة وعشرون للعدد الكثير (٧) واختلفت وجهة نظر العلماء ازاء طائفة من هذه الأبنية التي أدت الغرض الصرفي نفسه في حالة مجيئها من أبنية مفردة معينة من ذلك :

(آ) بناء (أفعال) : ويجمع عليه في النادر المسموع الأسم الذي على وزن (فَعْل) المفتوح الفاء الصحيح العين الساكنها ، نحو لَحْنُ والحان وفَرْدُ وأفراد وفَرْخُ وأفراخ ، وَزندُ وأزناد وحَمْل وأحمال . قال الحطيئة :

---

(٥) الاستدراك ، الزبيدي ، ص ٣٠ وص ٣٣ .

(٦) انظر : التكملة والذيل والصلة ٢ : ٤٢٤ ، لسان العرب مادة (ص.ع.ف.ى) .

(٧) استوفت المصادر ذكر الأوزان والمفردات التي تجمع منها وأمثلتها ، ينظر على سبيل المثال – شرح المفصل ، ابن يعيش ٥ : ٦ ، أوضح المسالك ، ابن هشام ٣ : ٢٥٦ وما بعدها ، شرح الاشموني لالفية ابن مالك ٢ : ٤٢٤ وما بعدها .

ماذا تقول لأفراخٍ بذي مرخٍ زُغبِ الحواصلِ لا ماءٌ ولاشجرُ (٨)

وقال الأعشى :

وجدت ، اذا اصطلحوا ، خيرَهُم وزَنْدك أثْبتُ أزْنادِها (٩)

واحدة : فَرْخٌ ،زَنْدُ من الثلاثي الصحيح .

وحمل بعض اللغويين هذا الأستخدام على (القليل) الذي لايقاس عليه ، ومنهم أبو علي الفارسي (ت ٣٧٧هـ)الذي قال : «وقد جمعوا (فعلا) على (افعال) في العدد القليل وذلك قليل لايقاس عليه» (١٠) .

ولايقاس عليه ايضاً لانّه (شاذ) ، وذلك عند ابن الناظم (ت ٦٨٦هـ) وابن هشام وغيرهما (١١) .

وبذلك يصب مفهوما (الشاذ) و(القليل) عندهم في مجرى واحد ، وهو (الذي لايقاس عليه) ، ويمثل استخدام الرضي (ت ٦٨٦هـ) القليل المسموع ، والقياس على القليل المسموع ظاهره التناقض الا انّه مع تأمّله صحيح (٢١) ، ووصفه السيوطي (ت ٩١١هـ) بأنه استعمال نادر سواء أكان في الأسم – كما مثلنا – ام في الوصف كجِلف وأجلاف وخلق وأخلاق (١٣).

وقد ورد البناء من المفرد المختلف فيه في قوله تعالى : وأولات الأحمالِ أَجَلُهن انْ يَضَعْنَ حَمْلَهُن » (١٤).

---

(٨) انظر : ابن الناظم ، شرح الفية ابن مالك ٣٠٣ ، أوضح المسالك ٣ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ شرح الاشموني على الفية ابن مالك ٤ : ١٢٤ وما بعدها .

(٩) انظر : ابن الناظم ، شرح الفية ابن مالك ٣٠٣ ، أوضح المسالك ٣ : ٢٥٦ ، ٢٥٧ ، شرح الاشموني على الفية ابن مالك ٤ : ١٢٤ وما بعدها .

(١٠) التكملة (وهي الجزء الثاني من الايضاح العضدي) ، ابو علي الفارسي ١٤٨ .

(١١) شرح الفقيه ابن مالك ، ابن الناظم ٣٠٣ ، اوضح المسالك ٣ : ٢٥٦ ، شرح الاشموني ٢ : ٤٢٤ .

(١٢) انظر : الخصائص ١ : ١١٥ ، شرح الشافية ، الرضي ٢ : ٩٠ .

(١٣) الهمع ، السيوطي ٢ : ١٧٤ .

(١٤) الطلاق ٤ .

واحدة (حَمْل) ، وبذلك يكون النادر الصرفي وجود في القرآن الكريم وهو المستوى الاعلى للفصاحة .

(ب) بناء (فُعُل) ويجمع عليه ماكان على وزن (فَعِيل) في الوصف كـ(نَذِير ونُذُر) وفي الأسم ذي التاء على صيغة (فَعِيلَة) كـ(سَفِينة وسُفُن) و (صحيفة وصُحُف).وهو قليل الأستعمال عند سيبويه، وشبهوا فيه(فَعِيلَة) بـ (فَعِيل) و(فُعُل) حين علموا ان الهاء ذاهبة (١٥) ، وهو تعليل مسوّغ — في رأينا — لان لكل بناء امثلته التي يطرد اويقل فيها،وبذلك قالوا في (ظريفة ظرائف)و (ذبيحةذبائح)، و(ضغينة ضغائن) و(قِربة قِرَب)،و (سِدرة سِدَر)وذلك اكثر من ان يحصى .

ووصفه ابن هشام بانه بناء محفوظ في أبنية مفردة معيّنة هي : (فَعِل) نحو (نَمِر ، نُمُر) ، و (فعيل) نحو : (نذير نذر) ، و (فعيلة) نحو : (صحيفة صُحُف) (١٦) وفي مفهوم السيوطي بناء (نادر) في جمعه من الصفة المفردة (فعيل) ومن الأسم المؤنث بالتاء (فعيلة) (١٧) .

و بذلك وصف البناء بأنه (قليل) و(محفوظ) و(نادر) ولكل منها دلالته الخاصة في قانون قياس العربية .

(ت) بناء (فُعَّل) : يجوز سيبويه جمعه من صيغة المفرد من الصفات التي على وزن (فاعل) المعتل اللام نحو (غاز وعاف وساق) فقالوا في جمعها : (غُزّى وسُقّي وعُفّي) وهو عند ابن سيدة ومن تابعه جمع نادر في ماكان معتل اللام على (فاعل) لانّه يطّرد فيه وفي صيغة (فاعلة) على ان يكون لامهما صحيحا (١٨) .

ووصف البناء بالندرة في حالة مجيئه جمعا لابنية مفردة أخرى غير ماذكرنا من نحو

---

(١٥) كتاب سيبويه ٢ : ١٩٦ .

(١٦) أوضح المسالك ٣ : ٢٥٩ .

(١٧) انظر الهمع ، السيوطي ٢ : ١٧٥ .

(١٨) كتاب سيبويه ٢ : ٣١٤ ، ٣٨١ ، ٣٨٢ والمخصص ، ابن سيدة ١٥ : ٢٠٢ .

(فاعل) و (فاعلة) نحو قولهم في (فعيلة)(خَرِيدَة خُرَّد) ،وفي (فعلاء) (نفساء نُفُس
وفي (افعل) : (أعزل وعزل) .

ويشاركه في الوصف بناء الجمع (فعال) في حالة جمعه من البناء المفرد (فاعل)
و(فاعلة) المعتل والصحيح (صادة صداد) و (غازٍ غُزّاء) و (سارٍ سُرّاء) ، اسماء فاعل
من : الصدّ والغزو والسرى (١٩) .

فهذه الأبنية من جموع التكسير لايجمع — في رأيهم — عليها ماورد من الصيغ
الافرادية وان سمعت فهي مختلف في وصفها وقياسها ، كان تكون جائزة عند بعضهم
قليلة ويقاس عليها عند آخرين ، شاذّة عند فريق ، ونادرة عند فريق آخر . وهذا
يدعو الى ضرورة اعتماد الدقة — في الدراسات الحديثة — في وصف الالفاظ اللغوية
الموسومة بالنادر وضرورةَ الفصل بين المفاهيم التي اسبغها الأقدمون عليها (٢٠) .

أبنية الأفعال المجردة :

من الأبنية الفعلية التي اختلفت الاراء فيها ، بناء الفعل الثلاثي المجرد : (فعل يفعل) ،
بالفتح ، وهو خاص بما كانت (لامه) او (عينه) احد حروف الحلق الستة ، الا ماحكاه
سيبويه نحو : « أبى ، يأبى ، وجبى يجبى ، وقلى يقْلى » ولتفردها عدّت نادرة والنادر
منها في مفهوم ابن السكيت (ت ٢٤٦هـ) الأول فقط ، ودعم رأيه بان سيبويه لم يحك
غيره مستندا الى قوله عن ابى يأبى انهم شبهوه بقرأ يقرأ ، ففتحوا عينها لهمزة الفاء كما
فتحوا عين (يقرأ) لهمزة اللام . (٢١) .

واستدرك عليهما النحاة افعالا اخرى وصلت الى عشرة احرف ، نحو سلا يسلى ، وحظا
يحظى : اذا سمن ، وعضضْت تعض وغس الليل يغسس وركن يركن . (٢٢آ) .

---

(١٩) انظر : التصريح ، الازهري ٢ :٣٠٨ . أوضح المسالك ٣ :٣٦٠ .
(٢٠) من ذلك دراسة د. باكزة حلمي ، صيغ الجموع في العربية ص ١٣١ ، ١٣٥ ، ١٣٤ ،
١٤٤ ، ١٤٥ ، ودراسة عباس ابو السعود ، الفيصل في انواع الجموع .
(٢١) حروف الحلق الهمزة ، هـ ، ع ، ح ، خ ، غ ، ينظر كتاب سيبويه ٢ : ٢٥٤ اصلاح المنطق :
٢٤٣ .
(٢٢آ) أنظر ليس في كلام العرب ، ابن خالويه ١٧ .

وجميعها مختلف فيها : فعن جبى يجبى وقَلى يَقْلى : يرى سيبويه « إنهما غير معروفين إلاّ من وجه ضعيف فلذلك امسك عن الأحتجاج لهما » (٢٢ب) «وحملها بعضهم على ، التداخل بواسطة طريق الأستغناء وهو ترك شيء لوجود آخر مكانه » (٢٣أ) وسمع الفراء (ت ٢٠٧هـ) وغيره بعضها بالضم نحو (يرْكُن) . واذا تعددت مثل البناء يخرجها ابن السكيت من دائرة النادر ويعزوها الى لهجة عربية والى اختلاف مشارب السماع عند أهل اللغة ، ويقرّر ان النادر مالم يسمع على بنائه إلا لفظ واحد او اكثر بقليل » (٢٣)ب نحو بناء (فَعَل يَفعِلُ) بكسر عين المضارع في الثلاثي المضعف المتعدي ومع مجيئه بالضم على الأصل ، جاء بالكسر مع الضم في ثلاثة أحرف عدت نادرة هي : شدهُ يشدُّه ويشده ، وعلّه يعلُّهُ ويعِلُّه ، ونمَّ الحديث ينُمهُ وينِمّهُ » « فان جاء مثل هذا مما لم نسمعه فهو ، قليل واصله الضمّ » (٢٤) ولم يخالف قياس العربية في شيء ، والنادر منه في مفهوم القاسم ابن سعيد المؤدب (القرن الرابع الهجري) : ماخالف في بنائه ابواب الفعل الثلاثي الستة المعروفة في العربية كبناء فَعِلَ يَفعَلُ « بكسر العين من الماضي وضمها من الغابر ، نحو ، فَضِلَ يفْضُلُ » (٢٥)

والوجه منه ان يكون مضارعه (يَفْعَل) بالفتح او (يَفْعِل) بالكسر ،نحو شَرِبَ يشرَبُ ، وحَسِبَ يَحْسَبُ . (٢٦)

والنادر في أبنية الأفعال في مفهوم الأخفش الصغير (ت ٣١٥هـ) مالم يخالف القياس عند اهل العربية لكنه لايرقى في جودته وفصاحته الى ماهو شائع في كلام العرب ، نحو قول ابي حاتم السجستاني (ت ٢٥٥هـ): (مجلَتْ تَمجَلُ) و (مجَلت تمْجلُ) : اذا كان بين اللحم والجلد لا ماء ، وسمعه الأصمعي (ت ٢١٦هـ) مجلت بالفتح ، وعند الرياشي (ت ٢٥٧هـ) :

(٢٢ب)الكتاب ٢: ٢٥٤ ، ابنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٨٠ .

(٢٣آ) ابنية الصرف في كتاب سيبويه ٣٨٠ .

(٢٣ب)اصلاح المنطق ٢٤٣ .

(٢٤) اصلاح المنطق ٢٤١ .

(٢٥) أنظر : دقائق التصريف ، القاسم بن سعيد المؤدب ١٤٧ .

(٢٦) نفسه ١٤٧ .

(مجلت) بالكسر والفتح جائز مثل نفطت ونفطت ، « والقياس — في رأي الأخفش الصغير — عند اهل العربية وهو شائع في كلام العرب ايضاً ان يقول : مجلت يده تمجل مجلا ، كما يقال : نفطت وكنبت يده : اذا غلظت ، وان قلت (مجلت تمجل مجلا)جاز وليس في جودة ماذكرناه آنفا وفصاحته » . (٢٧)

والمتأمل في هذا النص يجد ان الأخفش فرق بين القياس والشائع عند أهل العربية وبين النادر وعدّ النادر جائزا لكن الشائع اكثر فصاحة وجودة وان لم يخالف النادر قياسها .

وفي موقف آخر يخطيء الأخفش الصغير النادر لانه يخالف القياس في حين نرى الأخر يأخذ به ، من ذلك ماذكره الأنصاري في بناء الفعل (غمِقَ) على مثال (فعل)قال ويقال : غمقت عيني غمقا اذا نديت ، وكل مابتل فقد غمق ، وذكر ابوحاتم السجستاني (غمقت) بالضم ، ورأى الأخفش الصغير : ان « هذا الذي قال ابوحاتم غلط والصواب الأول ، لانه يقال غمقت غمقا فهي غمقةٌ ، مثل : فرقت فرقا فهي فرقةٌ ، وبطرت بطراً فهي بطرة ،وهذا مطرد في الباب،ولوكان كما قال لقالوا :فهي غميقة اوغمقة » (٢٨).

يتضح من هذه المفاهيم ان النادر عند الأنصاري من الأفعال مالم يّطرد على مثاله الفاظ كثيرة ، والمثال الذي لم يكن شائعا في اللغة وكان مقتصراً على استخدام واحد او اكثر ويخطيء الأخفش الصغير المثال ويخرجه من دائرة النادر في حالة امكان حمله على باب آخر تطرد فيه الأمثلة ، لانه ينظر الى بناء المصدر من الفعل المختلف فيه فيحمل باب الفعل على مااطرد منه من صيغ المصدر القياسي فالمصدر (فعلا) قياسي في الفعل الثلاثي اللازم في باب (فعل يفعل) سواء اكان صحيحا ام معتلا ، ام مضعفا وبهذا يخالف الأخفش الصغير غيره في ما عدّ نادرا (٢٩) .

(٢٧) النوادر في اللغة ، ابو زيد الانصاري ٤٧٣ .
(٢٨) النوادر في اللغة ، ابو زيد الانصاري ٥٦٩ .
(٢٩) أنظر في بناء المصدر على (فعل) والأفعال التي يقاس منها ، المقتضب المبرد : ١٢٥ ، المفصل ، الزمخشري ٢ : ١١١ ، ابنية الصرف في كتاب سيبويه د. خديجة الحديثي ٢١٦ ، قواعد اللغة العربية ، وليم رايت ١١٣ .

بناء المصدر على مثال (مفْعُل) :

اتفق اغلب الصرفيين ان بناء المصدر على مثال (مفْعلُ) – مضموم العين – لم يرد عن العرب بغير (هاء) لان هذا المثال لايكون لواحده ذكرٌ ، نحو المقبُرة ، والمقدُرة ، ومقْضُوة ، ومدعُوة واشباهها ولايفعلون ذلك في مذكر ليست فيه الهاء لان الهاء اذا ادخلت سقط عنها بناء(فَعَل يَفْعلُ) فصارت اسما مختلفا ،وقد جاءت في اللغة الفاظ على هذا البناء مما عدّ مصدرا وكان موضع اختلاف العلماء من حيث انتماؤه الى فئة لغوية معينة ،او كونه نادرا ، او رفض وجوده اطلاقا ، من ذلك : (مَكْرُم) و (مَعُون) ، واستدرك ، عليهما ابن خالويه (ت٣٧٠هـ) (مَيْسُر) و (مالك) . (٣٠)

وقد تحقق الأستعمال في قول الشاعر جميل بثينة (٣١)

بُثين ، الزمي (لا) انّ (لا) انْ لَزِمتِه
على كثرةِ الواشين أي مَعُونِ

وقول ابي الأخزر الحماني :

ليوم روعٍ او فَعال مَكْرُم ....(٣٢)

فقد رفض سيبويه هذا البناء من مجموع الأبنية الصرفية العربية وكلامه فيه « لم يجيء في كلام العرب مَفْعُل » (٣٣) يعني لامفردا ولاجمعاً . (٣٤)

وذهب الفراء وتبعه القاسم بن محمد المؤدي الى انها صيغة من صيغ جموع التكسير ، واحدها (معونة) ، و (مكرمة) ، على ماهو مذهب النحاة في نحو : تمر وتفاح فيجيز

---

(٣٠) ليس في كلام العرب ٧٥ .

(٣١) ديوان جميل بثينة ، بتحقيق حسين نصار ٢٠٨ .

(٣٢) البيت من الرجز المشطور وروي قبله :

مروان مروان أخو اليوم اليمي

انظر الشاهدان في معاني القرآن ، الفراء ٢ :١٥٢ ، اصلاح المنطق ١ : ٢٤٩ ، دقائق التصريف ، القاسم المؤدب ٣٢٥ ، شرح الشافية ، الرضي ١ :١٦٨ .

(٣٣) الكتاب ٢ :٣٢٨ .

(٣٤) انظر : شرح الشافية ، الرضي ١ :١٦٨ – ١٦٩ .

معون ومكرم في غير الضرورة وهو الأجمل للعربية في رأيه (٣٥) ويرى السيرافي (ت ٣٦٨هـ) : ان اصله (معونة) فحذفت التاء للضرورة ، وكذا في قوله : (مَكرمة) . (٣٦)

وقد ادخلهما الكسائي ضمن مجموعة النادر اللغوي ولم يسمع منها الا الحرفان الاولان ولايقاس عليهما غيرهما من الألفاظ ووافقه الرأي ابن السكيت . (٣٧) .

وذهب ابن خالويه وتابعه ابن الحاجب (ت ٦٤٦هـ) الى ان هذه الألفاظ مصادر، وبذلك أقرا بناء (مفْعُل) ضمن أبنية المصادر ويحمل على هذه الألفاظ غيرها مما لم يسمع (٣٨).

والنادر من بناء المصدر في مفهوم الفراء هو التقليل المستعمل في البنية الصرفية ، وهذا القليل لم يأت على مثاله الا لفظة واحدة او لفظتان ، ونقل ابن مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) عن الفراء ان المصادر كلها مفتوحة الفاء الا حرفين نادرين الأول منهما بالكسر ،هو حج حجــةً وجاء الأخر بضم اوله هو رأي رؤيةِ . (٣٩) .

ولم يسلم ابو مسحل الأعرابي بهذا المضمون وضمن مادته اللغوية النادرة من المصادر ماتوافر فيه بناءان مختلفان مستعملان بمستوى واحد من الأستخدام جاريان على القياس في صيغتهما ، نحو : ذَهَبَ ذهابا وذهوبا وكسد كسادا وكسودا وفسد فساداً وفسوداً ، وغيرها (٤٠) .

وبهذا اتخذ كل منهما منحى مغايرا للنادر ونظر اليه من زاوية ادراكه وفهمه الخاص لهذه الفئة التي وصفت بهذا الوصف.

---

(٣٥) المقصود بمذهب النحاة هنا : هو مذهبهم في اسم الجنس الجمعي ، معتبراً في استعماله لا وضعه ثلاثة افراد فاكثر ، ولم مفرد يشاركه في لفظه ومعناه معاً ويمتاز منه اما بتاء التأنيث غالباً ، كنحلة ونحل ، وكلمة وكلم ، ونخلة ونخل ، وشجرة وشجر . واما بياء نسب في المفرد كرومي وروم وعربي وعرب . انظر : الفيصل في الوان الجموع ، عباس ابو السعود ١١١ . ورأي الفراء : معاني القرآن ٢ : ١٥٢ ، اصلاح المنطق ١ : ٢٢٢ — ٢٢٣ دقائق التصريف ٣٢٥ .

(٣٦) شرح الشافية ، الرضي ١ : ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣٧) اصلاح المنطق ١ : ٢٢٢ — ٢٢٣ .

(٣٨) ليس في كلام العرب ، ابن خالويه ٧٥ ، شرح الشافية ، الرضي ١ : ١٦٨ — ١٦٩ .

(٣٩) النوادر ، ابو مسحل الاعرابي ٢ : ٥٠٤ .

(٤٠) المصدر نفسه ١ : ٢٢٦ .

أبنية المشتقات

- آ - بناء اسم الفاعل :

اتفق اغلب الصرفيين على ان لأسم الفاعل صيغة واحدة على مثال (فاعل) في جميع ابواب الفعل الثلاثي قياسا اوسماعا اي بزيادة الف بعد فاء الكلمة وكسر مابعد الألف ، وتطرد صياغته من غير الثلاثي على وزن مضارع الفعل المراد اشتقاق اسم الفاعل منه، مع ابدال حرف المضارعة فيما مضمومة وكسر ماقبل الأخر . (٤١)

والنادر في مفهوم ابي زيد الأنصاري مما نقله ابو الحسن الأخفش من هذه الصيغة الصرفية هو ماجاء على وفق قياس العربية الا ان المستعمل الجاري في كلامهم غيره ، وحكى لنا في هذا الموضع قولهم :

«لبثت لبثا فانا (لبثٌ) كقولك : فَرِقتُ فَرَقا فانا فرق وبطِرتُ بَطَرا فانا بطِرٌ ، والمستعمل الجاري في كلامهم (لابثٌ) كقولك : الضارب ، والمصدر (الليث) كقولك (الضرب) والدليل على هذا قولهم : لبثة كضربة » (٤٢) .

وعندنا ان الذي يريده أبو زيد الأنصاري من هذا المفهوم قد اتفق عليه الصرفيون فيما بعد ، لان من الصفات المشبهة باسم الفاعل ماتبنى على (فَعِلٌ) من الفعل الثلاثي (فَعِل ، يَفْعَل) و (فَعُل يفعُل) اذا دل على الأدواء الباطنة ومايناسبها من العسر واللّحز ونحوها من الهيجان والخفة والأمتلاء والأشر والجذل ، والفرح والقلق (٤٣) . ولمّا دلّ اللبث على المكث (٤٤)، ابتعد جدا عن الدلالة السابقة فحملها المتكلم على الصيغة الشائعة في كلامه في اسم الفاعل ، وفسرها ابوزيد الأنصاري حملا على غيرها من الألفاظ المماثلة في البنية ولم ينظر الى الدلالة التي تعد اساسا في بنية الكلمة (٤٥) .

---

(٤١) انظر : المنصف ، ابن جني ١ : ١١٨ ، المفصل ، الزمخشري ٢ : ١١٩ ، الاشتقاق ، عبدالله امين ٢٤٧ ، معاني الابنية في العربية ، فاضل السامرائي ٤٦ .

(٤٢) النوادر في اللغة ، ابو زيد الانصاري ٣٠٦ .

(٤٣) أنظر : شرح الشافية ، الرضي ١ : ١٤٣ – ١٤٤ .

(٤٤) لسان العرب ، القاموس المحيط (ل.ب. ث.)

(٤٥) توافر في هذا الفعل صيغتان من اسم الفاعل هما (لبث) (لابث) و والثاني اكثر شيوعاً .

ومثله مما اختلف فيه ابو زيد الأنصاري وابو الحسن الأخفش قول العرب : « قد لقس الناسُ يَلْقسُهم لقساً وهو رَجُلٌ لقِسٌ » : وهو الذي يلقب الناس بالالقاب تلقيبا ويسخر منهم ويوسد بينهم » (٤٦) وهذا الأستعمال محفوظ عند ابي زيد وغيره وهو شبيه بالاجماع وهو القياس : (لقس يلْقسُ لقساً فهو لقْسٌ) مثل: (بطر يبْطرُ بطراً فهو بطِرُ) .(٤٧)

ولم ينكره ابو الحسن الأخفش لانه يجيزه على وجه غامض في العربية والباب فيه ان يقال: لقس يلقس فهو لاقس مثل ضرب يضْربُ فهو ضاربٌ لانه مطرد في فعل يفعل(٤٨).

وارى ان اطلاق صفة النادر على هذا الأستعمال يعود الى جملة من الحقائق هي ؛: —

اولا — اختلاف صيغة الماضي من هذا الفعل فقيل فيه : فَعِل وفَعل لقِس ولقس .

ثانيا — ان المتكلم قاس الوصف منه استناداً الى احد اوجه الماضي منه والدلالة التي اقترنت به .

ثالثا — ان اللغويين اقاموا صيغة اسم الفاعل منه على وفق ماسمع في نطق (عين)ماضي الثلاثي من هذا الفعل كسرا او فتحا . ——

والمفهوم الثاني لهذا المشتق يتمثل عند ابن خالويه والجوهري (ت ٤٠٠هـ) في صياغته من غير الثلاثي على بناء (فاعل) وليس على القياس الذي اقره الصرفيون — وذكرناه سابقاً — نحو قولهم : « قد ايفع الغُلام : اي ارتفع وهو (يافعٌ) ولايقال (مُوفعٌ) وهو من النادر » (٤٩) .

واضاف الجوهري: «أورس المكانُ فهو وارسٌ ولايقال مُورسُ وهو من النوادر(٥٠) ونظير هما : أعشبت الأرض فهو عاشب وابقل الموضع وهو باقل : كثير بقله ، وأورق النبت وهو وارق : طلع ورقه ، وأقرب الرجل وهو قاربٌ :اذا قربت ابله من الماء وافحل البلا فهو ماحلٌ واغضّ الرجل فهو غامض: الطّرى ، وبصره : كفه وخفضه (٥١) .

(٤٦) (٤٧) (٤٨) النوادر في اللغة ، ابو زيد الانصاري ٥٢١ — ٥٢٢ .

(٤٩) لسان العرب (ى ف ع) .

(٥٠) الصحاح ، الجوهري (ورس)

(٥١) ليس في كلام العرب ٦٣ ، لسان العرب (ي ف ع) و (غ ض ف)

وفي رأينا ان هذا الأستعمال لصيغة (فاعل) من غير الثلاثي هو من الصفات المشبهة باسم الفاعل وليس من اسماء الفاعلين ، بل دلالة بناء (فاعل) على الصفة المشبهة واسم الفاعل والمفعول كثيرة الورود في العربية (٥٢)

بناء اسم المفعول

ولاسم المفعول بناء قياسي واحد في الثلاثي المجرد ، هو (مفعول) ويصاغ في المتعدي المبني للمجهول كما يصاغ في اللازم اذا اريد تعديته ، ويصاغ في جميع ابواب الفعل الصحيح والمعتل ، الا الاجوف فانه يبنى في رأي الخليل (ت ١٧٥هـ) بحذف الواو في بناء (مفعول) ويحذف عين الفعل المراد اشتقاق اسم المفعول منه ، وقلب واو البناء ياء في اليائي منه في رأي الأخفش الأوسط (ابي الحسن)(ت ٢١١هـ)، نحو: قيل فهو مقول وبيع فهو مَبيعٌ ، « زعم الخليل وسيبويه انك اذا قلت : مقول ومبيع فالذاهب لالتقاء الساكنين واو مفعول » (٥٣) . « وكان ابو الحسن الأخفش (الأوسط) يزعم ان المحذوفة عين الفعل والباقية ، واو مفعول » (٥٤) .

والنادر في هذا البناء ماأتى تاما من معتل العين ، نحو : مِسكٌ مدووُف وثوب مصوون فقد اقر ابن السكيت استعمالها ولم يحكم بشذوذهما اوخروجهما عن قياس العربية ولكن حكم بقلتها لانه لم يسمع غيرهما والكلام مَدوفٌ ومَصون (٥٥)

وهو الأشهر / الأعرف من كلام العرب في رأي المازني (ت٢٤٩هـ) لأنه يمنع ان يتم (مفعول) من ذوات الواو ،ومن أجازه فسبيله في هذا سبيل من قال: (قام زيداً) (٥٦) وابتعد ابو الفتح بن جنّي (ت ٣٩٢هـ) كثيراً عن هذا المفهوم وعدّ ماجاء منها شاذا في القياس والأستعمال ،وزاد عليهما مما حكاه البغداديون .رجل مَعْوودٌ من مرضه وفرس مقوودٌ ، وقَولٌ مقوول ، (٥٧) « فلا يسوغ القياس عليه ولا رد غيره اليه ، ولا يحسن

---

(٥٢) أنظر : شرح الشافية ، الرضي ٢/٢٢٦ .

(٥٣) ، (٥٤) أنظر : الكتاب ٢:٣٦٣ ، المنصف ابن جني ١:٢٨٧ وما بعدها .

(٥٥) كتاب سيبويه ٢:٣٦٣ ، ٣٨١ ، اصلاح المنطق ٢٤٨ ، دقائق التصريف ٢٧٤ .

(٥٦) المنصف ، شرح كتاب التصريف ، ابن جني ١:٢٨٤ ، ٢٨٥ .

(٥٧) الخصائص ١/٩٨ – ٩٩ ، المنصف ١:٢٨٥ .

ايضاً استعماله فيما استعملته فيه الا على وجه الحكاية ... لكنه لايتخذ اصلا يقاس عليه غيره » (٥٨) .

وخلافا للنحاة كلهم أجاز أبو العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) اتمام (مفعول) من ذوات الواو وأخرج الألفاظ السابقة من دائرة النادر والشاذ لانها ليس باثقل من : سرت سوورا وغرت غوورا لان في (سوور) و (غوور) واوين وضمتين وليس في (مصوون) مع الواوين الا ضمة واحدة (٥٩) ، وبذلك رفض النادر وحمله على غيره من المسموع .

وللصيغة الصرفية التي نحن بصددها وجود في اللهجات العربية ، اذ تعد الأخيرة رافدا هاما من روافد النادر اللغوي من ذلك(غيثت الأرض تُغاثُ غيثاً فهي ارض (مَغيثَةٌ) و (مَغيوثة) : اصابها المطر ، » وهو الشائع في الأستعمال (٦٠) والنادر من هذا الأستخدام مأأقره أبو مسحل الأعرابي عن لسان هذيل بقولهم : «هذه أرضٌ مُغاثَةٌ ، وهم يريدون اسم المفعول باعلال الواو الفا (٦١) لانهم يقولون أغاثها المطر ، ولم ينظر ابو عثمان المازني الى هذا الأستخدام على انه من نوادر الأستعمال للبنية في الثلاثي المعتل حين قرّر : « اذا قلت : هو يُخافُ ، ويُقالُ ويُقام وذلك قولك هو مُخافٌ ، ومُقالٌ في بيعه ومُقامٌ للناس والعلة في هذا وفي (يُفعل) واحدة لان يُخاف ويُقام ويُقال اصله : يُخْوفُ ويُقْوم للناس ويُقْبل في بيعه ، فالقيت حركة المعتل على الساكن الذي قبله وقلبت عين المعتل الفاً لانفتاح ماقبله . وكذلك (مُقالٌ) و(مُخاف) اصله (مُخْوَفٌ) ، و(مُقْوَلٌ) ففعلوا به ما فعلوا بالفعل الذي هو في مثاله » (٦٢) . ولم يفرقوا بين الأسماء والأفعال في هذا البناء لان الزيادة التي في اوائل الأسماء الميم ، والميم ليست من زوائد الأفعال فلم يخافوا التباساً ، ولافرق – في رأينا – اذا جرى على لسان المتكلم (هذيل) : غيثت الأرضُ تُغاث ، فهي

(٥٨) الخصائص ١ : ٩٨ – ٩٩ .

(٥٩) المنصف ١ : ٢٨٥ .

(٦٠) أنظر : القاموس المحيط ، الصحاح ، مختار الصحاح (غي ث)

(٦١) النوادر ، ابو مسحل الاعرابي ١ : ٣٦٩ .

(٦٢) المنصف ١ : ٢٧٠ – ٢٧١ .

مغاثة ،او اغاث فهو مغاث والعلة واحدة، وندرة هذا الأستعمال عند ابي مسحل الأعرابي لم تخرجه عن قياس العربية الا انّه وجده أقل انتشاراً عن الأول والناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيب غير مخطيء ، وقد نص ابو عثمان المازني على أنّ ؛ « ماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب ، ألا ترى أنك لم تسمع انت ولاغيرك اسم كل فاعل ولامفعول وانما سمعت البعض فقست عليه غيره » (٦٤) .

جـ - بناء اسمي الزمان والمكان

تصاغ اسماء الزمان والمكان من الفعل الثلاثي المجرد على مثال (مَفْعَل) بفتح العين وعلى (مَفْعِل) بكسرها ، وضابط البناء الأول ان يكون مضارع فعله مفتوح العين او مضمومها وضابط البناء الثاني ان يكون مضارع فعله مكسور العين نحو : يدخل : مدخلا ، ونخرُج : مخرجا ، ويطلُعُ : مطلَعاً ، ويعرِضُ : مَعرِضا ، وَيقفُ مَوقِفاً اوتكون لامه معتله نحو يرمي ويغزو يقال فيه : مغزى ومرقى أو فاؤه واو نحو : ورد مورِد ووقف مَوقِف . (*) .

وفي اللغة اسماء زمان ومكان مكسورة العين وقياسها الفتح ، نحو : المسجِد ، والمرفق والمنبت ، والمنخِر ، والمنسك ، والمشرق ، والمغرب ، والمحشر ، والمطلع ، وقد شكلت هذه الألفاظ محورا من محاور النادر اللغوي في مباحث القدماء ، فهي في مفهوم سيبويه ليست صيغاً صرفية للتعبير عن اسمي الزمان والمكان ، بل اسماء مواضع معينة واطلاقات خاصة لاتندرج تحت شروط الصيغة (٦٥) ، ومنهم من عدّها الفاظا شاذّة لخروجها عن قياس العربية ، واخرجها ابن السكيت وابو علي الفارسي والقاسم بن محمد المؤدب من مجموعة ماعدّ نادرا او شاذا من الألفاظ وحملوها على الصحيح المسموع من لهجات العرب وكلامهم ، جاء عن ابن السكيت قوله : «وربما فتحه بعض العرب في الأسم ، فقد روى مَسْكَن وَمسكن وأهل الحجاز يقولون مَسْكَن » (٦٦). وهذا يجوز في غيره من الألفاظ كالمسجد والمطلع وان لم نسمعه . (٦٧)

---

(٦٣) (٦٤) الخصائص ١ : ١١٤ - ٣٥٧ .

(٦٥) أنظر : كتاب سيبويه ٢ : ٢٣٦ ، المنهج الصوتي ، عبدالصبور شاهين ١٢٠ .

(٦٦) اصلاح المنطق ١٣٧ .

(٦٧) نفسه ٢٤٦ .

وقرر ابو علي الفارسي سماعه مفتوحاً عند الحجازيين في بعض الألفاظ التي وصفت بأنها نادرة وبذلك تكون الظاهرة صحيحة تحمل عليها جميع الألفاظ ، ولم يطلق صفة النادر على ماجاء مسموعا عند غير الحجازيين بل عده ظاهرة عامة في كسر اسم المكان في هذا الباب لانهم قالوا : البصرة مسقط رأسي ، يريدون موضع السقوط وهو من سقط يسقط (٦٨) . ويرجع القاسم بن محمد المؤدب هذه الصيغ الى لهجة خاصة تكلموا بها في صيغة بناء الفعل المضارع من هذه المشتقات ، حيث نطق قوم من العرب « في يفعل منها بالكسر فقالوا : ينسك ويطلع ويغرب ، ثم — قالوا : في « المفعل » على ذلك القياس وكسروه حين جعلوه اسما ، ثم ماتت لغتهم في (يفعل) وبقيت الكسرة في (مفعل) في أفواههم من تلك اللغة » (٦٩) .

ويؤكد الدكتور حسين نصار — من المحدثين — مفهوم النادر عند بعض من علماء العربية بانه لهجة معينة وجدت الى جانبها لهجة طابقت القياس ، ويقرر أنّ « النادر هو في حقيقة الأمر لغات أقرب الى المحلية عند هذه القبائل ويتفق مع ماالشتهر عن اهل الكوفة من أخذ اللغة والنحو من اعراب لم يأخذ عنهم اهل البصرة لعدم وثوقهم بهم » (٧٠) ، وأرى ان توسع بعض اللغويين في السماع زمانيا اومكانيا قد أدى الى اقرارهم ان النادر لفظ لم يجار قياس العربية في استخدامه باتفاق جميع الناطقين بالعربية ، كقولهم : مأرقي العين ، ومأوى الأبل « بالكسر » ، والقياس يقضي فتح عين البناء اسما كان ام مصدرا في ذوات الواو والياء على مثال (مَفْعَل) والعرب قد كسرت هذين الحرفين النادرين في استخدامهم لهما (٧١) .

د — بناء اسم الآلة

اتفق الصرفيون على ان كل شيء يعالج به الفاعل المفعول لوصول الأثر اليه ، مكسور الاول ، وله ثلاثة أوزان قياسية هي : مِفْعَل ، وِمفْعلة ، ومفعال ، واتخذ مجمع اللغة

---

(٦٨) التكملة ، أبو علي الفارسي ٢٢٢ .

(٦٩) دقائق التصريف ١٢٥ ، وينظر : كتاب سيبويه ٢ : ٢٤٦ .

(٧٠) دراسات لغوية ، حسين نصار ٢١١ .

(٧١) أنظر : اصلاح المنطق ١٣٧ ، ٢٤٦ . النوادر ، ابو مسحل الاعرابي ١ : ٣٥١ ليس في كلام العرب ٦٤ ، دقائق التصريف ١٢٣ .

العربية قرارا بقياسية اسم الألة من الثلاثي على أحد الأوزان السابقة ، واوصى باتباع صيغ المسموع من اسماء الالات ، فان لم يسمع وزن منها لفعل جاز ان تصاغ من أي وزن من الأوزان الثلاثة المتقدمة (٧٢) .

وقد ورد سماع بعض الألفاظ على مثال: مُفْعُل — بضمتين — نحو : المكْحلة ، والمسُعط ، والمنخُل ، والمدقّ ، والمدهُن ، والمنصل ، وزاد الزمخشري (ت ٥٣٨هـ) ، المحرضة . (٧٣) . وهي في رأي سيبويه وابن سيده ليست أبنية للالة ، لانهم لم يذهبوا بها مذهب الفعل وانها اسماء لأوعية مخصوصة ، وعند الفراء وابن السكيت وابن الحاجب وغيرهم الفاظ جارية على غير القياس في بنائها وكان القياس بكسر الميم (٧٤آ) .

وعدها ابو مسحل الأعرابي في نوادره بناءً نادراً جاء لتأدية الغرض الصرفي نفسه ، الا أن النادر من أبنية الألة في مفهوم الكسائي هما الحرفان اللّذان جاءا بلغتين في استعمال واحد ، الفتح والكسر ، نحو : مِطَهرَة ومطهرة ، ومِرقاة ومَرْقاة فقط (٧٤ب).

يتضح من هذه المفاهيم ان النادر في بناء الألة لم يستقر عند القدماء فمنهم من أخرج الالفاظ عن غرضها الصرفي الذي تؤديه ، ومنهم من حكم عليها بالشذوذ والخروج عن القياس ونظر اليها اخرون على انها بناء نادر معدود في بابه ويؤدي غرضا صرفيا بحتا ومنهم من ترك جميع ذلك ونظر الى النادر على أنه ماتوافرت فيه لغتان مسموعتان .

د — صيغة التفضيل

من الصفات المشتقة في اللسان العربي مايعرف باسم التفضيل او « أفعَل التفضيل » ، والمبوب لها في كتب العربية صيغة (أفعل) مذكراً و « فعلى »مؤنثة . وهو يصاغ من الفعل الثلاثي بشروط ذكرها النحاة . (٧٥)

(٧٢) ينظر : كتاب سيبويه ٢ : ٢٤٨ ، المخصص ، ابن سيدة ١٤ : ١٩٨ ، مجلة مجمع اللغة العربية ج ١ ص ٣٥ ، ٢٢١ ، ابنية الصرف في كتاب سيبويه ، الحديثي ٢٩٠ .

(٧٣) المصادر السابقة نفسها ، والمفصل ، الزمخشري ٣٤٠ ، شرح الشافية ١ : ١٨٧ .

(٧٤آ) ينظر كتاب سيبويه ٢ : ٢٤٨ ، المخصص ١٤ : ١٩٨ — ١٩٩ ، اصلاح المنطق ٢٤٤ ، ابنية الصرف في كتاب سيبويه ٢٩١ .

(٧٤ب) النوادر ، ابو مسحل الاعرابي ١ : ٨٧ .

(٧٥) ينظر : شرح المفصل ٢ : ١٢٦ ، شرح الكافية ٢ : ٢١٢ ، ٢١٣ .

ويشترك مع صيغتي التعجب : « ماأفعله و « أفعل به » لأنّ كل مالايجوز فيه (ماأفعله) لايجوز فيه (هذا افعل من هذا) ، لاجراء التفضيل مجرى التعجب ، لانماقهما لفظا وتقاربهما معنى (٧٦) .

والنادر من هذه الصيغ مما ثبت سماعه باتفاق نحاة البصرة والكسائي وابن الأعرابي ماجاء بحذف همزة البناء ، وقد تحقق الحذف في لفظتي : (خيْر) و (شرّ) ، فقالوا « ما خيره وماشره من رجل » على معنى (ماأفضله) و (ماأردأه) ، و « هذا خيرٌ منه وهو شر منك » في هذين يحذفون الألف (٧٧) ولم يوصف هذا الأستخدام بالشذوذ ، او خلاف القياس او الفصيح ، وانما هو نادر لقلته لانه لم يسمع في غيرهما . (٧٨) وقد ذهب بعضهم الى ترجيح تسميته اسم التفضيل وفقاً لهذا الأستخدام ، نحو قولنا : (زيد خير من أخيه) و (الجفاء شر من الصفاء) وهما اسمان للتفضيل . (٧٩) .

اما استعمال هذين اللفظين على الأصل الذي وضعت له الصيغة فكان موضع خلاف ، بين اللغويين وتابعهم بعض المفسرين ، فقد حكاه بعضهم : (ماأخيَرَه) و(خيرُه) و(ماأشره) و(شرُّه) ، و (هذا خيرٌ منه) و (أخيَرَ منه) ، وقالوا : (هو أخيرُ منك وأشرُّ منك) ، واستثنى بعضهم (شر) في التفضيل فلايقول : أشر تاما (٨٠) في حين نرى قراءة أبي قتادة وابي قلابة وابي حيوة (٨١) لقوله تعالى : أألقيَ الذكرُ عليه من بيننا بل هو كذابٌ أشِر وقوله : « سيعلمون غدا من الكذاب الأشِرّ » (٨٢) والأشر : هو البطر المتكبر

(٧٦) انظر تفصيل ذلك في : الانصاف في مسائل الخلاف مسألة (١٥) ، شرح المفصل ٦ : ٩١ .

(٧٧) النوادر ، أبو مسحل الاعرابي ٢ : ٣٥٥ .

(٧٨) لسان العرب مادة (خير) و (شر) .

(٧٩) اسلوب التفضيل في القرآن الكريم ، د. احمد عبدالستار الجواري ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، المجلد ٣٨ ج١ ص ٥ ، ١٩٨٧م .

(٨٠) لسان العرب مادة (خير) و (شر) .

(٨١) أبو قتادة : نذير بن منقذ ، ويقال تميم بن نذير (فعيل) العدوي البصري ، أبو قلابة : عبدالله بن زيد الجرمي البصري ، أبو حيوة (ت ٢٠٣هـ) شريح بن يزيد المؤذن الحضرمي الحمصي .

(٨٢) سورة القمر ٢٥ ، ٢٦ .

وقراءة هؤلاء : الكذاب الأشر : بلام تعريف ويفتح الشين وشد الراء،أفعل تفضيل (٨٣)
وذهب ابو حاتم السجستاني فيه الى : ان العرب لاتكاد تتكلم به تماما : (الأخْيَر)
(الأشر) الا في ضرورة شعر . (٨٤) .

ويرى الجوهري : ان الصيغة لاتأتي فيه تامة الا في لغة رديئة فلايقال: (الأشر) وعلى
هذا يكون النادر الذي جاء خلاف الصيغة الأصلية هو لغة جيدة ، وماوافقها وصف بأنه
لغة رديئة ، وعليه فالنادر هنا لغة مقبولة عند الجوهري . (٨٥) .

اما الأنباري فيرى : ان العرب تقول (هو أخيرُ) و (هو أشر) و (ماأخيره) وماأشره
والفيصل — عنده — في هذه المسأله الشعر ، وأنشد لرؤبة :

بلال خَيْرُ النّاسِ وابنُ الأخْيَرِ .... (٨٦)

من هذا نستنتج ان الأنباري يأخذ بالنادر اللغوي لان النادر هو الأصل للصيغة وجائز
في الأستخدام لمطابقته قياس العربية ولوروده في الشعر .

ويرفض الزمخشري في تفسير الكشاف الأصل الذي استخدم على وفق البنية العربية المتمرة
ويتمسك بما خالفها « الأخير والأشر أصل قولهم : هو خير منك وهو شر منه وهو أصل
مرفوض » (٨٧) وبذلك نجد من يتمسك بالنادر ويرفض نظام العربية وقياسها المتفق عليه
في هذين اللفظين .

ويفصل القرطبي (ت ٦٧١هـ) بين الأصل وغيره ، ويرى ان قراءة : (الأشر) (اسم
تفضيل) جاءت على الأصل ، واستعمالهم : (هو خير قومه) و (هو شر الناس)ليس
بشاذ ، لان الأستعمال جاء على وفق القرآن الكريم وهو المقياس اللغوي الصحيح وهو أصل
الأصول والحجة البالغة ، قال تعالى : « كنتم خير أمةٍ أخرجتْ للناس » (٨٨) وقوله

(٨٣) ينظر القراءة : الكشاف ، الزمخشري ٤ : ٤٣٨ ، الجامع القرطبي ١٧ : ١٣١ ، البحر المحيط ، ابو حيان النحوي ٨ : ١٨٠ .

(٨٤) المصادر السابقة نفسها ، روح المعاني ، الالوسي ٢٧ : ٨٩ .

(٨٥) الصحاح ، الجوهري (ش ر ر) .

(٨٦) الكشاف ، الزمخشري ٤ : ٤٣٨ ، الجامع ، القرطبي ١٧ : ١٣٩ ، البحر المحيط ، ٨ : ١٨٠ .

(٨٧) الكشاف ، الزمخشري ٤ : ٤٣٨ .

(٨٨) البقرة ، آية ١١٠ .

«فسيعلمون من هو شرٌّ مكانا وأضعفُ جُنداً» (٨٩) .

وهذا يدعم رأينا اذا قلنا : ان كثيراً مما وصف بالنادر اللغوي عربي صحيح لان اكثره لم يوسم بهذه السمة (لندرته) او (لشذوذه) في القياس ، واللغة — كما هو معروف قياس يتبع ، كالنحو مثلا ، وماقيس على كلام العرب فهو من كلام العرب» (٩٠) سواء قلّ المقيس عليه او كثر ، قال ابن جنّي في باب جواز القياس على مايقل ورفضه فيما هو أكثر منه «هذا باب ظاهره ظاهر التناقض الا انّه مع تأمله صحيح ، وذلك ان يقل الشيء وهو قياس ، ويكون غيره أكثر منه الا انه ليس بقياس» (٩١) .

وعلى هذا (فالنادر) لايحمل مظهراً خاطئا من مظاهر القياس الصرفي التي قال بها أكثر الصرفيين خاصة واللغويون عامة ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى نجد اكثر الذين أخرجوا النادر من فصيح اللغة انما انطلقوا لا من عدم اتفاق البنية المعينة لهذا النادر مع ماقرروه من اوزان وصيغ ، يزاد على ذلك كله ان للنادر الصرفي وجودا في القرآن الكريم والقرآن هو المستوى الاعلى للفصاحة العربية لايمكن الحكم على حالة لغوية مثبتة فيه بانها شاذة اوقليلة اونادرة وهو أصل الأصول والحجة البالغة ، كما ان ماأجمع عليه اللغويون وصفوه بأنه نادر لمخالفته نظام البنية العربية قد جاءت القراءة القرآنية مخالفة له بالتزامها النظام الصرفي للعربية وعدم الأخذ بما وصف بأنّه نادر ، جاء عن ابن خالويه قوله «قد أجمع الناس جميعاً ان اللغة اذا وردت في القرآن فهي افصح مما في غير القرآن لاخلاف في ذلك» (٩٢) والقراءة في منظور علمائنا «سنّة متبعة يأخذها الأخر عن الأول ولكن ليس له ان ينكر على من علم مالم يعلمه من ذلك»(٩٣) ، أمّا موقفهم من أئمة القراء ، فكما يقول ابو عمرو الداني (ت٤٤٤هـ) — عثمان بن سعيد — بأنها «لاتعمل في شيء من حروف القرآن على الأفشى في اللغة والأقيس في العربية بل على الأثبت في الأثر والأصح في النقل ، والرواية اذا ثبتت عنهم لم يردها قياس عربية ولا فشو لغة لان القراءة سنة متبعة يلزم قبولها والمصير اليها» (٩٤) .

---

(٨٩) مريم ٧٥ ، الجامع ١٧ : ١٣٩ .

(٩١) الخصائص ، ابن جني ١ : ١١٤ ، ١١٥ .

(٩٢) المزهر ١ : ٢١٣ .

(٩٣) منجد المقرئين ، ابن الجزري ، ٥ و٤٨ .

(٩٤) النشر في القراءآت العشر ، ابن الجزري ١ : ١٠ — ١١ .

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

١ — ابن الأعرابي وتحقيق كتابه النوادر وجمع مروياته، كامل سعيد، رسالة ماجستير على الالة الكاتبة، جامعة بغداد ١٩٧٦م .

٢ — ابنية الصرف في كتاب سيبويه د. خديجة الحديثي ، مكتبة النهضة ط الأولى بغداد ١٩٦٥ م .

٣ — أساس البلاغة ، جار الله محمود بن عمر الزمخشري ، تح عبد الرحيم محمود القاهرة ١٩٥٣ م.

٤ — الأشتقاق ، عبد الله أمين ،ط الأولى، القاهرة ١٩٥٦ م .

٥ — اصلاح المنطق، لأبن السكيت، يعقوب بن اسحق ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، القاهرة ١٩٥٦ م .

٦ — انباه الرواة على انباه النحاة ، علي بن يوسف القفطي ،تح محمد أبو الفضل ابراهيم، القاهرة ١٩٥٠م .

٧ — الأنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ابن الأنباري ابو البركات كمال الدين عبد الرحمن ، تح : محمد محيي الدين عبد الحميد القاهرة ١٩٥٣ م .

٨ — أوضح المسالك الى الفية ابن مالك، ابن هشام الأنصاري ،دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٦٦م .

٩ — الايضاح العضدي (القسم الثاني من التكملة) ، ابو علي الفارسي ، تح حسن الشاذلي فرهود، الرياض ١٩٨١م .

١٠ — الأيضاح في علل النحو ، الزجاجي ، تح مازن المبارك ، مط المدني، مصر ١٩٥٩م .

١١ — البحر المحيط (التفسير الكبير)، ابو حيان ، محمد بن يوسف الأندلسي ، نشر مكتبة ومطابع النصر الحديثة ، الرياض /— .

١٢ ـ تاج العروس من جواهر القاموس ، محمد بن مرتضى الحسيني الزبيدي ، مط الكويت، الأجزاء١ـ ١٧ ، ١٩٦٥ـ ١٩٧٧ م .

١٣ ـ التكملة والذيل والصلة، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني، تح: ج ١ عبد العليم الطحاوي، ١٩٧٠م، ج٢ ابراهيم اسماعيل الأبياري، القاهرة ١٩٧١م، ج٣ محمد أبو الفضل ابراهيم ، القاهرة ١٩٧٣ ، ج ٤ عبد العليم الطحاوي، القاهرة١٩٧٤م .

١٤ ـ الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي) ، محمد بن احمد الأنصاري القرطبي ، القاهرة ١٩٤٨م .

١٥ ـ الخصائص في النحو والعربية ، ابو الفتح عثمان بن جني ، تح محمد علي النجار ط الثانية، القاهرة ١٩٥٢ـ١٩٥٦م .

١٦ ـ دراسات لغوية ، الدكتور حسين نصار، بيروت ١٩٨١م .

١٧ ـ دقائق التصريف، القاسم بن محمد المؤدب تح : الدكتور أحمد ناجي القيسي و د . حاتم صالح الضامن ، المجمع العلمي العراقي ١٩٨٧م .

١٨ ـ ديوان جميل بثينة ، تح: الدكتور حسين نصار ، مكتبة مصر، القاهرة .

١٩ ـ روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني ، شهاب الدين محمود الألوسي البغدادي ، دار الفكر، بيروت ١٩٧٨م .

٢٠ ـ شرح ابن الناظم على الفية ابن مالك ، ابن الناظم ، بدر الدين بن مالك مط ، القديس جاروجيوس، بيروت ١٣١٢هـ .

٢١ ـ شرح الأشموني على الفية ابن مالك ، نور الدين الأشموني، مط عيسى البابي الحلبي ، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط٢، مصر/ ـ

٢٢ ـ شرح التصريح على التوضيح خالد بن عبد الله الأزهري ، دار احياء الكتب العربية ، القاهرة /ـ

٢٣ ـ شرح الشافية، الرضي الأستراباذي، تح محمد نور الحسن وغيره، مطبعة حجازي القاهرة

٢٤ ـ شرح المفصل ، موفق الدين بن يعيش ، ط بالأوفسيت بيروت ١٩٧٨م .

٢٥ ـ الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها ، أبو الحسين احمد بن فارس تح مصطفى الشويمي ، مؤسسة بدران للطباعة والنشر ، بيروت ١٩٦٤م .

٢٦ ــ الصحاح، اسماعيل بن حماد الجوهري ، تح احمد عبد الغفور عطار ، مصر ــ

٢٧ ــ صيغ الجموع في العربية مع بعض المقارنات السامية ، الدكتورة باكزة رفيق حلمي ، مطبعة الأديب، بغداد ١٩٧٢م .

٢٨ ــ العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، ابن رشيق القيرواني الأزدي ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ط ٤، بيروت ١٩٧٢م .

٢٩ ــ الفيصل في الوان الجموع ، قياس ابو السعود ، مط دار المعارف ، مصر ١٩٧١م

٣٠ ــ القاموس المحيط ، مجد الدين الفيروز آبادي ، مؤسسة فن الطباعة ، مصر ١٩١٣م .

٣١ ــ القلب والأبدال ، ابن السكيت ، تح اوغست هفنر ، ضمن مجموعة الكنز اللغوي ، بيروت ١٩٣٦م .

٣٢ ــ قواعد اللغة العربية

William Wright Agrammer of Arabic Language,third Edition Cambridge, 1967

٣٣ ــ كتاب سيبويه، ابو بشر عمرو بن عثمان، ط الأولى ، مط بولاق ١٣١٧هـ .

٣٤ ــ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ،جارالله محمود الزمخشري ،دار الكتاب العربي ، بيروت ١٩٤٧م .

٣٥ ــ لسان العرب ، ابن منظور ،دار صادر ــ بيروت ١٩٦٨م .

٣٦ ــ ليس في كلام العرب، ابن خالويه ترتيب وتعليق وتحقيق محمد ابو الفتوح شريف، مكتبة الشباب ، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٣٧ ــ مجمل اللغة ،ابو الحسين احمد بن فارس ، دراسة وتحقيق زهير عبد المحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٤م .

٣٨ ــ المحكم والمحيط الأعظم ،ابن سيده ، تح مصطفى السقا وحسين نصار ،ط١، مط البابي الحلبي ، ج٢ تح عبد الستار احمد فرج، القاهرة ١٩٥٨م .

٣٩ ــ المخصص ، ابن سيده ، ابو الحسين علي بن اسماعيل الأندلسي ، سلسلة ذخائر التراث، المكتبة التجارية، ط بالأوفسيت، بيروت /=

٤٠ ــ المزهر في علوم اللغة وانواعها ، جلال الدين السيوطي ، تح محمد احمد جاد المولى وغيره ، مط عيسى للبابي الحلبي ، مصر / ــ

٤١ ــ معاني الأبنية العربية ، الدكتور فاضل السامرائي ، الكويت ١٩٨١م .

٤٢ ــ معاني القرآن، ابو زكريا الفراء، تح: احمد يوسف نجاتي، محمد علي النجار، ط٣ ، بيروت ١٩٨٣م .

٤٣ ــ منجد المقرئين ومرشد الطالبين، ابن الجزري ، ابو الخير محمد ابن محمد ، مكتبة القدسي ، القاهرة ١٣٥٠هـ .

٤٤ ــ المنصف، شرح تصريف المازني ، ابو الفتح عثمان بن جني ، تح ابراهيم مصطفى وعبد الله امين ، ط الأولى، القاهرة ١٩٥٤م .

٤٥ ــ المنهج الصوتي للبنية العربية ، عبد الصبور شاهين، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٩٨٠م .

٤٦ ــ النشر في القراءات العشر ، ابن الجزري ، تح علي محمد الضباع ، مط مصطفى محمد، مصر /ــ

٤٧ ــ النوادر ، ابو مسحل الأعرابي عبد الوهاب بن حريش ، تح الدكتور عزة حسن، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٦١م .

٤٨ ــ النوادر في اللغة، ابو زيد الأنصاري، تح د. محمد عبد القادر أحمد، دار الشروق بيروت ١٩٨١م .

٤٩ ــ همع الهوامع شرح جمع الجوامع ، السيوطي ، تح محمد بدر الدين النعساني دار المعارف بمصر ١٣٢٧هـ، ط مصورة ، دار المعرفة، بيروت/ ــ

اثر القرآن الكريم في شعر جلال الدين الرومي من خلال الكتاب الاول من المثنوي

نبيل عبدالعزيز عيد
الجامعة المستنصرية – كليـة الأداب
قسم اللغة العربية

المقدمة

ان الحديث عن شاعر الأنسانية جلال‌الدين الرومي ، له أكثر من دلالة تستحق القاء الضوء عليها .فقد بدأ الأهتمام به وبأعماله الأدبية منذ القرن التاسع عشر ومازال حتـى اليوم ،ـه وتتمثل في البحوث والدراسات عن حياته الغامضة ، وعن شعره الرفيع الـذي يخاطب النفس الأنسانية .

فهو شاعر من شعراء الأنسانية الأفذاذ ، وعلم شامخ من اعلام الفكر ، وقطب مـن اقطاب التصوف ، نضج في ظل حضارتنا الأسلامية وانعكس ذلك على شعره الذي خلده ووضعه في مصاف الخالدين .

والغريب في هذا ، ان الشاعر عاش‌في‌عصر من اسوأ العصور التي مرت على البشرية ،ألا وهو عصر المغول ، الذين جاؤوا من أجل تحطيم حضارتنا الأنسانية الأسلامية ، فلــم يميزوا بين شيء واخر .في هذا الجو العاصف كيف يمكن ان ينطلق خياله وملكة الشعر عنده ؟!! وهذا هو العجيب . فقد حمل الشاعر هذه الالام بين جانبيه ، واخذ يضمد الجراح ويبعث الأمل في النفوس ، فكان سفينة تبحر في بحر تتلاطم فيه الأمواج والعواصف ألا وهي سفينة الأمان التي ترنو وتتطلع الى بر الأمان ، ولكن اين الأمان وقد حطم المغول كل شيء ، حتى الطير لم يأمن غدرهم .

نشا الشاعر من بيت يهتم بالعلم ويحبه ويسعى في طلبه فقد سمى والده بلقب سلطان العلماء لغزارة علمه وسعة افقه ، وخلف والده كتابا قيما يسمى « المعارف» وكان لهذا أكبر الأثر في توجيه الشاعر الى إختيار الموضوعات الأنسانية من شعره ، المتعدد الموضوعات والأغراض ، والقوالب الشعرية .

والغريب ايضاً ان الشاعر قد بدأ ينظم شعره وهو يبلغ من العمر السابعة والثلاثين ، وبلغ شعره إثنين وسبعين الف بيت ، وهو ليس شعراً عادياً ،ولكنه شعراً يتضمن مصطلحات صوفية وانسانية .

وفي بحثي هذا اتناول بالحديث عن نبذة من حياة الشاعر والظروف التي أحاطت بها ثم اتحدث عن نبذة من اعماله الأدبية ،بعد ذلك اتحدث عن اثر القرآن الكريم في شعر الشاعر من خلال الكتاب الأول من المثنوي .

وقد اعتمدت في اختيار الأبيات الشعرية على المثنوي المعنوي الذي قام بجمعه وتنقيحه نيكسون والذي طبع في لندن .

وقد حرصت ان اكتب النص الأصلي للابيات الى جانب الترجمة حتى تكون الفائدة أعم واشمل .

المبحث الأول

حياته والظروف التي أحاطت بها

نبذة عن حياة جلال الدين الرومي :

اتفق اصحاب التذاكر على ان اسمه محمد ولقبه جلال الدين ،وعرفه جميع المؤرخين بهذا الأسم وهذا اللقب ، كما انهم كانوا يدعونه ايضاً بلقب خداوندكار (ومعناها الملك والصاحب) .

اما لقب (مولوي) الذي عرف به بين المتصوفة وسواهم منذ زمن بعيد فلم يكن معروفاً به في حياته ولاحتى عند اصحاب التذاكر ، ولعل هذا اللقب اخذ من تعريف آخر اشتهر به هو (مولانا) .

وبناء على ماذكره عبدالرحمن الجامي في كتابه (نفحات الألسن) وماقاله ابنه سلطان ولد في المثنوي انه ينتهي نسبه من ناحية ابيه الى ابي بكر الصديق وساقه مؤلف الجواهر المضيئة وأنهاه الى ابي بكر الصديق على هذا النحو : ـ

محمد بن محمد بن احمد بن قاسم بن مسيب بن عبدالله بن عبدالرحمن بن ابي بكر بن ابي قحافة (١) .

وقد سمي بالرومي لطول اقامته في بلاد الروم .

ولد جلال الدين الرومي في مدينة بلخ عام (٦٠٤ ﻫ)وتوفي في مدينة قونية عام (٦٧٢ﻫ). والده محمد بن الحسين الخطيب الذي عرف (ببهاء الدين ولد) وقد لقبوه سلطان العلماء كما كان جده حسين بن احمد الخطيب ـ كما يقول الأفلاكي في كتابه (مناقب العارفين) من افاضل عصره واعلام زمانه ، حتى ان رضى الدين النيسابوري المتوفي عام (٥٩٨ ﻫ). وهو من اعظم فقهاء القرن السادس كان ممن تتلمذوا عليه .

ويقول الأفلاكي ـ ويتفق معه كتاب التذاكر ـ ان بهاء ولد لم ير مجالا للاستقرار في بلخ لانزعاج خاطر خوارزشاه وعدم رضائه عنه فاكره على الهجرة . ويقال ان سبب

(١) الجواهر المضيئة في طبقات الحنفية جـ٢ ص ١٢٣.

نفور خوارزشاه منه ان بهاء ولد كان يحمل فوق المنبر على الحكماء والفلاسفة ويتهمهم بالبدعة في الدين وحلت الجفوة بينهما حتى جلا بهاء ولد عن موطنه وهجره مقسماً على ان لايعود لمدينته .

وكان عمر مولانا جلال الدين حين هاجر والده خمس سنوات وبعد ان فارق بهاء ولد باسرته واقاربه بلخ ضجراً من خوارزشاه أو ضجر خوفاً من جنود المغول قصد الحج ويمم شطر بغداد ثم مكة ثم دمشق الى ان استقر به المقام في مدينة قونية حتى وفاته عام عام ٦٧٢هـ

المبحث الثاني

اضواء على أعماله الأدبية :

ان الظروف الخاصة التي احاطت بحياة جلال الدين الروحية جعلت منه شخصية متميزة قل نظيرها والتي اشرت اليها في المبحث السابق .

بدأ جلال الدين الرومي نظم الشعر وهو يبلغ من عمره الثامنة والثلاثين ، ويمكن القول على هذا الأساس انه حتماً نابغة ، فرجل لم تكن عنده أية سوابق شعرية ينشد الشعر ارتجالا دون ان يدرس أويمارس شيئا من اصول الشعر وقواعده ، وقد اكثر وكان مع أكثاره مجيداً ، مثل هذا الرجل ذو موهبة خارقة ! وحينما نقارن كمية اشعاره ، وافذاذ الشعر كالفردوسي وسعدى وحافظ نرى ان مابقى من شعر يزيد على كل ماترك كل من هؤلاء .

وقد تميز شعره بالصدق ، وان صفة الشعر الصادق ان يؤثر في القاريء ويرفعه الى دنيا الشاعر وهذه الخاصة قوية اكيدة في شعر جلال الدين وخاصة في غزلياته التي تضم ٣٥٠٠ غزلا ، نظم جلال الدين حتى على الأوزان المتروكة التي كانت معتمدة في الشعر القديم والتي ذكرها شمس قيس الرازي (١) في الأوزان المهملة ، بل ان نظمه عليها كان افضل من الأوزان العادية المتداولة ، وهذا التوسع في الأوزان انما هو وليد معرفته للموسيقى

(١) في كتابه المعجم في معايير اشعار العجم يتناول فيه الحديث عن اوزان الشعر.

فقد كان يجيد العزف على العود بل كان له ابتكار فيه، وقد منحته الموسيقى ــ التي هي قاعدة الوزن ــ القدرة على ان يتفنن في اوزان الشعر اكثر من اي شاعر .

لم يكن جلال الدين يميل الى الأساليب القديمة في نظمه للشعر، بل كان مولعاً بالأساليب الجديدة والطرق المستحدثة في النظم ، وهو يؤكد هذا المعنى دائماً في اشعاره ، وكان نتيجة لذلك انه جدد في دنيا الأدب في ميادين الغزل والقصيد والسبك والأسلوب .

اما آثاره فهي تنقسم الى قسمين : منثور ومنظوم ، اما اثاره النثرية فهي الآتيه :

اولا: فيه مافيه: وهو عبارة عن مجموعة الأحاديث التي القاها جلال الدين في مجالسه (١) ومعظم فصول الكتاب اجوبة على اسئلة في موضوعات شرع بها حسب اقتضاء الحال ، فهي لاترتبط بسوابقها ، كما ان قسما منها خطاب لمعين الدين پروانه وموضوعات تلك الفصول والموضوعات والمجالس في الأخلاق والطريقة الصوفية وبيان آيات القرآن والأحاديث النبوية .

ثانيا المجالس السبعة : وهو عبارة عن سبعة مجالس عن مواعظ جلال الدين القاها من فوق المنبر ويوجد منها نسخة خطية في مكتبة سليم اغا في اسكدار وتاريخ كتابتها عام ٧٨٨ ، وطبعت بعد ذلك في استانبول ونشرت في عام ١٣١٥هـ.ق. باشراف محمد فريدون (٢) .

ثالثا :مكاتيب : وهي مجموعة رسائل مولانا جلال الدين الى معاصريه ، وتوجد منها نسختان في مكتبة دار الفنون باسلامبول قام بطبعها محمد فريدون (نافذ) وهي تحتوي على خمس واربعين ومائة رسالة (٣) .

آثاره الشعرية

اولا: الغزليات : يعرف هذا القسم من آثار جلال الدين باسم (كليات شمس) او

---

(١) رسالة در تحقيق أحوال وزند كاني مولا نا– بديع الزمان فروز انفر ط ، ص ١٦٦.

(٢) رسالة در تحقيق احوال وزندكاني مولا نا.ط ٢، ص١٧٠.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٧.

(ديوان شمس) لانه يتخلص (١) فيه باسم شمس التبريزي بدلا من ان يتخلص باسمه هو ، وكان اختيار هذا التخلص نتيجة حبه لشمس وما لاقيه في صحبه من وجد وعاطفة .

ثانيا: — الرباعيات : — هو فن من فنون النظم وتمثل كل رباعية فكره ، والرباعيـة عبارة عن بيتين من الشعر وينقسم الى نوعين : الرباعي ، الكامل وهو الذي تتحد فيه القافية في الشطرات الأربع للبيتين اما اذا اتحدت الشطرة الأولى والثانية والرابعة فيسمى رباعي ناقص (٢) .

ويرى نيكسون ان عدد الرباعيات يصل الى ١٦٥٩ رباعية وقد طبعت عام ١٣١٢هـ. ق. في اسلامبول .

وموضوع الرباعية هو التعبير عن انفعالات جلال‌الدين الرومي العاطفية وجزء كبير من هذه الرباعيات يعبر عن افكار مولانا الصوفية (٣) .

ثالثا: المثنوي: —عبارة عن بيت من الشعر تتحد القافية في البيت وتختلف‌فيه عن البيت التالي له ، والمثنوي فن من فنون الشعر يعرف في العربية بالمزدوج ، وقد استخدم الشعراء هذا القالب من الشعر للتحرر من وحدة القافية التي طالما عاقت الشعراء من نظم الملاحم المطولة . وينقسم المثنوي الى ستة اجزاء تضم ٢٥٠٠٠ بيت من الشعر ولاتتصل تسمية الكتاب بموضوعه وانما بكل قوافيه . .

والمثنوي كتاب حكمة وفلسفة واخلاق وذوق وحال وتربية ومعارف اجتماعية ، فدراسة المثنوي في اي ميدان من هذه الميادين تكشف عن شيء قيم ، ويستطيع كل صاحب من يرغب في ان يجد قديما أوجديداً من الفكر من المثنوي ان يحقق غرضه ويجد مايطلب .

---

(١) التخلص هو ان يرد الشاعر لقبه في البيت الأخير أو البيت أو البيت الذي يسبقه.

(٢) رسالة در تحقيق أحوال وزندكانى مولا نا) ط ٢ ص ١٦٥.

(٣) المصدر السابق، ص١٦٥.

المبحث الثالث

اثر القرآن الكريم في شعر جلال الدين الرومي من خلال الكتاب الأول من المثنوي

«انْ يتبعون الا الظنّ ومَا تَهْوىْ الأَنْفُسُ ولَقَد جَاءهُمْ من ربهُم الهُدى » (١)

الترجمة :ـ

ـ وقد ظن كل انسان انه قد اصبح لي رفيقا ، ولكن احداً لم ينقب عما كمن في باطني من الأسرار . (٢)

«قُل الروحُ من آمرِ ربّي » (٣)

الترجمة :ـ

ـ وليس الجسم بمستور عن الروح ، ولاالروح بمستور عن الجسم ، ولكن رؤية الروح لم يؤذن بها لانسان (٤) .

(٣)

«واذ قُلتم ياموسى لن نصبر على طعامٍ واحدٍ» (٥)

الترجمة :ـ

ولكن جماعة من بين قوم موسى قالوا بوقاحة : « أين الثوم والعدس » (٦) .

---

(١) سورة النجم الاية /٢٢.

(٢) ـهركس ازظن خود شديارمن: وازدرون من نجست اسرار من

(٣) سورة الأسراء الاية /٨٥.

(٤) ـ تنزجان وجان زتن مستورنيش

ليك كس راديد جان دستور نيش

(٥) سورة البقرة الاية /٦٠ .

(٦) درميان قوم موسى جنبدكس

بي أدب كفتند كو سير وعدس.

(٤)

«اللهم ربنا انزل علينا مائدةً من السماء تكون لنا عيداً لاولنا واخرنا وآية منكَ وارزقنا وأنت خيرُ الرّازقين » (١) .

الترجمة : —

فجاءتهم مائده من السماء ، لانه قال انزل علينا مائدة (٢) .

(٥)

«يابني انّي ارى في المنام انّي اذبحك فانظر ماذا ترى قالَ يأبتِ افعل ماتؤمر ، ستجدني ان شاء الله من الصابرين » (٣) .

الترجمة : —

— فضع رأسك امامك مثلَ اسماعيل،واسلم الروح على خنجره فرحاً ضاحكاً (٤)

(٦)

«وما ارسلناك الا رحمة للعالمين » (٥)

الترجمة : —

«فالعالم رحمة للعالمين » . هذا ماقالت به جملة العلماء (٦) .

---

(١) سورة المائدة الاية /١١٣.

(٢) — باز عيسى جون شفاعت كردحق
خوان فرستاد وغنيمت برطبق

(٣) سورة الصافات الاية /١٠١.

(٤) — همجو اسماعيل بيتش سربنه
شاد وخندان بيش يفش جان بده

(٥) سورة الأنبياء الاية /١٠٧.

(٦) — حبه دانايان همين كفتند همين
هست دانا رحمة للعالمين

(٧)

«النار ذات الوقود اذ هم عليها قعود وهم على مايفعلون بالمؤمنين شهود» (١) .

الترجمة :ـ

ـ فارتفع لهيب النار بعد ذلك اربعين ذراعا، ثم طوقت هؤلاء اليهود واحرقتهم» (٢).

(٨)

«واما من خفت موازينه فأمه هاوية ومادريك ماهيه نار حامية» (٣)

الترجمة :ـ

وكل من كانت امه الهاريه اصبحت له الهاويه زاويه وسكنا (٤) .

(٩)

«وان كان مكرهم لتزول منه الجبال » (٥)

الترجمة :ـ

ووصف ذوالجلال مكرهم بقوله : « وان كان مكرهم لتزول منه الجبال »(٦)

(١٠)

« اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجاً فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان تواباً » (٧)

---

(١) سورة البروج الاية /٤.

(٢) ـ بعد از آن أتش جهل كربرفروخت.
حلقة كشت وآن جهودان رابسوخت

(٣) سورة القارعة الاية /٨،٩،١٠.

(٤) ـآنكه أو بوده است أمه هاويه
هاريه أمد مراورا زاويه

(٥) سورة ابراهيم الاية /٤٦.

(٦) ـ كرد مكر وحيلة آن قوم خبيث
ور زما باور نداری أين حديث

(٧) سورة النصر الاية /١.

الترجمة :—

— لاتكن موقناً بان الضعفاء ألاّ معينَ لهم واتل من القرآن قوله تعالى : « اذا جاء نصر الله والفتح » (١)

(١١)

«الم تر كيف فعل ربُّكَ باصحابِ الفيلِ » (٢) .

الترجمة :—

— فلو انك كنت فيلا يهرب مناك خصمك، فان جزاءك مذكور في قوله تعالى «وارسل عليهم طيراً أبابيل » (٣)

(١٢)

«ومثلهم في الأنجيل كزرع اخرَجَ شَطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار » (٤) .

الترجمة :—

— فكانت كل ثمرة وكل ورقة ترانيم شكرلله يتغنى بها لسان الروح (٥) .

(١٣)

«يجعلونَ اصابعهم في آذانهم » (٦)

---

(١) — مرضعيفان راتو بى خصمن مـران ازنبـى اذ جاء نصـر الله خـوان

(٢) سورة الفيل الاية /١.

(٣) كرتـو يلي خصـم تواز تـور مـند نـك جـزا طيـراً أبا بيـلا وزد

(٤) سورة الفتح الاية/٢٩ .

(٥) — بـازبـان شطـأة شكـرخــدا متن سرايـد هـهبرد بركي جدا .

(٦) سورة البقرة الاية /١٩.

الترجمة : ـ

ـ فان انت لم تر هذا العالم ، فليس اعدم ! ماالعيب الا في اصبع نفسك التعتسة (١)

(١٤)

«قال فبمَا أغْويتني لاقعدنّ لهم صراطك المستقيم » (٢)

الترجمة : ـ

ـ لقد قال الشيطان : «بما اغويتني » فهذا الشيطان قد اخفى فعله (٣) .

(١٥)

«قالا ربنّا ظلمنّا أنفسنْا وان لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين » (٤) .

الترجمة : ـ

ـ وقال آدم : « ربنا ظلمنا انفسنا » ، وهو ـ مثلنا لم يكن غافلا عن فعل الله (٥)

(١٦)

«الخبيثات للخبيثن والخبيثون للخبيثات ،والطيباتُ للطيبّين والطيبون للطيبات »(٦)

الترجمة : ـ

ـ فلمن تكون الطيبات ؟ انهن للطيبين فأسعد صديقك، ولا تؤلمه ، ثم تأمل (٧)

---

(١) ـ كـرنـه بينـى ايـن جهان معدوم نيست
عيـب جـزا نكشـت نفس شوم نيست

(٢) سورة الأعراف الاية /١٦.

(٣) ـ كفـت شيطـان كـه بمـا أغـويتنـي
كرد فعـل خـود نهـان ديـو دنـى

(٤) سورة الأعراف الاية /٢٣

(٥) ـ كفـت آدم كـه ظلمـا نفسـنـا
أوز فعـل حـق نه بدغامل جـو مـا

(٦) سورة النور الاية /٢٦.

(٧) ـ طيبـات بهـركـه للطيبيـن
باررا خـوش كـن مرنجان ويـه بين

(١٧)

«ياموسى اما ان تلقي واما ان نكون نحن الملقين » (١)

الترجمة : —

— ماذا تأمر ؟ اتلقى عصاك قبلنا ام نلقي نحن ؟ (٢)

(١٨)

«واذا قرىء القرآن فاستمعوا له وانصتوا لعلكم ترحمون » (٣)

الترجمة : —

— ولما كنت اذناً وهو لسان فانه ليس من جنسك وقد خاطب الله الأذان بقوله تعالى «انصتوا » (٤)

(١٩)

«يسألونَكَ عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورهَا ولكنّ البرّ من اتقى وأتوا البيوت من ابوابها واتّقوا الله لَعَلّكُم تُفلحُونَ» (٥)

الترجمة : —

— أدخلوا البيوت من أبوابها ، واطلبوا الأغراض في اسبابها . (٦)

(٢٠)

«انه كان فريقٌ من عبادي يقولون ربنا آمنا » (٧)

---

(١) سورة الأعراف الاية /١١٤.

(٢) — جه مفرمائي أول تو اندازى عصايا ما

(٣) سورة الأعراف الاية /٢٠٤.

(٤) توجو كوشى أوزبان نى جنس تو
كوشها راحق بفرمود انصتوا

(٥) سورة البقرة الاية /١٨٨.

(٦) — نطق كان موقوف راه سمع نيست
جزكه نطق خلق بي طبع نيست

(٧) سورة المؤمنون الاية /١٠٨، ١٠٩

الترجمة :ـ

ـ ولتقرأ آية «انسوكم ذكري» واعلم ان لهم القدرة على وضع النسيان (١)

(٢١)

«لقد خلقنا الأنسان في كبد» (٢)

الترجمة :ـ

ـ ان الجاهل عاشق للالم حتى الأبد ، فقم واقرأ من قوله « لا أقسم ، حتى قوله في كبد » (٣) .

(٢٢)

«وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً »(٤)

الترجمة :ـ

ـ فمن كثرة المديح ، أصبح فرعون طاغياً ، فكن ذليل النفس هونا لاتسر (٥)

(٢٣)

«وعلم أدم الأسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة » (٦)

الترجمة :ـ

ـ ان ابا البشر آدم ـ امير علم الأسماء كان كل عرق من عروقه ينبض بالاف العلوم (٧) .

---

(١) ـ ذكر أنسوكم ذكرى نجوان
قدرت نسيان نها دشان بدان

(٢) سورة البلد الاية /٣.

(٣) ـعاشق رنجست نادان تا ابد
خير لا اقسم نجوان تافي كبد

(٤) سورة الفرقان الآية /٦٢ .

(٥) ـنفس ازبس مدحها فرعون شد
كن ذليل النفس هونا لاتسد

(٦) سورة البقرة الآية /٧١ .

(٧) هركجا تاريكي آمد ناسزا
از فروغ ماشود شمس الضحى

(٢٤)

«انا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال فأبين ان يحملنها واشفقن منها وحملها الأنسان انه كان ظلوماً جهولا . (١)

الترجمة : —

— وذلك من خوف هذا النفس الذي لانهاية له فلتقرأ قوله تعالى : «فأبين ان يحملنها»(٢)

(٢٥)

«افعيينا بالخلق الأول بَلْ هم في لبسٍ من خلقٍ جديدٍ » (٣)

الترجمة : —

— وليس هذه لاتظهر الاللخواص، واما ماعداهم فانهم « في لبس من خلق جديد»(٤)

(٢٦)

«واذكر عبدنا ايّوبَ اذ نادى ربّه اني مسّني الشيطان بِنُصُبٍ وَعَذَابٍ » (٥)

الترجمة : —

— ان طائر الماء أصبح غريق بحر من العسل، واضحى نبع ايوب له شراباً ومغتسلا (٦)

(٢٧)

«اليوم نختم على افواههم وتُكلمنّا ايّديهم وتشهد ارجلهم بما كانوا يكسبون » (٧)

---

(١) سورة الاحزاب الآية /٧١ .

(٢) خـود زبيم اين دم بـي منتهى
باز خوان فأبين ان يحملنها

(٣) سورة ق الآية /١٤ .

(٤) ـنايـد اين الاكه برخاصان بديـد
باقيان من لبس من خلق جديـد

(٥) سورة ص الآية /٤٠

(٦) مرغ آبى غرق دريـاي عسـل
عين ايوبـي شراب مغتسـل

(٧) سورة يس الآية /٦٤ .

الترجمة : ـ

ـ ومع ان المنكرين ، تنطق السنتهم بالتهم ، فإن أيديهم وارجلهم تشهد عليهم» (١) ،

(٢٨)

«ان الذينَ كفروا ينفقون اموالهم ليصدوا عن سبيل الله فسينفقونها ثم تكون عليهم حسرةً ثم يغلبون » (٢)

الترجمة : ـ

ـ فمن القرآن انذار لاهل الغفلة ان كل انفاقهم يكون عليهم حسرة (٣)

(٢٩)

«فاذْهبْ فانّ لك في الحياة ان تقول لامساس » (٤)

الترجمة : ـ

ـ وقد اصبح الأقرباء والغرباء يفرون منا ، كما فرا السامري من الناس » (٥)

(٣٠)

«زيُنّ للناسَ حُبّ الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومّة والأنعامِ والحرثِ ذلكَ متاعُ الحياةِ الدّنيا والله عندهُ حُسْنُ المآبِ »(٦)

---

(١) ـبازيان كرچه كه تهمت مى نهند
دست وپاها شان كواهى ميدهد

(٢) سورة الانفال الآية /٣٥ .

(٣) ـ درنبى انذار اهل غفلـه
كان همه انفاقها شان حسرت اسـت

(٤) سورة طه الآية / ٩٧ .

(٥) خويـش وبيكانـه شده از مارمـان
برمثال سامرى ازمردمـان

(٦) سورة آل عمران الآية /١٠٣

الترجمة : ـ

ـ ان الحق هو الذي زين للناس حب الشهوات من النساء فكيف السبيل الى الهرب مما زينه الحق (١) .

(٣١)

«هو الذي خلقكُم منْ نفس ٍ واحدة ٍ وجعلَ منْها زوجها ليسكنَ اليها » (٢) .

الترجمة : ـ

ـ فاذا كان الله قد خلق المرأة لتسكن اليها ، فكيف يستطيع آدم ان ينفصل عن حواء؟(٣)

(٣٢)

«قال هذه ناقة لها شرب ولكم شرب يوم ٍ معلوم ٍ» (٤)

الترجمة : ـ

ـ لقد كانت ناقة الله تشرب الماء من النبع ومن السحاب فحبس هؤلاء ماء الحق عن الحق (٥)

(٣٣)

«فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعدٌ غير مكذوب ٍ فلما جاء امرنا نجينا صالحاً والذينَ آمنوا معهُ » . (٦)

---

(١) زين للناس حق آرا سته است
زآبجه آراست ميدان راست است

(٢) سورة الاعراف الآية /١٨٨ .

(٣) جون پی بسکن الهاش آفريد
ک تو أنند أدم ازحوا بريد

(٤) سورة الشعراء الآية /١٥٤ .

(٥) ناقة الله آب خورداز جوی وميغ
آب حق را داشتند ازحق دريغ

(٦) سورة هود الآية /٦٤

— لقد قال صالح : « اما وقد احدثتم هذا الحسد ، فلسوف تأتيكم بعد ثلاثة ايام نعمة الرب » (١)

(٣٤)

«الذين كذبوا شعيبا كانوا هم الخاسرين فتولى عنهم وقال ياقوم لقد ابلغتكم رسالات ربي ونصحت لكم فكيف آسى على قوم كافرين » (٢) .

الترجمة : —

— فاقرأ قوله تعالى : « فكيف آسى على قوم كافرين »
قراءة مستقيمة ولاتلتفت لقراءتي المعوجة (٣)

(٣٥)

«فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين» (٤)

الترجمة : —

— ولقد انزل جبريل الأمين بيان هذا في القرآن بقوله تعالى :
«فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين » (٥)

---

(١) كفت صالح جونكه كرديد اين حسد
بد سه روز ازخدا نقمت رسد

(٢) سورة الاعراف الآية /٩١ .

(٣) كثر نحوان اى راست خواننده مبين
كيف أسى خلق قوم كافرين .

(٤) سورة الاعراف الآية /٩٠ .

(٥) دربنى أورد جبريل امين
شرح اين زانو زدن راجاثمين

(٣٦)

«هو الذي خلقكم من طين ثم قضى اجلاً واجلُ مسمى عنده ثم انتم تمترون» (١)

الترجمة : -

- فهذا هو الذي تحدث عنه في سورة الأنعام من ذكر الأجل (٢)

(٣٧)

«انّا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر ويتم نعمته عليك ، ويهديك صراطاً مستقيما (٣) .

الترجمة :-

- ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وماتأخر » (٤)

(٣٨)

«ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي» (٥)

الترجمة : -

- قال أدخل في عبادي تلتقى ، جنة رؤيتي يامتقى (٦)

(٣٩)

«قل تعالوا اتل ماحرم ربكم عليكم الاتشركوا به شيئا وبالوالدين احساناً » (٧)

---

(١) سورة الا نعام الآية /٢

(٢) بهر اين فرمود حق عز وجل

سورة الا نعام در ذكر اجل

(٣) سورة الفتح الآية/١

(٤) ليغفر الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر انشده است .

(٥) سورة الفجر الآية /٢٦ .

(٦) كفت ادخل في عبادي تلتقي

جنة من رؤيتي يامتقي

(٧) سورة الا نعام الآية /١٥١ .

الترجمة : ـــ

ـــ ولقد خاطبنا الحق تعالى بقوله : « قل تعلوا .. » ليكون اشارة لنا نتغلب بهـــا على حياتنا (١)

(٤٠)

«قل للمؤمنين يغضوا من ابصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك ازكى لهم ان الله خبير بما يصنعون » (٢) .

الترجمة : ـــ

ـــ ألا فلنعلق انابيبه ، ولتملأه من وعاء (الحقيقة) لقد امر الحق ان نغض الأبصار عن الهوى (٣) .

(٤١)

« ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » (٤)

الترجمة : ـــ

ـــ فيارب اتقبل ابريقنا وكوزنا بفضلك (الذي يشير اليه قولك) : « ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة » (٥)

(٤٢)

ـــ «قل سيروا في الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين (٦) .

---

(١) قل تعالوا كفت حق مارا بـــــدان

تابود شرم امكنـى مارانشـــــــــان

(٢) سورة النور الآية /٣٠ .

(٣) ـ لولـهـا بربند وبرادرش زخــــــم

كفت (غضوا عن هوى ابصاركــــــم)

(٤) سورة التوبة الآية /١١٠ .

(٥) اى خداوند أمي خم وكوزه مــــــرا

دربذير از فضل الله اشـــــــرى

(٦) سورة الانعام الآية /١٠ .

الترجمة :ــ

ــ فاسمع الى ماجاء في القرآن عن ضلال السالكين ، وماذا فعل بهم ابليس الخبيث الروح (١)

(٤٣)

«ياداود انا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق ولاتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله » (٢) .

الترجمة :ــ

ــ ولاتكن صديقاً (لداعي) الهوى والشهوة فان ذلك يضلك عن سبيل الله (٣) .

(٤٤)

«انّ الذين يبايعونك انما يبايعون الله يد الله فوق ايديهم فمن نكث فانما ينكث على نفسه ومن اوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه اجراً عظيما » (٤)

الترجمة :ــ

ــ ان يد الحق تميت الطفل ، ثم تحييه وأي حياة تضفيها عليه . (٥)

(٤٥)

«وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد» (٦)

---

(١) ازنبی بشنو ضلال رهروان
که جسان کروان ابلیس بدر وان

(٢) سورة ص الآية /٢٥ .

(٣) باهو او آرزوکم باش دوست
جون بضلك عن سبيل الله اوست

(٤) سورة الفتح الآية /٨ .

(٥) دست اورا حقجو دست خويش خواند
تايد الله فوق ايديهم براند

(٦) سورة الكهف الآية/١٧ .

الترجمة :ـ

ـ والروح قد جاءت الأن رفيقة للجسم(وبذلك)صار الكلب حارساً للباب برهةمن الزمان(١)

(٤٦)

«بل ظننتم ان لن ينقلب الرسول والمؤمنون الى اهلهم ابداً وزين ذلك في قلوبكم وظننتم ظن السوء وكنتم قوماً بوراً » (٢) .

الترجمة :ـ

ـ فلأ طيحن برؤوس « الظانين بالله السوء » الذين هم كالمنافقين » (٣)

(٤٧)

«ولاتدع مع الله الها آخر لااله إلاّ هو كل شيء هالك إلاّ وجهه له الحكم واليه ترجعون (٤)

الترجمة :ـ

ـ «كل شيء هالك إلاّ وجهه » فان لم تكن في وجهه فلا تطلب وجوداً (٥)

(٤٨)

«كل يوم هو في شأن فبأي الآء ربكما تكذبان » (٦)

الترجمة :ـ

ـ فاقرأ كل يوم هو في شأن » ، واعلم انه لايكون قط بدون فعل أو عمل » (٧)

---

(١) ـروح قالب ركنون همره شده است
مدتى سك حارس دركه شده است

(٢) سورة الفتح الآية /١١

(٣) ظانين بالك ظن السوء را
كرنبرم سربود عين حظ

(٤) سورة القصص الآية /٨٧ .

(٥) ـكل شيء هالك جز وجه او
جون نه اي در وجه او هستى مجو

(٦) سورة الرحن الآية /٢٩ ، ٣٠ .

(٧) ـكل يوم هو في شأن
مرور ابى كار وبى فعلى مران

(٤٩)

«ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة وتركتم ماخولناكم وراء ظهوركـــم ومانرى معكم شفعاءكم » (١)

الترجمة :ـ

ـ لقد جتمونا فرادي ، كما خلقناكم اول مرة (٢) .

(٥٠)

«وتحسبهم ايقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات أليمين وذات الشمال » (٣)

الترجمة :ـ

ـ ايها العنود ان اصحاب الكهف ، رقود اينما تقلبهم (٤)

(٥١)

«الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » (٥)

الترجمة :ـ

ـ اذا نظرت اليهم وقت الشدائد ، تجدهم لاخوف عليهم ولاهم يحزنون » (٦)

(٥٢)

«ولقد خلقنا الأنسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلقاً آخر فتبارك الله احسن الخالقين » (٧)

---

(١) سورة الانعام الآية /٩٧

(٢) جئتمونـا وفرادى بى تـوا
هم بدان سان كه خلقناكم كـــذا

(٣) سورة الكهف الآية /١٧ .

(٤) ـاوليا اصحاب كهفند اي عنـــود
در قيام ودر تقلب هـم رقــود

(٥) سورة يونس الآية /٦١ .

(٦) ـكرتو بيني شان بد سشو ارى درون
نيست شان خوفى ولا هم يحزنـــون

(٧) سورة المؤمنون الآية /١٢ ، ١٣ ، ١٤ .

الترجمة :ـ

ـ وانا ايضاً ينزل عليّ بالوحي (١) .

(٥٣)

وان الظنّ لايُغني من الحق شيئا » (٢)

الترجمة :ـ

ـ ولقد قال الله تعالى : « ان الظن لايغنى من الحق شيئا » . ومن كان مركب الظن يسارع الى الأفلاك ؟ (٣)

(٥٤)

«يوم تبيض وجوهٌ وتسودُ وجوهٌ فامّا الذّين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » (٤)

الترجمة :ـ

ـ ان يوم (البعث) «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه » وهو يوم الملاذ للروم والزنج ولكل جنس (٥) .

(٥٥)

« انّ ذلكم كان يؤذي النبي فيستحي منكم والله لايستحي من الحق » (٦)

الترجمة :ـ

ـ انطلاقة ، وقد اظلك قوله تعالى « والله لايستحي من الحق » (٧)

---

(١) پيغمبر خواند وكفت من محل وحي ام .

(٢) سورة يونس الآية /٣٥ .

(٣) ـازحق ان الظن لا يغنى رسيبـــــر
مركب ظن برفلكها كى دويـــــد

(٤) سورة آل عمران الآية /١٠٥ .

(٥) اي زمان ييدا شده براين كروت ـ
يـوم تبيـض وتسـود وجـــوه

(٦)ـ سورة الاحزاب / ٥٢.

(٧) كفت هين دمكش كه اسبست كرم شد
عكس حق لايستحي زد شرم شد

ثبت المراجع

اولاً : المراجع العربية

١ ــ ابراهيم امين الشواربي (دكتور) ــ تاريخ الأدب في ايران ــ ج٢ــ مترجم ــ القاهرة ١٩٥٤ م .

٢ ــ اسعاد عبدالهادي قنديل (دكتورة) ــ فنون الشعر الفارسي ــ القاهرة ١٩٧٥م.

٣ ــ محمد عبدالسلام كفافي (دكتور) ــ اتجاهات انسانية من شعر الصوفية) ــ ، مجموعة محاضرات ألقاها في الموسم الثقافي لجامعة بيروت العربية عام ١٩٦٢ م

٤ ــ محمد عبدالسلام كفافي (دكتور) ــ مثنوي جلال الدين ــ ج١ ــ بيروت ١٩٦٦م

٥ ــ محمد عبدالسلام كفافي (دكتور) ــ جلال الدين الرومي في حياته وشعره ــ بيروت ١٩٧١ .

٦ ــ محمد مهدي (دكتور) ــ الأدب الفارسي في اهم ادواره واشهر اعلامه ــ ، بيروت ١٩٦٧ م ؛

ثانياً : المراجع الفارسية :ــ

١ ــ دوانشاه ــ تذكرة الشعراء ــ طبعة لندن ١٩٠٠ م ؛

٢ ــ عبدالرحمن الجامي ــ نفحات الأنس من حضرات القدس ــ مخطوط ، بمكتبة جامعة القاهرة .

٣ ــ مزوزانفر ، بديع الزمان ــ رسالة در تحقيق احوال وزندكاني مولانا ــ طهران ١٣٣٣ هـ. ش (١٩٥٥م) .

ثالثاً: ــ المراجع الأوربية :ــ

(1) The Mathnawi of Jalalu Din Rumi Tram. by Roynlad A. Nicholkson, London (luyac+Co). 1960 (1926-1946).

* * * *

الصعوبات النطقية والكتابية لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها

بحث ميداني

طارق اسماعيل النعيمي

معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بهـا

الفصل الاول

مقدمات البحث

اولاً : التمهيد :

تعتبر اللغة من اهم وسائل الأتصال والتعبير والتفاهم ، لذلك سعت دول عديدة الى نشر لغاتها في شتى انحاء العالم ليتمكنوا من تبادل المعرفة وفهم حياة غيرهم من الشعوب وايصال مالديهم من مستويات الثقافة والحضارة لهذه الشعوب وصولا الى تقوية العلاقات فيما بينها . واللغة العربية هي لغة الأسلام والمسلمين منذ بزوغ فجر الأسلام ، بها نزل القرآن الكريم ، وبها تحدث الرسول الكريم (ص) . اضافة الى انها اقدم لغة حية في العالم لم يعترها التغيير اوالتبديل ، فكانت طوال اربعة عشر قرناً من الزمان وعاء للحضارة الأسلامية في مشارق الأرض ومغاربها ، اضافة الى اكتسابها المكانة الدولية حيث انها احدى اللغات القليلة المعترف بها في المنظمات الدولية . فالعربية ليست لغة دين وحضارة فحسب ، بل هي لغة اتصال عالمي كذلك ، اذ لم تعد هذه اللغة لغة محلية محصورة في حدود جغرافية ضيقة. لقد تجاوزت العربية حدودنا التقليدية وصادفت اقبالا منقطع النظير من الأمم ، ذلك لان حياتنا الجديدة قد دعت هؤلاء الى المزيد من التعرف علينا والأتصال بنا اتصالا مباشراً. وقد ادركوا بان معرفة لغتنا خير سبيل للوصول الى غايتهم (١) . لذلك كان الأقبال المتزايد

(١) د. كمال محمد بشر –علم اللغة العام– الاصوات– دار المعارف / مصر ١٩٧١ ص٢٣١.

على تعلمها من ابناء المسلمين وغيرهم ومن هؤلاء الأسبان الوافدين الى العراق لتعلمها والذين يجدون كثيراً من المشقة والجهد في دراستها في الجانبين النطقي والكتابي للاختلاف الكبير بين خلفيتهم اللغوية وبين اللغة العربية .

لذلك كانت هذه الدراسة الميدانية التي تبحث في الصعوبات النطقية والكتابية للدارسين الأسبان عند تعلمهم اللغة العربية .

ثانياً : هدف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على الصعوبات النطقية والكتابية للطلبة الأسبان عند تعلمهم اللغة العربية وتحليلها وتفسيرها لغرض الأفادة منها في التدريس .

ثالثاً : اهمية البحث :

تكمن اهمية البحث من اهمية نشر اللغة العربية وتعليمها للاسبان الذين يفدون الى العراق سنوياً لغرض الدراسة في الجامعات والمعاهد . وكذلك الزيادة في عدد الطلبة الوافدين من الأسبان الى العراق للدراسة حيث بلغ في العام الدراسي ٨٧ / ١٩٨٨، (١٠) طالبا وطالبة . اضافة الى اهمية نشر اللغة العربية بوصفها سفيراً للعرب في العالم . كما ان نتائج البحث قد تساعد القائمين بالتدريس ومؤلفي الكتب وواضعي المناهج ، حيث تتيح لهم امكانية التعرف على الصعوبات النطقية والكتابية للدارسين الأسبان عند تعلمهم اللغة العربية مما يساعدهم في الأسهام بمعالجتها وتطوير المناهج على ضوئها . اضافة الى ان اختباراته تساعد في قياس مهارتي الحديث والكتابة لدى غير الناطقين بالعربية .

رابعاً : حدود البحث :

تتمثل حدود البحث بما يلي :

١ ـ معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها في الجامعة المستنصرية .

٢ ـ الطلبة الأسبان الدارسين في المعهد لكونهم يمثلون ٤٠٪ من مجموع الطلبة الكلي

٣ ـ الصعوبات النطقية والأملائية .

خامساً: فرضيات البحث :

اعتمد الباحث الفرضيات التالية : ـ

١ ـ يعاني الطلبة من صعوبات نطقية عند تعلمهم اللغة العربية لذلك فهم يبدلون بعض الأصوات باصوات اخرى .

٢ ـ يعاني الطلبة من صعوبات املائية بسبب نظام التراكيب والحركات القصيرة وتعدد اشكال الحرف العربي .

٣ ـ ان معظم الأصوات التي يبديها متعلموا اللغة العربية من الناطقين بغيرها باصوات اخرى في المجال الشفهي هي نفسها التي يبدلونها في المجال الكتابي .

سادساً : خطة البحث :

١ ـ مراجعة ماكتب في ميدان تعليم اللغة العربية لغير العرب .

٢ ـ اجراء اختبار شفهي .

٣ ـ اجراء اختبار تحريري في مادة الأملاء .

سابعاً : تحديد المصطلحات :

فيما يلي محاولة لبيان المقصود من اهم المصطلحات الصوتية الواردة في البحث :

١ ـ الصوت المهموس :

لقد عرفه سيبويه بانه (حرف اضعف الأعتماد في موضعه حتى جرى النفس معه) (١)
وقد عد سيبويه وابن جني الحروف المهموسة عشرة وهي : ـ

هـ ـ ح ـ خ ـ ك ـ ش ـ ص ـ ت ـ س ـ ث ـ ف (١)

فالصوت المهموس هو الصوت الذي لاتتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به وهي كما ننطقها اليوم :

---

(١) سيبويه ص٤٠٥ .

هـ ـ ح ـ خ ـ ك ـ ش ـ ص ـ ط ـ ت ـ س ـ ث ـ ف ـ ق (٢) .

٢ ـ الصوت المجهور :

يعرفه سيبويه بانه (حرف اشبع الأعتماد في موضعه ومنع النفس ان يجري معه حتى ينقضي الأعتماد عليه ويجري الصوت) (٣) ، وقد عد سيبويه وابن جني الحروف المجهورة تسعة عشر حرفا هي الهمزة والألف والعين والغين والقاف والجيم والياء والضاد واللام والنون والراء والصاد والدال والذال والزاي والظاء والباء والميم والواو (٤) .

فالصوت المجهور هو الصوت الذي تتذبذب الأوتار الصوتية حال النطق به وهي كما ننطقها اليوم :

الباء ـ الحاء ـ الدال ـ الذال ـ الراء ـ الزاي ـ الضاد ـ الظاء ـ العين ـ الغين اللام ـ الميم ـ النون ـ والواو (في نحو ولد (والياء) في نحو بيت) (٥)

٣ ـ الاصوات الرخوة :

يعرفها سيبويه وكذلك ابن جني في سر صناعة الأعراب بانها الأصوات التي يجري الصوت فيها ، وهي :

هـ ـ ح ـ غ ـ خ ـ ش ـ ص ـ ض ـ ز ـ س ـ ظ ـ ث ـ ذ ـ ف (٦).

فهذه الأصوات يحدث الهواء في خروجه احتكاكا مسموعاً (١) وقد اعتبر العلماء القدماء صوت (الضاد) من الأصوات الرخوة حيث وصفها سيبويه (ليس شيء من موضعها

---

(١) المصدر السابق ص٤٠٥ وابن جني ـ سر صناعة الاعراب ـ ص٦٩ .

(٢) د. كمال محمد بشر ـ علم اللغة العام ـ الاصوات ـ ص١٠٩

(٣) سيبويه ص٤٠٥ .

(٤) المصدر السابق ص٤٠٥ وابن جني ـ سر صناعة الاعراب ص٦٩ .

(٥) د. كمال محمد بشر ـ علم اللغة العام ـ الاصوات ـ ص ١١١

(٦) سيبويه ص ٤٠٦ وابن جني ص٧٠ .

غيرها) (٢) . فكان مخرجها (من بين اول حافة اللسان ومايليه من الأضراس) (٣) .
في حين انها اليوم شديدة ومخرجها من طرف اللسان مع اصول الثنايا العليا . (٤)

٤ ـ الاصوات الشديدة :

عرفها سيبويه وكذلك ابن جني بانها الأصوات التي يمنع ان يجري فيها وهي :ـ
الهمزة ـ ق ـ ك ـ ج ـ ط ـ ت ـ د ـ ب (٥)

وهذه الأصوات تتكون بحبس مجرى الهواء الخارج من الرئتين حبسا تاما في موضع من المواضع وينتج عن هذا الحبس او الوقف ان يلفظ الهواء ثم يطلق سراح المجرى الهوائي فجأة فيندفع الهواء محدثا صوتاً انفجاريا . (٦)

٥ ـ الاصوات المطبقة :

هي الأصوات التي تنتج برفع ظهر اللسان الى الحنك الأعلى وانه لولا الأطباق لصارت الطاء دالا والصاد سينا والظاء ذالا ولخرجت الضاد عن الكلام . (٧)



---

(١) د. كمال محمد بشر ـعلم اللغة العام ـالا صوات ـ ص١١٢ ود. ابراهيم انيس ـ الاصوات اللغوية ـ ص٢٥ .

(٢) سيبويه ص٤٠٦ .

(٣) المصدر السابق ص٤٠٥ .

(٤) ابراهيم انيس ـالاصوات اللغوية ـ ص٥١ .

(٥) سيبويه ص٤٠٦ وابن جني ـسر صناعة الاعراب ـ ص٧٠ .

(٦) د. كمال محمد بشر ـعلم اللغة العام ـ الا صوات ـ ص ١٠٩

(٧) ابن جني ـسرصناعة الاعراب ص٧٠ .

الفصل الثاني

منهج البحث

يتضمن منهج البحث أدوات جمع البيانات واختيار العينة .

اولاً: ادوات البحث :

لماكان البحث يهدف الى التعرف على الصعوبات النطقية والكتابية للدارسين الأسبان عند تعلمهم اللغة العربية ، فقد تم استخدام اختبار شفهي ، اضافة الى اختبار تحريري في مادة الأملاء وصولا الى تحقيق نتائج البحث وفيما يلي عرض موجز لهاتين الأداتين : —

١ — الأختبار الشفهي :

تعرف المقابلة بانها (لقاء بين الباحث والمستجيب) (او المستجيبين) يتم على اساس خطة معينة تثبت فيها النقاط التي يريد الباحث ان يستوضح الرأي حولها (١) ، وهي تصنف على اساس الهدف الذي تسعى لتحقيقه الى اربعة انواع : مسحية وتشخيصية وعلاجية وارشادية (٢) وقد استخدمنا النوع الاول بوصفه يصلح (في مسح الأتجاهات نحو البرامج التربوية ، وهيئات التدريس بالمدرسة اوتحديد اراء المدرسين نحو السياسة التعليمية او لجمع بيانات ومعلومات عن مشكلات اخرى قد تؤثر في السياسة التعليمية (٣) .

وان الأختبار الذي سنستخدمه هو الأختبار المقنن ، حيث سنطلب من كل دارس من الدارسين افراد العينة قراءة انموذج الأختبار الشفهي بنفس الطريقة والترتيب وسنسجل ذلك بجهاز تسجيل صوتي لغرض الرجوع اليها عند تفسيروتحليل النتائج ، حيث ان هذا النوع من الأختبارات علمي في طبيعته اكثر من غيره ويسمح بصياغة تعميمات علمية (٤)

---

(١) د. عبد الجبار توفيق ، مباديء البحث التربوي ص٩٦ .

(٢) د. جابر عبد الحميد ، مناهج البحث في التربية ص٢٥٧ .

(٣) المصدر السابق ص٢٥٧ .

(٤) ديوبولد فان دالين —مناهج البحث في التربية وعلم النفس ترجمة محمد نبيل وآخرون ص٤٦٩ —

اما فيما يتعلق باسس اعداد الأختبار الشفهي فقد روعي فيه سهولة فهمه اضافة الى شموله على كافة اصوات اللغة العربية وقد اشتمل الأختبار (١) بصيغته النهائية على قسمين تضمن القسم الأول اختباراً للكلمات ، حيث طلب من الدارسين نطق الأصوات وقد وردت في كلمات اما القسم الثاني فتضمن احد النصوص حيث قام الدارسون كلا على انفراد بنطق الأصوات وقد وردت في نص متكامل .

٢ ـ الأختبار التحريري :

قمنا باجراء اختبار تحريري في مادة الأملاء بغية تحليل الأخطاء والتعرف من خلاله على الصعوبات الاملائية التي يعاني منها الدارسون الأسبان ، وقد تم اعتماد اختبار النص الذي تم اختبار العينة به في الأختبار الشفهي لسهولة عباراته ولشموله على المباديء الأساسية في الأملاء ، ولمقارنة نتائج الأخطاء في الجانبين الشفهي والكتابي .

ثانياً : عينة البحث :

شارك في البحث (١٠) طالبا وطالبة يمثلون ٤٠٪ من مجموع طلبة المعهد للفصل الثاني من العام الدراسي ١٩٨٧ / ١٩٨٨ ، وأدناه جدولا بتفاصيل العينة :

عدد الطلبة الكلي في المعهد			عدد المشتركين في البحث		
ذكور	اناث	المجموع	ذكور	اناث	المجموع
١٦	٩	٢٥	٣	٧	١٠

ثالثاً : اللغة الاسبانية :

١ ـ اصلها :

هي من الفرع الروماني للغات الهندية الأوربية الذي يضم بالاضافة الى الأسبانية كل اللغات التي ترجع اصولها الى اللاتينية بمستوياتها اللغوية المختلفة واهم هذه اللغات الفرنسية

(١) ملحق رقم (١) .

والبرتغالية والأيطالية والرومانية الى جانب عدة لغات ولهجات في جنوب اوربا وجزر البحر المتوسط .

واللغة الأسبانية ظهرت نتيجة تطور اللاتينية الشعبية في لهجاتها التي كانت موجودة في شبه جزيرة ايبيريا (١) ، وقد كان لوجود اللغة العربية في هذه المنطقة عدة قرون اثاره الكبيرة في هذه اللغة التي تعد من اكثر اللغات الرومانية انتشارا في العالم المعاصر فهي لغة اسبانيا اضافة الى انها اللغة المتحدثة في كل اميركا اللاتينية باستثناء البرازيل (١) ، فهي ، لغة (٢٢) دولة من الدول الأعضاء في هيئة الأمم المتحدة ، ويبلغ مجموع المتكلمين بها حوالي (٢٥٠) مليون نسمة (٢) .

٢ ــ الحروف الكتابية للغة الأسبانية :

تتكون الالف باء الأسبانية من (٢٤) حرفا صحيحا و (٥) حروف معتلة . (٣)

آ ــ الحروف الصحيحة Consonants

الحروف	لفظه
Z	ث
J	(خ) (قوية)
C	(ث) اذا جاء قبل الحرفين (i،e) و(ك) فيما عدا ذلك
G	(خ) اذا جاء قبل الحرفين (i،e) و(ك) فيما عدا ذلك
H	صامت
LL	لي
N	ني
CH	چ
X	اكس اذا وقع بين حرفي علة و(اس) فيما عدا ذلك

(١) ايبيريا : اسم اسبانيا القديمة

(٢) محمود فهمي حجازي ــ مدخل الى علم اللغة / دار الثقافة للطباعة والنشر / ط ٢ ١٩٧٨ ص ١٢٥

(٣) القواعد الاساسية للغة الاسبانية ــ حكمة علي الاوسي/مطبعة الحكومة/بغداد ١٩٦٤ص ب

R	راء مشددة قوية
Q	ك
V	ب
Y	يو
W	ب

اما بقية الحروف الصحيحة فتلفظ مثلما في الأنكليزية وهي :

الحروف	لفظه
B	ب
D	د
F	ف
K	ك
L	ل
M	م
N	ن
P	ب
S	س
T	ت

ب ـ الحروف المعتلة Vowels

الحرف	لفظه
A	أ
E	إي مثل (بيت) العامية
I	اي مثل (اي) العامية الدالة على الأيجاب والقبول
O	أُو ـ مثلما هو في الأنكليزية .
U	أو ـ مثل الهمزة المضمومة

الفصل الثالث
مناهج البحث

اولاً : نتائج الاختبار التحريري (١)

١ ــ قلب التنوين الى نون :

ظهر ان ٣٥٪ من الدارسين يقلبون التنوين الى نون وتفسير ذلك ان الدارس يكتب ما ينطق به لعدم معرفته التامة بقواعد التنوين .

مثل : بيضتن (الصحيح : بيضة) .

٢ ــ قلب الحركة القصيرة الى حرف :

ظهر ان ٣٢٪ قد أبدلوا الحركة القصيرة بحرف ، وتفسير ذلك يعود الى عدم وجود الحركات (Vowels) في اللغة الأسبانية وهي الفتحة والضمة والكسرة ويقابلها الألف والواو والياء على التوالي في اللغة العربية .

مثل : يشربو (الصحيح : يشربُ)

٣ ــ حذف ما يجب وضعه :

ظهر ان ٢٥ ٪ يحذفون حروفا حقها الوضع وتفسير ذلك يعود الى عوامل عديدة منها تأثرهم بالعامية العراقية اضافة الى انهم يكتبون ماينطقون به .

مثل : الحلوَ (الصحيح : الحلوى)

٤ ــ زيادة مايجب حذفه :

ظهر ان ٢٥٪ يزيدون حروفاحقها الحذف وهذا يعود الى قلة خبرتهم باصول الكتابة العربية ، حيث انهم يكتبون جميع الأصوات التي ينطقون بها .

مثل هاذا (الصحيح : هذا) .

---

(١) ملحق رقم (٢) ، (٣)

٥ ــ الهمزة :

ظهر ان ٤٥٪ لايعرفون احكام كتابة الهمزة فيرسمونها خطأ في عدة مواضع ، وتفسير ذلك ان الهمزة في اللغة الأسبانية تأتي ساكنة دائما وبشكل واحد في بداية ووسط ونهاية الكلمة اضافة الى كثرة احكامها التي تشكل صعوبة على متعلم العربية من العرب
مثل : داءماً (الصحيح : دائما)

٦ ــ احلال حرف مكان آخر :

آ ــ التاء الطويلة الى تاء قصيرة وبالعكس .

ظهر ان ٣٠٪ ، ٣٢٪ من الدارسيين قد ابدلوا التاء الطويلة بتاء قصيرة وبالعكس على التوالي وتفسير ذلك يعود الى جهل بعض الدارسين بقواعد كتابة التاء الطويلة والتاء القصيرة لذلك فهم يخلطون فيما بينهما .

مثال : واحدت (الصحيح : واحدة)
معلماة (الصحيح : معلمات)

ب ــ ابدال الزاي سينا :

ظهر ان ٢٥٪ قد قلبوا الزاي سينا وتفسير ذلك يعود الى ان صوت الزاي من الأصوات اللثوية المجهورة ولاوجود له في اللغة الأسبانية لذلك يلجأ الدارسون الى تحويله الى اقرب صوت يشاركه في المخرج وهو السين الذي هو من الأصوات المهموسة وان الصوت المهموس اسهل في النطق من الصوت المجهور .
مثال :الرس (الصحيح : الرز)

جـ ــ ابدال الذال زايا :

لوحظ ان ٣٤٪ قد ابدلوا الذال زايا وتفسير ذلك ان الصوتين لاوجود لهما في لغتهم الام ، وحيث ان الذال من الأصوات مابين الأسنان وان الزاي يشاركه في كل الصفات سوى انه لثوي المخرج ، وان الأصوات اللثوية اسهل نطقا من الأصوات الأسنانية .
مثال : الغزاء (الصحيح : الغذاء) .

د ــ قلب الضاد دالا :

ظهر ان ١٨٪ قد ابدلوا الضاد دالا وتفسير ذلك ان الضاد من الأصوات الأسنانية اللثوية الأنفجارية (الشديدة) وهو من الأصوات المطبقة وان هذا الصوت الذي يميز الناطقين بالعربية لاجود له في اللغة الأسبانية ، لذلك يحاول الدارسون ان يبدلونه بصوت آخر اسهل منه في النطق وموجود في لغتهم وهو صوت الدال الذي يشترك معه في نفس المخرج سوى انه مرقق وان نطق الأصوات المرققة اسهل من نطق الأصوات المفخمة .

مثال : بيدة (الصحيح : بيضة)

هـ ــ قلب الظاء زايا :

كما ظهر ان ٢٠٪ قد ابدلوا الظاء زاياً وتفسير ذلك ان الظاء من الاصوات الاسنانية المجهورة المطلقة وانه غير موجود في لغتهم الأم لذلك يلجأون الى ابداله بصوت اخر غير موجود في لغتهم ايضاً الا أنه لثوى المخرج وغير مفخم الا وهو صوت الزاي اضافة الى ان الدارس يكتب مايلفظ لذلك كان هذا الخطأ .

مثال : الزهر (الصحيح : الظهر)

(و) قلب الضاد ظاءً وبالعكس :

ظهر ان ١٢٪ و١٤٪ قد ابدلوا الضاد الظاء وبالعكس على التوالي، وتفسير ذلك يعود الى ان الصوتين لاوجود لهما في اللغة الأسبانية اضافة الى التشابه الكبير في رسمهما لذلك لايفرقون بينهما عند الكتابة .

مثال : بيظة (الصحيح : بيضة) .

مثال : الضهر (الصحيح : الظهر)

ز ــ قلب الطاء تاء :

ظهر ان ٣٠٪ يقلبون الطاء تاء وتفسير ذلك ان صوت الطاء من الأصوات الأسنانية الأنفجارية اوالمطبقة وانه غير موجود في لغتهم الآم لذلك يلجأون الى تحويله الى صوت آخر يشاركه في كل الصفات سوى انه غير مفخم .

ح- قلب الصاد سينا

ظهر ان ٣٢٪ قد ابدلوا الصاد سينا وتفسير ذلك ان صوت الصاد من الأصوات اللثوية المطبقة وهو غير موجود في لغة الدارسين لذلك يحولون هذا الصوت الى اقرب صوت موجود في لغتهم وهو صوت السين الذي يشاركه في كل الصفات سوى انه مهموس وسبق وذكرنا بان الأصوات المهموسة اسهل من الأصوات المجهورة وان الدارس يكتب مايلفظ .

مثال : العسير (الصحيح : العصير)

ط- قلب الهمزة هاء :

ظهر ان ٧٪ قد ابدلوا الهمزة هاء وتفسير ذلك ان الصوتين لاوجود لهما في لغتهم الأم وانهما من مخرج واحد (حنجرية) وان الهمزة من الأصوات الأنفجارية لذلك يلجأ الدارسون للتخلص من هذه الصعوبة بابداله بصوت الهاء الذي هو من الأصوات الأحتكاكية (الرخوة) وان الصوت الرخو اسهل في النطق من الصوت الشديد .

مثال : الغذاه (الصحيح : الغذاء)

ي- قلب العين حاء :

ولوحظ ان ٥٪ قد ابدلوا العين حاء وتفسير ذلك ان الصوتين حلقيان غير موجودين في اللغة الأسبانية ، وصوت العين متقدم على صوت الحاء من حيث المخرج وانهما يشتركان في كل الصفات عدا ان الأول مجهور والثاني مهموس لذلك كان هذا الخطأ .

مثال : قطحة (الصحيح : قطعة) .

ك- قلب الحاء هاء وبالعكس :

ظهر ان ٨٪ و٦٪ قد ابدلوا الحاء هاء وبالعكس على التوالي، وتفسير ذلك يعود الى التشابه بين الصوتين حيث انهما يشتركان في كل الصفات سوى ان الحاء من الأصوات الحلقية والهاء من الأصوات الحنجرية .

مثال : يهب (الصحيح : يحب)

الظحر (الصحيح : الظهر)

ل ـ قلب الغين خاء :

ظهر ان ٦٪ قد ابدلوا الغين خاء وتفسير ذلك ان صوت الغين لا وجود له في لغتهم الآم، وانه يشترك مع صوت الخاء في كل الصفات عدا كون الغين مجهورا والخاء مهموسا لذلك كان هذا الخطأ .

مثال : الخـداء (الصحيح : الغذاء)

مما تقدم اعلاه يظهر لدينا بوضوح ان معظم الحروف التي قام الدارسون بابدالها بحروف اخرى هي حروف غير موجودة في اللغة الأم للدارسين، لذلك يلجأون للتخلص من هذه الصعوبة بتحويلها اما الى اقرب الأصوات الموجودة في لغتهم او الى اقربها مخرجاً في اللغة العربية

ثانيا : ـ

نتائج الأختبار الشفهي :

من خلال تحليل اجابات الدارسين المسجلة على جهاز تسجيل صوتي ظهر لدينا مايلي (١)

١ ـ ٣٥٪ من الدارسين قد ابدلوا الطاء تاء .

٢ ـ ٣٠٪ من الدارسين قد ابدلوا الصاد سيناً .

٣ ـ ٢٠٪ = = = = الزاي سيناً .

٤ ـ ٣٠٪ = = = = الذال زايا

٥ ـ ٢٠٪ = = = = الضاد دالا

٦ ـ ١٥٪ = = = = الظاء زايا .

٧ ـ ٢٠٪ = = = = العين حاء ، والثاء سينا .

٨ ـ ١٨٪ = = = = الضاد تاء ، والقاف كافا .

٩ ـ ١٧٪ = = = = الغين خاء .

١٠ ـ ١٢٪ = = = = الحاء هاء .

١١ ـ ١٤٪ = = = = الهاء حاء .

١٢ ـ ١٠٪ = = = = الغين كافا فارسية .

(١) ملحق رقم (٤) .

مما تقدم اعلاه نستنتج ان الدارسين قد أخطأوا في نفس المواضع التي أخطأوا فيها في الأختبار التحريري عند تبديلهم لصوت بصوت اخر وبنسب متفاوتة احيانا ومتقاربة احيانا اخرى كما ويظهر لدينا ان هناك اخطاء ظهرت في الأختبار الشفهي ولم تظهر في الأختبار التحريري) كقلب الثاء سينا والقاف كافا والعين كافا فارسية والضاد تاء (، واخطاء اخرى قد ظهرت في هذا الأختبار التحريري ولم تظهر في الأختبار الشفهي (قلب الهمزة الى هاء وقلب العين الى كاف فارسية) .

الفصل الرابع

ملخص البحث والتوصيات والمقترحات

اولاً : ملخص البحث :

ان هذا البحث دراسة ميدانية للصعوبات النطقية والكتابية لمتعلمي العربية من الناطقين بغيرها ، وقد تكونت فكرة البحث من ضرورة رصد الصعوبات اللغوية التي يعاني منها الدارسون ، وقد اقتصر البحث على الدارسين في معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها بوصفه من اكثر المناطق التعليمية كثافة بالطلبة الدارسين للغة العربية ، كما واقتصر البحث على الطلبة الأسبان لكونهم يشكلون ٤٠٪ من مجموع الطلبة الكلي للمعهد وانهم يفدون الى العراق لدراسة العربية سنوياً وبشكل مستمر .

وقداشتمل البحث على اربعة فصول تناول الفصل الأول مقدمات البحث وتضمنت هدف البحث واهميته وحدوده وفرضياته وخطته ، اما الفصل الثاني فتناول منهج البحث الذي اتبعه الباحث وصولا الى تحقيق اهداف بحثة واشتملت على ادوات البحث وعينته وتعريف باللغة الأسبانية من حيث اصلها وحروفها الكتابية .

اما الفصل الثالث فقد عرض نتائج البحث في الأختبارين التحريري والشفهي كلا على انفراد . اما الفصل الرابع فقد تضمن ملخصا للبحث وعددا من التوصيات التي تسهم في تذليل الصعوبات للمتعلمين من الناطقين بغيرها .

وعرضت الدراسة ان اللغة الأسبانية تنتمي الى الفرع الروماني للغات الهندية الأوربية ويبلغ مجموع المتكلمين بها حوالي (٢٥٠) مليون نسمة، وانها تكتب بالاحرف اللاتينية وتفتقر الى كثير من الأصوات العربية، وقد حققت نتائج البحث صدق الفرضيات التي افترضها الباحث من ان الطلبة من الناطقين بغيرها يعانون من صعوبات نطقية واملائية عند تعلمهم العربية، وان معظم الأصوات التي ابدلوها في المجال الشفهي هي نفسها التي ابدلت في المجال الكتابي .

واوضحت الدراسة ان هناك اصواتا عربية لاتشكل صعوبة لدى الدارسين عند النطق بها لكونها مطابقة اونظيرها موجود في لغتهم الأم مثل :

أ ــ ب ــ ر ــ س ــ ش ــ ف ــ ك ــ ل ــ م ــ ن ــ و ــ د ــ ج ــ خ ــ ي

الهمزة .

كما ويستنتج من الدراسة ان هناك اصواتا عربية اخرى تشكل صعوبة لدى الدارسين لكونها غير موجودة في لغتهم الام ولدقة الفروق الموجودة بينها في النطق .

مثل : ذ ــ ز ــ ض ــ ظ ــ ط ــ ق ــ ع ــ ح ــ ص ــ غ .

واوضحت الدراسة وجود صعوبات كتابية يعاني منها الدارسون لاختلاف النظام الكتابي في اللغة العربية عنه في اللغة الأسبانية، ومن تلك الصعوبات الخلط بين الحركات الطويلة والقصيرة والتنوين ورسم الهمزة اضافة الى التاء الطويلة والقصيرة والخلط بينهما وبين الهاء

ثانياً : التوصيات والمقترحات:

من خلال تحليل وتفسير نتائج البحث تكونت لدينا التوصيات والمقترحات الأتية :

١ ــ اجراء دراسات تطبيقية مماثلة لحصر الصعوبات والمشكلات التي يعاني منها الدارسون من الناطقين بلغات اخرى غير الأسبانية عند تعلمهم اللغة العربية .

٢ ــ الأكثار من التدريبات الصوتية في الأصوات العربية غير الموجودة في لغة الدارسين وكذلك الأصوات الموجودة في لغتهم والتي تشبه اصوات العربية

وتدريبهم حركيا حتى تتعود اجهزة النطق على اصدار اصوات واضحة تعطي لكل صوت نبرته الأساسية تحقيقا لتمييزه عما يقاربه في الصوت مع ربط ذلك بالمعنى وصولا الى سلامة النطق والفهم .

٣ ـ التدرج في تقديم الأصوات بحيث يقدم صوتا صعبا بعد ثلاثة او اربعة من الأصوات السهلة ويفضل البدء بالاصوات التي لاتتصل بما قبلها (د ، ذ ، ر ، ز ، و ، أ) وتُدَرّسُ مشكلة حيثما دعت الحاجة الى ذلك .

٤ ـ التدرج في تقديم التدريبات الصوتية بدءا بتدريب التمييز بين صوت واخر مثل (سار ، صار ، كلب ، قلب) ثم تدريبات الترديد (الجماعي والفردي على مستوى الحوار اوالكلمة) .

٥ ـ الأكثار من استخدام الوسائل التعليمية ومنها المختبر اللغوي لاهمية ذلك في العملية التعليمية والتغلب على عوائق اللغة .

٦ ـ اجراء بحوث في التحليل التقابلي بين اللغة العربية ولغات الوافدين للمعهد للدراسة .

مصادر البحث

١ ـ ابراهيم انيس ـ الأصوات اللغوية ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ ط٥ ١٩٧٥

٢ ـ ابن جني ـ سر صناعة الأعراب ـ ج١ ـ مكتبة ومطبعة مصطفى بمصر ـ ط١ ـ ١٩٥٤ .

٣ ـ د. جابر عبدالحميد ود. احمد خيري . مناهج البحث في التربية ـ دار النهضة العربية ـ القاهرة ـ ١٩٧٣ .

٤ ـ حكمة علي الأوسي ـ القواعد الأساسية للغة الأسبانية ـ مطبعة الحكومة بغداد ـ ١٩٦٤ .

٥ ـ ديو بولد فان دالين ترجمة محمد نبيل واخرون ـ مناهج البحث في التربية ـ وعلم النفس ـ مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة ١٩٧٧ .

٦ ـ سيبويه ـ الكتاب ـ المطبعة الكبرى الأميرية بمصر ـ ط١ ـ ١٣١٦ هـ

٧ ـ د.عبدالجبار توفيق ـ مباديء البحث التربوي ـ مطبعة وزارة التربية ـ بغداد ، ١٩٧٨ .

٨ ـ د. كمال محمد بشر ـ علم اللغة العام ـ الأصوات ـ دار المعارف ـ مصر ١٩٧١ .

٩ ـ محمود فهمي حجازي ـ مدخل الى علم اللغة ـ دار الثقافة للطباعة والنشر ـ القاهرة ط٢ ،١٩٧٨ .

ملحق رقم (١)

اولاً : اختبار الكلمات :

بستان ـ حليب ـ بلد ـ سمير ـ مسائل ـ ناس ـ فيل ـ ثائر ـ زكي ـ تين ـ زيت ـ عسل ـ سراب ـ شبر ـ جرى ـ كلب ـ خسوف ـ ساحة ـ سحر ـ عمل ـ ناعم ـ طاهر ـ ذليل ـ سيف ـ درب ـ صورة ـ اعضاء ـ حضر ـ ظرف ـ مشهور

ثانياً : اختبار النص :

يحب محمود الأكل وهو يأكل الحلوى كثيراً ويشرب العصير دائما . محمود الان هو أسمن طالب في المدرسة . ومحبوب من المعلمات .

في الصباح يتناول محمود الفطور مع والده ، يأكل بيضة واحدة وقطعة صغيرة من الخبز ويشرب كوبا صغيراً من العصير . وفي الظهر يتناول محمود الغذاء مع والدته ، يأكل السمك والدجاج والرز والحلوى ويشرب العصير .

سأله والده : انت تأكل معي قليلا ، لماذا انت سمين : ؟ هذا امر عجيب ! نظر محمود الى والدته ثم ضحك وقال : ياوالدي اسأل والدتي عن السبب .

ملحق رقم (٢)

نموذج الأخطاء الأملائية :

الرقم : ١ [١] نوع الخطأ

التنوين

العبارة

الخطأ	الصواب
بيضتن	بيضة

الرقم : ٢ نوع الخطأ

الحركة — حرف

الخطأ	الصواب
يشربو	يشرب

(١) يشير الرقم الى رقم الدارس ، حيث اعطي لكل مشترك في الاختبار رقماً مستقلا وتم تفريغ الاجابات على ضوء ذلك

ملحق رقم (٣)

نموذج جدول الاخطاء الاملائية

	العبارة	الخطأ	الصواب	النسبة المئوية	نوع الخطأ
١ —	يأكل بيضتين	بيضتن	بيضة	٣٥٪	التنوين
٢ —	يشربو كوبا صغيراً من العصير	يشربو	يشرب	٣٢٪	الحركات حروف
٣ —	يأكل للسمك والدجاج والرز والحلو	الحلو	الحلوى	٢٥٪	حذف حروف

٤ ــ	هاذا امر عجيب	هاذا	هــذا	٢٥٪	زيادة حروف
٥ ــ	يشرب العصير داءما	داءما	دائما	٤٥٪	الهمزة
٦ ــ	محبوب من المعلماة	المعلماة	المعلمات	٣٠٪	التاء الطويلة الى قصيرة
٧ ــ	يأكل بيضة واحدت	واحدت	واحــدة	٣٢٪	التاء القصيرة الى طويلة
٨ ــ	يأكل السمك والدجاج والر س	الرسس	الرز	٢٥٪	الزاي سينا
٩ ــ	يتناول محمود الغزاء	الغزاء	الغذاء	٣٤٪	الذال زايا
١٠ ــ	يأكل بيدة	بيدة	بيضة	١٨٪	الضاد دالا
١١ ــ	وفي الزهر	الزهر	الظهر	٢٠٪	الظاء زايا
١٢ ــ	ثم ظحك	ظحك	ضحك	١٢٪	الضاد ظاء
١٣ ــ	وفي الضهر	الضهر	الظهر	١٤٪	الظاء ضادا
١٤ ــ	يشرب العسير	العسير	العصير	٣٢٪	الصاد سينا
١٥ ــ	يتناول محمود الغذاه	الغذاه	الغذاء	٧٪	الهمزة هاء
١٦ ــ	يشرب الحسير	الحسير	العصير	٥٪	العين حاء
١٧ ــ	يهب محمود الأكل	يهب	يحب	٨٪	الحاء هاء
١٨ ــ	يتناول محمو د الخداء	الخداء	الغذاء	٦٪	الغين خاء

ملحق رقم (٤)

نموذج الأخطاء الشفهية :

الرقم :	٥
الخطأ	تاهر
الصواب	طاهر
النوع	ط ← ت

الرقم :	١١
الخطأ	العسير
الصواب	العصير
النوع	ص ← س




مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الاخطاء الكتابية التي يرتكبها الطلبة الصوماليون

طارق رديف العامري

معهد تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها

كلية الآداب

«مقدمة»

تتجلى أهمية بحثنا هذا لتلافي كثرة الأخطاء التي ارتكبها الوافدون للدراسة في معهدنا وبغية الوقوف على تلك الأخطاء وسبل معالجتها وللنهوض بمستواهم لتحقيق أهدا ف المعهد في نشر اللغة العربية بين الأمم لكون اللغة وسيلة اتصال مهمة،لتبادل المصالح واقامة الروابط المتينة والتفاهم وحل المشكلات المختلفة .

ونظراً لما امتازت به العربية من أحكام واصول وقواعد تنفرد في بعضها عن لغات الدارسين ، ولكونها لاتقبل الأنحراف والزلل في قواعدها ونظمها الكتابية فلا بد لنا من ايجاد الوسائل لتيسير ايصالها للطلبة .

ولهذا السبب تم اختيار مجموعة من الطلبة الصوماليين كونهم يشكلون نسبة كبيرة من الدارسين في المعهد فضلا عن كونهم عرباً ومسلمين ، سبق لهم ان درسوا العربية في مدارسهم ، وخاصة القرآن الكريم ، ولما كان بين اللغتين من علاقات دينية وتجارية وثقافية وحضارية والتي بسببها تأثرت اللغة الصومالية بالثقافة العربية الأسلامية .

ان هدفي من بحثي الموسوم بـ (الأخطاء الكتابية التي يرتكبها الطلبة الصوماليون هو محاولة تدوين الأخطاء الكتابية واسبابها وكيفية معالجتها) .

وقد ضم البحث فصلين ، الأول دراسة تمهيدية كان الغرض منها معرفة السلالة التي تنتمي اليها اللغة الصومالية والأبجدية التي كتبت بها ،فضلا عن معرفة أشكال حروفها وخصائصها الكتابية ، مقارنة مع الخصائص الكتابية للغة العربية ، لغرض الوصول الى ما

نحن بصدده من معرفة الأسباب الرئيسة التي تشكل عائقاً امام المتلقي في عدم اتقان النطق والكتابة بصورة صحيحة .

اما الفصل الثاني فقد تناول دراسة عملية تطبيقية من خلال اجراء اختبارين على مجموعة من الطلبة المعنيين بالدراسة ، لتقويم الأخطاء ومعرفة النسبة المئوية لها بشكل عام مع ذكر اسبابها وطرائق معالجتها .

وقد خلص الباحث الى تثبيت أهم النتائج والتوصيات والمقترحات كيما يفيد منها ، المتلقون والقائمون بعملية التدريس .

الفصل الأول

دراسة تمهيدية

المبحث الأول : أصل اللغة الصومالية :

في البدء ، لابد لنا من ان نسلط الضوء على السلالة البشرية التي ينتمي اليها الصوماليون ومعرفة موطنهم بغية التعرف على الجذور التي تنتمي اليها لغتهم الأصلية التي تأثرت باللغات المجاورة .

وعرفت الصومال بأسماء كثيرة متباينة ، ويطلق عليها في بعض الأحايين اسم (بلاد بونت) وهو اكثر شهرة من غيره ، وتسمى ايضاً (قرن افريقيا) وهو الأقليم الجغرافي الذي يقع في وسط الشاطيء الشرقي لافريقيا ، والذي لايسكنه أحد غير الشعب الصومالي والشعب الصومالي امة واحدة متجانسة ذات شعورٍ قومي بالوحدة القومية المبنية على الخلفيات الثقافية واللغوية والدينية (١) .

وينتمي الصوماليون للجنس الحامي وبالتحديد للعنصر الكوشي ،والكوشيون هم احدى الموجات الحامية ويعرفونها بالحاميين الجنوبيين ، تمييزاً لهم عن الشماليين ومن هؤلاء البربر الذين يسكنون شمال افريقيا في الوقت الحاضر ،ومن الكوشيين الخلص ،المصريون

(١) انظر حقائق ومعلومات عامة عن صوماليا اليوم . د عبدالله محمد حسن ص١

القدماء وقبائل بني عامر في الوقت الحاضر ، وهؤلاء يسكنون ، شرقي السودان ، ويسمي بعض الباحثين هؤلاء الكوشيين بالحاميين ذوي اللون الفاتح (١) . ويمكننا القول ان الصوماليين الحديثين ليسوا من السلالة الزنجية ، وان الدم العربي واضح الأثر في ملامحهم (٢) ويؤكد بعض الباحثين من ان الصوماليين يعودون الى عنصرين : هما (الأشا) ويدّعون رجوع اصولهم الأولى الى العرب ، و(الأريو) وهم من سلالة الجلا (٣) ، الذين هاجروا في وقت حديث نسبيا من شبه جزيرة العرب عبر البحر واستوطنوا ارضاً كان مسكن بعض اجزائها جماعات من الجلا (٤) . وكانت الصومال موطنا لقبائل البانتو وقبائل الجلا التي هاجرت منها الى كينيا واواسط افريقيا امام البحرات القوقازية الحامية التي جاءت من شبه جزيرة العرب عن طريق باب المندب في العصور القديمة (٥)

اما لغتهم فتنتمي الى اللغات الكوشية Cushitic Languages وهي اسرة فرعية من اللغات الآسيوية الأفريقية ، ينطق بها في اثيوبيا والصومال وغيرها من بلدان افريقيا الشرقية ، واوسعها انتشاراً لغة (الغالا) التي ينطقها الأثيوبيون . اما اللغة الصومالية Somali – فهي التي ينطقها الصوماليون . (٦)

وقد ذكرت لنا المصادر ان اللغة الصومالية هي احدى اللغات الحامية ، ولكنها متأثرة كثيراً باللغة العربية ، ومن هنا يمكن القول ان اللغات الأفرو آسيوية هي اسرة لغوية واحدة تعد من اكبر الأسر اللغوية في العالم القديم والوسيط والحديث ، اذ تضم هذه الأسرة كما قسمها العالم جوزيف جرينبرج عدة أفرع لغوية هي (الفرع السامي ، والفرع المصري القديم ، والفرع البربري ، والفرع التشادي ، والفرع الكوشي (٧) . وتنقسم اللغة

---

(١) الجمهورية الصومالية – عبد المنعم عبد الحليم ص١٧٢ .
(٢) اضواء على الصومال – عبد الصبور مرزوق ص١٣٩
(٣) مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا محمود شاكر ص٣٢ .
(٤) الصول وطناً وشعباً – محمد عبد المنعم يونس ص٩٨ .
(٥) جغرافية الصومال – محمد عبد الفتاح هندي ص٢٠ .
(٦) انظر موسوعة المورد مجلد (٣) – منير بعلبكي ص١٣٣ .
(٧) انظر الصومال وطناً وشعباً – محمد عبد المنعم يونس ص١٢٦ .

الصومالية الى عدة لهجات تتشابه بوجه عام مع وجود بعض الأختلافات في نطق الحروف والكلمات مع وجود اختلاف في بعض التراكيب . واهم هذه اللهجات : الشمالية ، والجنوبية ، ولهجة بنادر ، وقد أدى اختلاط الصوماليين المستمر فيما بينهم وعيشتهم جنبا الى جنب بالرغم من اختلاف مناطقهم الى وجود تقارب كبير بين هذه اللهجات ، الثلاث مما أدى الى اذابة الفوارق اللغوية ، حيث بات من اليسير التفاهم فيما بينهم ، متحدين بعد المسافات ، فهم يتخاطبون بألفاظ وتراكيب مشتركة بين لهجاتهم متجنبين خصوصية الفاظهم المحلية . (١)

علما ان غالبية هذه اللهجات بدائية غير مكتوبة ، وليس لها حروف ابجدية كيما يمكن تدوينها . (٢)

المبحث الثاني : الاصوات والكتابة في اللغة الصومالية :

ان الثقافة سمةٌ اساس من سمات تقدم الأمم ، والشعوب ، المرتكز على تراثها القومي وعلى لغتها الأصلية ، التي بها تجتمع أيةُ امة ، بيد ان الأستعمار وضمن اهدافه الرئيسية يسعى اول مايسعى — عندما يسيطر على تلك الشعوب — الى تخريب الثقافة واللغة كيما تدور في فلكه متخبطة في دياجي الجهل والعبودية ، وقد تعرضت الصومال لذلك الغزو الذي طمس معالم شخصيتها وهويتها ، ومن الأستعمار القوانين التي تمنع استعمال اي نوع من انواع الأبجديات لكتابة اللغة الصومالية ، وتحريمها تحريماً تاما(٣)

ويتضح مما سبق من ان اللغة الصومالية لاتكتب فليس لها حروف ابجدية وقد وجدت محاولات كثيرة لكتابتها بالحروف العربية من لدن بعض الصوماليين(في الصومال البريطاني) منذ اكثر من خمسين سنة ، منهم الشيخ قاسم البراوي ، وفي سنة (١٩٦٢) قام الأستاذ ابراهيم حاش باصدار كتاب اطلق عليه الصومالية بلغة القرآن ، حيث دون اللغة الصومالية بحروف عربية متضمنة بعض النصوص الدينية (٤) .

(١) انظر الجمهورية الصومالية — عبد المنعم عبد الحليم ص١٨٧ .
(٢) انظر الصومال وطناً وشعباً — محمد عبد المنعم يونس ص١٢٦ .
(٣) انظر حقائق ومعلومات عامة — صوماليا اليوم . د. عبدالله محمد حسن ص٢٨٥ .
(٤) انظر الجمهورية الصومالية — الاقليم الجنوبي او صومالية د. عبد المنعم عبد الحليم ص١٩٢

ومما تقدم لم يثبت الى الأن ان اللغة الصومالية قد كتبت في أية فترة من فترات تاريخ الصومال ، فهي لغة تحادث فقط ، لم يتيح لأصحابها وغالبيتهم من الرعاة الرحل أن يقيمو حضارة مستقرة تستلزم وجود لغةٍ للكتابة ، وجرت محاولات مؤخراً لكتابتها ، اذ ألف للسيد ياسين عثمان كناديد سنة ١٩٤٩ جمعية اللغة والأدب الصومالي واستخدم حروفاً كان والده عثمان يوسف قد اخترعها قبل ذلك بنحو ثلاثين عاما وتسمى هذه الحروف بالحروف العثمانية ، وهي تشبه الى حدٍ ماحروف اللغة الأمهرية المستخدمة في أثيوبيا وقد عارض كثير من الصوماليين استخدام تلك الحروف اوكتابتها (١) .

فضلا عن ذلك كله نجد ان الدول الغربية طالبت بتشجيع استخدام الحروف اللاتينية لكتابة اللغة الصومالية والأستعانة بخبراء اليونسكو، غير أن تلك المحاولات قد قوبلت بأستنكار شعبي شامل،وان كانت تحضى بتأييد بعض العملاء ،لأن الغاية واضحة للعيان لإبعاد الصوماليين من الكتابة باللغة العربية للحيلولة دون ارتباط الصومال بالوطن العربي لأن الكتابة بالحروف اللاتينية ستكون مدعاة لربط الصومال بالثقافة الغربية مما يسهل التثقيف بها ومن ثمّ يمكن ان تتم عملية الغزو الفكري بيسر دونما معضلة ليبقى الشعب الصومالي منسلخاً عن الأمة العربية على وفق التخطيطات المرسومة له في التجزئة وهو هدف الأستعمار الرئيس — بالرغم من ميل الشعب الصومالي الى اللغة العربية وامكانية كتابة اللغة الصومالية بالعربية ، وقد أشار الى ذلك البروفسور (مورينو) الأستاذ بجامعة روما مع بعض الاضافات للحروف والأصوات غير الموجودة فيها (٢) ، لمعرفة الكثير من الصوماليين للعربية ، وقد ألفوا فيها كتبا كثيرة ، ونظموا قصائد عديدة جمعها قاسم إبن محي الدين في ديوان ضخم . (٣)

واستمر التنافس بين مشجعي الكتابة العربية واللاتينية والأبجديات الأخرى حتى قيام ثورة (٢١ اكتوبر — تشرين الأول ١٩٦٩) وضم البند الثالث لسياسة الحكومة هناك

(١) انظر الصومال وطناً وشعباً — محمد عبد المنعم يونس ص١٢٧ .
(٢) انظر الصومال وطناً وشعباً — محمد عبد المنعم يونس ص١٢٨—١٢٩ .
(٣) انظر مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا — محمود شاكر ص٣٢

تصفية[1] الأمية وتطوير تراث ثقافي وطني للشعب الصومالي . فتم تأليف لجنة لكتابة اللغة الصومالية استطاعت حتى شهرين يوليو (تموز) ١٩٧٢ ان تكتب حوالي (٢٢) كتاباً تشمل فروع المنهج المدرسي لكل من المدرسة الأولية ومتطلبات فصول تعليم الكبار العامة ، وكانت الأبجدية المختارة لكتابة اللغة الصومالية [illegible] هي الأبجدية اللاتينية التي عدت الأبجدية الرسمية لكتابة اللغة الصومالية ، وتضم اللغة الصومالية بصيغتها الحالية (٤٢) ، صوتاً و بالتالي (٤٢) حرفاً (٢١) منها صامتة و (٢١) حروف تشكيل وقد افرزت اللجنة (٣٢) حرفاً للكتابة لتسجيلها والحروف الصامتة هي (٣١)

أ، ب، ت، ج، ح، خ، د ، ر، س، ش ، ع ، ف، ق، ك، ل، م، ن، و، ه، ي، | dh
y, h,w,n,m, L, k, q, f, c, sh, s, r, d, kh, x, j, t, b | + g

أما حروف التشكيل التي اعطيت لها حروف كتابية لتسجبلها فهي حروف تشكيل خفيفة وطويلة وحروف تشكيل خفيفة وقصيرة .

— في حالة الفتحة مثال (كَتَبَ) (kataba) A حركة قصيرة

يقابلها الألف حركة طويلة مثال (كمال) AA (kamaal) حركة طويلة

— في حالة الكسرة مثال (كِتاب) (kitaab) i حركة قصيرة

تقابلها الياء حركة طويلة مثال (كتابي) (kitaabii) ii حركة طويلة

— ُ في حالة الضمة مثال (يَكتُب) (yaktubu) u حركة قصيرة

تقابلها الواو حركة طويلة مثال (كوت) (kuut) uu حركة طويلة

اما حروف التشكيل غير الموجودة في اللغة العربية . هي :

e

ee

o

oo

(١) انظر حقائق ومعلومات عامة — صوماليا اليوم د. عبدالله محمن حسن ص٢٨٦–٢٨٧

وتستعمل في كتابة اللغة الصومالية كل من الحروف الصغيرة والكبيرة ، كما تستعمل علامات الترقيم العالمية ، وتكتب من اليسار الى اليمين كاللغات الأوربية (١)

وبالرغم من كل ماذكر فقد بقيت اللغة العربية لها أهميتها لكونها مادة تدرس في المدارس الأولية والجامعية في انحاء الصومال كافة ، ويعود السبب في ذلك الى تمسك أهل الصومال بعقيدتهم الأسلامية ،وحبهم للقرآن الكريم ، وحفظهم للحديث النبوي الشريف ، وعنايتهم بتحفيظ ذلك لأولادهم ، علما ان جميع كتبهم الدينية مدونة باللغة العربية ، وقد شرحت بالصومالية (٢) .



(١) انظر حقائق ومعلومات عامة — صوماليا اليوم د. عبدالله محمد حسن ص٢٨٨ .

(٢) انظر — بغية الآمال في تاريخ الصومال — الشريف عبد روس ص٣٩ .

المبحث الثالث :

اوجه الشبه والاختلاف بين اللغة الصومالية واللغة العربية في الجانب الصوتي الكتابي:

لاتخلو لغة ما من خصائص عامة وخاصة ، سواء أكانت نحوية أم صوتية ومنها اللغة الصومالية. بيد أن مايهمنا هنا هوالخصائص الصوتية للغة الصومالية لكونها موضع اهتمامنا في دراستنا هذه لنتوخى من ذلك كله الوصول الى مانحن بصدد دراسته للوقوف على أهم المشكلات التي يتعرض لها الدارسون لمعالجتها، ويتسنى لنا ذلك من خلال معرفة الخصائص الصوتية (الكتابية للغتين) التي أنفردت بها كل واحدة منهما، أو أتفقت فيما بينهما ، ومنها :

اولاً : أصوات الحروف :

ذكرنا سابقاً ان اللغة الصومالية قد اتخذت من الحروف العربية أبجدية خاصة بها ولا نعدم وجود بعض الاختلافات التي اقتبستها لتنسجم مع اللهجات المتعددة في الصومال ولا ننكر مااللغات المجاورة من تأثير عليها، لذا ألفيناها قد أضافت الى ابجديتها أصواتاً بفعل التأثر ، لا وجود لها في العربية ، بل وحذفت منها بعض ماهو موجود فيها ، ومن خلال استقرائنا وجدنا:

١ــ الاصوات العربية الموجودة في اللغة الصومالية :(١)

ب	ت	ج	ح	خ	د	ر	س	ش
b	t	j	x	kh	d	r	s	sh
ع	ف	ق	ك	ل	م	ن	و	هـ
c	f	q	k	L	m	n	w	h
ي	+ الهمزة							
y	؟							

(١) حقائق ومعلومات عامة – صوماليا اليوم . د. عبدالله محمد حسن ص ٢٨٧-٢٨٨ .

٢ — الاصوات العربية غير الموجودة في اللغة الصومالية:
ض، ظ، ط، ص، ذ، ث ، ز، غ ،

٣ — الاصوات الصومالية غير الموجودة في اللغة العربية:

(أ) وجود صوت لثوي انعكاسي في اللغة الصومالية يرمز له (dh) خلت منه اللغة العربية وهو انفجاري مهموس وقريب من صوتي الطاء والتاء

(ب) وجود صوت اختصت به اللغة الصومالية واكثر استعماله فيها بشكل يثير انتباه الاجنبي وهو شبيه بحرف (ض) الضاد العربي ولكن نطقه يختلف قليلا اذ يقلب اللسان لكي يلامس طرفه الاسفل سقف الفم فينطق الحرف وسطاً بين حرف الضاد والطاء والراء وفي هذه الحالة يكون اقرب الى حرف الضاد اذا جاء في أول الكلمة : مثل

ضِيلْ : اناء اللبن
ضِينْج : أذن

أما اذا ورد في وسط الكلمة فينطق مثل حرف الراء مثل
كَبرْدة : البنت (١)

(ج) يوجد في اللغة الصومالية صوت كَ (g) بينما لايوجد في العربية الفصحى ولكنه يوجد في بعض اللهجات العربية ، غير الفصحى كالجيم القاهرية.

٤ — يبلغ عدد الصوامت في اللغة العربية (٢٨) صامتاً بينما يبلغ عددها في الصومالية (٢٢) صامتاً . (٢)

٥ — وجود خمسة صوائت قصيرة أساس، ويقابلها خمسة طويلة في اللغة الصومالية (٣) ، في حين يقابلها في العربية ثلاثة صوائت قصيرة وتقابلها ثلاث حركات طويلة.

---

١) الجمهورية الصومالية «الاقليم الجنوبي أو صوماليا — عبد المنعم عبد الحليم ص١٨٨
٢) انظر حقائق ومعلومات عامة (صوماليا اليوم د. عبدالله محمد حسن ص٢٨٦ .
٣) المصدر السابق نفسه ص٢٨٧ .

ثانياً : القواعد الكتابية (العلامات) :

هناك علامات خاصة انفردت بها اللغة العربية قد خلت منها اللغات الاخرى ومنها الصومالية (١) وهي

١ ــ الشدة (ّ) والحرف المشدد هو في حقيقته حرفان الاول منه ساكن والثاني متحرك يتبع الحركة مع الشدة مثل شدَّ ، يَشدُّ في حين لانعرف اللغة الصومالية كتابة الشدة ، بل تكرار الحرف نفسه مرتين مع وجود الحركات المختصة بها.

٢ ــ التنوين : هو نون ساكنة في آخر الكلمة ، تظهر في النطق ولا تكتب ويرمز للتنوين في الكتابة بتكرار الحرف الاخير مع الكلمة فتصبح الفتحة فتحتين ، والكسرة كسرتين ، والضمة ضمتين مثل :

(ضرباً) ، (يوماً) ، (ضربٍ) ، (يومٍ) (ضربٌ) ، (يومٌ) .

وبما ان التنوين غير موجود في اللغة الصومالية ،فالطالب الصومالي الدارس للعربية يقلب التنوين الى نون مثل صبرٌ يكتبها صبرن .

٣ ــ أداة التعريف التي أنفرد بها العرب) وتأتي عادة في أول الكلمة مثل الرجل ، الفرس ، الكتاب ، المرأة ، وغير ذلك ، بينما نجد أدوات التعريف في الصومالية تكون في آخر الاسم لا في أوله مع اختلافها بين المذكر والمؤنث (٢) . مثل :

كا أداة تعريف للمذكر مثل نَنْ كا : الرجل

تا أداة تعريف للمؤنث مثل ناكك تا : المرأة

٤ ــ الحروف التي تقرأ ولاتكتب وأختصت اللغة العربية بحذف بعض الأصوات من الكتابة فهي تلفظ ولاتكتب مثل هذا ، ذلك ، كذلك ، الخ .

أما اللغات الاخرى فلم تعرف هذه الطريقة ومنها اللغة الصومالية .

٥ ــ الحروف التي تكتب ولاتقرأ : في العربية مثل هذه القاعدة كما يحصل مع الألف واللام مع الحروف الشمسية مثل الشمس ــ الدار ... الخ

---

(١) انظر تعليم اللغة العربية لغير العرب ــ أحمد شلبي ص٢٩ .

(٢) انظر الجمهورية الصومالية (الاقليم الجنوبي أو صوماليا . عبد المنعم عبد الحليم ص١٨٩

«الفصل الثاني»

دراسة تحليلية

المبحث الأول : انواع الأخطاء الكتابية العامة :

الخطأ الكتابي هو كسرٌ في أحكام اللغة وقوانينها ، وانظمة تراكيبها ينحرف المتحدث أو الكاتب فيها عن مقاييس اللغة الصحيحة ، وهو خلل يرتكبه المثقفون وغيرهم ، فضلاً عن غير الناطقين بها، وتلك الاخطاء عيوب تشوه اللغة وتسييء الى المضامين ، وتحيل الابانة والوضوح الى غموض ، كما تقلب الموازين البيانية الى عبارات مشوهه لايربطها رابط ، ولايوحدها معنى ولاتنسجم مع ماتتوخاه الفكرة من بلوغ رسالتها ، ولذلك الخطأ الفاحش اسباب كثيرة سوف نذكرها لاحقاً في مواضعها وفي المبحث المقبل ، على أننا لاننكر اثر اختلاط الأمم ببعضها (١) ، مما أدى الى اشاعة الخطأ واللحن والعجمه حتى على لسان المثقفين .

ان حدوث الخطأ اثناء تعلم اللغة أمرٌ طبيعي ، ففي هذه الحالة يجب الا يضيق صدر المعلم، بل يفيد منه بوصفه وسيلة لتقويم عملية التعليم بغية معرفة اكتساب المهارة للعناصر اللغوية ونموها لدى المتعلمين ، ويتوخى من ذلك كله تحديد جوانب الضعف كي يتمكن المعلم من ملافاتها مستقبلا. (٢)

قبل البدء بتناول انواع الأخطاء الكتابية لابد أن نعرف أن الخطأ يتمثل في جانبين : الشفهي : الذي نعني به الصوتي ، ومرده الاختلاف بين اللغتين اللغة الأم للدارس واللغة الثانية ، اما الجانب الاخر فهو التحريري : الذي نعني به هنا في بحثنا هذا هو مايسمى بالجانب الكتابي ، الذي يشمل جوانب كثيرة في لغات العالم ، ويختص في اللغة العربية اكثر من غيرها، ومن هنا تأتي صعوبة تعلمها ، وكثرة الوقوع في أخطاء يرتكبها متعلموها وخاصة في جانب النحو منها ، لصعوبة تراكيبه في بناء الجمل المختلفة ، بيد أننا سنبعد

---

(١) انظر اصول تدريس اللغة العربية – بديع شريف ص١٨ .

(٢) انظر العربية للناشئين : د. محمود اسماعيل صيني وناصف مصطفى ومختار الطاهر ص.س.

في دراستنا هذه ذلكم الجانب النحوي ، مهتمين بجانب اخر مهم الا وهو الجانب الكتابي الذي نعني به سلامة رسم الحروف في بنية الكلمة ، وهو مايسمى بالخطأ الاملائي ، هذا الجانب الخطر الذي يتساوق مع رغبة الانسان في تعلم اللغة في قراءتها وكتابتها ، ولذا فانا نرى الواجب على متعلم اللغة أن يتعلم الاملاء السليم وأن تكون له قدرة متميزة في سرعة تعلم رسم الحروف ، ومن ثمّ القدرة على كتابة الكلمة بصورة صحيحة ، لتحقيق الوظيفة الرئيسة للغة المتمثلة بالفهم والإفهام (١) متوخين منه (ضبط الكتابة ، احفظها من الزيادة والنقصان والتحريف مما يغير معناها أو يبهمه أو يعدمه) (٢)

ولذا فان المراد بالإملاء كتابة الكلمات كتابة صحيحة حسب موقعها في الجملة ، والظاهر أن مشكلة الاملاء في اللغة العربية أخف منها في اللغات الأوربية ، لاحتواء كلمات اللغات الاوربية على حروف تكتب ولاتقرأ كما في كلمة NiGHT (نايت) الانكليزية ، كلمة CORBEiLLE كورية (سلة) الفرنسية وكلمة (JAHR) (يار) الالمانية وهي بمعنى للسنة (٣) .

ومن هنا نجد ان للاملاء مكانة لايستهان بها لأنها فرع أساس في تعلم اللغة من خلال الدُّربة المتواصلة ليتمكن من تلافي الاخطاء الكتابية ، وتجنب الاخطاء التي تربكه وتصرف ذهنه الى معاني أخر .

ويمكننا أن نشير ومن خلال ماتقدم الى وجود ترابط بين فروع اللغة العربية حيث يكمل كلٌ منها الاخر ، فلا يمكن الاستغناء والحالة هذه عن النحو لحفظ الكلام من الكسر ، ولاعن تطبيق البلاغة للحفاظ على اساليب غاية في الروعة والصياغة وما يتبعه من تطبيق عملي لمقتضى الحال .

---

(١) أنظر : العربية لغير العرب : أحمد سمير بيبرس وعبدالله سويد ص٣

(٢) الاختبارات الاملائية وطرق تدريس وتعليم الاملاء ووسائلها بحث اعداد تركي عبد الغفور ص٣ .

(٣) أنظر : أصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية احمد حسن الرحيم ص٨٨

ومن هنا يتجلى لنا بوضوح الترابط الفعلي بين تلك الفروع التي اشرنا اليها وبين الأملاء للحفاظ على سلامة اللغة، ومن ثم تطوير اساليب الدارس على الوجه الامثل(١) كيما يتمكن من الكتابة الصحيحة . وعدم الوقوع في غموض المعنى وبطء الفهم (٢) ، ولذا فمن الخطأ أن نعزل أي فرع من فروع اللغة عن بعضها لأنها متداخلة ومتواصلة وأحدها يخدم الاخر، ولابد لنا من القول أن للاملاء المنزلة الاولى بين فروع اللغة لكونه الركيزة الوحيدة في اعطاء الكلمة في الجملة معناها المطلوب ، ويميز موقعها . فمن محاذير الوقوع في خطأ كتابة الحرف الانحدار الى مزالق تبعده عن الفهم الصحيح للمعنى ، ويشرد ذهنه الى حروف أخر واصوات أخر يصعب التمييز بين صوت وأخر للفارق الكبير بينهما ويؤدي بالتالي الى الأرتباك بالمعنى نتيجة الخلط بين الحروف واصواتها لصعوبة النطق بالكلمة بسبب من تقارب الحروف في مخارجها أو تنافرها من حيث الشدة والرخاوة والهمس والجهر .



(١) أنظر : سلامة اللغة العربية – المراحل التي مرت بها : عبدالعزيز عبدالله محمد ص ١٦٢–١٦٣ .

(٢) الموجه العملي لمدرس اللغة العربية – عابد توفيق لهاشمي ص٣٤١ .

المبحث الثانى : دراسة المشكلة :

(أ) العينة والطريقة المستخدمة في تحليل النتائج :

ان منافذ البحث انفتحت على عينة من الطلبة الصوماليين بلغ عددهم (١٥) خمسة عشر طالباً، موزعين بين وجبتي الدراسة الصباحية والمسائية .

وترجع اسباب اختيارنا لهذه العينة الى كونهم مسلمين، وسبق لهم ان درسوا اللغة العربية في مدارسهم ، أو لديهم الاستعداد في تعلمها رغبة منهم في فهم القرآن الكريم قراءة وكتابة وتفسيراً ، متوخين من ذلك كله فهم الشريعة السمحاء بالدرجة الاولى ، واكتساب لغة جديدة ثانياً . علماً أن غالبية الطلبة الصوماليين يتجهون بعد دراستهم للغة العربية الى الكليات التي لها علاقة بدراسة الشريعة الاسلامية ، أو الكليات الانسانية بشكل عام .

أما الطريقة المتبعة في تحليل نتائج الدارسين فتمت عن طريق أجراء اختبارين (١). ، كان أحدهما في نهاية الفصل الاول بعد أن انهى الطلاب مرحلة التدريب الصوتي والكتابي وانتهائهم من الكتاب الاول المقرر للمبتدئين ، وجعلنا هذا النص مقياساً موضوعياً أولياً لجمع الاخطاء الكتابية الاملائية منها فقط عن طريق اختيار نص املائي لمستواهم الدراسي ضم خمسين كلمة ، لمعرفة الاخطاء التي وقعوا فيها في الاختبار الاول ، ومدى استفادتهم من تصحيح أخطائهم وتلافيها في الاختبار الثاني ، الذي تم بعد مرور ثلاثة اشهر على الاختبار الأول ، حيث تم اختيار قطعة نثرية تحتوي على غالبية المفردات التي وردت في الاختبار الاول باسلوب أخر واصعب .

ومن خلال الاطلاع على نتائج الاختبارين بعد فرز الاخطاء وتحليلها ، وجدنا أن اخطاءهم طفيفة ، وقد تجاوزوا الكثير منها ، مما يؤشر لنا مدى استفادتهم من الدروس التي تلقوها فضلا عن تظافر نجاح أركان العملية التدريسية : المادة والكتاب ، والاستاذ

(١) انظر نموذجي الاختبار الاول والثاني في نهاية البحث

واستعدادهم ورغبتهم في التعلم ، على أننا لانغفل وقوعهم في أخطاء شائعة هي أساساً ،وضع زالل لكثير من ابناء اللغة الأم ، لغة استخدامها في الحياة اليومية ، أو بسبب من قواعدها الكثيرة التي يجب على المتلقي أن يحفظها ويمارس كتابتها كيما يتجنب الوقوع في خطأ كتابتها ،وهي تتدرج في يسرها وتعقيدها ، مثل التاء بشكليها والهمزة ، والظاء والضاد .... الخ التي يقع فيها ابناء اللغة العربية حيث توضح الجداول في آخر المبحث الاخطاء التي وقع فيها الدراسون، كما يوضحها المبحث المقبل في تحليل النتائج وتفسيراتها.

(ب) معطيات العينة (النتائج وتفسيراتها)

اشرنا سابقاً في باب العينة والنتائج من هذا البحث ان الوسيلة المتبعة في تحليل النتائج قد تمت باجراء اختبارين ، وكانت الحصيلة في الاختبار الاول مجموعة من الاخطاء الكثيرة تم تأشيرها في الانموذج رقم (١) فضلا عن وقوع الطلبة في العينة المذكورة بأخطاء العلامات مع أخطاء أخر.

ووجدنا في الاختبار الثاني تجاوز عدد من الدارسين لتلك الأخطاء إلاّ ماندر، عدا الاخطاء التي يرتكبها ابن اللغة نفسه وكما موضح في الانموذج رقم (٢) وتشير الدلائل الى ان الاخطاء قد انحصرت في بابين: الاول : الاختلاف بين اللغتين من حيث حروفها الصوتية (٣) والثاني: صعوبة القواعد الكتابية للغة العربية ، وافتقار لغة الدارسين لها (٤) فضلا عن اشتراك عدة جهات في أرتكاب الأخطاء بيد أنها أقل أهمية من السببين المذكورين في هذين البابين وكما يأتي :

---

(١) * انظر الانموذج للاختبار الاول في نهاية البحث .

(٢) ** انظر الانموذج للاختبار الثاني في نهاية البحث .

(٣) اي وجودها او عدم وجودها في اللغتين .

(٤) انظر الفصل الاول – المبحث الثالث صفحة (٩) من هذا البحث

الباب الاول :

١ ـ ابدال الاصوات بأصوات اخرى غير موجودة في اللغة الأصلية للطالب :
ذكرنا في المبحث الثالث من الفصل الاول ، وبعد استقرائنا لأوجه الشبه والأختلاف بين الحروف الكتابية للغة الصومالية واللغة الهدف ثمة أصوات قد خلت منها اللغة الصومالية ، واصوات قد انفردت بها تفتقر اليها اللغة العربية ، وبعد اجراء الاختبار الاول للطلبة كانت الحصيلة الكبيرة من الاخطاء (١) بسبب عدم وجود الصوت في لغة الطالب الأم،ومن جراء ذلك اتجه الى اصوات اخرى تعويضاً لها نعللها على وفق مايأتي :

(أ) تقارب مخرج الصوت مع صوت آخر يشترك معه في بعض الصفات ، ويفترق عنه في صفات اخرى ، أو يشترك الصوتان معاً من حيث المخرج واختلافهما في صفة واحدة أو أكثر كما موضح في جدول نماذج ابدال الاصوات في الصفحة التالية .

(ب) ميل الطالب الى اللفظ الأسهل أداءً من حيث التفخيم والترقيق حيث يتجه الطالب الى الاصوات المرقة لسهولتها على لسانه وسمعه.

(ج) عدم سماع الطالب الصوت المطلوب بوضوح لاسباب تتعلق بجهازه السمعي عند الاملاء عليه داخل الصف لقربه أو بعده من صاحب الصوت .

د ـ عدم التوازن في السرعة الأملائية بين الطالب والأستاذ مما يؤدي الى الأرباك اثناء الكتابة .

(١) انظر الجدول رقم (١) يوضح عدد الطلبة المخطئين وعدد الاخطاء في كل صوت .

جدول . نماذج اخطاء الطلبة في كتابة الأصوات غير الموجودة في لغة الطالب الأم وصفاتها

الصوت	الصفة	يغير الصوت	الصفة	امثلة من الأخطاء
ث	غير مفخم، احتكاكي مهموس ، اسناني	← ت	غير مفخم، منفجر مهموس ، خلف اسناني	ثورة — تورة
ث	غير مفخم ،احتكاكي ، مهموس ،اسناني	← س	غير مفخم ، احتكاكي مهموس خلف اسناني	ثورة —سورة
ذ	غير مفخم ، احتكاكي ، مجهور، اسناني	← د	غير مفخم، منفجر مجهور خلف اسناني	انقذت—انقدت
ز	غير مفخم، احتكاكي ، مجهور، خلف اسناني	← س	غير مفخم، احتكاكي مهموس خلف اسناني	تموز — تموس
ض	مفخم،منفجر ، مجهور خلف اسناني	← د	غير مفخم، منفجر مجهور ،خلف اسناني	نضال — ندال
ط	مفخم ، منفجر مهموس ، خلف اسناني	← د	غير مفخم ، منفجر مجهور ،خلف اسناني	طويل — دويل
ط	مفخم ، منفجر مهموس ، خلف اسناني	← ت	غير مفخم،منفجر مهموس ،خلف اسناني	طويل — تويل
ظ	مفخم ، احتكاكي مهموس ، اسناني	← د	غير مفخم ،منفجر مجهور خلف اسناني	ظل — دل
غ	غير مفخم، ارتجالي ،مجهور غلصمي	← ق	غير مفخم ، منفجر مهموس ، غلصمي	تغفل — تقفل
ص	مفخم ،احتكاكي ،مهموس خلف اسناني	← س	غير مفخم ،احتكاكي مهموس،خلف اسناني	صبر — سبر

(١) آفاق عربية — العدد التاسع السنة الرابعة مقالة بعنوان (الافكار الاساسية لعلم الصوت الحديث وتطبيقاتها على دراسة اللغة العربية .د. خليل ابراهيم الحماش ص١١٣ .

٢ ـ ابدال الأصوات بأصوات أخرى موجودة في العربية والصومالية :

آ ـ قلب التاء المربوطة الى دالٍ أو واوٍ بتأثير اللهجة العامية في بعض اقاليم الصومال واللهجات المحلية لبعض الأقطار العربية التي يدرسون فيها

مثل : دقيقة يحولها الى دقيقد

دعوة يحولها الى دعوو

فضلا عن ان التاء والدال يشتركان في مخرج واحد وهما تخرجان من طرف اللسان وكما وضحناه في المثال السابق .

ب ـ تقلب الخاء الى القاف او الجيم القاهرية (ك) ومرد ذلك ندرة استعمال القاف في اللهجاتِ المتداولة في الصومال كما في :

خير يحولها الى قير

خيانة يحولها الى قيانة

جـ ـ قلب الميم المتطرفة الى نون ، وهو مالمتازت به اللهجات الصومالية المحلية (١) علماً ان النون والميم يشتركان في الصفات بالرغم من اختلافهما في المخرج ،فالميم شفوي والنون لثوي

مثل اسلام يحولها الى اسلان

ولم يحولها الى ولن

الباب الثاني :

الأخطاء الحاصلة بسبب صعوبة القواعد الكتابية للغة العربية من خلال بحثنا وجدنا ان اللغة الصومالية تميل الى كتابة الأصوات المنطوقة بكاملها دون حذف اوزيادة فيها ومن هنا ترد الأخطاء الكتابية في مجالات قواعد اللغة العربية الكتابية التي يرتكبها المتلقي بسبب مايسمعه من اصوات يرسمها على الورق ، وبفعل ماتقره لغته الأصلية في كتابتها ، بيد

(١) انظر بغية الآمال في تاريخ الصومال – الشريف عبد روس ص٣٩ .

انها في واقع الحال ليست خطأ ، وانما جرى العرف على قاعدة معينة في العربية، وفي حالة تجاوزها يكون الطالب قد أخطأ وكما يأتي :

١ ــ قلب التنوين الى نون مثل : صبرٍ ــ صبرن

مستمر ــ مستمرن

٢ ــ فك التشديد وتكرار الحرف المشدد مثل : ضدّ ــ ضدد

التفّ ــ التفف

٣ ــ قلب الحركات الى حروف مثل: ابعادُها ــ ابعادوها

الشعبُ ــ الشعبو

اهدافها ــ اهدافيها

٤ ــ كتابة مايجب حذفه مثل : لذلك ــ لذالك

ولهذا ــ ولهاذا

٥ ــ الالف واللام مع الحروف الشمسية مثل : الرئيس ــ ارئيس

الشعب ــ اشعب

اما نتائج الأختبار الثاني الذي اشرنا اليه في المبحث الثالث من الفصل الثاني **(١)** **فقد** اقتصرت على أخطاء طفيفة قد يرتكبها ابن اللغة نفسه وتحصل في مواضع كتابة الهمزة والتاء الطويلة والقصيرة ــ والضاد ، والظاء ، كما موضح في الأنموذج رقم **(٢)**
وباعثها كون الطالب الصومالي حديث عهدٍ بكتابتها ، وعدم قدرته على **إتقان قواعدها** في فترة قصيرة .

---

(١) راجع الفصل الثاني ــ المبحث الثاني . ص٢

(٢) انظر نموذج الاختبار الثاني في نهاية البحث

جدول رقم (١) يبين النسبة المئوية لعدد الطلبة المخطئين والنسبة المئوية لتكرار الخطأ

الأصوات كما وردت في القطعة	عدد تكرار الأصوات في القطعة	الأصوات كما وردت في كتابات الطلبة	عدد الطلبة المخطئين	نسبة الطلبة المخطئين	نسبة تكرار الخطأ في مواضع مختلفة
ث	٧	ت	٥	٣٣٪	١٤٠٪
ث	٧	س	٣	٢٠٪	٢٣٣٪
ذ	٣	د	١٠	٦٦٪	٣٠٪
ز	١	س	١٢	٨٠٪	٨٪
ض	٣	د	٨	٥٣٪	٣٧٪
ط	٢	د	٤	٢٦٪	٥٠٪
ط	٢	ت	٦	٤٠٪	٣٣٪
ظ	١	د	٨	٥٣٪	١٢٪
غ	١	ق	٦	٤٠٪	١٦٪
ص	٢	س	٦	٤٠٪	٣٣٪

الاختبار الأول :

ان تورت السابع عشر — التلاثين من تموس المجيدة بقيادة ارئيس القائد سدام حسين جاءت بعد سبرن تويلن وندالن مستمرن ضدد أعداء الشعبي وحققت منجزاتن كثيرتن في دلي القائد وانقدت أشعبه ولن تقفل التور ابعادوها القومية وأهاذا النضـ أشعبو هول القائد والتور ولدالك نرى التورَ قد استمرت في تحقيق أهدافيها الوتنية والقوميه .

الخطأ	الصواب	الخطأ	الصواب
التلاتين	الثلاثين	اشعبه	الشعب
تموس	تموز	ولن	ولم
أرئيس	الرئيس	تقفل	تغفل
سدام	صدام	التور	الثورة
جاعت	جاءت	أبعادوها	ابعادها
سبرن	صبرٍ	ولهاذا	ولهذا
تو يلن	طويلٍ	التفف	التف
وندالين	ونضالٍ	اشعبو	الشعبُ
مستمرن	مستمرٍ	هول	حول
ضدد	ضدّ	والتور	والثورة
الشعبي	الشعب	ولذالك	ولذلك
منجزاتنٍ	منجزات	التورَ	الثورة
كثيرتن	كثيرةٍ	اهدافيها	أهدافها
دلي	ظلّ	الوتنية	الوطنية
انقدت	وانقذت		

الاختبار الثاني :

درس الاملاء

حققت الثورة في القطر العراقي منجزاةٍ كثيرة ليسَ على صعيد القطر العراقي بل على صعيد الأمة العربية واحتفل ابناء الشعب الأماجد بذكرى الثورة التي قظت على بثرة الأشرار والعملاء ، وان من يقرء تأريخ العراق الحدث يجد النهظة الشاملة في عهد الرئيس صدام حسين قد غيرت الأنسان العراقي الى الأفظل في جميع نواحي الحيات وقد أذهلت هذه النهظة العملاء والجواسيس .

الخطـأ	الصواب
منجزاة	منجزات
قظت	قضت
بئـرة	بؤرة
يقرء	يقرأ
النهظة	النهضة
الأفظل	الأفضل
الحيات	الحياة

«الخاتمة»

من خلال ماتقدم وفي ضوء معطيات العينة ، وبحث جوانبها المختلفة بغية الوصول الى نتائج مثلى ، وتطبيق أفضل الوسائل لتحقيق نتائج ايجابية للنهوض بمستوى المتلقين الى حالة أفضل يرى الباحث ان يدرج في أدناه أهم التوصيات والمقترحات :

١ ــ التركيز في تدريب الطلاب على تلفظ الأصوات غير الموجودة في لغتهم الأم عن طريق النطق السليم وتكراره، واستخدام المختبر الصوتي، وتدريب الطلبة على كتابة تلك الأصوات ، مفردة ومجتمعة في موضوعات مختلفة ومواضع مختلفة وخاصة فيما يتعلق بالحروف(الأصوات)في اول الكلمة ووسطها وآخرها.

٢ ــ تدريب الطلبة على كتابة الحروف المتشابهة رسما ونعني بها من فصيلة كتابية واحدة من حيث الشكل مع اختلاف التنقيط مثل ، ب ، ت ، ث و ج ، ح ، خ ، و ،ف ،ق .... الخ .

٣ ــ تدريب الطلبة على القواعد الكتابية التي اختصت بها العربية مثل :
التنوين والتشديد وحذف الأصوات التي يجب حذفها ، فضلا عن تدريبهم على استعمالات الألف واللام أوحذفها في الحروف الشمسية والقمرية

٤ — تدريب الطلبة على قواعد كتابة الهمزة بمواضعها المختلفة مع اعطاء أمثلة متعددة بهذا الصدد لتجنب الخطأ .

٥ — تدريب الطلبة على قواعد الحركات الصوتية : الفتحة والضمة والكسرة مقارنة مع حروف المدة الطويلة الألف والواو والياء مع تكرار الأمثلة في مواضع متعددة ومختلفة مع مراعاه توضيح طول الصوت وأقصره من لدُن الأستاذ.

٦ — تعويد الطلبة على رسم الحروف المطبعية كما ترسم منفردة ، ابتدائية ومتوسطة وآخرية .

٧ — الأستفادة القصوى من أشرطة التسجيل الصوتي الواضحة .

٨ — عدم إغفال التدرج الصوتي في الكتاب المقرر من البسيط الى الصعب ثم الأصعب.

٩ — مراعاة مستوى المبتديء بزيادة عدد الساعات لتحقيق فائدة اكبر في المحادثة والأملاء وتعلم مهارة الكتابة .

١٠ — الأنتباه الى اخطاء الطلاب الكتابية والصوتية وتقويمها لهم مع تأكيد كتابتها بالشكل الصحيح لمرات عديدة .

١١ — ان لايزيد عدد الطلبة في الحصة الواحدة على ثمانية طلاب لأتاحة فرصة اكبر لكل طالب ، للمناقشة والأفادة .

١٢ — طبع كراس خاص بالخط والكتابة لتدريب الطلبة على كيفية رسم الحروف.

١٣ — عدم تعددية المواد التي تدرس للمراحل الأولى والأكتفاء بالدرس الشامل ، للقراءة والمحادثة والكتابة والأملاء .

مصادر البحث

ـــ أحمد حسن عبدالرحيم (اصول تدريس اللغة العربية والتربية الدينية) مطبعة الآداب النجف ١٩٦٤م .

ـــ أحمد سمير بيبرس وعبدالله سويد (العربية لغير العرب) الطبعة الثانية ـــ الدار العربية للكتاب ـــ ليبيا ـــ تونس ١٩٨٤ م .

ـــ احمد شلبي (تعليم العربية لغير العرب) دار الأتحاد العربي للطباعة ١٩٦٦ م

ـــ بديع شريف (اصول تدريس اللغة العربية) الطبعة الأولى مطبعة الصباح بغداد ١٩٤٨م .

ـــ تركي عبدالغفور (الأختبارات الأملائية وطرق تدريس وتعليم الأملاء)وزارة التربية . معهد تطوير تدريس اللغة العربية ـــ مطبعة باسم ١٩٨١ م

ـــ خليل ابراهيم الحماش (الأفكار الأساسية بعلم الصوت الحديث) افاق عربية العدد (٩) السنة الرابعة ١٩٧٨ م .

ـــ عابد توفيق الهاشمي(الموجه العملي لمدرس اللغة العربية)مطبعة الأرشاد بغداد ، ١٩٧٢

ـــ د. عبدالله محمد حسن (حقائق ومعلومات عامة صوماليا اليوم)مؤسسة مطابع الدولة مقديشو ـــ اكتوبر ـــ تشرين الأول ١٩٨٥م

ـــ عبدالصبور مرزوق (اضواء على الصومال) دار سعد ـــ القاهرة .

ـــ عبدالعزيز عبدالله محمد (سلامة اللغة العربية المراحل التي مرت بها)الطبعة الأولى ١٩٨٥م

ـــ عبدالمنعم عبدالحليم (الجمهورية الصومالية صوماليا ـــ دراسة لبيئتها الطبيعية وامكانياتها الأقتصادية) ـــ القاهرة ـــ مكتبة الشرق ١٩٦٠ م .

ـــ عبدروس بن الشريف(بغية الآمال في تاريخ الصومال) مطبعة الأدارة الوطنية مصر ١٩٥٤

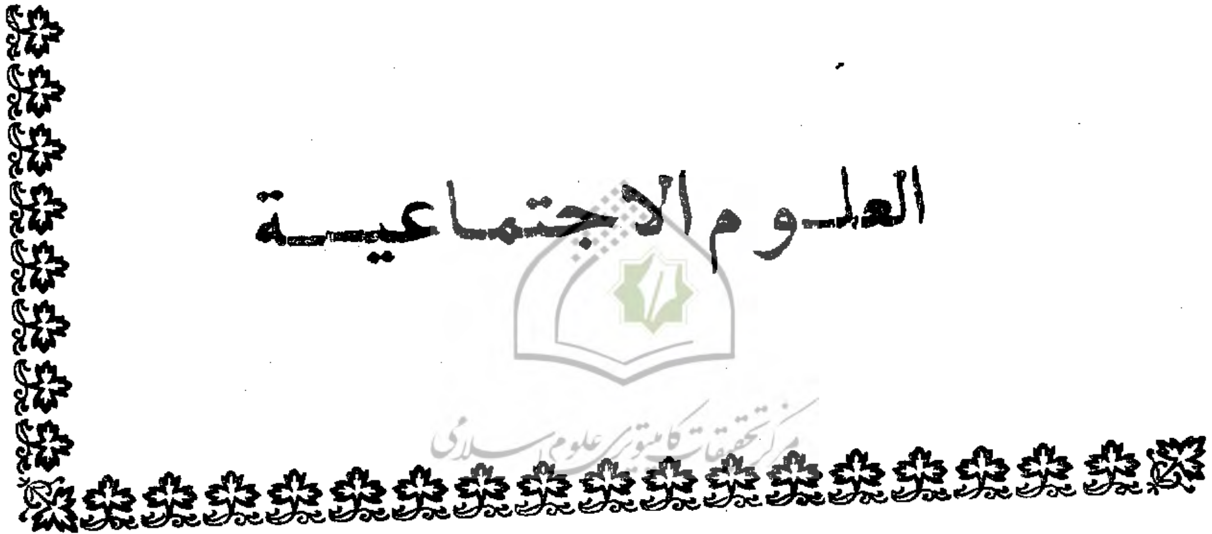
ـــ حمد عبدالفتاح هنيدي (جغرافية الصومال) مصر دار المعارف ١٩٦٢م .

ـــ حمد عبدالمنعم يونس (الصومال وطناً وشعباً) القاهرة ـــ دار النهضة ١٩٦٢

ـــ محمود اسماعيل صيني وناصف مصطفى ومختار الطاهر العربية للناشئين منهج متكامل لغير الناطقين بالعربية كتاب المعلم) ـــ المملكة العربية السعودية ، وزارة المعارف الطبعة الأولى ١٩٨٣ م

ـــ محمود شاكر (مواطن الشعوب الاسلامية في افريقيا) (دمشق ـــ دار الفتح ١٩٦٤م

منير بعلبكي (موسوعة المورد) دار العلم للملايين ، بيروت ١٩٨١ .



العلوم الاجتماعية



تنمية الجانب الاخلاقي والتربوي لدى طلبة الجامعة

الدكتور رياض حامد الدباغ
رئيس الجامعة المستنصرية



المحتويات :ـــ

المبحث الاول : البعد الاخلاقي في الحياة الجامعية
المبحث الثاني : البعد التربوي في الحياة الجامعية
المبحث الثالث : تنمية الجانب الاخلاقي والتربوي لدى الطلبة الجامعيين
الخلاصة
قائمة المراجع والمصادر المعتمدة .


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مكتبتنا العربية

المقدمة : ــ

لقد مرت على الأمة العربية ظروف مختلفة فرضت عليها انواعاً من الهيمنة الأستعمارية، فكان من اهداف النظم الأستعمارية تكريس حالة التخلف والتجزئة وترتب على ذلك ان دخلت الأمة في سبات حضاري نسبي . وكان حصيلة هذه الظروف ان وجدت للنظريات التربوية التي شكلها العقل العربي مرابض لها في ساحتنا العربية اذ تبنتها فئات واحزاب سياسية وانفردت بالساحة العربية نتيجة لغياب الفكر العربي الأصيل المعبر عن شخصية الأمة وهويتها الحضارية ، تباشر عبر برامجها التثقيفية فعلا تربوياً اثر على ترتيب ذهنية جزء من الجيل العربي لصالحها وتمكنت من حرف السلوك العربي عن مساره الصحيح. ان المرتكزات الفلسفية لهذه النظريات كانت اما (ماركسية) او (ليبرالية) .

وكان بجوار هذه النظريات التربوية المؤسسة على مرتكزات فلسفية غريبة عن فكر الأمة واما لها ومدعومة من قبل مراكز استقطاب سياسية عالمية، برامج وثقافات تربوية متوارثة عن السلف ، اثقلت بفكر ارتبط لفترة مظلمة مرت بها الأمة العربية ، فباشرت تأثيرها في تربية الجيل . فقدمت بافواج الأميين وساهمت في بناء شخصيات غير متوازنة لانها اعتمدت على افكار اقرب الى الخرافة منه الى فكر العصر ، وروجت افكاراً طائفية وعنصرية أججت الخلافات في المجتمع ، وقبلها البعض من الأشخاص عندما قدمت نفسها ببرقع عصري وبهذا المسلك تمكنت من تحقيق اهدافها التخريبية .

وفي نهاية العقود الأربعة الأولى من القرن العشرين ، جاءت ولادة ايديولوجية حزب البعث العربي الأشتراكي ، لتحدد معالم الطريق الخاص بالامة العربية وتكشف عن موقفها الفلسفي تجاه الكون والمجتمع والأنسان وتطوير منهج علمي ثوري يستوعب العلاقة ، الجدلية بين ماهو ذاتي (الأنسان) وماهو موضوعي (الطبيعة والمجتمع) .

لقد حقق البعث ضبطا للوتر المشدود بين طرفي العلاقة الجدلية بين الأنسان (والمجتمع الطبيعة) باعتبار ان الأنسان هو العنصر الفاعل في صياغة النظرية التربوية المؤسسة على مرتكزات فلسفية ، كان للطبيعة والمجتمع دور مؤثر في صياغتها . وقد جاءت كلمات

الرئيس القائد صدام حسين لتضعنا في جو هذه العلاقة المتبادلة التأثير ، «كل فلسفة وبالتالي كل نظرية متفرعة عن الفلسفة وتصب فيها .. فانما ترتبط بحالة سايكولوجية سائدة في المجتمع آنذاك ويتأثر بها صاحب النظرية . والحالة السايكولوجية قطعا غير مجردة ايضاً وانما مرتبطة هي الأخرى بالعوامل التي مررنا عليها ولذلك فان النظرية مالم تفهم في ظل اي واقع تكونت فيه سايكولوجيا واجتماعيا واقتصاديا وسياسيا لايمكن تحقيق الأستفادة منها بصيغة التفاعل » (١) .

ودراستنا الحالية تهدف اساسا الى ايلاء الجانب الأخلاقي والتربوي لدى الطلبة الجامعيين اهمية خاصة ، والى ابراز دور هذا الجانب المهم من الحياة الأجتماعية للطالب الجامعي ضمن سيرته الدراسية في الجامعة ومسيرته الحياتية والعملية بعد التخرج فيها .

ومن المهم جدا ان نذكر هنا ان فصل هذا الجانب عن الجوانب الأخرى من النمو العام للطالب الجامعي واثر بيئته البيتية والمدرسية السابقة والأثار الأجتماعية التي تعرض لها والظروف الشخصية والأجتماعية التي المت به ، كل هذه الأمور لايمكن فصل بعضها من البعض الأخر ، وبناء على هذا الأساس فان اهتمامنا بالجانب الأخلاقي والتربوي لدى طلبة الجامعة لايعني اننا لانهتم بالجوانب الأخرى . بل يدعونا المقام ان نؤكد ان هذا الأهتمام بالجانب الأخلاقي والتربوي نابع في الأساس من اهمية هذا الجانب في تأطير شخصية الطالب الجامعي والأرتقاء به الى النموذج الأجتماعي المطلوب من الشاب الواعي الذي يدرك دوره في المجتمع ويدرك احتياجات المجتمع لدوره في البناء الجديد للعراق المتقدم .

وقد حاولنا ألاّ نفصل الجانب الأخلاقي عن الجانب التربوي وذلك لانهما متلازمان ولايمكن الأستدلال على احدهما دون حضور تام للجانب الأخر فلا يمكننا ان نتصور ارتقاء في البعد التربوي من الشخصية لا يصاحبه ارتقاء في الأخلاق كما ان الأخلاق تفقد محتواها ان لم تنفذ في خلال نمو الفرد التربوي ،وان لم تستند الى قاعدة تربوية سلوكية تتسم بالثبات وتعطي الشخصية اطارها الحقيقي .

ومن هنا كان اهتمامنا في هذه الدراسة منصبا على تحري السبل المناسبة للارتقاء بالجانب الأخلاقي والتربوي لدى الطلبة الجامعيين . ومحاولة ايصال القواعد الأخلاقية المطلوب تطبيقها الى مستوى القيم الجامعية الأصيلة التي تستمد اصالتها من القيم الأجتماعية في التراث العربي وايديولوجية حزب البعث العربي الأ شتراكي التي اعتبرت الأخلاقية احدى السمات البارزة في الحزب اضافة الى المسيرة النضالية للعراق الجديد من خلال المنظور الحديث لهذه القيم وفي ظل استشراف المستقبل القريب والبعيد للمجتمع العراقي وللجيل العراقي المتطور من خلاله .



المبحث الاول :

البعد الاخلاقي في الحياة الجامعية

يتفق كثير من علماء الأخلاق على ان الأخلاق ترجع في الأساس الى قيم ثلاث هي الحق والخير والجمال ، وان الأخلاق في نشأتها تمثل نشأة مصلحة اجتماعية تتمثل في عادات الأفراد لتسيير العلاقات بينهم في اطار من التعاون وكأنهم في جماعة واحدة ، حيث ان اختلاف الجماعات فيما بينها في العادات والأعراف الأجتماعية والأحوال البيئية المختلفة تحتاج الى تنظيم قيمي لديمومة الحياة الأجتماعية في اطار من التعاون والتآلف والأتفاق العام ، وهذا هو ماتحققه المباديء الأخلاقية التي تسود في المجتمع .

ولقد اولى حزبنا حزب البعث العربي الأشتراكي اهمية خاصة واستثنائية للاخلاق ، وعبر عنها في أدبياته بان الأخلاق المطلوبة للمناضل البعثي هو ان يكون القدوة المثلى للجماهير في الوعي السياسي والنضوج الفكري وفي السلوك والتصرفات اليومية والعلاقات مع الأخرين . (٢)

ولذلك فان هذه الاخلاق هي أخلاق حزبنا اخلاق الثوريين الطلائعيين تعكس وتجسد العناصر والمقومات الأساسية التالية التي اوضحها المنهاج الثقافي المركزي . (٣) والتي نسهم جميعاً في صياغتها وتكوينها وافرازها .

١ ــ انقى وافضل خصائص الشعب العربي .

٢ ــ انقى وافضل صفات وميزات الجماهر الكادحة .

٣ ــ النظرية الاشتراكية العلمية لحزبنا ومجمل منطلقاته الفكرية واهدافه الأساسية .

ان هذه الأخلاق الثورية لاتولد لدى المناضل الفرد بين عشية وضحاها او في شهر أو عام ولايستطيع الحزب ان يمنحه اياها جرعة دواء اوحقنة ولاحتى وصفة جاهزة فهي تتكون وتقوى وتتطور لدى المناضل على اساس المراس العلمي والتجربة النضالية والوعي المتكامل السياسي والفكري في اطار توجيه الحزب ، ولذلك فان اخلاقية البعث اذن هي

النفسية الجديدة الصافية ، الصادقة ، الثائرة ، المتواضعة (٤) وهي نفسية السلوك الجديد النموذجي المتجاوز للقيم المتخلفة والعادات الفاسدة .. سلوك مادته قيم اخلاقية هي (٥) **الأخلاص والتضحية والشجاعة ،وحب الجماعة والتواضع والألتزام ونكران الذات في سبيل الغايات السامية .**

وبهذا الأعتبار فان منشأ الأخلاق والقيم ذو مصدر اجتماعي ويحاول المجتمع والحزب كطليعة للمجتمع ان يضع لها الوسائل الأجتماعية لضبطها (اجتماعيا) وتنمية الفرد ليقوم بضبطها(فرديا او ذاتيا) وذلك في سبيل المحافظة على ديمومة المجتمع وبقائه ومن ثم تطوره. ولئن كنا غير معنيين في هذه الدراسة بالمداخل الأجتماعية والنفسية للاخلاق وللقيم الخلقية ، فاننا يهمنا ان نكون واقعيين وعمليين في معالجتنا للجانب الأخلاقي لدى شبابنا الجامعي فنقتصر على الجانب الأخلاقي في النظام التعليمي الجامعي وفي الحياة الجامعية من جهة وبالاقتصار على القيم الأخلاقية في المستوى السلوكي اليومي لدى الطلبة الجامعيين من جهة اخرى .

اننا نعلم بان كل مهنة من المهن المختلفة تحتاج الى دستور اخلاقي ينبع من الأطار الأخلاقي العام في المجتمع ويتضمن المسؤوليات الأخلاقية التي تقوم عليها ممارسة هذه المهنة وهذا الأمر لايصح ولايصدق على المهن فحسب بل يتعدى ذلك الى مستوى المراحل التعليمية والعمرية والنشاطات التي يقوم بها الأفراد وفي مختلف جوانب الحياة .

واذا عدنا الى الطالب الجامعي لنحاول ان نحدد المؤثرات الخلقية والتربوية التي تؤثر عليه فاننا نجد بان هذا الطالب يعيش في اطر اخلاقية مختلفة ومتنوعة وان كانت هذه الأطر يجمعها خيط او خيوط اجتماعية واحدة وثابته ، ومنها على سبيل المثال : —

١ — ان الطالب الجامعي يمر بمرحلة انتقالية (من حيث العمر) من المراهقة المتاخرة الى مرحلة الرشد ، وهذه المرحلة لها ميزات وخصائص تدعو هذا الأنسان الى ان يوفق بين المعايير الأخلاقية والتربوية لاسرته التي عاش ويعيش في اطارها وبين معاييره الشخصية التي كونها من خبراته اليومية ومن تطلعاته وأفقه وتصوراته ، وبين معايير الأصدقاء والرفاق الذي يمثلون في هذه المرحلة (جماعة ضغط) حسب التعبير الأجتماعي.

وتمثل معاييرهم اهمية خاصة لديه وقد يجد نفسه مضطراً للانصياع لقيم ومعايير جماعة الأصدقاء والأتراب اكثر من انصياعه لمعايير الأسرة (كتعبير عن روح الأستقلالية التي تنمو لديه باطراد في هذه المرحلة فيجد في التخلص من معايير الأسرة والبحث عن معايير خارجية نوعاً من الأستقلالية والشعور بنمو الشخصية (ولذلك فان احتضان الحزب للطالب في هذه المرحلة وبنائه المستمر له ومتابعته كفيلان بتنمية اخلاقه وبنائها السليم والقويم وضمان عدم انحرافها .

٢ — ان الطالب الجامعي يمر بمرحلة انتقالية (من حيث النضج الفكري) فهو ، ينتقل من المرحلة الثانوية التي تجمعه باصدقاء يعرفهم ويعرفونه وقد يكونون من ابناء محلته اوبلدته الى المرحلة الجامعية التي تجمعه باصدقاء لايعرفهم (فيتعرف عليهم) ولا يعرفونه (فيتعرفون عليه) ويمثل كل واحد منهم شخصية جديدة تعطيه (خبرة جديدة) في التعامل معه ، وبهذا الأعتبار فان اتصاله بهؤلاء الأصدقاء الجدد (من الجنسين) يكون مداراً لاكتساب خبرات جديدة قد تكون محوراً لتبديل شخصيته واسلوب تعامله مع الأخرين وتكيفه معهم .

ولو حاولنا ان نقيس مدى النضج الفكري الذي يبدو على الطالب الجامعي خلال سنتين او ثلاث لوجدناه يصارع نضجه خلال سنين متعددة لو بقي محصوراً في اطار علاقات ماقبل الجامعة .

وهذا النضج الفكري الذي تدعمه الخبرة العلمية وتكوين بدايات لفلسفة شخصية للحياة والأتصال بخبرات الآخرين والمماحكات العقلية التي يتعرض لها خلال تعامله اليومي مع الطلبة والأساتذة وغيرها من الأمور والمؤثرات التي تدفع بنضجه الفكري خطوات واضحة الى امام .

٣ — ان الطالب الجامعي يلتقي بجو جديد (من حيث النظام والعلاقات) فهو يجد نفسه في نظام جامعي له متطلبات واصول تختلف عما تعود عليها سابقا ، وعلاقات علمية واجتماعية مع الأساتذة لم يكن بهذه السعة وبهذا العمق في المرحلة الثانوية وكذلك

علاقات شخصية تتسم بنوع من النضج والأحترام المتبادل المتحرر نوعا ما من اسلوب العلاقات في الطفولة والمراهقة .

٤ ـ ولو اضفنا الى ذلك عناصر اخرى لها مؤثرات قد تكون مباشرة على طبيعة علاقاته وحياته الأجتماعية والعلمية داخل الجامعة ، كالمنافسة مثلا والتخطيط للمستقبل « للمهنة او للحياة » وبروز الجوانب التكاملية للشخصية ومجمل الصراعات النفسية التي يعانيها والأستقلالية في التصرف في الحياة اليومية « بعد فترة طويلة من الأتكالية على العائلة والاخرين » وغيرها من الأمور الكثيرة التي لايتسع المجال لذكرها .

إننا هنا لانهمل أثر التربية البيتية والنشأة الأجتماعية على الشخصية وطبيعة علاقات الطالب المقبلة في الجامعة ، وبخاصة على الجوانب الخلقية والتربوية ، ولذلك فان اهتمامنا ينحصر بالطالب الجامعي واساليب الأرتقاء بالجانب الأخلاقي والتربوي لديه دون الدخول في تفصيلات تكوينه الخلقي وبنائه الإجتماعي وتنشئته البيتية لانها معروفة ولاشك في أهميتها ودورها في صقل شخصيته .

البعد الأخلاقي :ـ

ان البعد الأخلاقي في الحياة الجامعية لايتكامل بالاكثار من النواهي والأوامر بل بالأكثار من تقوية الأواصر السليمة ، والعلاقات الشخصية والأجتماعية المتسمة بالاحترام المتبادل والتقدير المتقابل بحيث تؤدي تنمية وتشجيع مثل هذه العلاقات الى تنمية غير مباشرة ، للشخصية القويمة ، ولعلنا لانجانب الصواب اذا قلنا ان بناء القيم الخلقية لاتقوم بها الجامعة لوحدها بل انها تعطيها اطارها الأجتماعي وترسخ ركائزها الأصيلة وتجعل منها محوراً اساسياً من محاور شخصيته المتكاملة .

فالجامعة وبموازرة متصلة وتنسيق دائم مع القيادة الحزبية (وبكافة عناصرها وفواصلها) من اساتذة واداريين والقيادات الحزبية والطلابية ومناهجها وبرامجها وانشطتها وغيرها مسؤولة مسؤولية اجتماعية عن التأطير الأصيل للجانب الأخلاقي للطالب الجامعي منذ استلام الجامعة لهذا الطالب من المرحلة الثانوية حتى تسليمه ككادر عامل الى اي منشط من مناشط التنمية .

والجامعة التي تسلم الطالب الى المجتمع بالصورة التي استلمته منه قبل اربع سنوات تعطي دليلا كايا بانها لم تعمل شيئا في بناء هذا الأنسان واكتفت بتلقينه العلمي مهارة معينة دون الألتفات الى ان المجتمع لايكتفي بانسان منتج فحسب بل لابد من انيكون هذا المنتج انسانا يرقى الى مصاف مشكلات المجتمع ويتفاعل مع حياة المجتمع وينمو بنموه ،ولايعيش على هامش المجتمع .

ان اهتمامنا بالجامعة كموئل وكمصدر مهم من مصادر نمو الشخصية لدى الطالب ، له مايبرره فالجامعه تمثل النخبة المثقفة والتي يعول عليها في ديمومة الحضارة والثقافة وتسيير عجلة التنمية وادامة تطوير المجتمع ،فهي تشمل اساتذة يمثلون (اعتباريا) اعلى درجات العلم ونظاما علميا يمثل محكا عمليا لنمو المجتمع ولرقيه العلمي والحضاري ، وتقاليد جامعية تبعث في الطالب نوازع نفسية وتربوية اضافة الى قيادة حزبية تسعى الى بناء الطالب فكرياً وعقائديا ليكتمل بناؤه وشخصيته تجعل الطالب يشعر بالفخار لانتمائه الى هذا المجتمع الذي وفر له تعليما عاليا وبناء عقائديا صحيحاً دون الشعور بالانتقاص عند المقارنة مع الطلبة الأجانب .



المبحث الثاني

البعد التربوي في الحياة الجامعية

ان صياغة اية نظرية تربوية ، تستدعي من المهتمين ان يباشروا في هذا الأتجاه نقداً وتقييما للنظريات التربوية السائدة في تلك الحقبة التاريخية وهذا النقد والتقييم يجرها الى مدارسة الأطر الفلسفية لهذه النظريات واكتشاف نقاط الضعف فيها وتحديد درجة اغترابها عن الواقع بتشكيلاته وقواه الجديدة ، ومن ثم تحديد موقف منها (٦) .

لقد قدمت ايديولوجية حزب البعث العربي الأشتراكي ، اطارا فلسفيا عاما حمل مشروع نقد وتقييم للنظريات الفلسفية التي تنهض عليها النظريات التربوية ، وجاءت افكار الرئيس القائد صدام حسين التربوية اسهامة جديدة شاركت في هذا الفعل النقدي التقييمي للاطر الفلسفية السائدة وفي تعميق المرتكزات الفلسفية الخاصة بالنظرية التربوية العربية التي تنطلق من الواقع الذي ينشد قيادة سلوك المجتمع والأنسان وربط ذلك بالموقف من التاريخ والتراث ، بما يؤدي الى توجيه الرأي العام واعادة ترتيب ذهنية الأنسان حسب الموجهات النظرية التي تحقق الأهداف العامة للاتجاه الأيديولوجي .

والرئيس القائد صدام حسين يقدم لنا بهذا الأتجاه موجهات فكرية تكشف عن تصور شمولي يعبر بدقة عن الدور الذي تلعبه المرتكزات الفلسفية في تأسيس نظريات تربوية ملائمة ، ويؤشر مدى علاقة هذه المرتكزات بالواقع وتحديد درجة الأرتباطات بالقوى ناشدة التغيير ، اضافة الى التساؤل عن قدرة هذه المرتكزات في صياغة فلسفات فرعية تنهض عليها برامج التغيير الأجتماعية والأقتصادية والسياسية « النظريات التي قيلت عن التربية وحتى التي قيلت في كيفية استخدام العنصر البشري لصالح التنمية ، انما تنطلق من فلسفة وترتبط باهداف والفلسفة التي اتصلت بالواقع ، بالمكونات الرئيسية الأجتماعية والأقتصادية والسياسية لذلك الواقع » (٧) .

وفي دراستنا هذه لم نفصل الجانب التربوي عن الجانب الأخلاقي تمييزاً له بل تعبيراً عن ان التربية التي تمثل الحياة بعينها هي الأطار الحقيقي الذي نجد فيه بغيتنا في القيم الأخلاقية المطلوبة والمرفوعة ، وهي الأرضية التي تنبت فيها هذه القيم .

واهتمامنا بالجانب التربوي يدعونا الى الأهتمام بالجانب العلمي وبالنشاطات التربوية والعلمية التي تجرى داخل الحرم الجامعي فالتدريس واسلوب التدريس والأخلاص فيه ومدى العطاء الذي يقدمه الأستاذ ويشعر به الطالب يمثل مصدراً تربوياً لبناء القيم الخلقية في الأحترام والتقدير من الطالب للاستاذ ومن الأستاذ للطالب والمتمثل بالرعاية والتشجيع.

ان الأستاذ الذي يعاني في تحضير المادة العلمية ويقدمها باخلاص ويبحث عن اسلم الطرق في تقديمه للدرس الرسمي ويرعى جهود الطلبة ويرشدهم ويقوم خطواتهم الأولى في مسالك البحث العلمي ويرعاهم رعاية الأب والمرشد والأخ الكبير مثل هذا الأستاذ يتوقع من الطالب اقبالا عليه واحتراماً لجهده وتقديراً لمعاناته ، فان لم يجد مايبغيه عند الطالب اصابه الفتور والوهن ، وانعكس ذلك على الطالب بشكل مباشر اوغير مباشر ، وتخسر الجامعة جهدا اصيلا ويخسر الطالب جهداً هو احوج مايكون اليه .

اما اذا وجد مثل هذا الأستاذ اقبالا من الطالب عليه وتقديراً لجهده واقترن هذا التقدير والأحترام والأعتراف بالجميل بدعم من رئاسة قسمه اوعمادة كليته اوفي الجامعة (كادارة) فاننا نتوقع بالضرورة تصعيداً لجهده واقبالا اكثر نشاطا وحماسا لبذل جهد اكبر وتقديم عطاء اعمق ، وهذا ينعكس ايجابيا على الطالب وعلى الجامعة وعلى الأستاذ .

وهذا المثل هو مثل معروف ونتيجة متوقعة ، ولكن الوشيجة التي تحكمها هي الأخلاق والطالب باخلاقه يكسب الأستاذ والأستاذ باخلاقه يكسب الطالب ، ونريد ان نخلص الى نتيجة مهمة وهي ان العلم الخاوي من الأخلاق يكون محدود الأنتشار وفردي الفائدة كما يكون ممجوجا اجتماعيا ، اما العلم اوطلب العلم (سواء من قبل الطالب اوالأستاذ) المستند الى قيم اخلاقية فانه يأخذ بعدا انسانيا ويمثل اعلى درجات العطاء الأنساني ويمثل ايضاً مصدراً اصيلا من مصادر بناء الشخصية القومية تربويا واخلاقيا ومن هنا فان التعامل التربوي ومعرفة الدور التربوي من قبل الطالب وكيفية ممارسته لهذا الدور داخل الصف ، وخارجه ، مع الأستاذ ومع الأداريين في الجامعة ، ومع الطلبة الأخرين ، هذا الده

التربوي يتميز يوما بعد يوم ليمثل نموذجا لدور المواطن في التعامل مع المجتمع بمختلف مفاصله ومناشطه ، والجامعة هي المسؤولة عن تشخيص دورها التربوي تفصيلا (٨).

فالتربية بهذا الأعتبار تمثل مسؤولية قيادية تتمثل في دور الأستاذ فيها ودور الطالب فيها اذا ادرك الطالب ان الأستاذ قائد في الصف وان الطالب هو قائد في ممارسة النشاطات الطلابية داخل الجامعة وخارجها واذا ادرك ان ممارسته لهذا الدور هي ممارسة اولية وتجريبية لتمثيل الدور القيادي الأصيل في المجتمع مستقبلا وان توجيه الطالب لتسنم هذا الدور القيادي في المجتمع يقع على عاتق الجامعة . فالطالب يتعلم الروح التربوية والقيادية ممن يسترشد بهم ، فاذا كان الأساتذة يمثلون نماذج قيادية تربوية جيدة فان الطالب يتخرج محملا بخبرات تساعده على ان يكون قائداً تربوياً في موقعه في العمل وفي اسرته وعائلته ايضاً .

وخير مثال لنا هو التمثيل بسلوك قائدنا المناضل صدام حسين ، حيث ان الجيل الجديد في عراقنا سواء في مرحلة الطفولة او فترة الشباب ذكوراً واناثا اخذوا يتمثلون بسلوك الرئيس القائد صدام حسين ويقتدون بآرائه وتوجيهاته بشكل عفوي من خلال متابعاتهم لزياراته الميدانية ولقاءاته المباشرة مع الجماهير عبر ماتنقله وسائل الأعلام المختلفة وخاصة التلفزيون .

فعندما يزور الرئيس القائد صدام حسين مدرسة ويجلس على مقعد دراسي في صف معين ويبدأ في محاورة الطلبة ويستفسر عن احوالهم ودروسهم ويحثهم على امتلاك ناصية العلم لان العلم هو مصدر القوة والثروة ، ويؤكد عليهم ضرورة ممارسة الديمقراطية فانه يؤكد بذلك السلوك على قيم عديدة منها قيم احترام العلم واحترام المدرسة والمعلم ويتم الأطلاع على الشؤون العامة والألمام بها وقيم حب الوطن والأمة ومعرفة مشاكلهم ، اضافة الى تعويد الطلبة على المشاركة في المناقشة بجرأة وصراحة وبناء الثقة بالنفس وغرس القيم الأصيلة كحب الثورة والوطن (٩) ، وادراك المهام والمسؤوليات الملقاة على عاتقهم كمواطنين ، كما انه اعتاد على ان يركز في توجيهاته على الترابط بين الجوانب العلمية والتربوية والأخلاقية ثم الترابط بين هذه الجوانب والجانب الفكري والسياسي ،

ولقد اصبح واضحاً ان توجيهات الرئيس القائد التي يطلقها عند زيارته للمؤسسات التربوية اوعند مشاركته في الندوات والأجتماعات العلمية والتربوية ، اصبحت تشكل دليل عمل للاجهزة التربوية والتعليمية بدون اجراءات رسمية .

ان الرئيس القائد صدام حسين يتحول في مثل هذه الحالات الى معلم كبير لانه افضل من يجسد مبادىء الحزب ومنهجه في التعامل مع الحياة وقد لاحظنا كيف انه ركز مؤخراً على توجيه الطلبة والشباب نحو الممارسة الديمقراطية باعتبار الشباب رونقاً لايمانه الثابت ولمبادىء الحزب ، والشريحة الأساسية التي لامنافس لها في الأهمية ضمن البنية الأجتماعية فكان ان دعا الى تعميم ممارستين رئيسيتين .

الأولى: تخص الطلبة الأطفال في المدارس الأبتدائية وحتى شباب الجامعات

والثانية: تتعلق بممارسة ديمقراطية فريدة من نوعها في تاريخ الجامعات ليس في الوطن العربي فقط بل ربما في بلدان العالم الثالث قاطبة .

ولقد تمثلت الممارسة الأولى في دعوته للطلبة لانتخاب القدوة لهم في كل شعبة من صفوف المرحلة الدراسية واعتباراً من الصف الثاني الى المرحلة الجامعية وقد اكد الرئيس القائد صدام حسين بانه يريدها عملية ديمقراطية مجردة من كل الضغوط وقد قام بنفسه بتطبيقها نموذجيا داخل احد الصفوف وقيامه بالتحليل العميق والدقيق لمبرراتها ودوافعها وتوجيه الطبة نحو النهج الصحيح في الأنتخاب وفي اختيار القدوة بعد التأكد من انسجامه مع المواصفات المطلوبة .

اما الممارسة الثانية فقد تمثلت باصدار اوامره لاقامة « الجدار الحر » في الكليات والمعاهد بحيث يكون مجالا رحبا يعبر به الطلبة عن مشاعرهم وارائهم واما لهم ومقترحاتهم ومايبغونه مع التأكيد الصريح على كشف السلبيات والقاء الضوء عليها سواء داخل حرم الجامعة اوعلى صعيد المجتمع ومؤسساته كافة والعبرة التربوية الرئيسية من هذين العملين الرائدين ، هي تعويد وتمرين ابناء الشعب سواء الصغار منهم اوالكبار على ان يكون لهم دائما في المدرسة والجامعة اوفي العمل مستقبلا من ينظرون اليه باعجاب ويسعون من اجل التمثل والأقتداء به .

اما تجربة الجدار الحر التي دعا اليها القائد وشدد على الأخذ بها في جميع الكليات والمعاهد فانها بقدر ما تعبر عن النهج الديمقراطي السليم الذي يحرص عليه الرئيس القائد صدام حسين ويرفض اي بديل له ، فانها تؤشر في نفس الوقت حالة الأطمئنان والثقة التي تشعر بها الثورة بعد ان تجاوزت عامها العشرين .

وهكذا نجد انفسنا معنيين بشكل اوباخر بالاهتمام بالجانب التربوي كمقوم اساس لبناء الجانب الخلقي ليكون مستنداً اليه ومدعوما منه .



المبحث الثالث

تنمية الجانب الاخلاقي والتربوي لدى الطلبة الجامعيين

ان الحديث عن تنمية الجانب التربوي والأخلاقي يدعونا الى التفكير بالهدف او بالاهداف التنموية بشكل عام والأهداف التربوية والأجتماعية بشكل خاص بحيث يكون الهدف التربوي والأجتماعي معيارا لبناء هذا الجانب ، ووضوح الهدف ضروري للوصول اليه .

ان الجامعة لها اهداف اجتماعية وعلمية وتربوية مستمدة من فلسفة الحزب ونظرة المجتمع ومسيرته التطويرية وتطلعاته المستقبلية ، وهذه الأهداف تمثل كلا متكاملا لايصح ان نجزأها فلا خير في اهداف علمية تحقق دون الأهداف الأجتماعية والتربوية والعكس صحيح ايضاً ، وبهذا الأعتبار فان الجانب الأخلاقي والتربوي لدى الطلبة الجامعيين يمثل في الأساس هدفا مهما من الأهداف التربوية التي تسعى الجامعات الى تحقيقها في منتسبيها من الطلبة .

وبعد الأهداف يمكننا ان نتحرى الوسائل المناسبة لتحقيقها وهنا لابد من الوقوف على بعض المباديء الأساسية في تنمية الجانب الأخلاقي والتربوي لعل من اهم هذه المباديء :ـ

١ ـ **القدوة :** ـ

ان الطالب الجامعي يجد القدوة في القائد ويتحرى عناصر هذه القدوة في شخصيات اساتذته ومسؤوليه الحزبيين فبقدر مايجد فيهم تمثلا لعناصر هذه القدوة فانه لايجد عناء في الأقتداء بها ، اما اذا لم يجد لهذه القدوة انعكاسا في اساتذته ومسؤوليه فان الأرتباك يسوده في اختياره للقدوة والمثل الأعلى في الحياة .

٢ ـ **السلوك الأمثل :** ـ

ان السلوك هو المعيار الحقيقي للمباديء . فالمباديء التي لاتظهر في السلوك لاتعدو ان تكون مخزونا فكرياً لاسبيل الى تطبيقه في الحياة .

ولذلك فان الطالب الذي يسمع بالمباديء ويرى تطبيقاً لها في سلوك القائد القدوة ، يقارن بينها وبين سلوكه وسلوك اساتذته ، فان وجد للمباديء متسعاً للتطبيق في سلوك

ا ساتذته اقتدى بهم وتمثل سلوكهم . وهنا يجدر بنا ان نقول ان سلوك الأساتذة ليس وحده المعيار في تقويم سلوك الطالب « وان كان اقوى المعايير والمصادر » اذ ان الطالب يتأثر بالسلوكية السائدة لدى الطلبة الأخرين ولدى مسؤولي الطلبة فان وجد فيهم سلوكا مطابقاً للمباديء تمثل بها وان لم يجد فلا يشفع له الأقتصار بالايمان بالمباديء والأدعاء باستيعابه لها ، فالايمان بالمباديء يستدعي اول مايستدعي تطبيقها في السلوك اليومي .

والمعادلة بطرفيها متوازنة فسلوك الطالب (او الطلبة) يمثل معياراً لسلوكية الأستاذ في تعامله معهم ، وسلوك الأساتذة يمثل معياراً ومحكا في سلوكيتهم معه .

٣ — احترام العلم وطلاب العلم والعلماء : —

ان احترام العلم والعلماء يمثل قيمة من قيمنا العربية الأصيلة وكان سمة من سمات حضارتنا الأصيلة ، والأحرى بنا ونحن بناة تلك الحضارة وحماتها وباعثوها الجدد ان نكون اكثر تمسكا بهذه القيمة من غيرنا .

فاحترام الطالب للاستاذ بغض النظر عن طبيعة علاقته به في الصف ومستواه الدراسي في مادته امر تحتمه التقاليد الحضارية والجامعية فالاستاذ له قيمة والعلم له قدسية ان لم تظهر في سلوك الطلبة لن تظهر في حياة المجتمع . وغني عن البيان ان نذكر ان الأستاذ مسؤول مسؤولية مباشرة عن زرع هذه القيمة لدى طلبته باحترامه لنفسه ولمادته العلمية ولعطائه الفكري ، والطلبة مسؤولون عن المحافظة عليها واظهارها بالشكل الذي يليق بهم كشخصيات ناضجة وكطلبة جامعيين .

٤ — تماسك التقاليد الجامعية : —

والمقصود به اننا لايمكن ان نطلب من الأستاذ احترام الطالب دون ان نطلب من الطلبة « قبله » ان يحترموا الأساتذة ، ولايمكن ان نتوقع من الطلبة تقديراً لجهود الأستاذ وتثمينا لمعاناته اذا لم يكن القسم العلمي المختص اوعمادة الكلية تثمن هذا الجهد وتشجعه وبالمقابل لايمكن ان نطالب الأستاذ بعطاء مستمر وببحوث علمية دون ان نوفر له وسائله وحوافزه المعنوية من تثمين وتشجيع وابراز ، كما اننا لايمكن ان نطبق العدالة في تعاملنا مع الطلبة

اذا كنا غير عادلين فعلا معهم سواء بالدرجات اوبتقييم الأنشطة او ان نكون في التقاليد الجامعية ووحدتها نمثل اطارا صادقاً ومناخا صحيا لبناء متين في شخصية الطالب بجوانبها المختلفة ومنها الجانب التربوي والأخلاقي .

٥ـ الثواب والعقاب :ـ

ان اثابة السلوك الأخلاقي والتربوي المرغوب عمل مرغوب ومطلوب لتعزيزه وتكراره وتشجيعه ، كما ان العقاب والردع الصارم لاي خرق للمباديء الأخلاقية والتربوية « في مستوى الطلبة والأساتذة» امر مطلوب ايضاً اذا اردنا الحفاظ على الجامعة وعلى حسن توجيهها للطلبة وضمان بناءها لشخصيات قادة المجتمع المقبلين فالثواب والعقاب وسيلتان تربويتان واخلاقيتان مهمتان جدا في ترسيخ المباديء التربوية والأخلاقية وانعاش المناخ الصحي لظهورهما في السلوك اليومي .

وبالمقابل فان التهاون فيهما سيؤدي يوما بعد يوم الى ضعف او خور في دعامات القيم الجامعية وبالتالي الى تهرىء تدريجي لبنائها الحضاري .



الخلاصة :ـ

لقد كانت توجيهات الرئيس القائد صدام حسين تنصب دائما على اعداد جيل متحرر من الخوف والجهل والتخلف ، قوي في بنيته وشخصيته واخلاقه ، يعي تراث امتـــه الحضاري ويعتز به وبوطنه ويتسلح بمنجزات العصر العلمية والفنية والتكنولوجية ويعرف كيف يستخدمها ويطورها ضمن كفاح شعبه وامته ضد قوى الشر والعدوان والهيمنة والسيطرة .

وبقدر ماأولى الرئيس القائد صدام حسين اهتماما بمكافحة الأمية وبنشر اوسع فرص التعليم امام الجيل الجديد فان التعليم العالي كان موضع رعايته المباشرة ايضاً ، لانه يمثل المرحلة المتقدمة لنضوج عملية التربية وفقاً لمبادىء الحزب والثورة وجاءت احاديث الرئيس القائد صدام حسين بهذا الصدد مستفيضة بالتوجيه والأرشاد وضرب الأمثلة الحية في تاريخنا القديم والمعاصر ، لاخذ العبرة منها ، فهو يرى « ان الأهتمام ببناء الأمة يساوي الأهتمام بالعلم » وحجر الزاوية في بناء الأمة ، ومن هذا المنطلق فاننا اذا أخلصنا العمل في الجامعة واستطعنا ان نقدم اجيالا من الشباب المدرك لدوره والمعتز بثقافته والفخور باخلاقه وتربيته نكون قد حققنا هدفنا من إنشاء الجامعة ، ونكون قد أدينا رسالتنا فـــي حياة المجتمع والحضارة ، ولايتم اداء هذه الرسالة الا بوقفة شجاعة في مراجعة الجانب الأخلاقي والتربوي لدى الطلبة الجامعيين لضمان تقديم المواطن الأفضل علما وخلقاً الى المجتمع الذي ينتظره بفارغ الصبر .

المراجع والمصادر المعتمدة : —

١ — صدام حسين
حول آفاق التربية واستراتيجيتها
المؤسسة العربية للدراسات والنشر
٢ — الثورة العربية
العدد ١١ (١٩٧٢) .
٣ — المنهاج الثقافي
الجزء الأول ص١٦٧
٤ — في سبيل البعث
الطبعة السابعة — ص٣٥
٥ — المنهاج الثقافي المركزي ١٩٧٧
«الإخلاق احدى مرتكزات حزب البعث العربي الأشتراكي »
الكتاب الثاني ص ١٠٣ .
٦ — محمد جلوب فرحان ، ١٩٨٦ .
دراسات في فكر الرئيس القائد صدام حسين .
مديرية دار الكتب للطباعة والنشر .
٧ — صدام حسين
«حول آفاق التربية واستراتيجيتها »
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ص٨
٨ — الدكتور رياض حامد الدباغ ١٩٨٨
ماذا يعني التخطيط للتعليم العالي
مجلة رسالة الخليج العربي العدد ٢٤ السنة الثامنة
٩ — الدكتور رياض حامد الدباغ ، ١٩٨٧
الأنسان في فكر الرئيس القائد صدام حسين
الجمهورية ، العدد ٦٦١٢ ، تشرين الأول ١٩٨٧ .

تشخيص حالات بطء التعلم لدى اطفال الصف الاول الابتدائي في العراق « دراسة اكلينيكية معززة ببطارية اختبارات تشخيصية »

الدكتور زكريا زكي اثناسيوس
الأستاذ في قسم علم النفس
الجامعة المستنصرية

الدكتور ابراهيم الكناني
الأستاذ المساعد في قسم علم النفس
الجامعة المستنصرية

تسعى الدراسة الحالية(*) الى توفير بعض الأساليب المناسبة لفرز وتشخيص بطيئي التعلم معتمدة في اطارها الفكري على وجهة النظر التي ترى ان نمو الطفل العادي بسلسلة من المراحل ، وكل مرحلة يصاحبها ظهور اسلوب اكثر تعقيداً في معالجة البيانات من المرحلة التي سبقتها ، وتتباين هذه المراحل في الجانب الكمي من خلال الأختلاف في حجم البيانات التي يستطيع الطفل معالجتها بين مرحلة واخرى كما تتباين في الجانب النوعي كذلك من خلال الأختلاف بين مرحلة واخرى لاحقة لها في التغير الحاصل في طرق المعالجة . وفي هذا السياق ، يمكن القول ان هناك اسلوبين ينظر خلالهما الى نمو الطفل فالاسلوب الأول هو الأسلوب المعياري (Normative Approach) وفيه ينظر الى النمو على اساس انه القدرة على حل المشكلات ذات الصعوبة المتزايدة ، اذ يتوقع من الطفل في

(*) إن الصيغة الحالية للدراسة هي تلخيص واف لدراسة تفصيلية تناولت تشخيص حالات بطء التعلم لدى أطفال الصف الأول الا بتدائي في العراق . وقد تضمنت الدراسة التفصيلية ، التي استمر العمل في اعدادها (٦) سنوات ، البحث الرئيسي الذي يقع في (١١٩) صفحة وكراسة التعليمات وكذلك البطارية التشخيصية المؤلفة من (١٢٧) بطاقة مصورة .

كل عمر زمني تال ان يحل مشكلات اكثر تعقيداً من تلك التي يمكن حلها في العمر السابق له . وفي هذا الأسلوب لايعطي الأنتباه الى طريقة الحل بل الى صحة الحل النهائي أو خطأه .

ويهتم الأسلوب الثاني الذي تبناه بياجيه بالاداة اوالطريقة التي يستخدمها الطفل لحل المشكلات ، حيث انها تتغير جذريا بتطور نمو الطفل . فالطفل الذي كان في مرحلة يتبع في جمع (٢ +٢) ، على سبيل المثال ، اضافة اصبعين من اصابعه الى اثنين آخرين له ويحسب الناتج ، ينظر في المرحلة اللاحقة الى الرقمين ويدرك الناتج بصريا دون حاجة الى استخدام الأصابع . ان الطفل في المرحلة السابقة قد توصل الى الجواب الصحيح ، بطريقة معينة (استخدام الأصابع) لكنه عالج البيانات الحسابية ،في المرحلة التالية ،بطريقة اكثر كفاءة من الطريقة الأولى .

ويؤدي توحيد اسلوبي دراسة نمو الطفل ،المشار اليهما اعلاه ، الى اسلوب تكاملي ، كمي ونوعي ، في آن واحد . فهو كمي (معياري) ضمن المرحلة الواحدة من النمو ، لكنه يكون نوعياً بين مراحل النمو المختلفة . وان النمو ضمن المرحلة الواحدة يكون تدريجياً في حين يكون مفاجئا بين مرحلة واخرى .

ان كلا المظهرين الكمي والنوعي للنمو يعتبران بنفس القدر من الأهمية . فمن اجل فهم وضع الطفل وطبيعة المشكلات التعليمية لديه ،لابد من التعرف ليس فقط على المشكلات التي يستطيع حلها ولكن التعرف على كيفية حلها ايضاً . فليس بكاف ان نتوقف عند نوع الحل الذي توصل اليه الطفل (صحيح ام خطأ) ، بل لابد من معرفة كيفية الوصول اليه اي طريقة الحل ، بعبارة اوضح .

وفي ضوء ذلك ، فان سير النمو لدى الطفل هو احادي الأتجاه (Unidirectional) بمعنى انه يتجه نحو الأستمرار في التعقيد وليس العكس . فالوظائف الجديدة هي في الواقع نتيجة تكون وتوطد انماط في الجهاز العصبي المركزي ، ويصبح كل نمط اكثر تعقداً بمرور الوقت ، ومعنى ذلك ان النمو لايمكنه ان يتراجع الى الوراء ولايستطيع ان

يراوح في مكانه بحيث يبقى على حال واحد . فكل خبرة تعلميـة للطفل تسهم في هذا النمو وتضيف عنصراً الى خاصية التعقيد فيه .

وبعد ظهور وتشكل طريقة جديدة في معالجة البيانات لدى الطفل بسبب تكون الخبرة التعلمية الكافية لديه ، تختلف عن الطريقة التي سبقتها ،فان هذه الطريقة تتوطد ويصبح لها نمط في الجهاز العصبي لا يمكن ازاحته . فكل مرحلة في عملية النمو ، حالما تتوطد، تصبح مرحلة ملزمة للنمو ، بحيث تحدد كيفية معالجة البيانات التي يتسلمها الطفل مـن بيئته ، بمعنى التخلص من كل الطرق السابقة في معالجة البيانات ، بل ومعالجة البيانات السابقة وفق الطريقة الجديدة . وهكذا فان النمو ليس احادي الأتجاه ، فحسب ، بل هو غير قابل للارتداد الى حالة سابقة (2.PP38- 4) .

ان هذا يقود الى مايحدث للنمو العقلي للطفل بطيء التعلم . فالادبيات والأطر النظرية التي وضعت تشير الى ان الطفل بطيء التعلم هو طفل يتميز تطور نموه في المراحل التي سبق الاشارة اليها بحالة من حالتين : إما أن يكون قد توقف عند مرحلة منها (تطور كمي ضمن المرحلة الواحدة دون تطور نوعي) ،او تباطأ في معدل نموه بشكل ملحوظ خلال هذه المراحل . فاذا ظهر ان تطور النمو كان طبيعياً خلال المراحل ولكنه بطيء في سيره ، فان الحالة ترتبط عادة بالحدود الدنيا للذكاء الطبيعي او بالحرمان الثقافي (البيئي). ولكن إذا إختل تطور النمو في سيره ، اي توقف عند احدى المراحل واستمر في هذه المرحلة (اسلوب مواجهة المشكلات يبقى واحداً ولا يتطور نوعياً) ، فيشخص عادة باضطراب الوظائف العصبية (2,p. 42) . ومعنى ذلك ، ان بطيئي التعلم يتوزعون على صنفين رئيسيين :

الاول / النمو طبيعي لكن هناك بطء غير شديد في معدله ، ويتفرع عنه نوعان :

(أ) نوع سببه عوامل وراثية وتقع حالته على الحدود الدنيا للذكاء الطبيعي : ويمكن القول هنا ان الصعوبة الكبيرة في مجال النمو التي يواجهها الطفل بطيء التعلم، هي في خاصية التعميم .. وتكمن صعوبته في تنظيم البيانات التي يتسلمها من

بيئته و في تكاملها . فهذه البيانات تبقى منعزلة ومتفرقة ومستقلة بعضها عن البعض الآخر . فالطفل ، على سبيل المثال ، يستطيع قراءة كلمة في صفحة معينة في وقت معين ، لكنه يفشل في التعرف على الكلمة نفسها في وقت آخر ، وحديثه ينقصه الترابط في الافكار ، فهو يضع اشياء بعضها مع البعض الآخر دون ان تكون بينها رابطة .

و من السهل معرفة السبب في كون عملية التعميم صعبة جداً لدى الطفل بطيء التعلم فمشكلته يمكن ارجاعها الى الاضطراب في وظيفة الجهاز العصبي المركزي . فهناك وحدة أو أكثر من وحدات الجهاز العصبي لاتؤدي وظيفتها بالشكل الطبيعي . ومثل هذا الاضطراب له تأثيره الكبير خلال السنين الاولى من حياة الطفل حيث تشكل فيها انماط التعميم في جهازه العصبي وبحيث يغدو من الصعب إزاحة هذه الانماط .

(ب) نوع سببه بيئي (الحرمان الثقافي) : وفي هذا النوع من بطء التعلم يمتلك الطفل جهازاً عصبياً مركزياً سليماً ، لكن الخبرات التعلمية التي هيئت له إما ان تكون محدودة جداً او مضطربة جداً وفي كلتا الحالتين لاتكون هذه المعلومات كافية لنموه في الاتجاه الطبيعي . وبسبب انه يمتلك جهازاً عصبياً مركزياً سليماً ، فبالامكان تشكل الانماط في الجهاز العصبي ، كما يستطيع تحقيق عملية التعميم كما يستطيعها الطفل الاعتيادي ، لكنه وبسبب خبرته التعليمية المحدودة ، فان هذه التعميمات محدودة هي الاخرى في مداها ، وهي جامدة غير مرنة . لذلك فان مثل هذا الطفل يفشل في معالجة البيانات لعدم امتلاكه الخبرة الكافية لحل مايواجهه منها .

الثاني / الثبات عند مرحلة نمو معينة : ويشخص عادة باضطراب في العملية المتعلقة بالوظيفة العصبية .

وفي كلتا الحالتين ، إذا كان البطء شديداً في النوعين (أ و ب) او الاضطراب خطير (الصنف الثاني) ، فان التخلف العقلي سيكون هو الملاحظ . و لذلك فان فئة بطيئي التعلم

ليست فئة واحدة متجانسة ، بل مجموعة متباينه فقد تباين اسباب البطء في التعلم . ومن واجب التشخيص الدقيق أن لايصل الى الحكم بأن هذا الطفل بطيء التعلم فحسب بل لابد من الوصول الى وصف الحالة وفقاً للتصنيف الذي سبق عرضه لان هذا يساعد في وضع اسلوب التعلم العلاجي المناسب .

ان الأطار النظري المشار اليه اعلاه حدد التعريف لبطيئي التعلم في الدراسة الحالية بانهم شريحة من الأطفال الذين يحضرون المدرسة ولديهم صعوبة في التعلم ، رغم انهم قد لايظهرون تخلفاً واضحاً في المجال العقلي او الأنفعالي او الحسي اوالبدني .

ان هذا الأطار النظري حدد اتجاه الدراسة الحالية في تبني اسلوب البحث الأجرائي الذي يعتمد المنهج التجريبي الميداني (Empirical Approach) والمبني على الملاحظة العلمية الأكلينيكية والتجريب بالاختبارات المتوفرة بقصد انتقاء مايناسب منها موضوع الدراسة .

ان تحقيق اهداف الدراسة الحالية مر من خلال ثلاث مراحل يمكن خلال كل مرحلة اتخاذ قرارات مرحلية تخدم بعض اهداف الدراسة،وتساعد في تحديد اجراءات المرحلة التالية ، وهذا هو مانعنيه بمصطلح البحث الأجرائي .

اولا ــ المرحلة الأولى ان الهدف من هذه المرحلة هو تحقيق مايلي :

آ ــ الدراسة المبدئية حول الخصائص الملاحظة لدى بطيئي التعلم: قام الباحثان باجراء دراسة ميدانية خلال النصف الثاني من العام الدراسي ١٩٨٢ حول الخصائص الملاحظة لدى بطيئي التعلم في بعض مدارس بغداد . اختيرت (٢٠) مدرسة ابتدائية ، (١٠) في قطاع الرصافة و (١٠) في قطاع الكرخ والتي يتوفر فيها تلاميذ اسوياء وتلاميذ بطيئو تعلم.وقد اعدت استمارة (*) يجيب عن بعض فقراتها المعلمون ويجيب عن البعض الأخر اولياء الأمور . وهناك بيانات تحصل من السجل الشخصي لتلاميذ صفوف التربية الخاصة وبيانات اكلينيكية تم الحصول

(*) لمزيد من التفاصيل عن فقرات الاستمارة يمكن الرجوع الى اصل الدراسة الحالية .

عليها للمقابلات الشخصية التي اجراها الباحثان عن الخصائص المختلفة للتلاميذ ومن خلال تحليل بيانات مجموعتي التلاميذ الأسوياء وبطيئي التعلم ومقارنة خصائصهم ، تم الوصول الى الخصائص الأتية لدى بطيئي التعلم : ـ

ـ الخصائص الفكرية : ـ

١ ـ التردد في الأجابة والأمتناع عنها في بعض الأحيان .

٢ ـ صعوبة تغيير نمط الأجابة اذا تطلب الموقف التعلمي التغيير .

٣ ـ توفر التحجر في السلوك الفكري والعملي .

٤ ـ يأخذ التحول من اداء مهمة الى مهمة اخرى فترة اطول لديهم بالمقارنة مع الأسوياء .

٥ ـ تصعب عملية التعميم وانتقال اثر التدريب لديهم بالمقارنة مع الأسوياء .

٦ ـ توفر بطء النطق بصورة اكثر لدى هذا الصنف من التلاميذ .

٧ ـ بروز شرود الذهن بصورة اوضح واكثر لديهم.

الصفات الأسرية : ـ

١ ـ ان التحصيل الأكاديمي لاولياء امور التلاميذ بطيئي التعلم اقل مستوى من اولياء امور التلاميذ الأسوياء .

٢ ـ الأمراض الأسرية لدى بطيئي التعلم اكثر منها لدى الأسوياء .

٣ ـ القرابة العائلية لدى اولياء امور التلاميذ بطيئي التعلم شديدة .

٤ ـ كثرة الأصابة بالامراض بعد الولادة بالمقارنة مع الأسوياء.

٥ ـ كثرة حالات الأعاقة في اسر بطيئي التعلم بالمقارنة مع ماهو موجود لدى الأسوياء

(ب) الندوة المتخصصة حول الخصائص الاساسية للتلاميذ بطيئي التعلم .

وقد تبع الدراسة المبدئية حول الخصائص الملاحظة ، قيام الباحثين بعقد ندوة

متخصصة في شهر ايلول عام ١٩٨٣ للوصول الى الخصائص الاساسية للتلاميذ بطيئي التعلم . وقد ساهم في مناقشات الندوة المشرفون التربويون المسؤولون عن التربية الخاصة، في محافظات القطر المختلفة وبعض معلمي التربية الخاصة .

إن مناقشات الندوة ومارافقها من عرض للادبيات المتاحة في هذا الميدان ، بما في ذلك الدراسة الميدانية التي سبق الاشارة اليها اعلاه ،اظهرت ان الكثير من بطيئي التعلم يشتركون في ظاهرة تأخر نموهم في القدرة على الانتباه الانتقائي ، والتي تنبثق منهـا خاصية الافراط الشديد في النشاط وتشتت الانتباه لدى الطفل الى مايلهيه والاندفاعية (3، P.11) اضافة الى توفر خصائص اخرى هي :

- الانتباه القصير المدى لمدى تركيز الطفل على شيء معين .
- صعوبة التنبؤ بسلوك الطفل وصعوبة السيطرة عليه .
- نفاذ الصبر .
- عدم الاستجابة للنظام
- الاهمال واللامبالاة في ترتيب الملابس والحاجات الاخرى للطفل .
- الميل للخصام البدني مع الاقران
- توفر الاضطراب في التذكر
- التوقع المستمر للفشل .
- ضعف المثابرة على نشاط معين يكلف به الطفل من قبل المعلم .
- الاجابة التي لاتمت بصلة لسؤال المعلم .
- الجلوس بتململ والانتظار بفارغ الصبر انتهاء الدرس .
- الكلام الكثير مع الزملاء داخل الصف .
- عدم الرغبة في المشاركة اثناء الدرس .
- التلكؤ في الاجابة .

(ج) المحاولات التمهيدية لوضع ثلاثة اختبارات تحصيلية في القراءة الخلدونية والرياضيات الحديثة والمعلومات الحياتية :

بدأت المحاولات بعد الشهرين الاولين من العام الدراسي ١٩٨٣ مباشرة . وقام فريق الدراسة الحالية بزيارات عديدة للمدارس التي تضم صفوفاً للتربية الخاصة وصفوفاً اعتيادية في آن واحد .

بدأت المحاولات باختيار عينة ممثلة لموضوعات كتاب القراءة الخلدونية وكتاب الرياضيات للصف الاول الاعتيادي ، بالاضافة الى بناء فقرات لموضوع المعلومات الحياتية اختيرت مفرداته من اختبار سابق وضع لمعهد الرعاية جربته ووضعته خصيصاً للاطفال العراقيين الخبيرة الدكتورة تسالي شوارز عام ١٩٥٧ ، بالاضافة الى معلومات عامة تعطى للاطفال في هذه المرحلة اخذت من معلمات الصفوف الاولى .

واختيرت صفوف التربية الخاصة وصفوف الاطفال الاعتياديين من مدارس مختلفة وفي مناطق ذات مستويات اقتصادية اجتماعية مختلفة في محافظة بغداد.وكان الباحثان يزوران الصف الاول الخاص والاعتيادي وبعد اللقاء التمهيدي مع التلاميذ والتبسط معهم تبدأ التجربة ، حيث تطبق الاختبارات بصورة فردية

ومن خلال كل محاولة يقوم الباحثان باجراء تعديل على كل من فقرات اختبار القراءة والرياضيات والمعلومات الحياتية تمهيداً لجعله صالحاً للمقارنة بين مجموعتي الاطفال الاعتياديين وبطيئي التعلم . وقد جرت محاولات عديدة من اجل ذلك . وتوصل الباحثان الى الصورة النهائية للاختبارات الثلاثة . وقد ساهمت مناقشات الندوة المتخصصة حول الخصائص الاساسية للتلاميذ بطيئي التعلم ، والتي أُشير اليها قبلاً في تقديم بعض المقترحات لتطوير هذه الاختبارات التحصيلية الثلاثة (*) ، بحيث اخذ بالنماذج التي يمكن اعتبارها مناسبة للتلاميذ الاعتياديين .

(*) للاطلاع على الاختبارات التحصيلية الثلاثة يمكن الرجوع الى اصل الدراسة الحالية .

تعليمات للقائمين بتطبيق الاختبارات التحصيلية الثلاثة :

١ ـ تتضمن الاختبارات التحصيلية الثلاثة ـ وهي من الاختبارات التي يمكن لمعلم المرحلة اعدادها بعد شيء من التدريب ـ موضوعات تقدم للتلاميذ تزيد على مايعطى خلال الشهرين من الدراسة الفعلية ، وقد وضعت هذه الموضوعات في الاختبارات لاحتمال التفاوت فيما يعطى منها بين مدرسة واخرى . ولذلك تختبر المعلمة التلاميذ في المفردات التي بلغتها بعد اتمام الدراسة الفعلية لمدة شهرين وتهمل الباقي .

الدرجات العظمى للاختبارات التحصيلية الثلاثة :

نوع الاختبار	الدرجة العظمى
القراءة الخلدونية	١٠
الرياضيات الحديثة	١٠
المعلومات الحياتية	١٠

٢ ـ الملاحظة الاكلينيكية الفردية : تقوم المعلمة بملاحظة سلوك الطفل وهو يجيب عن كل اختبار تحصيلي ، وتدون ملاحظاتها في تقرير خاص يرفق مع ملاحظاتها عن الخصائص الاساسية لبطيئي التعلم التي اشير اليها سابقاً ، ودرجته في الاختبار . ان الهدف من الملاحظة الاكلينيكية الفردية هو لمقابلة نتائجها مع نتائج الملاحظات عن الخصائص الاساسية لبطيئي التعلم . ذلك لان الملاحظة الاكلينيكية الجمعية (الخصائص الاساسية لبطيئي التعلم) قد تفرز بصورة مبدئية اطفالاً تنطبق عليهم أغلب خصائص بطيئي التعلم في الوقت الذي يكشف الاختبار التحصيلي ان اجابتهم غير ضعيفة ، أو قد يحصل العكس ، كأن تفرز الملاحظة الاكلينيكية الجمعية اطفالاً اعتياديين لكن تحصيلهم ضعيف . من اجل ذلك تعتبر الملاحظة الاكلينيكية الفردية اداة مهمة تركن اليها المعلمة في تقرير حالة الطفل . والاستمارة التالية ـ التي تم الوصول اليها من خلال التجارب الميدانية العديدة التي قام بها الباحثان ، بالاضافة الى ماتيسر لهما من ادبيات سابقة في هذا المضمار ـ تبين الجوانب التشخيصية التي تلاحظها المعلمة في الطفل الواحد والمواقف التي تلاحظها فيها واسلوب التقويم .

الملاحظات الأكاديمية الفردية اثناء اجابات الطفل والتي تجريها معلمة التربية الخاصة بالتعاون المباشر مع المشرف التربوي

رقم	الجانب التشخيصي	عينة منه	اسلوب التقييم (يؤشر على الاختيار المناسب بدائرة أمامه)
١ –	هل يستخدم الطفل الصور للتعرف على الكلمات الدالة عليها ؟ (اسلوب التعرف على الكلمات المصحوبة بالصور)	مفردات الصفحة الاولى من اختبار القراءة الخلدونية	– دائماً يستخدم الطفل الصور – احياناً يستخدم الطفل الصور – لا يستخدم الطفل الصور أبداً
٢ –	ماالوسائل التي يستعين بها الطفل اثناء عملية الجمع ؟	مسائل جمع رقمين بعد تدريس الطفل عملية جمع رقمين	– استخدام الاصابع لكل من الرقمين – استخدام الاصابع للرقم الاصغر والاحتفاظ بالرقم الاكبر في الذاكرة – التصور البصري (بدون اصابع)
٣ –	مدى انتظام كتابة الطفل للأرقام أو الحروف؟	– الكتابة من (١) الى (١٠) – بعض حروف اللغة العربية التي تعطى له اثناء الشهرين الاولين من الدراسة الفعلية.	– في خط يميل الى الاسفل – منتظمة ولكنها ملتصقة منتظمة على خط افقي وعلى مسافات متساوية
٤ –	مامدى صلة اجابة الطفل بالسؤال ؟	بعض اسئلة المعلومات الحياتية .	– لاصلة لها مطلقاً بالسؤال – صلة غير مباشرة – ذات صلة وثيقة

٥ – مامدى سرعة حركة الرأس عند متابعة قراءة سطر معين ؟	بعض فقرات الصفحة الثانية من اختبار القراءة الخلدونية .	– سريعة – معتدلة – بطيئة
٦ – هل يميل الطفل الى التردد عن الاجابة؟	بعض فقرات الاختبارات التحصيلية .	– مراراً – احياناً – ابداً
٧ – مامدى ترابط جوانب الاجابة منطقياً بحيث تكون بداية الجواب مرتبطة بباقي الاجابة ؟	بعض الفقرات الصورية في اختبار الحياتية.	– غير مترابطة – مترابطة الى حد ما – مترابطة الى حد كبير
٨ – ما مدى تناسق حركة اليدين مع حركة العينين عند متابعة قراءة الكلمات ؟	مفردات اختبار القراءة الخلدونية .	– غير متناسقة – متناسقة إلى حد ما – متناسقة إلى حد كبير
٩ – ما مدى استجابة الطفل للتعليمات ؟	التعليمات التي تعطى للتلميذ اثناء تطبيق الاختبارات مثل : – امسك القلم واستعد للكتابة . اذهب إلى السبورة وخذ الطباشير	– يكتفي بالتحديق في عين الفاحص – استجابة غير كاملة – استجابة بطيئة صحيحة – استجابة سريعة صحيحة
١٠ – ما العيب في اخراج الكلام ؟	يلاحظ نطق الطفل اثناء الاجابة عن الاختبارات.	– التأتأة – الابدال – الحذف – لا يوجد (يؤشر على العيب ان وجد بدائرة

١١ – ما مدى قصور الطفل في التعبير ؟	الفقرات الصورية في اختبار المعلومات الحياتية .	– يعطي الطفل كلمة او كلمتين بدلا من جملة كاملة – يعطي جملة شبه كاملة – يعطي جملا كاملة
١٢ – ما مدى تناسق حركة اجهزة النطق ؟	خلال الحديث .	– غير متناسقة (توصف الحالة) – متناسقة إلى حد ما – متناسقة تماماً
١٣ – هل يهمل الطفل الكلمات الرابطة اللازمة في العبارة التي يقولها ؟	تلاحظ خلال الاستجابات على الاختبارات .	– كثير الاهمال – يهمل إلى حد ما – لا يهمل
١٤ – هل يجيب الطفل عن اسئلة المعلمة باستخدام اشارات الرأس او حركة الشفتين أو اليدين أي دون كلام)	تلاحظ خلاله اجابة الطفل عن اسئلة المعلمة .	– غالباً ما يجيب عن اسئلة المعلمة باستخدام الاشارة أو الحركة – في بعض الاحيان يجيب عن اسئلة المعلمة باستخدام الاشارة أو الحركة – عندما يكون الجواب دالا على نعم أو لا فقط
١٥ – ما معدل الاداء في الكتابة (السرعة) ؟	اسئلة الكتابة في اختبار الحساب أو القراءة .	– معدل الاداء بطيء جداً – معدل الاداء بطيء إلى حدما – معدل الاداء طبيعي

١٦ – ما مدى القدرة على فهم التعليمات ؟	نفس فقرة رقم (٩) مع ملاحظة الاختلاف في اقتصار (١٦) على الفهم فقط	– عدم الاستجابة تستلزم مناقشة الطفل – الاستجابة غير الصحيحة للطفل دلالة على عدم الفهم – الاستجابة الصحيحة للطفل دلالة الفهم
١٧ – ما مدى التركيز والانتباه على نشاط تحصيلي معين ؟	– اسئلة المعلومات الحياتية الصورية – المفردات اللغوية – ذكر الارقام بالترتيب	– مشتت الانتباه – يركز وينتبه احياناً – يركز وينتبه بشكل طبيعي
١٨ – ما مدى درجة الانتباه السمعي ؟	– الاستجابة لسؤال معروف الاجابة عندما يكون الصوت منخفضاً – الاستجابة لسؤال معروف الاجابة بعد رفع الصوت – الاستجابة لسؤال معروف الاجابة بعد زيادة رفع الصوت	– انتباه سمعي عال – انتباه سمعي متوسط – انتباه سمعي منخفض –
١٩ – ما مدى صلة المثيرات التي يهتم بها الطفل بالموقف الاختباري ؟	تلاحظ حركة العينين واليدين اثناء اسئلة المعلمة التحصيلية واثناء الاجابة	– مشغول عن الموقف الاختباري – انتباهه مشتت إلى حد ما – انتباهه مشدود إلى اسئلة الفاحص
٢٠ – ما مدى زمن الرجع (الزمن بين استقبال السؤال والاستجابة له)	بعض الفقرات من الاختبارات التحصيلية (يحسب متوسط الزمن للأطفال العاديين للمقارنة)	– زمن الرجع طويل نسبياً – زمن الرجع متوسط نسبياً – زمن الرجع قليل نسبياً

السؤال	طريقة الملاحظة	الاستجابة
٢١ – ما الزمن المستغرق في قراءة جملة او جمل عدة او حل سؤال معين ؟	كما في (٢٠) .وبحسب الزمن المستغرق في الاجابة الصحيحة بالمقارنة مع الأطفال الاعتياديين	– الزمن طويل نسبياً – الزمن متوسط نسبياً – الطفل سريع الاستجابة
٢٢ – ما سبب التلكؤ في الاجابة؟	الاجابات عن فقرات الاختبارات التحصيلية	– الخجل – عدم المعرفة – عدم الانتباه يؤشر على السبب بوضع خط اسفله
٢٣ – ما مدى امكانية الطفل في التعرف على بعض الاشياء في الصور ؟	– الاسئلة الصورية في اختبار المعلومات الحياتية . الصور في القراءة . الصور في الرياضيات .	– يصعب عليه التمييز – يميز إلى حد ما – يميز الاشياء الموجودة في الصور بشكل واضح
٢٤ – هل تكون استجابة الطفل لاسئلة المعلمة او تعليماتها أو توجيهاتها مجرد تكرار لما تقوله المعلمة ؟	من خلال تعليمات المعلمة واسئلتها حول فقرات الاختبارات التحصيلية	– كثير التكرار – يكرر احياناً – لا يكرر كلمات المعلمة او عباراتها
٢٥ – هل ينظر إلى الشيء الذي امامه بلمحات سريعة وموجزة ؟	تلاحظ نظراته خلال الاستجابة لفقرات الاختبارات التحصيلية الثلاث	– نظراته مشتتة – نظراته اقل تركيزاً واكثر سرعة – نظراته مركزة وفيها استقرار نسبي
٢٦ – هل يمكن ضبط سلوكه في الموقف الاختباري بواسطة التعبيرات الوجهية للمعلمة ودون الحاجة إلى استخدام الكلام ؟	يلاحظ خلال استجابته للاختبارات التحصيلية	– لا يمكن – يمكن إلى حد ما – يمكن إلى حد كبير
٢٧ – هل يركز الطفل على جانب واحد من الموقف الاختباري الذي امامه ويهمل الجوانب الأخرى ؟	يلاحظ خلال استجابات الطفل للاختبارات التحصيلية	– يركز إلى حد كبير – يركز إلى حد ما – يركز على أكثر جوانب الموقف الاختباري

السؤال	طريقة الملاحظة	الاستجابات
٢٨ – هل يكثر الطفل من الحركة الجسمية اثناء اداء الاختبارات التحصيلية ؟	يلاحظ ذلك خلال استجابات الطفل للاختبارات التحصيلية الثلاث .	– يكثر إلى حد كبير – يكثر إلى حد ما – قليل الحركة
٢٩ – ما مدى اهتمام الطفل بالموضوع الذي امامه ؟	يلاحظ خلال استجابات الطفل للاختبارات التحصيلية	– تظهر عليه البلادة – قليل الأكتراث – لديه اهتمام واضح
٣٠ – هل تتسم اجابات الطفل عن اسئلة المعلمة بنمطية متشابهة مهما اختلفت الاسئلة ؟ (الميل إلى التكرار والاصرار لدى الطفل على سلوك تحصيلي معين)	بعض اسئلة المعلومات الحياتية مثل : – القصاب يبيع ..... البقال يبيع	– اجاباته متشابهة في اكثر الاحيان ومهما تنوعت الاسئلة الموجهة اليه – تنوع الاجابات احياناً – تتنوع الاجابات بحسب طبيعة السؤال
٣١ – اية ملاحظات اكلينيكية تدعو إلى الانتباه من قبل المعلمة والمشرف التربوي معاً ولم ترد ضمن القائمة ، يرجى تسجيلها بصورة وصفية دقيقة.		

ثانياً/ المرحلة الثانية: ان الهدف من هذه المرحلة هو التعرف على صلاحية الفرز لبطيئي التعلم استناداً الى خصائصهم الأساسية التي نوقشت في الندوة المتخصصة التي اشير اليها اعلاه فلقد اتفق بعد الأنتهاء من مناقشات الندوة على اختيار بعض الصفوف الأولى التربية الخاصة في محافظة بغداد والتي تم فيها تشخيص بطيئي التعلم من قبل المشرفين التربويين ومعلمي التربية الخاصة ، وفقاً لماجاء في الندوة .

شملت عينة البحث تلاميذ وتلميذات الصف الأول التشخيصي في (٥) مدارس ابتدائية في مدينة بغداد اختيرت من قبل احد المشرفين التربويين الذي عاون في هذه المهمة كما اختير من اربع من هذه المدارس عينة عشوائية من تلاميذ وتلميذات شعب الصف الأول العادي لهدف المقارنة . وقد بلغ عدد تلاميذ وتلميذات الصف الأول التشخيصي (٣٥) بينهم (١٩) من الذكور، بينما كان عدد تلاميذ وتلميذات الصف الأول العادي، (٢٧) بينهم (١٤) من الذكور ، وقد أكتفى الباحثان بهذا العدد من التلاميذ رغم صغره لأن البيانات التي جمعت من هذه العينة ادت الى رفض الفرضية الصفرية التي تنص على عدم وجود فرق بين مجموعتي الاطفال بطيئي التعلم والعاديين . وعليه فان اي زيادة في الاعداد لن تؤدي الا الى مزيد من الجهد الاحصائي فقط .

ولاجل تقويم صلاحية الفرز ، فقد جرب مع العينتين الاختبارات التحصيلية الثلاثة وجانب من اختبار المصفوفات المتتابعة واختبار رسم رجل ، بالاضافة الى الملاحظات الاكلينيكية الفردية ، وقد تم كل ذلك بعد مرور شهرين دراسيين فعليين من العام الدراسي ١٩٨٤ .

وقد اظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة احصائية تقل عن مستوى ٠١, ٠ بين متوسطات درجات تلاميذ وتلميذات الصف الاول العادي ونظرائهم في الصف الاول التشخيصي لصالح المجموعة الاولى في جميع الاختبارات .

كما تشير النتائج الى كبر حجم التباين بين الدرجات بالنسبة لتلاميذ وتلميذات الصف الاول التشخيصي ،حيث وصل حجم التباين اضعاف حجمه بالنسبة لدرجات تلاميذ وتلميذات الصف الاول العادي . ان كبر حجم التباين بين الدرجات بالنسبة لتلاميذ وتلميذات الصف الاول التشخيصي يعني ان الحالات الموجودة في هذا الصف لا يمكن اعتبارها جميعاً نفس الحالات من بطء التعلم ، مما يستدعي اللجوء الى اداة قياسية اخرى يمكنها تصنيف مديات بطء التعلم ، اضافة الى فرز الحالات التي يمكن تصنيفها في فئة التخلف العقلي ، وهو ماتسعى اليه المرحلة الثالثة من الدراسة الحالية في بناء بطارية تشخيصية لقدرات الاطفال بطيئي التعلم .

ثالثاً / المرحلة الثالثة : بناء بطارية تشخيص القدرات العقلية لبطيئي التعلم .

قام الباحثان باستعراض الادبيات التي بحثت في الاختبارات العقلية المتوفرة التي يمكن الانتفاع منها في تشخيص بطيئي التعلم . واختيرت موضوعات اختبارات البطارية في ضوء الموضوعات التي اشارت اليها غالبية الادبيات التي بحثت في مجال تشخيص بطيئي التعلم . كما ان هذه الاختبارات جاءت محققة «للخصائص المميزة لبطيئي التعلم» التي توصل اليها الباحثان من خلال بعض التجارب المرحلية التي مرت بها الدراسة الحالية بما فيها الخصائص الجمعية والفردية لهم ،ومن اهم هذه الخصائص ؛ القدرة على الانتباه الانتقائي التي تتطلب من الطفل التركيز على المنبه المطلوب دون سواه ،وهو مايظهر ،على وجه الخصوص في اختبارات التشابه والاختلاف والتصنيف والمفاهيم والتتابع والاشكال الناقصة والعلاقات ،وكذلك خاصية الافراط في النشاط وتشتت انتباه الطفل الى مايلهه والذي يتوضح بصورة جلية من خلال اختبارات تركيب الاشكال واختبار المتاهات واختبار المصفوفات المتتابعة . وقد تطلب اعداد البطارية القيام بتجربتين ؛ استطلاعية واساسية ، ثم تلا ذلك وضع معاييرها .

التجربة الأستطلاعية: كان الهدف من التجربة الاستطلاعية التي بدأت في ١٩٨٥/١٢/٢٦ وانتهت في ١٩٨٦/١/٢٠ التأكد من فهم التلاميذ لتعليمات الاختبارات التي تتضمنها بطارية تشخيص القدرات العقلية ومناسبة الفقرات لخبرات تلاميذ الصف الاول الابتدائي الذين تتراوح اعمارهم بين (٦) سنوات و(٦) سنوات ونصف . وقد اجريت التجربة الاستطلاعية على عينة من تلاميذ الصف الاول الابتدائي العاديين وبطيئي التعلم في (١١) مدرسة ابتدائية في مدينة بغداد .

وتتكون البطارية في صورتها الاولية من (١٢) اختباراً فرعياً . وفيما يلي وصف لطبيعة هذه الاختبارات بعد ان اجري بعض التعديل او الاستبدال او الحذف على بعضها.

١ - إختبار التشابه : - يتكون من أربعة أختبارات فرعية ، يتضمن الاول اختيار شكلين متشابهين تماماً من بين ثلاثة اشكال ، حيث يوجد إختلاف بسيط في الشكل الثالث . ويتضمن هذا الاختبار (١٩) فقرة ويتضمن التشابه اتجاه وضع الشكل او حجمه او بعض تفاصيله الجزئية . اما الاختبار الثاني فيتألف من (٤) فقرات ، كل فقرة تتضمن (٣) أشكال اضافة الى شكل منفرد في الجانب الايسر ويطلب من الطفل التعرف على الأ شكال المشابهة للشكل المنفرد . ويتألف الاختبار الثالث من عمودين من الاشكال ولكل شكل في العمود الايمن شكل مشابه له تماماً في العمود الايسر ، ويتكون من (١٠) فقرات . وتشتمل كل فقرة من فقرات الاختبار الفرعي الرابع على أربعة أشكال متشابهة في كل شيء عدا الحجم ، حيث يمثل احدها الحجم الاكبر والآخر الحجم الاصغر ، أما الشكلان الباقيان فيمثلان الحجم الاوسط وهما متساويان في الحجم . والمطلوب في هذا الاختبار التعرف على الشكلين المتساويين في الحجم . ويتكون هذا الاختبار من(٥) فقرات ، وبذلك يكون عدد فقرات اختبار التشابه (٣٨) فقرة ، ويسبق كل اختبار فرعي مثال توضيحي .

٢ — إختبار المفاهيم : ويتكون من (٩) اختبارات فرعية تشمل المفاهيم الآتية :

أ. مفهوم الشكل الاصغر في الحجم ويتكون من (٤) فقرات .

ب. مفهوم (الاقصر) وبه فقرتان .

ج. المفهوم (أكبر من) ويتكون من (٤) فقرات .

د. مفهوم (فوق وتحت) ويتكون من فقرة واحدة .

هـ. مفهوم (داخل وخارج) ويتكون من فقرة واحدة .

و. مفهوم (الاتجاه من اعلى الى اسفل وبالعكس) ويتكون من فقرة واحدة .

ز. مفهوم (العدد الاكبر) وبه ثلاث فقرات .

ح. مفهوم (العدد الاقل) وبه فقرتان .

ط. مفهوم (الشكل الاوسط) في الحجم ويتكون من فقرتين .

وبذلك يتكون الاختبار من (٢٠) فقرة ، ويسبق كلاً من الاختبارات الفرعية مثال توضيحي ، فيما عدا الاختبارات الفرعية : ب ، د ، هـ ، و .

٣ — إختبار الاختلاف : يتطلب هذا الاختبار التعرف على الشكل المختلف من بين عدة اشكال ، ويتكون من (١٧) فقرة ، يوجد في (٥) فقرات منها ثلاثة اشكال ، بينما يوجد في بقية الفقرات أربعة اشكال . وتتضمن الفقرات نواحي عديدة من اوجه الاختلاف . فقد يكون الاختلاف في احد التفصيلات الجزئية في الصورة وقد يكون في الحجم او الاتجاه او نظام وضع الاشكال الفرعية في الشكل الواحد ويسبق الاختبار مثال توضيحي .

٤ — اختبار التصنيف : ويتكون من (٨) فقرات ، تتضمن كل فقرة عدداً من الاشكال (ثلاثة او أربعة) وفيها شكل واحد لاينتمي الى مجموعة الاشكال الباقية ، والمطلوب التعرف على هذا الشكل . ويسبق الاختبار مثال توضيحي .

٥ — اختبار المتاهات : ويتكون من (١٠) متاهات مختلفة في الطول والاتجاهات يسبقها مثال توضيحي . ويطلب من الطفل استخدام القلم للبدء من فتحة المتاهة

والسير على الاجزاء البيضاء ، دون الاصطدام بالخطوط التي تشكل مسارات المتاهة او الدخول الى اجزائها المغلقة ، والاستمرار في السير حتى الخروج منها.

٦ ـ اختبار المصفوفات المتتابعة (المجموعة A) ويتكون من (١٢) فقرة، تعطى الاولى كمثال للتدريب ثم يختبر الطفل في العشر فقرات التالية (من ٢ ـ ١١) وتترك منه الفقرة (١٢) لصعوبتها (وذلك نتيجة دراسة استطلاعية سابقة) .

٧ ـ اختبار استيعاب المفاهيم اللفظية : ويتكون من (٦) فقرات ، تشمل كل فقرة على اربع صور ، ويطلب من الطفل التعرف على صورة معينة منها بعد ان يذكر له اسمها . ويسبق الاختبار مثال توضيحي .

٨ ـ اختبار الاشكال الناقصة : ويتكون من اربع فقرات يسبقها مثال توضيحي . وتتكون كل فقرة من (٣) اشكال متشابهة تماماً فيما عدا احدها الذي يوجد به نقص معين ، ويطلب من الطفل التعرف على الشكل الناقص .

٩ ـ اختبار التتابع : يعرض على الطفل في هذا الاختبار (٥) صور يطلب من الطفل ترتيبها بحيث تشكل موضوعاً معيناً متسقاً . وتعتبر الصورة الاولى تنبيهاً توضيحياً يدل الطفل على كيفية تتابع الصور الباقية .

١٠ ـ اختبار العلاقات : ويتكون من (٧) فقرات يسبقها مثال توضيحي . ويتكون من مجموعتين من الاشكال احداها في العمود الايمن والاخرى في العمود الايسر . ويطلب التعرف على الشكل في العمود الايسر الذي له علاقة بشكل في العمود الايمن .

١١ ـ اختبار الاستنتاج الكمي : ويتكون من (٣) فقرات يسبقها مثال توضيحي . ويطلب في كل من هذه الفقرات اختيار الشكل الذي يحتوي على عدد معين من الوحدات .

١٢ ـ اختبار تركيب الاشكال : ويتكون من فقرتين يطلب فيها من الطفل تركيب الشكلين الآتيين :

كلب مؤلف من (٣) قطع ، وفتاة مؤلفة من (٥) قطع (*) .

ومن اهم ماحققته هذه التجربة هو التعرف على العبارات التي تصاغ بها تعليمات الاختبارات ، بحيث تصبح مفهومة لدى الطفل العادي والطفل بطيء التعلم . وقد تم كتابة هذه التعليمات باللهجة العامية واجريت لها تعديلات عدة خلال فترة التجربة الاستطلاعية حتى وصلت الى ماهي عليه قبل اجراء التجربة الاساسية . كما اجريت مجموعة من التعديلات على الفقرات ، فقد حذف بعضها واستبدل بعضها الآخر بفقرات اكثر وضوحاً للطفل كما سبقت الاشارة الى ذلك .

التجربة الاساسية : أجريت التجربة الأساسية في محافظة بغداد في بداية شهر شباط من عام ١٩٨٦ واستمرت حتى نهاية السنة الدراسية . وقد شارك عدد من طلبة الصف الثالث والرابع بقسم علم النفس / الجامعة المستنصرية في تطبيق الاختبارات على افراد العينة الخاصة بمحافظة بغداد بعد تدريبهم على ذلك تدريباً كافياً . كان الباحثان يطلبان من معلمة التربية الخاصة ومعلمة الصف الاعتيادي في كل مدرسة احضار الحالات التي تأكد لهم بصورة قاطعة انهم بطيئو تعلم استناداً الى خصائصهم الاساسية ثم يقوم الباحثان بالتأكد من ذلك بالدراسة الاكلينيكية (التي سبق الاشارة الى تفصيلاتها) قبل اعتمادهم في عينة بطيئي التعلم .

كما ساهم مشرفو التربية الخاصة في جميع المحافظات الاخرى في القطر بتطبيق الاختبارات على افراد العينة في تلك المحافظات ، وقد تم ذلك خلال شهر نيسان من عام ١٩٨٦ بعد ان عقدت لهم ندوة في وزارة التربية لشرح الهدف من التجربة ومواصفات الاختبارات وتعليمات تطبيقها واسلوب اختيار عينة تلاميذ وتلميذات المحافظات التي يشرفون على التربية الخاصة فيها .

(*) أعتمد في بناء فقرات بعض الاختبارات الفرعية لبطارية تشخيص القدرات العقلية لبطيئي التعلم على الاختبارات العقلية المذكورة بصورة مستقلة في قائمة المصادر . ولاجل المزيد من التفاصيل عن إختبارات البطارية يمكن الرجوع الى اصل الدراسة الحالية .

تهدف التجربة الاساسية الى تطبيق بطارية تشخيص القدرات على عينتين من تلاميذ وتلميذات الصف الاول ، تمثل الاولى مجتمع تلاميذ الصف الاول من العاديين ، بينما تمثل العينة الثانية مجتمع تلاميذ الصف الاول (السنة التشخيصية) المشخصين من قبل معلميهم بأنهم (بطيئو تعلم) وذلك للتحقق من صلاحية البطارية للتمييز بين الاطفال العاديين والاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) من الجنسين . وتهدف التجربة كذلك الى جمع البيانات اللازمة للتحقق من صدق اختبارات البطارية وثباتها ،والتعرف على قدرة فقرات اختباراتها على التمييز ، وعلى مستوى صعوبتها ،واستخدام النتائج في وضع الاختبارات في صورتها النهائية وتهيئتها للاستخدام .

عينة التجربة الاساسية : ـ لاختيار عينة تلاميذ وتلميذات الصف الاول الابتدائي المقبولين في العام الدراسي ١٩٨٥/١٩٨٦ والمشخصين (بطيئو تعلم) في محافظة بغداد ، تم حصر المدارس التي اجري فيها التشخيص من واقع سجلات مديريتي التربية في الرصافة والكرخ . ثم جرى اختيار عدد من المدارس تمثل جميع المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية بعد الاسترشاد بآراء مشرفي التربية الخاصة بهذا الشأن .

وقد بلغ عدد المدارس المختارة من قطاع الرصافة (٢٧) مدرسة كان عدد الاطفال المشخصين فيها (١٠٢) تلميذاً وتلميذة . بينما اختيرت (١٤) مدرسة من قطاع الكرخ بلغ عدد الاطفال المشخصين فيها (٦٩) تلميذاً وتلميذة . كما اختيرت عينة الاطفال العاديين من المدارس والشعب نفسها التي ينتظم فيها الاطفال المشخصون، وكان حجم هذه العينة (١١٠) تلميذاً وتلميذة .

اما بالنسبة لعينات تلاميذ وتلميذات المحافظات الاخرى ، فقد حدد حجم العينة الواحدة بـ (٢٠) تلميذاً وتلميذة من المشخصين (بطيئي تعلم) و(٦) من الاطفال العاديين الذين يزاملونهم في الصفوف نفسها ، وترك أمر اختيارهم لمشرفي التربية الخاصة في المحافظات بحيث تمثل المدارس المختارة المستويات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية المختلفة ، ويتساوى فيها الذكور والاناث قدر الامكان . وقد بلغت عينة الاطفال المشخصين (٥٠٤) ، اما عينة الاطفال العاديين فقد بلغت (٢٠٩) طفلاً وطفلة .وبذلك

يكون العدد الكلي للاطفال (٧١٣) . ويرجع كبر حجم عينة الاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) قياساً الى عينة الاطفال العاديين ، الى ان العينة الاخيرة سوف تستخدم للمقارنة فقط ، اما العينة الاولى فسوف تستخدم بياناتها في تحليل فقرات الاختبارات المختلفة والوصول الى معاييرها نظراً لان هذه الاختبارات قد صممت اصلاً لتشخيص الاطفال بطيئي التعلم .

الخصائص الاساسية لدرجات الاختبارات : — من خلال تحليل المتوسطات والانحرافات المعيارية (*) لدرجات الاختبارات الاثني عشرة لكلا الاطفال العاديين والمشخصين (بطيئي تعلم) من كلا الجنسين ، تتضح الزيادة الواضحة في متوسط درجات الاطفال العاديين بالمقارنة مع نظرائهم الاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) كما يتضح ايضاً زيادة تباين درجات الاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) من كلا الجنسين عن نظرائهم الاطفال العاديين ، وذلك في غالبية الاختبارات الاثني عشرة .

وللتحقق من مستوى الدلالة الاحصائية للفروق بين المتوسطات السابقة ، اجري اسلوب تحليل التباين (*) (٢×٢) على درجات كل من الاختبارات الاثني عشرة وفقاً لمتغيري حالة الطفل (عاديين ، بطيئي تعلم) والجنس وتوضح النتائج وجود فرق دال احصائياً عند مستوى اقل من (٠,٠١) (اي اقوى من مستوى ٠,٠١) بين متوسط درجات الاطفال العاديين ومتوسط درجات الاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) في جميع الاختبارات لصالح الاطفال العاديين .

اما بالنسبة لمتغير الجنس فلم تظهر فروق دالة احصائياً بين الذكور والاناث في جميع الاختبارات باستثناء الاختبار الرابع (المتاهات) حيث ظهر فرق دال احصائياً بين الذكور والاناث عند مستوى يقل عن (٠,٠١) وباستخدام الاختبار التائي . وان هذا الفرق الدال احصائياً يوجد في فئة المشخصين (بطيئي تعلم) فقط حيث كان هذا الفرق غير دال احصائياً بين الذكور والاناث من الاطفال العاديين . ويجب ان تؤخذ النتيجة اعلاه بشيء من الحذر ويتطلب ذلك المزيد من البحث في هذا الجانب .

(*) يمكن الرجوع الى الجداول الخاصة بالتحليل الاحصائي للدراسة في النسخة الاصلية للبحث

يستخلص مما سبق ان الاختبارات الاثني عشرة تصلح للتمييز بين الأطفال العاديين والاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) من الجنسين وتؤيد صدق التشخيص الذي جرى من قبل معلمي ومعلمات التربية الخاصة والمشرفين عليهم .

صدق الأختبارات : – يقصد بالصدق توافر الادلة الموضوعية على ان الاختبار يقيس فعلاً الصفة التي صمم لقياسها أو أنه يحقق فعلاً الاغراض العملية التي تطلبت استخدامه .

لقد أظهرت نتائج تحليل التباين القدرة العالية لجميع الاختبارات الحالية على التمييز بين الاطفال العاديين والاطفال المشخصين (بطيئي تعلم) . ونظراً لان عملية التشخيص تمت من قبل معلمة الصف الاعتيادي ومعلمة التربية الخاصة معاً وتحت اشراف مشرف التربية الخاصة ، كفرز اولي ، استتبعه تحقق من الباحثين لعملية الفرز من خلال الدراسة الاكلينيكية التي كانا يجريانها على الاطفال قبل تطبيق اختبارات البطارية عليهم ،لذلك فان نتائج عمليات التشخيص تتسم بقدر عال من الثقة . ويعتبر اتفاق نتائج تطبيق الاختبارات الحالية مع نتائج التشخيص التي تمت من خلال المشاهدة صدقاً اولياً (تسمى هذه الطريقة في الصدق بطريقة المجموعات المتضادة) للاختبارات الحالية في تشخيص حالات بطء التعلم لدى اطفال الصف الاول الابتدائي .

التحليل الأحصائي للفقرات : –

١ – القوة التمييزية للفقرات : من خلال درجات كلتا المجموعتين العليا والدنيا في كل من الاختبارات الاثني عشر ولكل من البنين والبنات ،يتضح ان القوة التمييزية لفقرات الاختبارات بالنسبة للبنين والبنات تتراوح بين (٠،٣١)و(١) باستثناء الفقرة الاولى والثانية في اختبار المفاهيم حيث بلغت القوة التمييزية لكل منهما (٠،٢١) .

ويعتبر ايبل في ضوء الخبرة مع انواع عديدة من الاختبارات ، ان الفقرات التي تتراوح قوة تمييزها من ٠،٣٠ الى ٠،٣٩ تعتبر جيدة بدرجة معقولة ولكن توجد

امكانية لتعديلها بينما تعتبر الفقرات التي تبلغ قوة تمييزها ٤٠, ٠ أو اعلى جيدة جداً (I.P. 399) . ولقد ارتأى الباحثان ، في ضوء ماسبق ، الأبقاء على جميع فقرات الاختبارات مع استبعاد الفقرتين الاولى والثانية من اختبار المفاهيم . وباستعراض قيم القوة التمييزية لفقرات الاختبارات نجد انه من بين (١٢٧) فقرة وهي عدد الفقرات المتبقية في الاختبارات الحالية لايوجد الا (١٧) فقرة تتراوح قوة تمييزها من ٣١, ٠ الى ٣٩, ٠ .

٢ — مستوى سهولة — صعوبة الفقرات : باستعراض معاملات الصعوبة نرى انها تتراوح بين (٢١, ٠) و (٨١, ٠) باستثناء الفقرتين الاولى والثانية من اختبار المفاهيم ، حيث كان معاملا صعوبتهما (٩٠, ٠) و (٨٩, ٠) على الترتيب ، ويلاحظ انهما نفس الفقرتين اللتين استبعدتا لضعف قدرتهما على التمييز . وعليه يصبح العدد الكلي لفقرات جميع الاختبارات (١٢٧) فقرة وتكون النهاية العظمى للدرجة الكلية لهذه الاختبارات (١٤٣) درجة . وقد استخدمت قيم معاملات الصعوبة في اعادة ترتيب فقرات الاختبارات بحيث تتدرج من الفقرات السهلة الى الصعبة . كما تم ترتيب اختبارات البطارية تبعاً لمتوسط صعوبة فقراتها ، اي من الاختبارات الاسهل الى الاصعب .

(٣) الثبات : اعتمد الباحثان في حساب معامل ثبات الأختبارات الحالية على طريقة معامل الاتساق الداخلي بأستخدام اسلوب تحليل التباين لدرجات عينة حجمها (١٠٠) طفل أختيرت عشوائياً من العينة الاصلية للاطفال المشخصين . وتتراوح قيم معاملات الاتساق الداخلي بين (٤٠, ٠-٩٩, ٠) وكان هذا المعامل ٠,٧٥ أو أكثر في حالة ستة من الأختبارات ويعود صغر قيمة بعض معاملات الأتساق الداخلي لبعض الأختبارات الى قلة عدد الفقرات التي تتكون منها. ولتوضيح ذلك ، فأنه لو زيد عدد فقرات الأختبار الثاني عشر (١٠اختبار تركيب الأشكال) الى (٦) فقرات بدلا من فقرتين) اي زيد عدد فقراته الى

الثلاثة امثال لأصبح المعامل مساوياً $\frac{٣ \times ٠,٤}{١ + ٢(٠,٤)}$ ــــ ٠,٦٧

غير ان زيادة عدد فقرات بعض الأختبارات الفرعية يتطلب وقتاً اطول في التطبيق. وقد أرتأى الباحثان ان لا تزيد مدة تطبيق الأختبارات جميعها على الطفل الواحد عن (٣٥) دقيقة في المتوسط حتى لا يتعرض الطفل الى الأجهاد والتعب واظهرت نتائج التطبيق الميداني ان مدة تطبيق الأختبارات الحالية على الأطفال المشخصين بطيئي تعلم تتراوح بين (٣٠) دقيقة و(٣٩) دقيقة وبمعدل (٣٥)دقيقة للطفل الواحد.

المعايير : ـ بنيت معايير اختبارات بطارية تشخيص بطيئي التعلم على اساس تصنيف هذه المجموعة الى ثلاث فئات، هي فئة البطء الشديد، وفئة البطء المتوسط ، وفئة البطء الطفيف. وينطلق هذا التصنيف من الأطار النظري للبحث الذي تطرق الى الحالات الثلاثة لبطء التعلم في ضوء العوامل المؤدية الى هذه الظاهرة .

واذا اعتبرنا كل حالة من الحالات السابقة تتدرج في شدتها من الدرجات الواطئة الى الدرجات العالية مروراً بالدرجة المتوسطة، فسوف يكون لدينا تصنيف تساعي يبدأ من التساعي الأول الذي يمثل الحالات التي تتداخل مع فئة الأطفال ضعيفي العقول وتنتهي بالتساعي التاسع الذي يتداخل افراده مع فئة الأطفال العاديين .

في ضوء ماسبق، حسبت المعايير التساعية لدرجات الأختبارات الأثني عشر كل على حدة وفقاً للمساحات المناظرة اسفل التوزيع الطبيعي . وقد اتبع هذا الأجراء في ضوء ماكشف عنه توزيع درجات المشخصين بطيئي التعلم في العينة الكلية للبحث من نسب صغيرة عند طرفي المقياس في كل إختبار على حدة وتمركز نسبة كبيرة من افراد العينة وسط التوزيع مما يجعل التوزيع قريباً من التوزيع الطبيعي وبالتالي امكان حساب المعايير من النسب المئوية للمساحات المناظرة لها اسفل التوزيع الطبيعي كما يتضح من الجدول (١)

الجدول (١)

النسب المئوية للمساحات المناظرة للتساعيات المختلفة اسفل التوزيع الطبيعي .

ترتيب التساعي	١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩
النسبة المئوية للمساحة المناظرة	٤	٧	١٢	١٧	٢٠	١٧	١٢	١	٤

ويوضح الجدولان (٢) و(٣) المعايير التساعية لدرجات الأختبارات الأثني عشر وكذا الدرجات المناظرة لحالات بطء التعلم الثلاثة محسوبة من بيانات العينة الكلية . ويمكن استخدام الجدول (٢) في رسم بروفيل شخصي لكل طفل من الأطفال بطيئي التعلم للتعرف على مواطن الضعف عنده، ومن ثم اختيار الأساليب المناسبة لتدريسه. كما يمكن استخدام الجدول (٣) في التعرف على درجة بطء الطفل في كل من الأختبارات الأثني عشر .

إن اختبارات البطارية الحالية لاتهدف الى قياس مستوى ذكاء الطفل بطيء التعلم لذلك لم توضع معايير للمجموع الكلي للدرجات التي يحصل عليها الطفل في الأختبارات المختلفة للبطارية .فبسبب الأختلاف في عدد فقرات اختبارات البطارية وكذا اختلاف الدرجة المخصصة للفقرة في هذه الأختبارات فأن المجموع الكلي للدرجات التي يحصل عليها احد الأطفال في اختبارات البطارية لايمكن إتخاذها مرجعاً لتشخيص الحالة العامة لمستوى بطء التعلم عند ذلك الطفل .وبدلا من ذلك يمكن تشخيص الحالة العامة للطفل في ضوء التساعيات الممثلة للدرجات التي يحصل عليها الطفل في اختبارات البطارية، وذلك بحساب المتوسط الحسابي لتلك التساعيات للحصول على التساعي المتوسط الذي يمكن تفسيره في ضوء العمود الأخير من الجدول (٢) (يفضل حساب الوسيط في حالة وجود عدد ملحوظ من التساعيات المتطرفة).

الجدول (٤٥)

... التساعية لدرجات اختبارات بطارية تشخيص الأطفال بطيئي التعلم

رقم التساعي	(١) اختبار المفاهيم	(٢) اختبار استيعاب المفاهيم الفقهية	(٣) اختبار المتاهات	(٤) اختبار المتاهات: ذكور	(٤) إناث	(٥) اختبار التتابع	(٦) اختبار الأشكال الناقصة	(٧) اختبار التصنيف	(٨) اختبار التشابه	(٩) اختبار تركيب الأشكال	(١٠) اختبار المفردات المتشابهة	(١١) اختبار الاختلاف	(١٢) اختبار الاستنتاج المنطقي	الحالة التشخيصية
١	أقل من ٥	صفر	صفر	أقل من ٢	أقل من ١	صفر	صفر	صفر	أقل من ٦	صفر	صفر	صفر	صفر	بطيء شديد
٢	٥ - ٧	١	١	٢ - ٣	١ - ٢				٦ - ٨		١	١ - ٢		
٣	٨ - ١٠	٢	٢	٤ - ٧	٣ - ٦	١		١	٩ - ١١	١	٢	٣		
٤	١١	٣	٣	٨ - ١٢	٧ - ٩	٢	١	٢	١٢ - ١٦	٢	٣	٤ - ٥	١	بطيء متوسط
٥	١٢ - ١٣	٤ - ٥	٤	١٣ - ١٤	١٠ - ١١		٢	٣ - ٤	١٧ - ١٩	٣ - ٤	٤	٦ - ٨		
٦	١٤		٥	١٥	١٢		٣	٥	٢٠ - ٢١	٥	٥	٩		
٧	١٥	٦	٦	١٦	١٣	٣	أكثر من ٣	٦	٢٢ - ٢٥	٦	٦	١٠	أكثر من ١	بطيء طفيف
٨	١٦		أكثر من ٦	١٧	١٤ - ١٥			أكثر من ٦	٢٦ - ٢٨		٧	١١ - ١٢		
٩	أكثر من ١٦			أكثر من ١٧	أكثر من ١٥	أكثر من ٣			أكثر من ٢٨	أكثر من ٦	أكثر من ٧	أكثر من ١٢		

الجدول (٤١) درجات اختبارات بطارية بطيئي التعلم المناظرة لحالات بطء التعلم

حالة البطء	(١) اختبار المفاهيم	(٢) اختبار استيعاب المفاهيم اللفظية	(٣) إختبار العلاقات	(٤) إختبار المتاهات: ذكور	(٤) إختبار المتاهات: إناث	(٥) إختبار التتابع	(٦) إختبار الأشكال الناقصة	(٧) إختبار التصنيف	(٨) إختبار التشابه	(٩) إختبار تركيب الأشكال	(١٠) إختبار المصفوفات المتتابعة	(١١) إختبار الاختلاف	(١٢) اختبار الاستنتاج الكمي
شديد	أقل من ١١	أقل من ٢	أقل من ٣	أقل من ٨	أقل من ٧	أقل من ٢	أقل من ١	أقل من ٢	أقل من ١٢	أقل من ٢	أقل من ٢	أقل من ٤	أقل من ١
متوسط	١١ – ١٤	٢ – ٥	٢ – ٥	٨ – ١٥	٧ – ١٢	٢	١ – ٢	٢ – ٥	١٢ – ٢١	٢ – ٥	٢ – ٥	٤ – ٩	١
خفيف	أكثر من ١٤	أكثر من ٥	أكثر من ٥	أكثر من ١٥	أكثر من ١٢	أكثر من ٢	أكثر من ٢	أكثر من ٥	أكثر من ٢١	أكثر من ٥	أكثر من ٥	أكثر من ٩	أكثر من ١

تعليمات حول خطوات تشخيص الطفل بطيء التعلم

بناء على ما مر من تجارب مرحلية وماتمخضت عنه الندوة المشار اليها في متن البحث الحالي والملاحظات التي ابداها بعض المشرفين التربويين من واقع خبرتهم مع بطيئي التعلم، ومن التجربة الأساسية المتعلقة ببناء بطارية تشخيص القدرات العقلية لبطيئي التعلم يوصى بأتباع الأجراءات الآتية عند تشخيص الطفل بطيء التعلم :

١ – تقوم معلمة (أو معلم) الصف الاول العادي بملاحظة التلاميذ والتلميذات خلال النشاط التدريسي للتعرف على التلاميذ أو التلميذات الذين لايتجاوبون مع الأنشطة الصفية، سواء من حيث الأنتباه او الأجابة عن اسئلة المعلمة أو القيام بما يكلفون به داخل الصف. كما تقوم معلمة (أومعلم) الصف الأول الخاص بمعاونة معلمة (أو معلم) الصف العادي في هذه المهمة، على ان تقوم بتسجيل بعض ملاحظاتها الأولية عن هؤلاء التلاميذ .وقد يتطلب الأمر اجراء مقابلات فردية مع هؤلاء التلاميذ للتعرف على احوالهم الأسرية أو مشكلاتهم . وتتطلب هذه المرحلة شهراً من التدريسات الفعلية. ويمكن ان تنظم معلمة (أومعلم) الصف الأول دروسها بحيث تتواجد مع جميع شعب الصف الأول في المدرسة وخلال فترات متساوية من الزمن خلال الشهر المشار اليه.

٢ – تركز معلمة (أو معلم) الصف الخاص على هؤلاء التلاميذ أو التلميذات الذين يتسم سلوكهم غير الطبيعي بدرجة نسبية من الثبات وتبدأ بتدوين ملاحظاتها عن خصائصهم التي اشير اليها سابقاً .كما تقوم بملء السجل الشخصي المعد لهذا الغرض وقد يتطلب الأمر اجراء مقابلات مع أولياء امور هؤلاء التلاميذ أو التلميذات وتتطلب هذه المرحلة شهراً دراسياً آخر .

٣ – يحال التلاميذ أوالتلميذات المشار اليهم في الفقرة السابقة الى الصحة المدرسية لتقدير حالتهم الصحية، بما في ذلك المعوقات البصرية أو السمعية أو أي عيوب في النطق .

٤ – يطبق على التلاميذ أو التلميذات السابق الأشارة اليهم بعض الأختبارات التحصيلية

للتعرف على المستوى الذي وصلوا اليه في المواد الدراسية المختلفة وتدون المعلمة في الوقت نفسه ملاحظاتها في استمارة الملاحظة الاكلينيكية الفردية .

٥ – تطبق بطارية تشخيص القدرات العقلية بصورة فردية وتدون درجة الطفل في كل اختبار فرعي وكذلك درجته الكلية في (استمارة البيانات الخاصة ببطارية تشخيص القدرات العقلية لبطيئي التعلم). ويمكن توضيح كيفية ملء الأستمارة على النحو الاتي: أمام كل أختبار فرعي عدد محدد من الخانات بقدر فقرات ذلك الأختبار . لأختبار المفاهيم، مثلا ،وهو الاول في الترتيب في الأستمارة، هناك(١٨) خانة . وقد حدد في ورقة التعليمات الخاصة بالأختبار درجة واحدة للأجابة الصحيحة وصفر للاجابة الخاطئة. ولذلك يوضع في كل خانة أجاب الطفل عن فقرتها اجابة صحيحة الدرجة (١). وتوضع اشارة (×) في الخانة التي أجيب عن فقرتها بصورة خاطئة للدلالة على (الصفر)، ثم تجمع الدرجات الدالة على الأجابات الصحيحة ، وتوضع الدرجة الكلية في الخانة العريضة الواقعة في نهاية المكان المخصص لكل اختبار فرعي وهكذا يعمل الأجراء نفسه مع الأختبارات الفرعية الأخرى ، مع الأنتباه الى ان الدرجة الدالة على الأجابة الصحيحة في كل اختبار فرعي تتفاوت بين اختبار وآخر، كما هو محدد في التعليمات الخاصة بها.

٦ – يمكن تشخيص بطء التعلم عند الطفل في كل اختبار فرعي وبصورة عامة ، بأتباع الأجراءات التي سبق الأشارة اليها في الحديث عن المعايير والمتعلقة برسم البروفيل الشخصي لدرجات الطفل التي يحصل عليها نتيجة اجابته عن اختبارات البطارية والتي تدون من قبل المعلمة في الأستمارة الخاصة به .

٧ – تقوم معلمة (أو معلم) الصف الأول بكتابة تقرير عن كل طفل من هؤلاء الاطفال يتضمن ملخصاً بالبيانات السابقة، وتحال التقارير مع الأوليات، الى اللجنة المعنية لتقرير تحويلهم الى الصف الأول الخاص أو الى إحدى المؤسسات المناسبة للحالة المشخصة.

مقترحات لبحوث مستقبلية :

في ضوء مافرزته الدراسة الحالية يمكن اقتراح دراسات لاحقة تطور ماحققه البحث الحالي وفي ادناه بعض من هذه المقترحات :

١ ـ اجراء دراسة عاملية تهدف الى التعرف على العوامل (القدرات) التي تتضمنها اختبارات البطارية الحالية .

٢ ـ تطوير اختيارات البطارية الحالية لأستخدامها لذكاء الأطفال المقبولين في الصف الأول الأبتدائي .

٣ ـ القيام بدراسات تجريبية لأختبار طرق التدريس الأمثل لشرائح بطيئي التعلم الممكن فرزهم في ضوء البطارية الحالية .



اسم المدرسة

الاسم :

الجنس : ذكر ☐ انثى ☐

تاريخ الميلاد :

استمارة البيانات الخاصة
ببطارية تشخيص القدرات العقلية
لبطيئي التعلم

اسم المحافظة

مهنة الاب :

مهنة الام :

التحصيل الدراسي للاب :

التحصيل الدراسي للام :

عدد الاخوة : بنين ☐ بنات ☐

عدد غرف المنزل :

الحالة الصحية :

الزمن المستغرق في التطبيق : ( ) دقيقة

	الاختبار	1	2	3	4	5	6	7	8	9	10	11	12	13	14	15	16	17	18	19	20	21	22	23	24	25	26	27	28	29	30
1	اختبار المفاهيم ٢ + ٢ + ٤ + ١ + ١ + ١ + ٢ + ٢ + ٢																														
2	اختبار استيعاب المفاهيم اللفظية (٦)																														
3	اختبار العلاقات (٧)																														
4	اختبار المتاهات (١٠)																														
5	اختبار التتابع (٤)																														
6	اختبار الاشكال الناقصة (٤)																														
7	اختبار التصنيف (٨)																														
8	اختبار التشابه ١٩ + ٤ + ١٠ + ٥																														
9	اختبار تركيب الاشكال (٢)																														
10	اختبار المصفوفات المتتابعة (١٠)																														
11	اختبار الاختلاف (١٧)																														
12	اختبار الاستنتاج الكمي (٣)																														

درجات الاختبارات الفرعية (تملأ من قبل المطبق)

الاختبار	1	2	3	4	5	6	7	8	9	الدرجة الكلية
اختبار المفاهيم										
اختبار التشابه										

الدرجات الطبيعية لاختبارات البطارية						
	1	2	3	4	5	6
	7	8	9	10	11	12

يمكن للمطبق تدوين الملاحظات الاكلينيكية عن التلميذ (التلميذة) في ظهر هذه الصفحة

طريقة ملء خانات الاستمارة من قبل المطبق

(١) تملأ البيانات الاولية من واقع البطاقة المدرسية للتلميذ (التلميذة)

(٢) توضع الدرجة التي يستحقها التلميذ وفقاً لتعليمات تصحيح كل اختبار في الخانة الخاصة بالفقرة، وتوضع اشارة (x) في حالة الاجابة الخاطئة

مكتبتنا العربية

أولا / مصادر بناء بعض جوانب البطارية

Otis, A.S & Lennon, R.T. Otis-Lennon Mental Ability Test. Harcourt Brace Jovanovich, Inc, 1968.

Quinn, Kaye, Reading Readiness: Workbook for School and Home. U.S.A. Enrich, 1982.

Quinn, Kaye. Kindergarten Skills. U.S.A. Enrich, 1982.

Raven's Progressive Matrices, 1938.

Ross, Shirley, Kindergarten Readiness: Workbook for School and Home. U.S.A. Enrich, 1980.

Wechsler, D. wechsler Intelligence Scale for children N.Y: The Psychological Corporation, 1949.

ثانياً / المصادر العامة للبحث

1. Ebel, R.L. Essentials of Educational Measurement. N.J: prentice-Hall 1972.
2. Kephart, N.C. The Slow Learner in the Classroom. Ohio: Merrill Publishing Company, 1971.
3. Ross, A.O. Psychological Aspects of Learning Disabilties & Reading Disorders. N.Y: McGraw-Hill Book Company 1978.

اساليب التنشئة الوالدية وعلاقتها بالثقة بالنفس

الدكتور
محمد مهدي محمود
استاذ مساعد
قسم علم النفس ـ الجامعة المستنصرية

الدكتور
مصطفى محمد عيسى
استاذ مساعد
قسم علم النفس ـ الجامعة المستنصرية

الفصل الأول

الأطار العام للدراسة

الشخصية وتكوينها :

ان الشخصية تكوين كلي متميز يتألف من مجموعة من القدرات والأتجاهات السلوكية التي تكونت واكتملت حتى اصبحت سمات متميزة. وتتخذ هذه السمات اشكالا معينة تبعاً للظروف التي عاشت ضمنها ، فهي لاتتخذ شكلا نهائياً ثابتاً وانما تخضع لعملية تطوير وتعديل.وهذه السمات تتفاعل مع بعضها، فتخضع كل سمة لتأثير السمات الأخرى، وهذا التفاعل التكاملي يستمر طوال الحياة. (٩ ، ص٣) . وان تكوين هذه الشخصية عملية متطورة تنمو بأستمرار تبعاً لعوامل ذاتية فسيولوجية ، وكذلك للظروف والمواقف والخبرات الشخصية،وان حصيلة كل موقف من المواقف يضيف الى وعي الفرد وعياً وصورة عن نفسه وكذلك اتجاهاً نحو هذه المواقف.ورغم تنوع الظروف البيئية المؤثرة في شخصية الفرد،الا ان الخبرات البيتية يبقى لها التأثير الأكبر في نموها،ونعني بالخبرة البيتية الأسرة والتي تعرف بأنها تتكون من مجموعة من الأفراد الذين يرتبطون برباط الدم أو الزواج أو التبني ويعيشون في مكان واحد يتفاعلون بما يلائم أدوارهم الأجتماعية المحددة ويسعون الى المحافظة على النمط الثقافي العام . (١٤،ص٨) ويشير انطون رحمه للاسرة بالمفهوم الأجتماعي انها الجماعة الصغيرة التي تقوم على رابطة القرابة

الدموية وتضم في حالتها الطبيعية، الأبوين واطفالهما فيعيش الجميع حياة مشتركة يكفل بعضهم البعض ويعاون القادر العاجز حتى يمكنه من الحياة (٣، ص ٦٩). انها تعتبر الاداة الوحيدة التي تعمل على تشكيل الطفل ابان حياته الأولى بما يسودها من اتجاهات وقيم وما يقوم فيها من علاقات. وهي توجه نموه حسب الأنماط الثقافية للمجتمع بعد أن تترجمها الى اساليب التنشئة الأجتماعية. وهي تنتقي من التراث الثقافي مايحتويه من ذخر هائل من المعلومات والتقاليد والأتجاهات، وما يحتويه من تباين وتناقض، بما يلائم ظروفها الخاصة وتأريخها وتقاليدها ومكانتها الأجتماعية. كما تعتبر الأسرة من الجماعات المرجعية التي يحدث فيها التفاعل بصورة مباشرة FACE TO FACE، وهو أكثر انواع التفاعل تأثيراً بالفرد، هذا وان لكل جماعة مرجعية تقوم على تعليم الطفل بعض انماط السلوك يعتبر بعضها صحيحاً واخرى تعتبرها «خاطئة» (١٤، ص ٢٦٤).

ان السنين الأولى للطفل التي تعرف بالفترة الحرجة Critical Period يكون فيها الطفل على استعداد لتعلم السلوك الأجتماعي والأنفعالي، ويقوم افراد الأسرة خلال هذه الفترة بتزويده بالدلائل الخارجية الأساسية اللازمة للتكيف وذلك عن طريق عملية التعلم والتقمص. فالاباء على سبيل المثال يقومون بتدعيم استجابات معينة من التي يظهرها الطفل، والأب يفعل ذلك بسرور وانشراح خصوصاً حين تكون هذه الأستجابات تقليداً اسماته هو. ومما يؤسف له ان من الصحيح كذلك، فيما يبدو، ان المخاوف تكتسب عن الأبوين بنفس الصورة، فقد تبين ان هناك ارتباطاً بين طبيعة المخاوف وعددها عند الطفل من ناحية وعند الأبوين من ناحية اخرى. كما وتعتبر عملية تقمص المعتدي واحدة من الممارسات الشائعة عند الطفل. حيث يتقمص انموذجاً يخشاه، لأن هذا يجعله يقف على نفس الجانب او يجعله اقدر على السيطرة وامتلاك القوة ــ في الخيال والأوهام على الأقل ــ ويلاحظ ذلك بسلوك الطفل سلوكاً مشابهاً لسلوك الأب في غيابه، وهذا مايساعده على امتلاك المشاعر السارة التي ارتبطت بخصائص الأب. (٧، ص ١٨٨). وفي الأخير يمكن القول ان الشخصية الأنسانية مجموعة من القدرات والأتجاهات يكتسبها الفرد

خلال حياته بطولها ، وتلعب الأسرة الدور الأكبر في صياغة هذه الشخصية بما تغرسه من قيم وعادات واتجاهات عن طريق التعلم المباشر وعن طريق التقمص الذي يقوم به الطفل لوالديه، وعلى الأخص في السنوات الأولى التي يكون فيها التعلم أكثر ثباتاً.

أثر اساليب التنشئة الوالدية في شخصية الابناء

تشير أغلب الدراسات الى ان لشخصية الابوين واسلوب تربيتهما علاقة كبيرة بخصائص وسمات وشخصية وسلوك الطفل الأنفعالية. وقد وجد ان الأطفال يجعالون من سلوك الكبار الراشدين الذين يحبونهم وخاصة الأبوين انموذجاً يقتدون به ويحاولون تقليده (٥، ص٣٣٤). واشار بروثرو في دراسته عن اساليب التنشئة الأجتماعية في لبنان الى وجود علاقة بين اساليب التنشئة الوالدية والسمات الأنفعالية للابناء. (١٧، ص١٥٨). كما وجدت دراسة اخرى ان الأضطرابات الأنفعالية كالكآبة والقلق والخوف الموجود عند الأبوين أو أحدهما من المحتمل ان تنتقل الى الأبناء فيصابون بعدم الأستقرار الأنفعالي كالحساسية الزائدة والخوف والقلق والأنسحاب من المواقف الأجتماعية (١٨، ص١٤٧) ووجد ايضاً ان الأمهات المسيطرات والراغبات في التحكم واظهار العداوة للغير، يظهر على ابنائهن كثيراً من مظاهر الأضطراب النفسي، كما تبين ان استخدام الوالدين للعقاب يزيد من السلوك العدواني للابن. وفي دراسة اخرى عن اثر العقاب تبين ان تعنيف الأبناء وعقابهم ينمي عندهم مشاعر الخوف وانعدام الآمن النفسي، كما تبين أيضاً انالأطفال الذين يتعرضون الى الحرمان الوالدي يوصف سلوكهم بالسلبية، كما تظهر عليهم علامات السلوك الأنسحابي (٥٩، ص٥). ووجد انطون رحمه في دراسته عن اثر معاملة الوالدين ان الأفراط في القسوة أو اللين قد يؤدي الى تكوين الشعور بالنقص (٣، ص٢٤٤). وفي دراسة تناولت اثر المعاملة الوالدية على جنوح الأحداث اجريت فيمصر، بينت وجود علاقة بين المعاملة القاسية التي يتبعها الوالدان وجنوح الأحداث (١٠، ص٣٠٢) وابدت

هذه النتيجة دراسة اخرى تناولت الموضوع ذاته اجريت في العراق (٨،ص٣). ووجد ايضاً ان استخدام العقاب في المرحلة التي يتمرن فيها الأطفال على العادات السلوكية المرغوبة في الطفولة المبكرة، كثيراً ماتجعلهم ينشأون دائمي الخوف من وخز الضمير وان مغالاة الوالدين في التشرد والأكثار من معاقبة الأطفال، يؤدي الى احدى نتيجتين، اما ان يصبح الطفل عصبياً ثائراً او ان يكون جامداً ميالا لمعاقبة نفسه لدرجة انه لايعمل الا الشيء الذي يعتقد تماماً انه مسموح به، ومثل هذا الطفل تسيطر عليه المخاوف والجبن والصراعات الداخلية، وهو لحرصه الزائد على ان لايقع في الخطأ يكون من الصعب عليه ان يحزم امره في اتجاه معين، فهو يدقق في كل تصرف (٣،ص١٥٢) و لاحظت الدراسات التي تناولت المعاملة الوالدية ان الآباء المسيطرين يميلون الى الأستبداد بالطفل فيقيمون المعايير التي لاتتناسب مع مستوى نضجه ويعمدون الى نقده وعقابه اذا هو عجز عن مواجهة المطالب أوالمقتضيات (٧،ص١٩٧).

ان المعاملة التي تتصف بالنبذ فأنها تصيب الأطفال بصدمة قاسية لأنها تحرمهم من الشعور المريح بالأمن، الذي يستمدونه من ان لهم بيتاً واسرة .

ووجد من الدراسات ان الأطفال المنبوذين تنشأ لهم مشكلات عصبية في الصغر من قبيل التبول اللاارادي وقضم الأظافر وعادات الأكل السيئة والبذاءة في الكلام والقسوة كما ينتشر لديهم سلوك التباهي واجتذاب الأنتباه وانعدام الأستقرار، لدرجة انهم في بعض الأحيان يحتاجون الى رعاية نفسية (٧،ص٢٠٦)، وتبين ايضاً ان المعاملة الوالدية التي تتصف بالنبذ تجعل الأبناء أكثر انطوائية واكثر اتكالية على الغير (٩،ص٥) وفي دراسة اخرى تناولت الأطفال المصابين، تبين منها ان هؤلاء يصفون والديهم بأنهم نابذون لهم ويعاملونهم معاملة سيئة، كما انهم يشعرون بالعداوة والنبذ نحو والديهم (٢،ص٧٩).

اما التنشئة التي تسرف في الحماية والأشفاق الزائد فأن لها آثاراً سلبية أيضاً حيث تجعل الطفل أكثر بحاجة من الطفل العادي، وقد وجد ان اسراف الأمهات في الألتصاق بأطفالهن ومحاولة الأستمرار في رعايتهم بأسلوب يتناسب مع مرحلة من مراحل نموهم

مضت وانقضت، يعوق نضجهم الأجتماعي وتنمية قدرتهم على الأعتماد على الذات ويضيق من دائرتهم الأجتماعية. (٣، ص١٢٦)، ووجد ايضاً ان الحماية الزائدة تجعل الأطفال أكثر خمولا ويخشون النشاط البدني، واقل ابتكاراً واحتلالا للمراكز الأجتماعية يقابل ذلك الأسلوب الديمقراطي في التنشئة، حيث يسود الجو الدافيء بين افراد الأسرة ويشارك الأطفال بأيجابية في اتخاذ القرارات دون خوف أوتهديد، أن هؤلاء الأطفال ينمو لديهم الميل الى الأستطلاع والأبتكار والروح البناءة (٥، ص٧٥) كما ان الوالد المتقبل الذي يعامل الطفل بوصفه شخصاً مستقلا يشارك في شؤون الأسرة. يكون الطفل في هذا الجو سعيداً آمناً متعاوناً ودودا يمكن الأعتماد عليه وقادراً على ان يزن نفسه ويقدرها بطريقة واقعية. كما ان الوالدين المتساهلين والمشجعين لأطفالهم في المواقف التي تدعو لذلك ويجعلون هؤلاء الأطفال في الغالب في وضع يصبحون فيه متعاونين واصحاب قدرة على التصرف ويعتمدون على ذواتهم ومتوافقين اجتماعياً. (٧، ص١٩٧ –٢٠٢). وتشير احدى الدراسات التي تناولت الأنبساط والأنطواء وعلاقته بعملية التنشئة الى ان سمة الأنبساط في شخصية الأبناء ترتبط بالحب الوالدي كما ان تشجيع الوالدين للابناء على تنمية الأستقلال في الفكر والعمل يؤدي الى تكوين خصائص مرغوبة في شخصياتهم كالأستقرار الأنفعالي والكفاءة الذاتية (٩، ص٤–٥).

اما المعاملة المتذبذبة فقد بينت الدراسات ان الأبناء الذين يتعرضون لمثل هذه المعاملة غير المستقرة في الغالب يصابون بالقلق الشديد والخوف والتردد في اتخاذ القرارات، المتعلقة بشؤونهم الشخصية (١٣، ص٢٥٦)، كما اشارت دراسة اخرى الى ان المعاملة الفوضوية التي تتغير من وقت لأخر تؤدي الى الشعور بأنعدام الأمن (٢، ص٢٢).

الثقة بالنفس:

تعرف الثقة بالنفس انها تمثل شعور الفرد بتقبل الأخرين له وكذلك شعوره بالكفاءة والجاذبية والقناعة وعدم التمركز حول الذات.

ويعتبرها جلفورد عاملا من بين (١٣) عاملا تشكل الشخصية ،ويشير الى انها تقع ضمن مجموعة السمات التي تحدد درجة التكامل الديناميكي للشخصية ، كما انها أحدى السمات الأساسية العامة التي لاتقتصر على مجال من مجالات التكيف الأنفعالي أو الأجتماعي بل هي ترتبط بشكل عام، كما انها تعتبر مظهراً للشخصية السوية وعنصراً هاماً في التكيف الفعال (٢ص٢٢).

وقد ربط فلانجان بين الثقة بالنفس وحسن التكيف والأقدام الأجتماعي ،كما ربطت الثقة بالنفس بحاجات الكفاية والامن، وغرس الشعور بالكفاية بان الفرد يحسب نفسه جديراً بالأحترام فهو يقدر نفسه ويثق بها ، وضد هذه الحالة، يسمى الشعور بالنقص وعدم الكفاية، وهي قلة الشعور بالقيمة الشخصية، أواخطاء تقدير الذات (١،ص١٢–١٣) .

ان اهم المكونات الأيجابية للثقة بالنفس، هي النظرة الأيجابية للذات والأعتماد عليها والأطمئنان الى قدراتها في حل المشكلات الحياتية والقدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرار في المواقف التي تتطلب حسماً، كما تتضمن المثابرة والمبادأة والأبتكار والضبط الذاتي والطموح ومستوى عاليا من الدافعية للانجاز (٩،ص٨).

ان البدايات الأولى لنمو الثقة بالنفس أو الأحساس بالنقص، هي الطفولة المبكرة، فالأم التي تقدم الأشباع المستمر والكامل في السنة الأولى للطفل، يولد عنده الثقة بالعالم الخارجي وبعكس ذلك فأن تعثر عملية الرضاعة أو اقترانها بالحرمان والأحباط يؤدي الى توتر الطفل وشعوره بالجوع والى مزيد من عدم الأطمئنان الى عالمه الخارجي المقترن بالقسوة والكره لهذا العالم .

وفي السنة الثانية، حيث يبدأ تدريب الطفل على النظافة فأن اقتران هذه العملية وغيرها بالتقبل والتسامح، يزيد من اطمئنانه وراحته وبالتالي يزيد من شعوره بالثقة بنفسه وبأهله وبعكس ذلك فأن التأنيب والضغط واستعمال القوة وشعور الطفل بأن حاجاته مهددة وغير مقبولة، يزيد من مشاعر الخوف والخجل عنده، فيزيد من تردده ، ويقلل من مبادرته

وثقته بنفسه، لأنها تفقده العفوية والتلقائية، وان عملية تعليم الطفل العادات والقيم الخلقية والدينية أوغرسها من قبل الأهل والكبار في المرحلة التالية حتى سن السادسة، اذا صوحبت بالتساهل والمرونة والتفهم، فأنهم اي الأهل والكبار يساعدون الطفل على ايجاد الحلول لصراعاته التي تنتج عن التناقض بين حاجاته المباشرة وبين ماتضعه هذه القيم من ضوابط وموانع. وبعكس ذلك فأن اشعار الطفل بالذنب وعدم الأطمئنان في عملية التنشئة تجعله يعمم ذلك غالباً على تصرفاته وتجعله اقل اندفاعاً و اكثر انكماشاً امام المبادرة غير المألوفة اما مرحلة الكمون التي تمتد حتى التاسعة، فأن حاجات الطفل الأساسية هي التقبل والتشجيع ومساعدته على تنمية علاقات الصداقة والمشاركة في العمل مع الاقران، كل ذلك يمنح الطفل مزيداً من تأكيد الذات والشعور بالقيمة وتأكيد احترام الذات، وبالعكس فأن التعرض للفشل والأحباط في العمل والدروس اوالمشاركة مع الأقران يشعر الطفل بالضآلة والضعف والدونية، ويشعر بأن الأخرين وكأنهم سدود وعوائق امام مبادراته. (١١، ص٦ـ ١١).

هذا وقد اجريت كثير من الدراسات تناولت الأسباب التي تؤدي الى الأحساس بالنقص الذي يؤدي بدوره الى الأعتمادية، وكذلك اساليب التنشئة التي تؤدي زيادة الثقة بالنفس.

حيث تشير الدراسات الى ان المواقف الغريبة او المثيرة للخوف او تلك التي تستثير القلق وايضاً المواقف التي تثير الألم وحالات المرض والأجهاد تزيد من نزعة السلوك الأعتمادي عند الأفراد، ووجد ايضاً ان الأطفال الذين ينفصلون عن امهاتهم لفترات قصيرة والذين يعتنى بهم اكثر من فرد واحد، والذين يتلقون حماية زائدة يظهر عندهم مثل هذا السلوك (٩، ص٩ـ١١)، كما ان اهمال الوالدين وعدم اتساق المعاملة والصرامة يضعف الثقة بالنفس (رحمه، ص)، وايضاً النواهي المتعددة وقلق الوالدين وانتقاداتهم وتوقعاتهم العالية وعدم فهمهم واحترامهم للطفل يؤدي الى فقدان ثقته بنفسه (٢، ص٢٢).

ان اعطاء قسط من الحرية للطفل للقيام بفعالياته ومنحه الأستقلال في الكثير من شؤونه والأسلوب الديمقراطي في الضبط العائلي والسماح للطفل بأتخاذ القرارات الخاصة به وقيام

الوالدين بتوضيح وتعليل التصرفات التي يقومان بها، وتوضيح جدوى القوانين والأنظمة المطلوب منه الألتزام بها، كل ذلك يزيد من ثقته بنفسه واحساسه بالاحترام لذاته. (٩، ص٩ – ١١) .

تعتبر الثقة بالنفس سمة اساسية وعامة من سمات الشخصية التي ترتبط بمجالات التكيف المختلفة الأنفعالية والأجتماعية ، وبالتالي فأنها تطبع الشخصية بطابعها فنقول هذه الشخصية قليلة الثقة بنفسها ونصفها بالسلبية والتردد والأعتماد وعدم القدرة على حل المشاكل الحياتية ، وعدم القدرة على تحمل المسؤولية واتخاذ القرارات ... الخ . ان هذه الصفات لاتسبب الضرر والآلام للفرد فقط، نتيجة شعوره بالنقص والدونية، وانما تكون لها آثار سلبية على المجتمع. فهذا الشخص من الممكن ان يكون أبا ومنتجاً ، وتزداد الخطورة عندما تسود في المجتمع او في بعض قطاعاته انماط واساليب من التنشئة الأجتماعية داخل الأسرة، تؤدي الى اضعاف الثقة بالنفس مما قد يبرز مظاهر اجتماعية واقتصادية خطرة داخل المجتمع ، كالاتكالية وانخفاض الطموح والمبادأة والأبداع .وعكس ذلك صحيح ، فانتشار اساليب التنشئة التي تزيد الثقة بالنفس، تزيد المظاهر الصحية في المجتمع .

ان الدراسات التي تناولت الثقة بالنفس في العراق قليلة جداً، اوتكاد تكون معدومة، فلم يجد الباحثون اثناء اجراء هذه الدراسة الا مقياساً واحداً لقياس الثقة بالنفس معداً للبنات وقد طبق على مرحلة دراسية. ولذلك فأن هناك اهمية لأجراء الدراسات في هذا الموضوع .

هدف البحث

يهدف البحث الحالي الى مايأتي :–

أولا – التعرف على اساليب التنشئة الوالدية في المناطق الأقتصادية الأجتماعية المختلفة.

ثانياً – التعرف على مستوى الثقة بالنفس بين المراهقين في الصف الثالث المتوسط.

ثالثاً – الكشف عن العلاقة بين اساليب التنشئة الوالدية في المناطق الأقتصادية الأجتماعية المختلفة ومستوى الثقة بالنفس بين طلبة الصف الثالث المتوسط .

حدود الدراسة

اقتصرت الدراسة الحالية على طلبة الصف الثالث المتوسط من البنين والبنات في ثلاث مناطق اقتصادية اجتماعية مختلفة وهي :-

منطقة عالية (المنصور)، ومنطقة متوسطة (شارع فلسطين)، دون المتوسط (مدينة صدام).



الفصل الثاني

منهج البحث

يشمل هذا الفصل على عينة البحث والأدوات وكيفية اعدادها وكيفية تفريغ البيانات والوسائل الأحصائية المستخدمة .

العينة :

اختيرت (٦) مدارس من ثلاث مناطق تمثل مستويات اقتصادية اجتماعية مختلفة، مدرستان من منطقة عالية (المنصور)، ومدرستان من منطقة متوسطة (شارع فلسطين)، ومدرستان من منطقة دون المتوسط (مدينة صدام) .

بلغ عدد افراد العينة (١٦٩) من طلبة الصف الثالث المتوسط ، منهم (٨١) طالباً و(٨٧) طالبة، كما موضح ذلك في الجدول (١).

جدول (١) يبين عدد افراد العينة حسب المنطقة الاقتصادية الاجتماعية والجنس والمدرسة

المنطقة	اسم المدرسة	بنين	بنات	المجموع
منطقة اقتصادية اجتماعية عالية	متوسطة الأنتفاضة للبنين	٢٥		٢٥
	متوسطة ميسلون للبنات		٢٧	٢٧
منطقة اقتصادية اجتماعية متوسطة دون المتوسط	متوسطة القناة للبنين	٣٠		٣٠
	متوسطة القناة للبنات		٣٠	٣٠

تكملة جدول (١)

المنطقة	اسم المدرسة	بنين	بنات	المجموع
منطقة اقتصادية اجتماعية	متوسطة عبد الرحمن للبنين	٢٧		٢٧
منخفضة دون المتوسط	متوسطة عقبة للبنات		٣٠	٣٠

ويتبين من الجدول (٢) ان اغلب تحصيل الاباء يقع بين الأبتدائي والكلية حيث بلغت هذه النسبة ٥٩٪، في حين بلغت هذه النسبة بين الأمهات ٤٧٪ ، وقد بلغت هذه النسبة عند آباء الفئة الأقتصادية الأجتماعية العليا ٨١٪ وآباء الفئة المتوسطة ٧٢٪ وآباء الفئة المنخفضة ٢٦٪. وعند امهات الفئة العليا ٦٥٪ وعند امهات الفئة الوسطى ٥٥٪ وعند امهات الفئة المنخفضة ٢٣٪.

ويبين الجدول (٣) ان اغلب الاباء يشتغلون في المهن الحرة ٣٦٪ وعمال ٢٠٪ . وموظفين ١٤٪. أما الأمهات فأن اغلبهن من ربات البيوت ٨٩٪ . وبلغت نسبة الذين يشتغلون في المهن الحرة من آباء الفئة الأقتصادية الأجتماعية العليا ٤٨٪ ونسبة العمال ٣٪ ونسبة الموظفين ١٢٪ وبلغت هذه النسب في الفئة الوسطى ٥٠٪ من المهن الحرة و٢٥٪ من الموظفين. و٥٪ من العمال، وبلغت هذه النسب في الفئة الأقتصادية الأجتماعية دون المتوسط ٩٪ من اصحاب المهن الحرة و٥١٪ من العمال و٥٪ من الموظفين .

جدول (٢) يبين تحصيل آباء عينة الطلبة حسب الجنس والمنطقة الأقتصادية الأجتماعية

المنطقة	الجنس	تحصيل الاباء: لا يقرأ ولا يكتب	يقرأ ويكتب	ابتدائي	ثانوي	كلية	شهادة عالية	المجموع	تحصيل الامهات: لا تقرأ ولا تكتب	تقرأ وتكتب	ابتدائي	ثانوي	كلية	شهادة عالية	المجموع
منطقة اقتصادية اجتماعية عالية	بنين	—	١	٥	٧	١١	١	٢٥	٥	٢	٤	١٠	٤	—	٢٥
	بنات	٥	٢	١	١١	٧	١	٢٧	١٠	١	٣	١٠	٣	—	٢٧
منطقة اقتصادية اجتماعية متوسطة	بنين	٦	١٠	٧	٥	٢	—	٣٠	١٣	٦	٧	٤	—	—	٣٠
	بنات	—	١	٨	١٦	٥	—	٣٠	٧	١	١٠	١٢	—	—	٣٠
منطقة اجتماعية منخفضة دون المتوسط	بنين	٢٠	٢	٤	١	—	—	٢٧	٢٤	٢	١	—	—	—	٢٧
	بنات	١٥	٥	٩	١	—	—	٣٠	١٥	٣	١٢	—	—	—	٣٠
المجموع		٤٦	٢١	٣٤	٤١	٢٥	٢	١٦٩	٧٤	١٥	٣٧	٣٦	٧	—	١٦٩

	مهن الآباء									مهن الامهات							
	متقاعد	مهنة حرة	عسكري	عامل	متوفى	موظف	طبيب	مدرس	المجموع	ربة بيت	معلمة	مدرسة	محامية	متوفاة	ممرضة	عاملة	المجموع
منطقة اقتصادية اجتماعية عالية بنين	٢	٨	٣	٢	٢	٤	١	٣	٢٥	٢١	٢	٢	—	—	—	—	٢٥
بنات	٥	١٧			١	٢	—	٢	٢٧	٢٠	٤	١	١	١	—	—	٢٧
منطقة اقتصادية اجتماعية متوسطة بنين	٢	١٨	١	٢	١	٤	—	٢	٣٠	٣٠	—	—	—	—	—	—	٣٠
بنات		١٢	٢	١	٢	١١	—	٢	٣٠	٢٥	٤	—	—	—	١	—	٣٠
منطقة اقتصادية اجتماعية منخفضة بنين	٤		٢	١٤	٥	٢	—	—	٢٧	٢٧	—	—	—	—	—	—	٢٧
بنات	٢	٥	٥	١٥	٢	١	—	—	٣٠	٢٧						٣	٣٠
المجموع ١	١٥	٦٠	١٣	٣٤	١٣	٢٤	١	٩	١٦٩	١٥٠	١٠	٣	١	١	١	٣	١٦٩

أدوات البحث :

لما كان البحث يرمي الى التعرف على اساليب المعاملة التي يتبعها الوالدان في معاملة ابنائهم الطلبة وكذلك مستويات الثقة بالنفس لدى هؤلاء الطلبة واخيراً قياس العلاقة الأرتباطية بينهما ، فقد تطلب ذلك اعداد أداتين مختلفتين من ادوات البحث هما :

أولا : استبيان عن اساليب المعاملة التي يتبعها الوالدان في معاملة ابنائهم الطلبة

بعد الأطلاع على بعض الأستبيانات التي أكدت لنفس الغرض (*)، وبعد عقد عدة أجتماعات متتالية من قبل القائمين بالبحث تم اعداد الأستبيان (صورته النهائية ملحق رقم ١ (**) وقد تم ذلك وفقاً للخطوات التالية :ـ

١ ـ بدىء بجمع لأساليب المعاملة التي يتبعها الاباء في معاملة ابنائهم من الدراسات السابقة والخبرات الشخصية وانتهى هذا المسح الى اعتماد خمسة اساليب للدراسة وهي :ـ

آ ـ الأسلوب التسلطي :ـ ومن خصائص هذا الأسلوب اتباع الوالدين لأساليب ترهب الطفل، وبعدم تحقيق مطاليبه وتقييد حريته ونقده المستمر، ويتجلى كذلك بالزجر والتهديد بالعقاب البدني اوالعقاب البدني الفعلي بأدوات أو وسائل مختلفة .

ب ـ اسلوب الرعاية الزائدة : ـ ويقصد به التساهل مع الطفل والتفاني في تلبية مطاليبه وعدم تقييد حريته والأمتناع عن معاقبته وتبرير اعماله الخاطئة .

جـ ـ اسلوب الأهمال في المعاملة : ـ ويتضح في عدم رعاية الطفل اوالسهر على راحته وحمايته ، اوعدم الأكتراث لحاجاته الضرورية وتركه وشأنه .

د ـ الأسلوب الديمقراطي : ـ ويتجلى في رعاية الطفل وملاحظة سلوكه والتفاهم معه حول هذا السلوك تفاهما مصحوبا بالمحبة والحنان ، ومحاولة تبصيره بالصالح من الأعمال والمضر منها .

---

*(١) سعدي موسى لفتة ، معاملة الوالدين وعلاقتها بجنوح ابنائهم . رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية في جامعة بغداد ١٩٧٣ .

(٢) بتول غزال سعيد ، أساليب التنشئة الاجتماعية وعلاقتها بمستوى تعليم الابوين ، رسالة ماجستير ، مقدمة الى كلية التربية في جامعة بغداد ١٩٧٣ .

(**) شارك في وضع الاستبيان الدكتور زكريا زكي اثناسيوس

هـ — الذبذبة في المعاملة : — ويقصد بها عدم اتباع اي من الأساليب الأربعة السابقة بصورة واضحة وثابتة بل يتجلى في التذبذب بين التسلط والأهمال احيانا وبين التسلط والرعاية الزائدة احياناً اخرى وبين التسلط والديمقراطية تارة اخرى ، اوبين الأهمال ، والرعاية الزائدة اوالأهمال والديمقراطية واخيراً بين الحماية والديمقراطية .

٢ — اشتمل الأستبيان على اربع وعشرين فقرة تمثل مواقف سلوكية هناك احتمال كبير ان يكون كل طالب قد مرّ بها .

٣ — وضعت سبع اجابات ست منها تمثل سلوك الوالدين المحتمل .

في المواقف الواردة في الفقرة (٢)او اساليب التنشئة الوالدية المحتملة والأجابة السابعة كانت عبارة « اي اسلوب أخر » وذلك لتغطية احتمال وجود اساليب اخرى لم ترد في الأجابات الست السابقة .

ثبات الأستبيان :

استخدمت طريقة اعادة الأختبار TEST – RETEST لقياس ثبات الأستبيان وعلى عينة مكونة من ٥٧ طالبا وطالبة (٣٠ طالبة و٢٧ طالباً). طبق الأستبيان مرتين وكانت الفترة الزمنية بينهما (١٤) يوماً .ولدى تفريغ بيانات الأستبيان كان لكل طالب وفي كل تطبيق اربع درجات تبين مدى استخدام الوالدين لاساليب المعاملة الأربعة والأسلوب الديمقراطي والتسلطي والأهمال والرعاية الزائدة .ثم حسبت معاملات الأرتباط (بيرسن) بين درجات الطلبة على الأساليب الأربعة لمربي التطبيق لكل من الذكور والأناث ولكليهما معاً .

والجدول التالي يوضح معاملات الأرتباط هذه .

جدول رقم (٤)

معاملات ثبات استبيان اساليب المعاملة التي يتبعها الوالدان مع ابنائهم الطلبة حسب الجنس ولكلا الجنسين

اسلوب المعاملة / الجنس	التسلطي	الديمقراطي	الأهمال	الرعاية الزائدة
أناث	٠,٦٤	٠,٧٥	٠,٨١	٠,٦٧
ذكور	٠,٦٤	٠,٤	٠,٧٠	٠,٤٠
ذكور واناث	٠,٦٦	٠,٧٦	٠,٧٦	٠,٥٢

يتضح من الجدول رقم (١) ان معاملات الثبات (ارتباط بيرسن) عالية نسبيا بدرجة تجعل هذه الأداة صالحة للبحث . ولعل ذلك الجزء من الأستبيان المتعلق بأسلوب التدليل والرعاية الزائدة هو الذي حصل على اقل معامل ثبات وقدرة ٠,٥٢ ولعل السبب في ذلك يعزى الى عينة الذكور من الطلبة والذي كان معامل ثبات الأستبيان عليهم ٠,٤٠ فقط .

ويرى نتلي (١٦ ، ص٨٨) ان معاملات ثبات الأختبارات والمقاييس النفسية لاتكون دوما عالية مقارنة بغيرها من الأختبارات .

تفريغ بيانات الأستبيان

لما كان الأستبيان يحتوي على ٢٤ فقرة ، وكل فقرة احتوت على ثلاثة من اربعة اساليب معاملة بصورة منفردة ، وكذلك ثلاثة ازواج لثلاثة اساليب من الأساليب الأربعة ايضـــاً وبذلك فقد احتوى الأستبيان كله على :

٢٤ × ٣ = ٧٢ أجابة منفردة تخص اربعة اساليب

٧٢ ÷ ٤ = ١٨ أجابة منفردة اي ان كل اسلوب تكرر بصورة منفردة في ١٨ صورة .

وكذلك احتوى الاستبيان على :

٢٤×٣=٧٢ إجابة مزدوجة تخص كل اجابة اسلوبين من اساليب المعاملة الأربعة .

٧٢÷ ٤=١٨ إجابة مزدوجة لكل اسلوب .

وكل اجابة منفردة اعطيت لها درجتان . وكل اجابة مزدوجة اعطت لها درجتان ايضاً ولكن الأخيرة تقسم درجة لكل اسلوب ، وبالتالي يصبح للطالب (٤٨) درجة اذا اجاب على جميع فقرات الأستبيان .

ثانيا : — مقياس الثقة بالنفس

استعان البحث الحالي بمقياس الثقة بالنفس الذي اعده الدكتور العادل محمد ابو علام على طالبات المرحلة الثانوية في مدينة بغداد . وقد اعد الدكتور العادل محمد ابو علام صورتين من المقياس الصورة أ والصورة ب وكل من الصورتين يتكون من ٤٠ فقرة بعضها سلبي والأخر ايجابي . ومن الجدير بالذكر ان الخصائص السيكومترية (الصدق والثبات) لهذا المقياس كما حسبها معد المقياس دللت على صلاحية المقياس للاستعمال (ملحق رقم ٢) .

كانت الأجابة عن كل فقرة باختيار بديل من بديلين هما نعم، لا حسب انطباق تلك الفقرة على المجيب .

تفريغ بيانات المقياس : —

لما كانت بعض فقرات الأستبيان ذات طبيعة ايجابية والبعض الآخر ذات طبيعة سلبية فقد اعطيت درجة واحدة في حالة الأجابة بنعم للفقرة الأيجابية وكذلك درجة واحدة في حالة الأجابة بلا للفقرة السلبية واعطيت درجة صفر للفقرة الأيجابية التي اجيب عنها بلا او الفقرة السلبية التي اجيب عنها بنعم . وبذلك تكون الدرجة القصوى التي يحصل عليها

الطالب على هذا المقياس (٤٠) درجة في حالة اجابته « بنعم » لكافة الفقرات الأيجابية و«لا » لكافة الفقرات السلبية .

الوسائل الاحصائية : –

استخدم معامل الأرتباط بيرسن لحساب ثبات اساليب المعاملة المختلفة التي يتبعها الوالدان مع ابنائهم ، كما استخدم لايجاد العلاقة بين اساليب التنشئة المختلفة والثقة بالنفس واستخرجت دلالة معاملات الأرتباط من الجداول الأحصائية .



الفصل الثالث

نتائج البحث

اساليب التنشئة الشائعة :

ان الشائع عن اسلوب التنشئة الوالدية في العراق هو الأسلوب التسلطي الذي يفرض فيه الأب بالذات اكثر من الأم ، اراءه ومعتقداته ، ويتحكم في اتخاذ القرارات نيابة عن الأبناء وحتى عن الزوجة في كثير من الأحيان ، وقلما يتنازل الأب عن هذه الحقوق انه في الغالب يميل الى ان يغرس في ذهن الأبن ماتعلمه من قيم وعادات اكتسبها من أبيه عندما كان طفلا ، وهو يتبع للوصول الى هذا الهدف نفس الأساليب التي استعملت معه ، وأن التغيير ان وجد في اساليب التنشئة يكون تغييراً بسيطا كأن تتغير وسيلة العقاب من العصا (الخيزرانة) التي كان يحتفظ بها الأب في البيت سابقاً الى استخدام اليد فقط اوتتغير تعابير العقاب اللفظي من الأسلوب المباشر الى الأسلوب غير المباشر .. الخ. ويشير المختصون في علم الأجتماع الى ان الأب العراقي هـو أب شرقي بمواصفاته المعروفه وان التغيير الذي حصل في بعض الجوانب الشكلية . ولكن نتائج الدراسة الحالية كما يوضحها الجدول (٥) الذي يبين اساليب التنشئة التي يستخدمها والد الطلبة في تربيتهـم تشير الى شيء يختلف الى حد ما عن الأعتقاد الذي تقدم . فاغلب الطلبة اكدوا على ان الأسلوب الديمقراطي يستخدم كثيراً معهم او ان استجابات الوالدين في المتوسط هي ديمقراطية اثناء تعاملهم مع ابنائهم ولو جمعنا الذين ذكروا بأن هذا الأسلوب يستخدم معهم بشكل كبير والذين ذكروا انه يستخدم معهم بشكل متوسط فأن النسبة تصل الى أكثر من ٩٦٪ في حين ان اغلب العينة اشارت الى ان الأسلوب التسلطي وكذلك الأهمال او اسلوب الرعاية الزائدة يستخدم معها بشكل قليل جداً . ورغم ان هذه النتيجة لها مـا يؤيدها في دراسة اجريت في مدينة الموصل عام ١٩٨١ ، حيث بينت ان النصح والأرشاد والتشجيع هي اكثر الأساليب استخداما في عملية التنشئة بين الأباء والأمهات (بتول غزال سعيد ٧٥ ـ ٧٩) .

ورغم ان هناك تغيرات كثيرة حدثت في العقد الأخير شملت المجال الأقتصادي والأجتماعي والتي لابد انها انعكست على بناء الأسرة والأساليب التي تستخدمها في عملية التنشئة الا أننا ينبغي ان نكون حذرين في تعميم هذه النتيجة ، لان العينة رغم شمولهـا لمستويات اقتصادية واجتماعية مختلفة ، الا أنها في جدول(٥) تبين اساليب التنشئة كما يستخدمها الوالدان ومستوى استخدامها مع طلبة الصف الثالث المتوسط .

اساليب التنشئة	مستوى وجود اسلوب التنشئة*					
	الى حد كبير		الى حد متوسط		الى حد قليل	
	بنين	بنات	بنين	بنات	بنين	بنات
ديمقراطي	٤٥	٣٨	٤٠	٣٩	—	٧
متسلط	—	—	٣	٦	٨٢	٧٨
اهمال	—	—	—	—	٨٥	٨٤
الرعاية الزائدة	—	—	١	١	٨٤	٨٣

النهاية تمثل مدينة بغداد ، وهذه المدينة من الصعب التعميم منها على باقي انحاء العراق ، لما تحتويه من كثير من الخصوصيات ، يجعلها اكثر تطوراً في المجالات المختلفة الأقتصادية والأجتماعية ، وانها الأسرع في التغيير من باقي انحاء العراق .

(*) ان الدرجة القصوى التي يحصل عليها كل اسلوب بحيث نقول ان الوالدين ديمقراطيان في كل علاقتهما مع الطفل مثلا هي (٤٨) ، وتوزعت الدرجة حسب المستويات الى مايأتي —
يستخدم الاسلوب الى حد كبير : ٤٨—٣٣
يستخدم الاسلوب الى حد متوسط : ٣٢—١٧ .
يستخدم الاسلوب الى حد قليل : ١٦ فما دون .

كما ينبغي ان نتنبه لنقطة مهمة وهي ان عينة الدراسة الحالية من المراهقين ، والمعروف ان الأباء يلجأون للتعامل مع المراهقين بشيء من التساهل اكثر من الأطفال ، ونجد هذا الأختلاف في اسلوب المعاملة بين الطفل والمراهق في الأمثال الشعبية« اذا كبر ابنك صادقه او خاويه» لذلك فان هذه النتائج قد تصلح للتعميم على تنشئة المراهقين اكثر من الأطفال كما تبين النتائج وجود تقارب في مستوى استخدام اساليب التنشئة بين البنين والبنات .

الثقة بالنفس وعلاقتها باسالب التنشئة :

اما مستوى الثقة بالنفس ، وكما يتبين من الجدول (٦) فأنها بصورة عامة متوسطة سواء عند البنين اوالبنات ،فقد اظهرت النتائج ان ٧١،٧٪ من البنين و ٧٨،٦ ٪ من البنات حصلوا على درجات تقع بين (٢٧ — ١٤) في مقياس الثقة بالنفس ،وان ١٧،٦٪ من البنين ومثلها تقريباً عند البنات حصلوا على درجات تقع بين (٤٠) وهي الدرجة القصوى و (٢٧) في حين لم يحصل على مستوى ضعيف على هذا المقياس الا ١٠،٦ ٪عند البنين ، ٤ ٪ عند البنات ، وهذه النتائج تنسجم الى حد كبير مع نتائج اساليب التنشئة التي ظهرت في الجدول السابق . فالاسلوب الديمقراطي في التنشئة يزيد من الثقة بالنفس .

جدول (٦) يبين مستويات الثقة بالنفس عندطلبة الصف الثالث متوسط في المناطق الاقتصادية الاجتماعية المختلفة

الجنس	مستويات الثقة بالنفس *					
	ثقة عالية	النسبة	ثقة متوسطة	النسبة	ثقة ضعيفة	النسبة
بنين	١٥	١٧،٦٪	٦١	٧١،٧٪	٩	١٠،٦٪
بنات	١٥	١٧،٩٪	٦٦	٧٨،٦٪	٣	٤ ٪

ومايؤيد هذا الأستنتاج النتائج التي ظهرت عند ايجاد الأرتباط بين اساليب التنشئة المختلفة ومستوى الثقة بالنفس ، حيث تبين كما موضح ذلك في الجدول (٧) ؛ وجود علاقة ايجابية (٣٠و٠) دالة عند مستوى (٠,٠١) ، بين الأسلوب الديمقراطي ، والثقة بالنفس . وهذه النتيجة تشير الى ان هذا الأسلوب في التنشئة يؤدي الى زيادة الثقة بالنفس لان التنشئة متغير اومجموعة متغيبرات سابقة على ظهور الثقة بالنفس وهذه النتيجة تؤيدها الدراسات التي جاءت في الأطار النظري ، حيث تشير الى ان اعطاء قسط من الحرية للطفل للقيام بفعالياته ومنحه الأستقلال في الكثير من شؤونه والأسلوب الديمقراطي في الضبط العائلي والسماح للطفل بأتخاذ القرارات الخاصة به ، وقيام الوالدين بتوضيح وتعليل التصرفات التي يقومان بها ، وتوضيح جدوى القوانين والأنظمة المطلوب منه الألتزام بها ، كل ذلك يزيد من ثقته واحساسه بالاحترام لذاته (٩ ، ص ٩ — ١١) .

جدول (٧) يبين العلاقة الأرتباطية بين اساليب التنشئة الوالدية والثقة بالنفس بين طلبة الصف الثالث متوسط في المناطق الأقتصادية الأجتماعية المختلفة.

العلاقة	منطقة اقتصادية اجتماعية					
الأرتباطية	بنين	مستوى الدلالة	بنات	مستوى الدلالة	المجموع	مستوى الدلالة
الديمقراطيةوالثقة	٠,٣٦	٠,٠١	٠,٢٧٠	٠,٠٥	٠,٣٠	٠,٠١
التسلطية والثقة	— ٠,٣٨	٠,٠١	— ٠,١٥	غير دالة	— ٠,٢٦	٠,١
الأهمال والثقة	— ٠,٣١	٠,٠٥	— ٠,٣٧	٠,٠١	— ٠,٣٣	٠,٠١
الرعاية الزائدة	٠,٠٧٦	غير دالة	— ٠,٠٢٥	غير دالة	٠,٠٢١	غير دالة

(*) الدرجة الكلية لمقياس الثقة بالنفس (٤٠) درجة .

— اعتبر القائمون بالدراسة الدرجة من ٤٠—٢٨ مستوى عال من الثقة .

— اعتبر القائمون بالدراسة الدرجة من ٢٧—١٤ مستوى متوسط من الثقة .

— اعتبر القائمون بالدراسة الدرجة من ١٣— فما دون مستوى منخفض من الثقة .

كما اظهرت النتائج ان هناك علاقه سلبية دالة عند مستوى ٠,٠١ بين الأسلوب التسلطي والثقة بالنفس (=٠,٢٦ واسلوب الأهمال والثقة بالنفس(ر =-٠,٣٣)وهذا الأرتباط يعني ان الثقة بالنفس ينخفض مستواها عند استخدام كل من هذين الأسلوبين وهذه النتيجة لها ما يؤيدها في الأدبيات التي وردت في الأطار العام ايضاً ، حيث ان الأوامر والنواهي الكثيرة، وقلق الوالدين وانتقاداتهم وتوقعاتهم العالية وعدم فهم الطفل وعدم احترامه تؤدي الى ان يفقد ثقة بنفسه (٢ ،ص٢٢)، كما اشارت دراسة انطون رحمه الى ان اهمال الطفل من قبل الوالدين وعدم اتساق المعاملة والصرامة يضعف الثقة بالنفس .في حين اظهرت النتائج علاقة غير دالة عند (ز= ٠,٠٢١)بين الرعاية الزائدة والثقة بالنفس ،ورغم ان القائمين بالدراسة لم يطلعوا على أدبيات تشير الى عدم وجود علاقة بين الرعاية الزائدة والثقة بالنفس ، الاان أحدى الدراسات اشارت الى ان الذين يفصلون عن امهاتهم لفترات قصيرة ، وكذلك الذين يعتنى بهم اكثر من واحد والذين يلقون حماية زائدة يظهر عندهم نزعة الى السلوك الأعتمادي (٩ ، ص٩ — ١١) .

ان ظهور هذه النتيجة قد يعود الى ان الرعاية الزائدة تحتوي على مجموعتين من المتغيرات الأولى تزيد الثقة بالنفس كأشباع الحاجات وخفض الحرمان والتقبل ، ومتغيرات اخرى تخفض الثقة بالنفس كالاعتمادية اوالأتكالية وقلة الفرص لاتخاذ القرارات الخاصة بالفرد هذا التناقض جعل الأرتباط ضعيفاً .

اساليب التنشئة في المستويات الأقتصادية الاجتماعية المختلفة:

تشير كثير من الدراسات والأدبيات العربية والأجنبية الى اختلاف اساليب التنشئة بين الفئات الأقتصادية الأجتماعية . وهي تشير في الغالب الى ان الفئة الأقتصادية الأجتماعية العليا تميل الى التساهل في المعاملة الوالدية، وتسود الديمقراطية الجو العائلي،وان العقاب لا يستخدم الا قليلا . وان الفئة الوسطى في الغالب تستخدم النصح والأرشاد عند تنشئة ابنائها ، وهي حريصة وقلقة على مستقبلهم ، لذلك ترسم الخطط لهذا المستقبل وهي تبذل جهداً كبيراً لتحقيقه . وهي تشدد في عملية التنشئة على الألتزام بالقيم السائدة والمعايير

الأجتماعية المقبولة وخاصة تلك التي تكسب الأحترام في المحيط الأجتماعي ، ورغـم ان هذه الفئة اقل ميلا لاستخدام العقاب البدني،الا أنها في الواقع تلجأ الى التهديد المتضمن معاني التحريم ، وذلك عن طريق اثارة القلق والشعور بالتهديد بالحرمان من العطف ، والتخويف بشتى انواع الأثار السلبية التي يمكن ان تقع على الطفل مستقبلا . في حين ان الوالدين في الفئة الأقتصادية الأجتماعية المنخفضة ، اكثر ميلا لاستخدام العقاب البدني ، الذي يعتبر استجابة اولية بدائية وتلقائية للاحباط الذي يصاب به الوالدان عندما يشعران ان الأبناء يخالفون اوامرهم ويخرجون عن طاعتهم . (*)

ان الدراسة الحالية تختلف في بعض نتائجها عما تقدم ، فالجداول الثلاثة (٨،٩،١٠) تبين ان الوالدين في الفئات الأقتصادية الأجتماعية المختلفة التي غطتها الدراسة تميل اكثر الى استخدام الأسلوب الديمقراطي من الأسلوب التسلطي او الأهمال او الرعاية الزائدة والمتوقع في ضوء الدراسات والأدبيات السابقة ان تكون الفئة الأقتصادية الأجتماعية المنخفضة اكثر ميلا لاستخدام الأسلوب التسلطي ، ولكن النتائج بينت خلاف ذلك . وقد يكون تفسير ذلك يعود الى :

(*) للمزيد من الاطلاع على اساليب التنشئة بين الفئات الاقتصادية الاجتماعية المختلفة يمكن الرجوع الى المصادر الآتية :—

١— نجيب اسكندر ابراهيم ، محمد عماد الدين اسماعيل ، الاتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٥٩ .

٢— أنطون رحمة ، أثر المعاملة الوالدية في تكوين الشخصية ، مطبعة دار الحياة دمشق .

(3) Peter L. Berger and Thomas Lukman . *The Social Construction Of Reality*, Penguin Books: England, 1967.

(4) Edward E. Sampson. *Social Psychology and Contemporary-Society* . Second Edition, New York, 1976.

جدول (٨) يبين اساليب التنشئة كما يستخدمها الوالدان ومستوى استخدامها مع طلبة الصف الثالث متوسط في منطقة اقتصادية اجتماعية عالية .

اساليب التنشئة	مدى استخدام اسلوب التنشئة											
	الى حد كبير				الى حد متوسط				الى حد قليل			
	بنين	النسبة	البنات	النسبة	بنين	النسبة	البنات	النسبة	بنين	النسبة	البنات	النسبة
ديمقراطي	١٧	٦٨٪	١٢	٤٤٪	٨	٣٢٪	١٢	٤٤٪	—	—	٣	١١٪
متسلط	—		—		١	٤٪	٣	١١٪	٢٤	٩٦٪	٢٤	٨٩٪
اهمال	—		—		—		—		٢٥	١٠٠٪	٢٧	١٠٠٪
الرعاية الزائدة	—		—		١	٤٪	١	٤٪	٢٤	٩٦٪	٢٦	٩٦٪

جدول (٩) يبين اساليب التنشئة كما يستخدمها الوالدان ومستوى استخدامها مع طلبة الصف الثالث متوسط في منطقة اقتصادية اجتماعية عالية .

متوسطة

اساليب التنشئة	مستويات وجود اسلوب التنشئة											
	الى حد كبير				الى حد متوسط				الى حد قليل			
	بنين	النسبة	البنات	النسبة	بنين	النسبة	البنات	النسبة	بنين	النسبة	البنات	النسبة
ديمقراطي	٨	٢٧٪	١٨	٦٠٪	٢٢	٧٣٪	١١	٣٧٪	—	—	١	٣٪
متسلط	—	—	—	—	٢	٦٪	—	—	٢٨	٩٣٪	٣٠	١٠٠٪
اهمال	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٠	١٠٠٪	٣٠	١٠٠٪
الرعاية الزائدة	—	—	—	—	—	—	—	—	٣٠	١٠٠٪	٣٠	١٠٠٪

جدول (١٠) يبين اساليب التنشئة كما يستخدمها الوالدان ومستوى استخدامها مع طلبة الصف الثالث المتوسط في منطقة اقتصادية اجتماعية منخفضة .

	مستويات وجود اسلوب التنشئة											
اساليب التنشئة	الى حـد كبيـر				الى حد متوسط				الى حد قليل			
ديمقراطي	بنين	النسبة	بنات	النسبة	بنين	النسبة	بنات	النسبة	بنين	النسبة	بنات	النسبة
متسلط	٢٠	٦٧٪	٨	٣٠٪	١٠٠	٣٣٪	١٦	٥٩٪	—	—	٣	١١٪
اهمال	—		—		—	—	٣	١١٪	٣٠	١٠٠٪	٢٤	٨٩٪
الرعاية الزائدة	—		—		—	—	—	—	٣٠	١٠٠٪	٢٧	١٠٠٪
	—		—		—	—	—	—	٣٠	١٠٠٪	٢٧	١٠٠٪

اولا : — التغيرات التي حصلت في العقد الأخير وبالاخص التغيير في توزيع الثروة الوطنية حيث حصلت هـذه الفئـة علـى حصة لابأس بهـا غيرت الى حد كبير مـن وضعها الأقتصادي وماصاحب من زيادة ميل هذه الفئة الى التمتع بالحياة من سكن جيد وتعليم وسفر خارج العراق والحصول على التلفزيون والهاتف .... الخ ، وهذا يزيـد بطبيعة الحال من ميل هذه الفئة الى التقرب أكثر لمعايير وقيم الحضارة السائدة وبالأخص المعايير التربوية في التنشئة .

ثانياً : — ان عينة هذه الفئة التي شملتها الدراسة كانت من مدينـة صدام، وان الأبناء في هذه المدينة وبالأخص المراهقون يزاولون العمل ويساهمون في دخل الأسرة وهذا العمل ومايدره من مال يجعلهم يميلون الى الأستقلال في وقت مبكر، وهم في الغالب يطالبون بأن يعاملوا معاملة الكبار ماداموا يشاركونهم الكسب واعالة الأسرة .

كما تبين النتائج ان الفئات الأقتصادية والأجتماعية الثلاث تستخدم اسلوب الأهمـال في التنشئة بصورة قليلة، ورغم انه لا يجوز مقارنة نسبة استخدام هذا الأسلوب فـي المجتمعات الأخرى، ولكن تفسير انخفاض استخدام هذا الأسلوب في العراق قد يعود الى ان الأسرة العراقية يلاحظ عليها التماسك، وان العلاقة بين افرادها قوية فهي في هذا الجانب اقرب الى العائلـة في المجتمعـات الزراعيـة. ويتبين ايضا ان اسلوب الرعاية الزائدة هو الاخر يستخدم بصورة قليلة في عملية التنشئة ، وقد يعود ذلك الى ان تدليل الأطفال أصبح قيمة اجتماعية غير مرغوبة. وكثيراً ماتسمع عبارة(لاتدلل ابنك واجعله يعتمد على نفسه) وان (الأب لايدوم لأبنه) .. الخ عندما يشاهد الوالدان يستخدمان هذا الأسلوب.وتبين النتائج انه رغم ان الأسلوب الديمقراطي هو الأكثر استخداماً بين الأساليب،الا ان البنين يستخدم معهم أكثر من البنات خاصة بين الفئة الأقتصادية الأجتماعية المنخفضة،وقد يعود ذلك الى ان المرأة رغم التغييرات التي حصلت لصالحها الا انهـا مازالت في هذه الفئة تعامل دون الولد .

الثقة بالنفس في المستويات الأقتصادية الأجتماعية المختلفة :

يبين الجدول (١١) ان مستوى الثقة بالنفس أكثر من متوسط بين ابناء الفئات الأقتصادية

جدول (١١) يبين مستويات الثقة بالنفس عند طلبة الصف الثالث المتوسط في المناطق الأقتصادية الأجتماعية العالية والمتوسطة والمنخفضة وحسب الجنس

	منطقة اقتصادية اجتماعية عالية						منطقة اقتصادية اجتماعية متوسطة	
	ثقة عالية		ثقة متوسطة		ثقة ضعيفة		ثقة عالية	
	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
بنين	١١	٤٤ ٪	١٤	٥٦ ٪			٣	١٥ ٪
بنات	٦	٢٢ ٪	٢١	٧٣ ٪			٥	١٧ ٪

الأجتماعية المختلفة – العالية والمتوسطة والمنخفضة– وهذا ينسجم مع اساليب التنشئة فأستخدام الأسلوب الديمقراطي يزيد الى حد ما من الثقة بالنفس ويبين الجدول ايضاً ان ابناء *الفئة العليا* أكثر ثقة بأنفسهم نسبياً من ابناء الفئتين الأخريتين، وهذا واضح من زيادة نسبة الذين حصلوا على درجات تشير الى ثقتهم العالية بأنفسهم ، ولتفسير زيادة الثقة بالنفس ينبغي الرجوع الى العوامل والشروط التي تؤدي الى ذلك العمل في سد الحاجات الأساسية والمعاملة الديمقراطية وقد تكون هذه الفئة بما هو متوفر لها من امكانيات مادية وماتتمتع به من ثقافة ومستوى تعليمي قد قاد الى هذه النتيجة .

– الثقة بالنفس وعلاقتها باساليب التنشئة الوالدية في المناطق الأقتصادية الاجتماعية المختلفة

اتضح من النتائج العامة كما جاءت في الجدول (٧) ان الأسلوب الديمقراطي في التنشئة الوالدية يزيد من ثقة الأبناء بأنفسهم ،وان الأسلوب التسلطي اواسلوب الأهمال يخفض الثقة بالنفس ، في حين لم يتبين وجود علاقة ارتباطية بين الرعاية الزائدة والثقة بالنفس . وقد فسرنا ذلك على اساس وجود مجموعتين من العوامل داخل هذا الأسلوب جعلت هذا الأرتباط ضعيفاً ، المجموعة الأولى تزيد من الثقة والأخرى معاكسة لها وعند استخراج معاملات الأرتباط ودلالتها الأحصائية في كل منطقة اقتصادية اجتماعية

منطقة اقتصادية اجتماعية منخفضة									
ثقة متوسطة		ثقة ضعيفة		ثقة عالية		ثقة متوسطة		ثقة ضعيفة	
التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة	التكرار	النسبة
٢٢	٧٣٪	٥	١٧٪	١	١٣٪	٢٥	٨٣٪	٤	١٣٪
٢٢	٧٣٪	٣	١٠٪	٤	١٥٪	٢٣	٨٤٪	—	—

تبين كما هو موضح في الجدول (١٢، ١٣، ١٤)، ان النتائج مشابهة لما تقدم في الفئة العالية والمتوسطة في حين كانت معاملات الأرتباط غير دالة في الفئة المنخفضة، اما على مستوى الجنس، فان الأرتباطات دالة عند البنين في الفئة الأقتصادية الأجتماعية العالية وعند البنات في الفئة المتوسطة وغير دالة عند البنين والبنات في الفئة المنخفضة. ان تفسير وجود ارتباطات غير دالة بين اساليب التنشئة (الديمقراطي والتسلطي والأهمال والرعاية الزائدة) وبين الثقة بالنفس، عند البنات في الفئة العالية، البنين في الفئة المتوسطة والبنين والبنات في الفئة المنخفضة يتطلب الرجوع الى مدى استخدام كل اسلوب من اساليب التنشئة عند البنين والبنات وفي الفئات الأقتصادية الأجتماعية المختلفة وكذلك مستوى وجود الثقة بالنفس عند الأبناء في الجداول (٨، ٩، ١٠، ١١) والى المتغيرات المرتبطة بأنخفاض وارتفاع معامل الأرتباط حيث تبين من الملاحظة المباشرة ان هناك توافقاً بين ارتفاع مستوى الأسلوب الديمقراطي وزيادة الثقة بالنفس، وكذلك بين انخفاض اسلوب التسلط وزيادة الثقة بالنفس.

ولكن عدم وجود ارتباط دال قد يرجع الى ضعف تمثيل العينة في هذه الفئات او ان هذه العينة مجتزأة فينخفض معامل الأرتباط بشكل مصطنع.

جدول (١٢) يبين العلاقة الارتباطية ومستوى دلالتها بين اساليب التنشئة الوالدية والثقة بالنفس بين طلبة وطالبات الصف الثالث متوسط في منطقة اقتصادية اجتماعية عالية

العلاقة الأرتباطية	بنين	مستوى الدلالة	بنات	مستوى الدلالة	المجموع	مستوى الدلالة
			منطقة اقتصا دية اجتماعية عالية			
الديمقراطية والثقة	٠,٤٤	دال عند ٠,٠٠٥	٠,٢٥	غير دال	٠,٣٤	٠,٠١
التسلطية والثقة	–٠,٤٧	دال عند ٠,٠٥	–٠,٠٧	غير دال	–٠,١٥	٠,٠٥
الأهمال والثقة	–٠,٤٠	دال عند ٠,٠٥	–٠,٣٦	غير دال	–٠,٣٨	٠,٠١
الرعاية الزائدة	٠,٠٢٦	غير دال	–٠,١١	غير دال	–٠,٠٧٩	غير دالة

جدول (١٣) يبين العلاقة الأرتباطية ومستوى دلالتها بين اساليب التنشئة الوالدية والثقة بالنفس بين طلبة وطالبات الصف الثالث متوسط في منطقة اقتصادية اجتماعية متوسطة .

العلاقة الأرتباطية	منطقة اقتصادية المجتماعية متوسطة معامل الأرتباط ومستوى الدلالة					
	بنين	مستوى الدلا لة	بنات	مستوى الدلالة	المجموع	مستوى لدلالة
الديمقراطية والثقة بالنفس	٠,٢٥	غير دال	٠,٥٦	دال عند ٠,٠١	٠,٤٦	دال عند ٠,٠١
التسلط والثقة بالنفس	— ٠,١٩	غيردال	— ٠,٧٦	دال عند ٠,٠١	— ٠,٤٨	دال عند ٠,٠١
الأهمال والثقة بالنفس	— ٠,٢٤	غير دال	— ٦٥	دال عند ٠,٠١	— ٠,٤٥	دال عند ٠,٠١
الرعاية الزائدة	٠,٠٧	غير دال	٠,٠٩	غيردال	٠,٠٠٧	غير دال

جدول (١٤) يبين العلاقة الآرتباطية ومستوى دلالتها رين اساليب التنشئة الوالدية والثقة بالنفس بين طلبة وطالبات الصف الثالث متوسط في منطقة إقتصادية اجتماعية منخفضة .

منطقة اقتصادية اجتماعية منخفضة						
العلاقة الأرتباطية	بنين	مستوى الدلالة	بنات	مستوى الدلالة	المجموع	مستوى الدلالة
الديمقراطية والثقة	٢١ر٠	غير دالة	٠٤ر٠	غير دالة	٠٣٣ر٠	غير دالة
التسلطية والثقة	– ٣٤ر٠	غير دالة	١٥ر٠	غير دالة	٠٥٧ر٠	غير دالة
الأهمال والثقة	– ١٥ر٠	غيردالة	– ٢١ر٠	غير دالة	– ١١ر٠	غير دالة
الرعاية الزائدة	١٢ر٠	غير دالة	– ٢٣ر٠	غيردالة	– ٠١٥ر٠	غير دالة

مكتبتنا العربية

المصادر

١ — آرثر جيمس وآخرون ،علم النفس التربوي، الجزء الثالث، ترجمة ابراهيم حافظ وآخرون ،مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٥٥.

٢ — العادل محمد ابو العلام، قياس الثقة بالنفس عند الطالبات في مرحلة الدراسة الثانوية والجامعية، مؤسسة علي جراح الصباح، الكويت ١٩٧٨.

٣ — انطوان رحمه، أثر معاملة الوالدين في تكوين الشخصية، مطبعة دار الحياة، دمشق ١٩٦٥ .

٤ — بتول غزال سعيد، اساليب التنشئة الأجتماعية وعلاقتها بمستوى تعليم الأبوين ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية في جامعة بغداد، بغداد١٩٨١ .

٥ — جون كونجر وآخرون، سيكولوجية الطفولة والشخصية، ترجمة عبد العزيز سلامة وجابر عبد الحميد جابر، دار النهضة العربية، القاهرة١٩٧٠ .

٦ — ريتشارد . م بسوين ، علم الأمراض النفسية والعقلية، ترجمة احمد عبد العزيز سلامة ، دار النهضة العربية، القاهرة ١٩٧٩.

٧ — سعدي لفتة سعيد وآخرون ، معاملة الوالدين وعلاقتهما بجنوح ابنائهم ، رسالة ماجستير مقدمة الى كلية التربية ، جامعة بغداد ، بغداد ١٩٧٣ .

٨ — عبد الجليل الزوبعي وآخرون،تنمية الثقة بالنفس واتخاذ القرار،بحث مقدم الى ندوة الثقة بالنفس واتخاذ القرار المنعقدة في بغداد من ٨-١٩٨٢/١٢/٩. بغداد ١٩٨٢، رونيو .

٩ — محمد علي حسن ، علاقة الوالدين بالطفل واثرها في جنوح الأحداث ، مكتبة الأنجلو المصرية . القاهرة ١٩٧٠.

١٠ — مصطفى الأمام، الأستقلالية والثقة بالنفس عبر مراحل نمو الشخصية ودور البيت والمدرسة. بحث مقدم الى ندوة الثقة بالنفس واتخاذ القرار المنعقد في بغداد ٨ — ١٩٨٢/١٢/٩ بغداد ١٩٨٢، رونيو.

١١ — نجيب اسكندر ابراهيم، محمد عماد الدين اسماعيل، الأتجاهات الوالدية في تنشئة الطفل، دار المعرفة ،القاهرة ١٩٥٩.

١٢ — ويلارد اولسون ،تطور نمو الأطفال، ترجمة ابراهيم حافظ وآخرون ، عالم الكتب ، القاهرة ١٩٦٢.

13. BURGESS. E. and Locka, H. *THE FAMILY*. NEW YORK, 1950.

14. FURGUESON, J.A., STATISTICAL METHODS IN PSYCHOLOGY AND EDUCATION, Mc GRAW HILL BOOK COMPANY, N.Y. 1974.

15. NUNNALLY J., *EDUCATIONAL MEASUREMENT AND EDUCATION* Mc GRAW. HILL BOOK COMPANY, N.Y., 1973.

16. BROTHRO..E. T., CHILD REAVING *IN THE LEBANON*, HARVARD UNIVERSITY PRESS, 1961.

17. STRANG RUTH, *INTRODUCTION TO CHILD STUDY*. MACMILLAN, Co., NEW YORK, 1965.

تقييم العمليات المكتبية من اجل تحسين خدمة المستفيد

د. أوديت بدران

قسم المكتبات والمعلومات / كلية الآداب/

الجامعة المستنصرية

مستخلص :

تشرح الدراسة طريقة تحليلية تمكننا من تقييم كفاءة كل عملية مكتبية ، وذلك بأحتساب الأحتمالات الممكنة لقياس عمل التزويد والأعارة والتنظيم وخدمات المستفيد في المكتبة من لنتمكن من معرفة اي عملية من العمليات في المكتبة التي تحتاج الى تقوية وتحسين أكثر .

المقدمة :

لقد كانت الأنجازات المكتبية مقتصرة على مدى القابلية في تجميع مواد ذات موضوعات متنوعة سواء أكانت مفيدة أم لا. يعني ان الهدف هو عدد المطبوعات. الا ان هذا الهدف قد تغير حالياً ليدل على الأهتمام بمضمون المادة (بغض النظر عن شكلها) ومدى ملائمة المضمون لسد حاجة القارىء (المستفيد). وكما اصبح الأهتمام ليس بتوفير المادة فحسب بل محاولة ايصالها للمستفيد بالسرعة الممكنة .

وعلى هذا الأساس فأن مجمل الأهداف من انجازات العمليات المكتبية هو خدمة المستفيد. ولم تكن هناك دراسات ذات مقاييس معينة لمعرفة مدى نجاح كفاءة كل عملية . اما في اواخر الستينات فقد بدأت الدراسات التي تهتم بتقييم الأداء ، اذ شملت هذه الدراسات (١)، (٢)، (٣) مقاييس احتمالية للاداء. علماً بأن هذه المقاييس وجدت في هندسة النظم System engineering وبحث القوة اوالعمليات Operation Research التي تساعد في تصميم قرار اوخطة Decision Making تمثل هذه الدراسات بعض الجذور للمشاكل

الحقيقية والعملية في المكتبة. سنقدم في النص مقاييس لتقييم العمليات مبينين ان العمليات مندمجة مع بعضها ولايمكن ان تعمل الواحدة دون الأخرى، وسوف لانتطرق الى تفاصيل الأجراءات الفنية لكل عملية. اذ ما يهمنا ان نميز بين العمليات الناجحة والعمليات الضعيفة.

ان لتقييم خدمات المعلومات بالمكتبة علاقة كمية ونوعية بمفهوم خدمات المستفيدين. سيتضمن النص شرح للمقياس التحليلي للعمليات المختلفة مع مثال تطبيقي، اذ ان التحليل هو مباشر للجانب الكلي Quantitative لخدمات العمليات . يمكن ان يتم التقييم بثلاثة ابعاد رئيسية : الأول: العلاقة Relevance وهذه تحتاج الى دراسة عميقة مستقلة. والثاني: سهولة الوصول للمادة Accessibility ان ذلك يعطي نتيجة منفصلة فمثلا في عملية البحث عن عناوين او اسماء مؤلفين فأن مايهم المستفيد ان يحصل على المادة.الثالث : هو توفر المواد Availability . ان هذا البعد سيعتمد التحليل لانه أسهل الأبعاد في عملية التحليل الحسابي .

المكتبة هي نظام معلومات

يجب ان يكو ن هناك اهتمام بتوفير المادة في المكتبة اولا ثم تيسير الطريق للوصول الى المعلومة التي يرغبها المستفيد.هناك عاملين مهمين ١. فهم المعلومات ومن ثم نقلها ٢.التوجيه لايصال المعلومات لمن يريدها. وليس من السهل تقييم هذين العاملين .

ان المكتبة هي نظام معلومات ويحتاج هذا النظام الى تزويد وتنظيم وخزن للمواد وذلك لتيسير خدمة المستفيد (٤) بعبارة اخرى تهيئة المعلومات التي تنقل من المصدر الى المكان المقصود .وبهذا فأن النظام يتكون من الأجزاء التالية : —

١ — الاختيار والتزويد

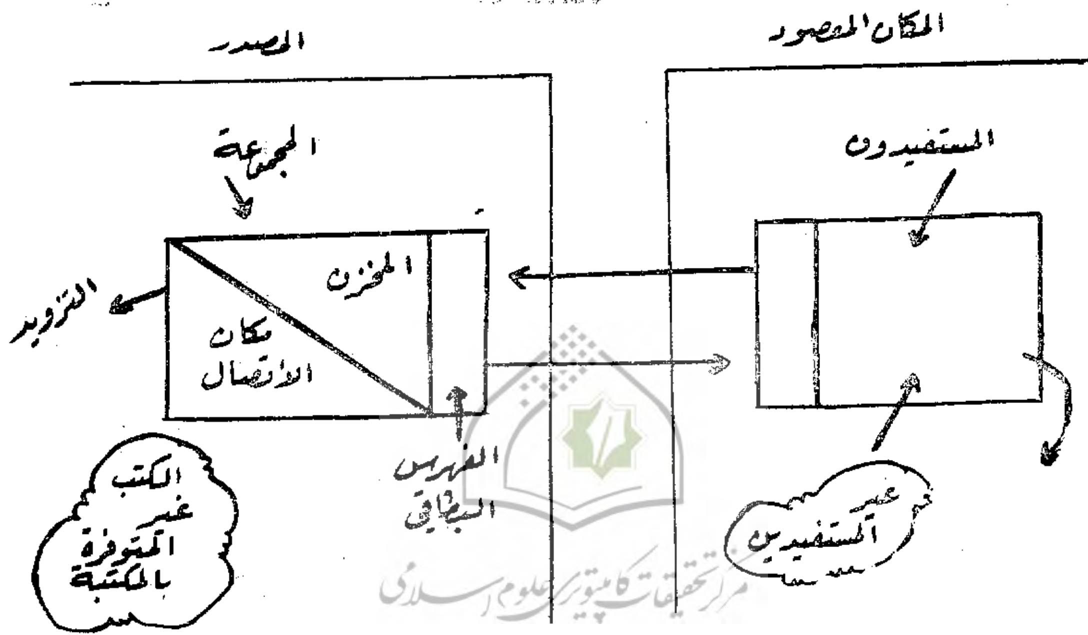
٢ — تمثيل المعلومات /والتزويد — الفهرسة والتصنيف — العمليات التكنيكية (الفنية)

٣ تنظيم السجلات

٤ — تحليل الأسئلة

٥ — بث المعلومات / خدمات عامة

ويمكن التعبير عن عملية تهيئة المعلومات التي تنقل من المصدر الى المكان المقصود بالشكل التالي :



مقاييس انجازات العمليات :

لتقييم نظام المعلومات (المكتبة) هناك ثلاث وسائط يمكن تحليلها : —

١ — الانجازات : يقيس مدى قابلية النظام للانجاز — وهذه تعرف عن طريق المستفيدين من النظام .

٢ — تكلفة الانجازات .

٣ — مقارنة الفائدة من الانجازات وتكلفتها .

سيكون التركيز على الواسطة الاولى وهي الانجازات (٥) لا يهمنا من الوسائط الاخرى التي لها علاقة بتقييم النظام ككل . اذ اننا نقيم الاداء في كل عملية ولا نأخذ بالاعتبار التكلفة او عمل اي مقارنة . ان ذلك يمكن ان يكون دراسة منفصلة . فيما يلي سنذكر المقياس الاحتمالي لكل عملية (٦) اخذين بالاعتبار مضمون معلوماتها (*) ومدى سريانها (**) ومقارنتها (***) في نفس المكتبة في اوقات مختلفة ، والناحية العملية (****) التي تخص مدى تكافؤ العمليات والاقتصاد بكلفتها بصورة واضحة .

تشمل العمليات ما يلي : —

اولا — التزويد : ويهدف إلى اختيار العناوين للمواد التي من المحتمل سرقتها او استعمالها عند اضافتها إلى المجموعة ، هذا لا يمكن قياسه بسهولة في المكتبات الاكاديمية يمكن الافتراض : —

أ — بان اكثر المطبوعات تعار للطلبة .

ب — ان اكثر المستفيدين هم طلبة وهؤلاء يتأثرون بالمطبوعات المنهجية وقد يتطلب ذلك عمل دراسة لمعرفة ما اذا كان هناك ترابط بين عدد الطلاب (المستفيدين) في القسم الواحد وعدد المواد المستعارة والتي لها علاقة بالقسم . الا انه ليس من السهولة عمل مثل هذه الدراسات لما ينتج عنها من جوانب اخرى مثلا ان عدد من الطلبة قد يستفيد من كتب لها علاقة باقسام اخرى .

لقد قام ماكرات Mc Grath (٧) بدراسة مختبر فيها العلاقة بين الموضوع والاستخدام وبين فيها امكانية الاستفادة من تصنيف الموضوعات في كل قسم دراسي وتم اقتناء المواد المناسبة حسب ارقام التصنيف وبهذا يكون مقياس احتمالية التزويد كالاتي : —

(*) Informativeness

(**) Validity

(***) Comparability

(****) Practicality

$$\frac{\text{عدد الكتب المطلوبة والمتوفرة بالمكتبة}}{\text{عدد الكتب المطلوبة من قبل المستفيدين}}$$

ثانياً ـ الفهرسة : من اختصاصها اعلام المستفيد عن توفر او عدم توفر مادة ما تمتلكها المكتبة واذا توفرت فانها ترشد المستفيد إلى المكان الصحيح ، يتم ذلك بالطبع بواسطة الفهرس البطاقي (٨) .

كلما زادت معلومات المستفيد كلما زاد عدد مرات ايجاد المواد المعروفة لديه .
ان اكثر المعلومات المسترجعة من الفهرس هي : المؤلف ، العنوان ، رأس الموضوع ، رقم الطلب ،التصنيف : التخصيص : تاريخ النشر .
المعلومات الاقل استعمالا هي : مكان النشر ، الناشر ، الطبعة .
المعلومات النادرة الاستعمال هي : الحجم ، السلسلة ، التوضيحات .
ما يهمنا هو التعرف على نسبة الحصول على مواد معروفة للمستفيد ومتوفرة بالمكتبة بالمكان الصحيح لذا سيكون القياس لاحتمالية الفهرسة كالاتي : ـ

$$\frac{\text{عدد الكتب المطلوبة وذات الاماكن الصحيحة}}{\text{عدد الكتب المطلوبة والمتوفرة بالمكتبة}}$$

ثالثاً ـ الاعارة : الغاية منها اعطاء الفرصة المناسبة لكل مستفيد للحصول على المادة التي يريدها وعدم حرمان المستفيدين الاخرين من الحصول على نفس المادة في وقت واحد .

هناك كثير من الطرق لدراسة الاعارة ومن اهمها : ـ

١ ـ استخدام الحاسب الالي بعملية الاعارة Computer Simulation

من مواصفات هذه الطريقة هو امكانية تبيان كافة المتغيرات التي تؤثر على عملية الاعارة وبدقة (٩) . وهذه تعتمد على حالتين :

أ ـ ارجاع الكتب للمكتبة

ب ــ اعارة الكتب من المكتبة

بهذه الطريقة لا يمكن التنبؤ بالنتائج ولكن يمكن التنبؤ عن عدد مرات حصول الحالة .
لهذه الدراسة يحتاج معرفة قياس :

أ ــ توزيع الطلب ـــ يعني عدد مرات طلب المادة الواحدة لمعرفة الفترة الزمنية المناسبة فيما بين الطلبات .

ب ــ توزيع الاعارة ـــ يعني فترات الاعارة لمعرفة اطول مدة استعارة يمكن للمستفيد ان يتمتع بها للمادة الواحدة .

جـ ــ توزيع وقت الطلب ـــ معرفة الوقت اللازم ما بين الطلب والحصول على المادة.

د ــ احتمال ان الكتب المطلوبة هي معارة داخل المكتبة .

هـ ــ طلب مادة معينة غير متوفرة بالمكتبة .

ــ تجديد اعارة مادة مستعارة خارج المكتبة (هذه مستقلة عن فترة الاعارة) .

من مميزات هذه الطريقة امكانية تحديد عدد الاعارات بالارقام مثل :

ــ اطول فترة زمنية ممكنة للاعارة .

ــ معدل عدد النسخ للعنوان الواحد .

ــ تحديد اكبر رقم ممكن لحجز عنوان واحد .

ــ عدد مرات طلب المادة الواحدة (١٠)

ويمكن تطبيق ما ورد سابقاً في تقييم انجاز نظام الاعارة التقليدي في المكتبات

٢ ــ استخدام نموذج تحليلي Analytic Model

لقد وضع مورس Morse (١١) دراسة بين فيها العلاقة بين المطبوعات المتوفرة وعدد مرات طلبها او استخدامها واعارتها وكذلك فترة الاعارة ، حيث افترض : ـــ

١ ــ **توفر للكتاب اذا لم يستعار .**

٢ ــ **استعارة للكتاب اذا توفر حين طلبه .**

ذلك يتوجب معرفة :

أ ــ معدل عدد ايام الاستعارة خارج المكتبة .

ب ــ معدل عدد مرات الطلب في اليوم الواحد .

لمعرفة نسبة عدد الكتب المطلوبة والمعروفة لدى المستفيد وغير مستعملة داخل او خارج المكتبة يكون مقياس الاحتمالية للاعارة كالاتي :

$$\frac{\text{عدد الكتب المطلوبة وغير مستعملة ــ بالمكتبة}}{\text{عدد الكتب المطلوبة والمعروفة والمتوفرة بطاقاتها بالفهرس}}$$

رابعاً ــ التنظيم : لمعرفة نسب الكتب المطلوبة وغير المستعملة ولكنها متوفرة في اماكنها داخل الرفوف بشكل صحيح يكون مقياس الاحتمالية كالاتي :ــ

$$\frac{\text{عدد الكتب المطلوبة والمتوفرة بمكانها داخل الرفوف وبشكل صحيح}}{\text{عدد الكتب المطلوبة وغير المستعملة}}$$

خامساً ــ مهارة المستفيدين : يعني تهيئة الطريق البسيط والسليم ابتداء من فهرس البطاقات (الذي قد يكون آلي) إلى الكتاب الذي يريده المستفيد ويجده بمكانه الصحيح دون اي مساعدة من المكتبي .

وقد تواجه بعض حالات مثل :

ــ عدم صحة رقم مكان الكتاب (خطأ في الفهرسة)

ــ عدم معرفة تفسير الرموز الخاصة بمكان الكتاب داخل الرف (ذلك في حالة ان المستفيد قد سجل الرقم بشكل صحيح) .

ــ عدم تمكن المستفيد من متابعة ارقام المطبوعات داخل الرف (وهذا خطأ المستفيد)(١٢) .

يعبر عن ذلك بقياس الاحتمالية للمستفيد كالاتي :ــ

مكتبتنا العربية

عدد الكتب التي حصل عليها (وهذه اخر خطوة)

عدد الكتب المطلوبة والمتوفرة داخل الرفوف بشكل صحيح

مثال تطبيقي

تطبيقاً لما سبق نبين ادناه مثال لتوضيح الانجازات المكتبية وبالذات لمعرفة الحد الادنى من تلك الانجازات واعتماداً على المعلومات التالية :

١ ـ مجموع الطلبات من قبل المستفيدين = ٤٤٠ كتاباً

٢ ـ عدد الكتب التي حصل عليها المستفيدين = ٢٣٢

٣ ـ عدد الكتب التي لم يجدها المستفيدين = ٢٠٨

موزعة كالاتي :

آ ـ عدد الكتب التي لا تمتلكها المكتبة = ٦٤ كتاباً

ب ـ عدد الكتب التي لم يتوصل المستفيد اليها باستخدام الفهرس = ١٨ كتاباً

جـ ـ عدد الكتب المتوفرة للاستعمال = ٤٨ كتاباً

وموزعة كالاتي :

ـ عدد الكتب التي تمت اعارتها خارج المكتبة = ٤٧ كتاباً

ـ عدد الكتب المحجوزة = صفر

ـ عدد الكتب التي تمت اعارتها داخل المكتبة = كتاباً واحداً

د ـ عدد الكتب غير المنظمة في المكتبة = ٤٧ كتاباً

ويشمل الكتب المفقودة بعلم المكتبة وبدون علم المكتبة او المتواجدة في غير اماكنها على الرفوف او في قسم الصيانة

هـ ـ عدد الكتب التي لم يتوصل المستفيد اليها باستخدام الرفوف = ٣١ كتاباً

وذلك اما لعدم امكانية تغيير المعلومات المتوفرة في بطاقات الفهارس العامة او عدم معرفته بمتابعة ارقام الطلب للكتب وتنظيمها على الرفوف .

وبعملية حسابية بسيطة نستطيع ان نطرح كل ما ليس له علاقة بالعملية كالاتي : —

٤٤٠ — ٦٤ = ٣٧٦ التزويد

٣٧٦ — ١٨ = ٣٥٨ الفهرسة

٣٥٨ — ٤٨ = ٣١٠ الاعارة

٣١٠ — ٤٧ = ٢٦٣ التنظيم

٢٦٣ — ٣١ = ٢٣٢ المستفيد

لايجاد الاحتمالية واعتماداً على المقاييس السابقة الذكر تكون النتيجة كالاتي : —

احتمالية التزويد = ٣٧٦ / ٤٤٠ = ٠,٨٥

احتمالية الفهرسة = ٣٥٨ / ٣٧٦ = ٠,٩٥

احتمالية الاعارة = ٣١٠ / ٣٥٨ = ٠,٨٧

احتمالية التنظيم = ٢٦٣ / ٣١٠ = ٠,٨٥

احتمالية المستفيد = ٢٣٢ / ٢٦٣ = ٠,٨٨

اما قياس الانجازات بصورة عامة يكون بتقسيم ما حصل عليه من الكتب على مجموع الطلبات كالاتي : ــ

$$\frac{٢٣٢}{٤٤٠} = ٠,٥٣$$

يلي ذلك استخدام قانون الانحراف المعياري Standard Deviation لمعرفة النسبة اللازمة من الخدمة التي يجب ان تضاف إلى الانجازات الادنى فيما بين العمليات المكتبية .

عليه يمكن ان يجرب هذا التحليل باتباع ما يلي : ــ

أ ــ يبحث عن عدد معين من عناوين الكتب .

ب ــ يحدد عدد الكتب التي وجدها والتي لم يجدها المستفيد .

جـ ــ اعرف سبب عدم ايجاد الكتب (سواء كانت مسروقة ، في غير مكانها الصحيح ، او مستعارة ، او تحت التجليد ، او غير متوفرة بالمكتبة ... الخ) .

الخاتمة :

باستخدام الطريقة المقدمة في هذه الدراسة يمكننا معرفة مدى كفاءة انجازات المكتبة . بصورة عامة وانجاز كل عملية بصورة خاصة . لا يمكن تحسين حالة مكتبة الا بتوفر عاملين اساسيين الاول وهو مدى كفاءة المكتبة والثاني / هو رغبة المستفيد لاستخدام المكتبة ان هذين العاملين مرتبطين ببعضهما ولا يمكن فصلهما . اذن لتحسين حالة ما علينا بدراستها دراسة احصائية تحليلية دقيقة لمعرفة المزايا والعيوب بالارقام لنتمكن من التنبؤ عن مدى نجاح ما سنقوم به . فيمكننا الحصول على بيانات كبيرة ومختلفة ومن ثم عمل مقارنات بفترات مختلفة لنفس المكتبة وفيما بين المكتبات (دون الاهتمام بنوع المكتبة). ذلك كله يؤدي إلى تحسين اوضاع المكتبة العربية وتلبية رغبات المستفيدين بشكل أحسن .

المصادر

1. Kantor, P.B. "Availability analysis" *Journal of the American society for information science* V. 27 (Sept. –Oct. 1976) : 311–9.
2. Shaw, WM, Jr . "Loan period distribution in academic libraries" *Information processing and management,* V. 12 (1976): 157–9.
3. Whitlatch, J.B. and Kieffer, K. "Service and San Jose State University: survey of document availability" *Journal of academic librarianship* V.4 (Sept., 1978): 196–9.
4. Lancaster, F.W. *Measurment and evaluation of library services.*Wash. D.C., Information Resources Press, 1977. Ch.1
5. Willard, D.D. "Seven realities of library administration" *Library Journal* 101 (1976): 311–317.
6. *Saraoevic,T* and others. "Causes and dynamics of user frastration" *College and Research Libraries* 38 (1977) : 7–18.
7. McGrath. Classifying courses in the university catalog. *College and research . libraries* 30 (1969): 533–539
8. Lancaster, F.W. Measurement and *evaluation of library services* Wash. D.C., Information Resources Press. 1977. p.2
9. Buckland, M.K. *Book availability and the library user* (New York: Pergamon Press, 1975) p. 130
10. Shaw,W. "Library–user interface;a simulation of the irculation subsystem" *Information &processing Management* 12 (1976): 77–91
11. Morse, P.M. *Library effectiveness: A systems approach.*(Cambridge, Mass: MIT Press, 1968).
12. *Urquhart* & Schofield "Measuring readers' failure at the shelf" *Journal of documentation* 27 (1971) : 273–86.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

من مظاهر نظام التعليم في مصر زمن المماليك
ــ القسم الاول ــ

د.أ. حياة ناصر الحجي

قسم التاريخ ــ جامعة الكويت

يعود الفضل للمماليك في طرد بقايا الصليبيين من بلاد الشام ، وفي رد المغول على اعقابهم في محاولتهم الفاشلة لاحتلال الشام ودخول مصر ؟ واذا كان التاريخ يحفظ لهم هذا الفضل السياسي على العالم الأسلامي في حمايته والذود عنه ، فانه لاينكر مطلقاً دورهم الحضاري حيث زادت المؤسسات الدينية والتعليمية زيادة كبيرة . وقد يثور هنا سؤال عن الأسباب التي أتاحت لهم فرصة القيام بهذا الدور ؟ لاشك ان السلام والأستقلال اللذين حظيت بهما سلطنة المماليك مع بداية القرن الثامن الهجري ــ الرابع عشر الميلادي كان سببا رئيسياً في هذه النهضة التعليمية الى جانب ما حظيت به سلطنة المماليك آنذاك من ثروة كبيرة نتيجة العلاقات التجارية مع الشرق والغرب .

ومن جانب آخر يمكن القول ان رغبة المماليك في التقرب الى الشعب كانت من الأسباب التي أدت الى ازدهار التعليم ايام المماليك .فقد تعددت وتنوعت المظاهر والوسائل الداخلية التي مارسها المماليك للتقرب الى الشعب خدمة لكل فئة ، فأوجدت الجوامع والمساجد لأهل الدين وأحبائه ، والمدارس لطالبي العلم والتعليم ، والأربطة والزوايا مأوى للفقراء المحتاجين ، والخانقاوات للصوفية المتعبدين وبالنتيجة زادت أوقاف العصر زيادة كبيرة استلزمها الأنفاق على هذه المراكز . فما ان ينتهي العمل من انشاء مسجد اوتشييد مدرسة او اقامة خانقا ، حتى يكون الرصد في الأوقاف استوفى عددا هائلا من الدور والأراضي والأجزاء ، ليكون مصدرا شرعيا ثابتا للصرف ، ليمكن هذه المؤسسات من القيام بوظائفها كاملة وبصفة مستمرة . وقد اشترك في تدعيم هذه الرابطة الدينية مع الشعب السلاطين والأمراء وزوجات السلاطين على حد سواء حسب قدراتهم المالية .

اولاً : الجوامع والمساجد:

جامع السلطان الناصر محمد عند فم الخليج الناصري والذي يعرف باسم الجامع الناصري وقد أنشىء سنة ٧١١هـ / ١٣١١م (١) ، وجامع القلعة الذي بناه سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨م وجامع سيف الدين كر اي المنصوري بالريدانية سنة ٧٢١هـ / ١٣٢١م ، وجامع بمشهد السيدة نفيسة سنة ٧١٤هـ / ١٣١٤م ، وجامع القاضي فخر الدين ناظر الجيش ، ولـه ايضاً جامع بجزيرة الفيل وجامع آخر بجسر الأفرم ، وجامع الأمير علاء الدين طيبرس النقيب ، وجامع كريم الدين الكبير ، وجامع بدرالدين الجاكي ، وجامع بدرالدين ابن التركماني ، وجامع أمير حسين ، وجامع دولة شاه ، وجامع قيدان الرومي وجامع آقسنقر ، وجامع جمال‌الدين أقوش نائب الكرك ، وجامع ناصرالدين «أخو» شهاب‌الدين صاروجا وجامع بنت الملك الظاهر ، وجامع ابن صارم شيخ باب اللوق ، وجامع الطواشي خارج باب القرافة سنة ٧٢٣هـ/١٣٢٣م ، وجامع ناصر الدين ابن الحراني الشرابيشي بالقرافة سنة ٧٢٩هـ/ ١٣٢٩م ، وجامع قرا «أخو» الماس الحاجب سنة ٧٣٠ هـ / ١٣٣٠م ، وجامع الماس الحاجب سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠ م ، وجامع قوصون سنة ٧٣٠هـ / ١٣٣٠م وله جامع اخر ظاهر باب القرافة ، وجامع آل ملك بالحسينية سنة ٧٣٢هـ/١٣٣٢م ، وجامع المقر السيفي بشتاك سنة ٧٣٦ هـ/١٣٣٦م ، وجامع الأمير سيف الدين الطنبغا الماردانى سنة ٧٢٦هـ/ ١٣٢٦م ، وجامع ابن الطباخ بباب اللوق ، وجامع الأمير عزالدين أيدمر الخطيري ، وجامع سيف‌الدين كرجي النقيب بالحكر (٢) .

أي « صارت الجملة مع ما تجدد من الخطب بالمدارس في الدولة الناصرية احدى وثلاثين خطبة » (٣) . وهذا العدد الكبير من الجوامع التي تم انشاؤها في عهد الناصر محمد تعطينا الحق في ان نصف ذلك العصر بالأزدهار .

---

(١) السلوك جـ٢ ص١١٤–١١٥. قارن انتصار ، ص٧٦–٧٧.

(٢) درج ٩ ص٣٨٨– ٣٩٠، زيتير شتين ص٢٢٥–٢٢٦ ، السلوك جـ٢ ص٥٤٤–٥٤٥ النجوم جـ٩ ص١٩٨–٢١٠.

(٣) زيتير شتين ص٢٢٩، قارن السلوك جـ٢ص٥٤٤، النجوم جـ٩ص١٩٨ .

وقد كثرت اقوال مؤرخي العصر المملوكي حول عدد الجوامع والمساجد التي شيدت في مصر أيام السلاطين المماليك ومن ذلك قول ابن شاهين انه « قيل ان بمصر والقاهرة داخل السور وخارجه الف خطبة ونيف عن ذلك » (١) ، اما المقريزي فيذكر ان عدد المساجد التي تقام بها الجمعة مائة وثلاثين مسجداً (٢) ، وقد يكون من الأسلم ان نتبع كلام القلقشندي حيث يقول انها اي المساجد « اكثر من ان تحصى ، واعز من ان تستقصى » (٣)

وخلاصة القول انه كان في مصر في العصر المملوكي عدد كبير من الجوامع والمساجد منها مابني في فترة سابقة لحكم المماليك ووجد في ايامهم ، ومنها ما بني أثناء العهد المملوكي على يد السلاطين والخواندات (٤)والأمراء والنواب وكبار رجال الدولة ،ولم يقتصر هذا الأمعان في بناء الجوامع على مصر ، فقد جدد الناصر محمد سنة ٧١٨هـ / ١٣١٨ م في دمشق ثلاثة جوامع وهي : جامع تنكز المشهور به ،وجامع كريم الدين ، وجامع شمس الدين غبريال (٥) .

ولكي تتضح هذه الصورة الحضارية اكثر لابد من دراسة تفصيلية لبعض هذه الجوامع نخرج منها ببيان شيء من الصفات المشتركة والخاصة باهمية هذه الجوامع. وقد يكون من الأجدر عند ذكر بعض هذه التفاصيل ان نبدأ بأحد الجوامع السلطانية ، والتي يأتي جامع القلعة على رأسها ، وقد أحسن المقريزي وصف هذا الجامع بقوله : / « هذا الجامع بقلعة الجبل أنشأه الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ثمان عشرة وسبعمائة ..

(١) كشف ص٣١

(٢) الخطط جـ٢ص٢٤٥.

(٣) صبح جـ٣ ص٣٦٥.

(٤) «خوند» : لقب يفيد معنى الأحترام والتبجيل ويخاطب به الذكور والأناث على السواء وكان هذا اللفظ يستعمل لقباً للملوك فقط ، أما الملكات والأميرات فكن يلقبن غالباً بلفظ خاتون ،على ان لفظ خوند اوخونده أيضاً كان يطلق كذلك على الملكات والأميرات ، جـ٢ ، ص٢٣١ ، هامش ٨.

(٥) النجوم ،جـ٩، ص٥٧ .

وعمّره أحسن عمارة ،وعمل فيه من الرخام الفاخر الملون شيئاً كثيراً ، وعمّر فيه قبة جليلة ، وجعل عليه مقصورة من حديد بديعة الصنعة ، وفي صدر الجامع مقصورة من حديد ايضاً برسم صلاة السلطان ، فلما تم بناؤه جلس فيه السلطان واستدعى جميع المؤذنين بالقاهرة ومصر وسائر الخطباء والقراء ، وامر الخطباء فخطب كل منهم بين يديه وأقام المؤذنون فأذنوا ، وقرأ القراء ،فاختار الخطيب جمال‌الدين محمد بن محمد بن الحسن القسطلاني (١) خطيب جامع عمرو ، وجعله خطيباً بهذا الجامع ، واختار عشرين مؤذنا رتبهم فيه ، وجعل به قراء ودرسا وقاريء مصحف » (٢) .

وهذا التفاني في بناء المسجد السلطاني بالقلعة ،واستخدام أثمن المواد في هندسة جوانبه وأركانه دليل على ماوصلت اليه نظرة المماليك من الأرتقاء الحضاري في مجال العمارة وفي سبيل استكمال الصورة واضافة طابع الحيوية الحضارية اجتهد في تعيين افضل مؤذني العصر وخطبائه واحسن القراء ، ومن ناحية أخرى استمرت عناية الناصر محمد بهذا الجامع طوال حياته ، ويذكر المقريزي ذلك بقوله :« ثم أخربه في سنة خمس وثلاثين وسبعمائة ، وبناه هذا البناء ، فلما تم بناؤه وجلس فيه واستدعى جميع مؤذني القاهرة، ومصر ، وجميع القراء والخطباء وعرضوا بين يديه ،وسمع تأذينهم وخطابتهم وقراءاتهم فاختار منهم عشرين مؤذنا رتبهم فيه ، وقرر فيه درس فقه ،وقارئا يقرأ في المصحف . وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، مفروش‌الأرض بالرخام ،مبطن السقوف بالذهب ،وبصدره قبه عالية يليها مقصورة مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة للصنعة ، ويحف صحنه رواقات من جهاته » (٣) .

---

(١) هو محمد بن محمد بن الحسن بن احمد القسطلاني ، ولد سنة ٦٧٣هـ، وسمع من ابن خطيب المزة وصحب المرجاني وحج معه . وولي إمامة جامع مصر وخطابته مدة طويلة ثم ولي خطابة جامع القلعة ومات في شهر ربيع الاخر سنة ٧٢٥هـ .
انظر الدرر، جـ٤ ص٢٩٠.

(٢) الخطط جـ٢ ص٣٢٥، قارن السلوك جـ٢ ص١٨٤

(٣) الخطط جـ٢ص٢١٢، قارن السلوك جـ٢ ص٣٨٠ .

وبناء على ذلك فالتجديد والتنظيم في الجامع كان مستمراً ، ولم يقتصر على الهندسة المعمارية ، بل شمل ايضا العاملين فيه من علماء وفقهاء .

أما عن الجوامع الأميرية فالمقريزي في كتابته التفصيلية عن هذه الجوامع يصف جامع الأمير شمس الدين آق سنقر حيث يقول : « أنشاه الأمير آق سنقر الناصري (١) ، وبناه بالحجر وجعل سقوفه عقوداً من حجارة ورخمه ، واهتم في بنائه اهتماما زائداً حتى كان يقعد على عمارته بنفسه ، ويشيل التراب مع الفعلة بيده ، ويتأخر عن غذائه اشتغالا بذلك وانشأ بجانبه مكتبا لاقراء أيتام المسلمين القرآن وحانوتا لسقي الناس الماء العذب . وجعل عليه ضيعة من قرى حلب تغل في السنة مائة وخمسين الف درهم فضة .. وقرر فيه درسا فيه عدة من الفقهاء ، وولي الشيخ شمس الدين اللبان الشافعي خطابته ، واقام له له سائر مايحتاج اليه من أرباب الوظائف » (٢) من ذلك نفهم ان الأهتمام الكبير في بناء الجوامع بلغ حد الأشراف والمشاركة الشخصية لصاحب الجامع في عملية البناء زيادة على مايصرفه في العمارة ، وانتقاء أجود مواد البناء ، والعمل على تهيئته للانتفاع منه في مجال التعليم ومساعدة اطفال المسلمين الأيتام .

اما جامع الأمير عز الدين ايدمر الخطيري (٣) في بولاق فقد « بالغ في عمارته ، وتأنق في رخامه ، فجاء من اجمل جوامع مصر واحسنها ، وعمل له منبراً من رخام في غاية الحسن ، وركب فيه عدة شبابيك من حديد تشرف على النيل الأعظم وجعل فيه خزانه

---

(١) الأمير آق سنقر الناصري. ولي امير شكار في حياة استاذه السلطان الناصر محمد بن قلاوون . وتنقل في الخدم ، وتزوج ابنته ثم ولى نيابة غزه بعد وفاة الناصر محمد. كان كريماً شجاعاً قوي النفس. وقد قتل سنة ٧٤٨هـ في سلطنة المظفر حاجي بعد ان صار أكبر الأمراء حينذاك. أنظر الدرر ج١ ، ص٤٢٢.

(٢) الخطط ، ج٢ ، ص٣٠٩.

(٣) ايدمر الخطيري ، صاحب جامع بولاق . كان معظماً عند الناصر محمد بحيث لا يتركه يبيت في داره ليلة واحدة .وكان جواداً مهيباً محتشماً .
انظر ، الدرر ، ج١ ، ص٤٥٨ .

جليلة نفيسة ، ورتب درسا للفقهاء الشافعية .... وكان جملة ماانفق في هذا الجامع اربعمائة الف درهم نقرة (١)، وكملت عمارته في سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ... »(٢)

ومن ثم يمكننا تدوين بعض الملاحظات المشتركة بين هذه الجوامع التي قد تساعدنا كثيراً في الوصول الى معرفة أهمية انشاء هذه الجوامع ، والدور الذي لعبته في خدمة التعليم .

لقد بلغ الفن المعماري والهندسة البنائية الأوج في تشييد هذه الجوامع ، وكان يجتهد في استخدام أجود انواع الرخام الأبيض والملون ، يؤتى به من مختلف النواحي ، واحسن اصناف الأخشاب ، وعمل كل ماهو جميل فيها من قباب واعمدة واروقة وابواب ومنابر ومئذنات ومقصورات (٣) . وفي بعض الأحيان كان يعمر بجوار الجامع خانقاه للمستقرين من الصوفية والواردين من الفقراء (٤) .

كما كان يهتم اهتماما كبيراً بترميم هذه الجوامع وتجديدها ، بل ان بعضها هدم وجدد اكثر من مرة (٥) ، بالاضافة الى ان اصحاب هذه الجوامع سواء كانوا من السلاطين او الأمراء اجتهدوا في بناء الأربطة والخانقاوات ايضاً (٦) .

---

(١) درهم أو دراهم هي عبارة عن الفلوس المسكوكة من معدن في شكل مستدير . ومن الدراهم المعروفة في سلطنة المماليك الدراهم الناصرية والكاملية. انظر دوزي . تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي ، ج٤ ، ص٣٤٢-٣٤٣.أما الدراهم النقرة فهي الدراهم الفضية وعيارها ثلثان من الفضة والثلث من النحاس الأحمر . وقد اعتمدت هذه النسبة في المعيار منذ أيام الظاهر بيبرس واستمرت حتى أيام أبن فضل الله العمري مؤلف مسالك الأبصار – الذي كان يتولى شؤون ديوان الأنشاء في عهد الناصر محمد بن قلاوون ويذكر القلقشندي ان نسبة الفضة قلت بعد الثمانمائة الهجرية في هذه الدراهم.أنظر صبح ، ج٣ ص٤٦٢-٤٦٣.

(٢) الخطط ج٢، ص٣١٢.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٠، ٣٢٥.

(٤) المصدر السابق ج٢ ص٣٠٤، ٣٠٩.

(٥) المصدر السابق ج٢ ص٣٠٦.

(٦) المصدر السابق ج٢ ص٢٩٨، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣١٢، ٣١٤، ٣٢٥، ٣٢٧.

واشتمل بعض هذه الجوامع على قاعات يرتب فيها درس للفقهاء ولقراء الكتاب الكريم(١). أما احواض ماء السبيل فكانت في العادة اما ان تلحق بهذه الجوامع اوتقام بجوارها (٢). بل بلغ من اهتمام اصحاب هذه الجوامع ببنائها انهم كانوا يشرفون على عمارتها بانفسهم بل ويشاركون في عملية البناء (٣) .كما ضمت بعض هذه الجوامع مكاتب لاقراء ايتام المسلمين القرآن الكريم (٤) .

وكان يعتنى عناية فائقة باختيار من يقوم بالتدريس في الجوامع ،حيث انها المكان المعد لاستقبال مختلف طبقات الشعب لأداء الصلوات الخمس وصلاة الجمعة ، والأستماع الى الخطب والأحاديث الدينية التهذيبية،ويسجل القلقشندي نسخة توقيع كتب للقاضي عز الدين ابن جماعة ليتولى التدريس عوضاً عن والده القاضي بدرالدين في الجامع العتيق بمصر وذلك في جمادى الأخرة سنة ٧٣٠هـ/ ١٣٣٠م . ويذكر التوقيع ان القاضي عز الدين ابن جماعة (٥) اختير لهذا المنصب لما يتصف به من صفات نبيلة ومنزلة رفيعة بين العلماء ، وبناء على توصية والده بدر الدين ابن جماعة ، ثم يوصي السلطان القاضي بالعمل بتقوى الله تعالى ، فني ذلك شهرته وانتشار معرفته بين الناس واهل العلم ، وان يجتهد في افادة الطلبة وتعليمهم (٦) الى جانب ذلك كان يتم تعيين عدد من ارباب الوظائف في كل جامع للقيام على خدمته (٧).

(١) المصدر السابق جـ٢ ص٢٩٩، ٣٠٩، ٣١٢، ٣١٦، ٣٢٥، ٣٣٨.

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص٣٠٩،٣١٢،٣١٦.

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص٢١٢،٣٠٩.

(٤) المصدر السابق جـ٢ ص٣١٦.

(٥) عبد العزيز بن محمد بن ابراهيم بن سعدالله بن جماعة ، عزالدين قاضي المسلمين . درس وتمرن مع عدد من كبار العلماء والشيوخ في سلطنة المماليك . كان محباً للعلم واهله ، شديد التصميم في الأمور . وعندما تولى القضاء عمل على عزل كل نائب وصل الى منصبه بالمال .وولاه السلطان الناصر محمد قضاء الشام الى ان عزل نفسه سنة ٧٥٤هـ . وتوفي سنة ٧٦٧هـ. انظر الدرر، جـ٢، ص٤٨٩-٤٩١.

(٦) صبح جـ ١١ ص٢٢٧-٢٢٩، ٢٢٩-٢٣١.

(٧) الخطط جـ ٢ ص٣٠٩،٣٢٥.

ففي جامع الحاكم على سبيل المثال رتبت « دروس اربعة لاقراء الفقه على مذهب الأئمة الأربعة ، ودروس لاقراء الحديث النبوي ، وجعل لكل درس مدرسا وعدة كثيرة من الطلبة فرتب في تدريس الشافعية قاضي قضاة بدر الدين محمد بن جماعة الشافعي (١) ، وفي تدريس الحنفية قاضي القضاة شمس الدين احمد السروجي الحنفي (٢) وفي تدريس المالكية قاضي القضاة زين الدين على بن مخلوف المالكي (٣) ، وفي تدريس الحنابلة قاضي القضاة شرف الدين الجواني ، وفي درس الحديث الشيخ سعد الدين مسعود الحارثي (٤) ، وفي درس النحو اثير الدين ابوحيان ، وفي درس القراءات السبع الشيخ نورالدين الشطنوفي ، وفي التصدير لافادة العلوم علاء الدين علي بن اسماعيل القونوي (٥) » (٦) .

---

(١) محمد بن ابراهيم بن سعد الله بن جماعة ، ولد بحماه سنة ٦٣٩هـ . درس الحديث والفقه ومهر في الفنون . ولي قضاء القدس سنة ٦٨٧هـ . ثم قضاء مصر سنة ٦٩٠هـ. ثم قضاء الشام سنة ٦٩٣هـ . واعيد لقضاء الديار المصرية . ودرس بالمدرسة الصالحية والناصرية وجامع ابن طولون والمدرسة الكاملية وزاوية الشافعي . وعزل عن قضاء الشافعية سنة ٧٢٧هـ بعد أن كف بصره. واستمر رغم ذلك يدرس في المدرسة الخشابية . كان فصيحاً ذكياً برع في كتابة الخطب في بلاغة واضحة ثم يلقيها في فصاحة محمودة. توفي سنة ٧٣٣ هـ. أنظر الدرر ، ج٣ ، ص٣٦٧-٣٦٩.

(٢) احمد بن ابراهيم بن عبد الغني الحنفي شمس الدين أبو العباس السروجي ولد سنة ٦٣٧هـ أقبل على الأشتغال الى ان مهر واشتهر صيته. درس بالمدرسة الصالحية والناصرية والسيوفية وغيرها. وولي القضاء بالقاهرة ، كان نبيلا وقوراً كثير المحاسن . ولم يعرف عنه قط أنه ارتشى او قبل هدية او راعى صاحب جاه او سطوة ملك ، وتوفي سنة ٧١٠هـ انظر الدرر ج١ ، ص٩٦-٩٧ .

(٣) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين ، ولد سنة ٦٣٤هـ. استقر في القضاء في أواخر سنة ٦٨٥هـ فباشره الى ان مات كان حميد السيرة كثير الأحتمال والأحسان للطلبة. وتوفي سنة ٧١٨هـ . أنظر الدرر . ج٣ ، ص٢٠٢ .

(٤) انظر ترجمته ، المصدر السابق ، ج٥ ، ص١١٦-١١٧.

(٥) انظر ترجمته . المصدر السابق ، ج٣ ، ص٩٣-٩٧.

(٦) الخطط ، ج٢ ، ص٢٧٨.

وكذلك جامع الفخري فقد كان فيه «الشيخ شمس الدين محمد بن عبدالدائم البرماوي الشافعي (١) للتدريس واضيف اليه مشيخة التصوف ، وقرر قاضي القضاة شمس الدين محمد الديري المقدسي الحنفي في تدريس الحنفية ، وفي تدريس المالكية قاضي القضاة جمال الدين عبدالله بن مقداد المالكي (٢) »(٣) .

ورتب في بعض من هذه الجوامع خزانة كتب جليلة (٤) ، وكثيراً ماكانت اقامة جامع في أي بقعة سببا في قدوم سائر الناس للسكنى بجواره ، فتكثر حوله الدور والأسواق ، فيصبح المكان منطقة معمورة حسنة البناء والتخطيط (٥) . كما نظمت بعض الجوامع على ان يكون جانب منها لايواء الصوفية ، ويقرر لهم في كل يوم طعام ولحم وخبز ، وفي كل شهر معلوم (٦) . كما كان يعمر بجوار بعضها رباط للفقراء، مأوى يسكنون به من ناحية ويكفيهم مغبة مد اليد وسؤال الأحسان من ناحية اخرى (٧) .

من كل ذلك نستطيع ان نتبين ان مصر في عصر سلاطين المماليك شهدت نشاطا دينيا تعليميا ثقافيا واسعا ، استلزم هذا العدد الكبير من الجوامع التي لم تكن اماكن عبادة فحسب بل مراكز للتدريس ، ومجالس لاجتماع مختلف فئات الشعب بالقضاة والفقهاء .

وتعتبر وظيفة النظر في هذه الجوامع من الأمور الهامة المرتبطة باستمرار هذه الجوامع في تأدية رسالتها في خدمة مختلف فئات الشعب ، وكانت توكل في العادة ، اما لأولاد الواقف او لاحد كبار القضاة (٨) . ويحفظ لنا القلقشندي توقيع بنظر الجامع الناصري

---

(١) انظر ترجمته، الضوء، ج٧، ص٢٨٠-٢٨١ .

(٢) انظر ترجمته .المصدر السابق ، ج٥ص٧١ .

(٣) الخطط ، ج٢ ، ص٣٢٨ .

(٤) المصدر السابق، ج٢ص٣١٢ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) المصدر السابق ، ج٢ص٣٢٠ .

(٧) المصدر السابق ، ج٢ ص٢٩٨ .

(٨) صبح ج١١ ص٢٦٢، الخطط ج٢ ص٢٩٨.

بقلعة الجبل ، كتب للقاضي جلال الدين القزويني (١) ، وهو يومئذ قاضي القضاة الشافعية بالديار المصرية . وتبين لنا الوثيقة (٢) اهمية وظيفة النظر ، حيث ان هذا التوقيع صدر عن الناصر محمد ، وعلى هذا يكون تعيين الناظر في الجامع الناصري بقلعة الجبل ، تم بأمر سلطاني لاينقضه الا السلطان نفسه ، كما يدل على مدى جلال هذه الوظيفة وحساسيتها. يبدأ التوقيع ببيان افضل المماليك على الحركة الأسلامية واستمرارهم في اعلاء منار الأسلام وهذا ماكانوا يحرصون على ابرازه في مختلف المناسبات ، بعد هذا التصدير تتضمن الوثيقة عبارات الحمد لله والشكر له على جليل نعمه وغزير فضله .

ثم تتناول الوثيقة بعد ذلك شرح اهمية تعيين ناظر للجامع ، حيث ان وجوده ضرورة لابد منها ، حتى يمكن لهذا الجامع تأدية الوظائف المطلوبة منه على خير وجه ، والأستمرار في نشاطه الديني والتعليمي والأجتماعي دون انقطاع . ووظيفة الناظر هي الأشراف الكامل على كافة اجزاء الجامع ومايتصل به ، وملاحظة مختلف نشاطاته ، ولكي يضمن الواقف حسن عناية الناظر بالجامع وقيامه بواجبه كاملا — لابد ان يحسن اختيار هذا الناظر ، حيث ان بناء الجامع والأنتهاء من عمارته لا يكفي ، ولكي يحقق هذا الجامع المراد منه والهدف من تشييده — لابد من وجود ناظر كفء يمكن الوثوق بدينه واخلاقه والاطمئنان الى عمله فيقوم مقام النفس في حسن مباشرة امور الجامع ومراقبة احتياجاته يعينه على ذلك تمسكه بدينه وتمكنه من علمه ، ومحبته للامانة والخير وقد وفق السلطان

(١) هو محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن احمد القزويني الملقب بجلال الدين ولد سنة ٦٦٦هـ درس الفقه والحديث واشتغل في الفنون واتقن الأصول واللغة العربية والمعاني والبيان وكان ذكياً فصيحاً .تولى القضاء في بعض بلاد الروم. التقى الناصر محمد سنة ٧٢٤ هـ حيث تولى الخطابة في الجامع الأموي بدمشق الى جانب قضاء الشام . ثم أصبح قاضي مصر سنة ٧٢٧هـ حيث تولى الى جانب ذلك وظيفة النظر في الجامع الناصري بالقلعة . ويقال انه لم يوجد لأحد من القضاة منزلة عند سلطان تركي نظير منزلة جلال الدين . وكان يقدم القصص للسلطان في دار العدل فلا ترد له شفاعة . وحج مع السلطان الناصر محمد. ولم يزل على ذلك الى ان اعيد الى قضاء الشام نقلا من القاهرة بسبب سوء سلوك أولاده . واقام قليلا بالشام ثم مرض ومات سنة ٧٣٩هـ.

أنظر الدرر، ج٤، ص١٢٠–١٢٣.

(٢) صبح ، ١١، ص٢٦٢–٢٦٤ .

باختيار قاضي قضاة الشافعية المعروف بجليل صفاته ،وغزارة علمه، وندرة من يماثله دينا وخلقا وعلما ، وعلى ذلك فهو خير من يقوم بوظيفة النظر والخطابة بهذا الجامع ، ولم يكن ذكر اسمه للتعريف به فهو غني عن التعريف ، وانما هو من مستلزمات مادة من مواد مثل هذه المراسيم السلطانية . ثم تتناول الوثيقة بعض الألقاب والصفات التي يضفيها السلطان على شخص قاضي القضاة سعدالدين ابي القاسم عبدالرحمن بن عمر بن احمد القزويني ، فهو حجة الأسلام والمسلمين وقدوة العلماء العاملين في العالمين ، وغير ذلك من الصفات التي تليق بجلال قدره وعلو مكانته ، وتناسب مايتصف به من تديسن ظاهر ، واخلاق عالية ، وعلم وافر مفيد . ثم تتناول الوثيقة ذكر اهم اسباب اختيار القاضي القزويني لوظيفة النظر ، للاشراف على سير الأحوال في الجامع (١) .

وكان يحتفل بافتتاح الجامع بعد الأنتهاء من عمارته احتفالا كبيراً ، ويعد ذلك من المناسبات الرسمية التي تستدعي حضور السلطان، خاصة اذا كان هذا الجامع اقيم بأمر منه او باسمه ، كما حدث حين « انتهت عمارة الجامع الجديد الناصري بساحل مصر ، فنزل السلطان اليه ، ورتب فيه قاضي القضاة بدرالدين محمد بن جماعة الشافعي خطيباً ، ورتب فيه اربعين صوفيا في سطحه ،واربعين صوفيا بداخله ، ورتب لكل منهم الخبز واللحم في اليوم ، ومبلغ خمسة عشر درهما في الشهر ، وجعل شيخهم قوام الدين الشيرازي ، ووقف السلطان عليه قيسارية العنبر بالقاهرة ، وعمل له ربعا وحماما، وأقام له خطيبا ، واول صلاة صليت به ظهر يوم الخميس ثامن صفر بامامة الفقيه تاج الدين ابي عبدالله محمد بن الشيخ مرهف ، وخطب فيه من الغد يوم الجمعة تاسعه قاضي القضاة بدرالدين محمد بن جماعة » (٢) .

اما بالنسبة للمساجد في مصر ايام حكم سلاطين المماليك فقد سبق ان ذكرنا انهـــا كثيرة العدد لدرجة يصعب حصرها ، وكان الهدف الرئيسي من وجودها هو اقامة

(١) المصدر السابق جـ١١ـص٢٦٤ .

(٢) السلوك جـ٢ص١١٤ـ١١٥ ،انظر أيضاً الخطط جـ٢ ص٣٠٤ .

الصلوات الخمس كل يوم لمختلف فئات الشعب ، ولابأس من ذكر بعض الملاحظات الخاصة بتشييد هذه المساجد .

ان بعض هذه المساجد أقامته الدولة (١) ، والبعض الآخر أنشأه الفقهاء أو كبار رجال الدولة الأتقياء (٢) . وكان رصد الأوقاف عند بناء كل مسجد أمراً مهماً حتى يمكن استمرار الانفاق عليه (٣) . وكان يعني بعمارتها عناية كبيرة (٤) ، بل ويعمل على تجديدها اذا استلزم الوضع ذلك (٥) . كما احتوى بعضها على أربطة وزوايا ينقطع فيها الأتقياء للتعبد ، بل منها ماحتوى على عدة بيوت للنساء المنقطعات (٦) .

يستفاد من كل ذلك أن هذه المساجد لعبت دوراً مهماً في خدمة الإهداف الدينية لايقل بأي حال من الأحوال عما قدمته الجوامع ، وسبق أن أشرنا اليه . وعلى ذلك أن كل من الجوامع والمساجد أسهمت اسهاماً لاينكر فضله في بناء صرح الحياة الدينية والتعليمية في مصر في العصر المملوكي . وتفرعت خدماتها وتنوعت وظائفها ، ولم يقتصر ذلك على كونها مراكز تعبد وتهذيب ، بل غدت مؤسسات للعلم والدرس ، وبيوت للعون والمعونة ومنتديات للنصح والتوجيه ، وضمت أعداداً كبيرة من الطلبة والفقهاء .

ثانياً : المدراس :

لم يقتصر اهتمام المماليك بالتعليم على ماقدمته أماكن العبادة من توفير مراكز لقراءة القرآن الكريم ،أو مجالس تشاور مع الفقهاء والقضاة ، أو قاعات للدرس وتعليم الأطفال اليتامى ، بل امتد ذلك الأثر ليشمل اقامة مؤسسات يكون الهدف الأساسي من وجودها ممارسة ونشر التعليم . وقد اشترك السلاطين والأمراء والمقتدرون من العلماء في إقامة صرح التعليم هذا ، فتعددت المدارس وزادت العناية بالتعليم .

---

(١) الخطط جـ٢ ص٤٠٩ .

(٢) المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٩ ، ٤١١ .

(٣) المصدر السابق جـ٢ ص٤٠٩ ، ٤١٢ .

(٤) المصدر السابق جـ٢ص٤٤٧ .

(٥) المصدر السابق جـ٢ص٤٤٨ .

(٦) المصدر السابق جـ٢ ص٤٤٩ .

يرجع تاريخ انشاء المدارس في مصر الى أواخر العصر الفاطمي ثم توسع السلطان صلاح الدين بن أيوب في ذلك ، حيث بنى لكل من الطائفتين الشافعية والحنفية مدرسة بمدينة مصر (١).ومن ثم بدأت قافلة التعليم تسير بعدد ضئيل من المدارس ، وينضم الى القافلة بين فترة وأخرى مدرسة وثانية ،الى أن أصبح بمصر مع بداية حكم السلاطين المماليك عدد كبير من المدارس ، فغدت مصر مركزاً حضارياً للعلم ونشر التعليم ، ولا أدل على ذلك التفوق والتقدم في مجال الحياة العلمية والتعليمية من أن الكانم من طوائف التكرور (٢) لما وصلوا الى مصر سنة «بضع وأربعين وستمائة» (٣) قاصدين الحج دفعوا للقاضي علم الدين بن رشيق مالا بنى به مدرسة للمالكية ،وهي بخط حمام الريش .ولما انتهى بناؤها درس بها القاضي ابن رشيق فعرفت باسمه وصار لها في بلاد التكرور سرحة عظيمة ، وكانوا يرسلون لها الأموال في أغلب السنين (٤) .

(١) المصدر السابق جـ٢ص٣٦٣.

(٢) عن العلاقة بين سلطنة المماليك والسودان الغربي أنظر عاشور، العصر المماليكي في مصر والشام، ص٢٤٢-٢٤٥(الطبعة الأولى سنة ١٩٦٥م) أما عن التجار الكارمية الذين تنتمي اليهم طائفة التكرورية هذه فيمكن القول بأيجاز بأنها طائفة اسلامية احتكرت تجارة البحر الأحمر في العصور الوسطى وخاصة تجارة الكارم او البهار. وقد جاء ذكرهم في كثير من المخطوطات المملوكية، اما عن الدراسات الحديثة حول هذا الموضوع فيمكن ان نذكر. منها :

١ - نعيم زكي فهمي ،طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب اواخر العصور الوسطى ،القاهرة ١٩٧٣م

2 – S.D. Goitein, "New Lights on the beginning of the Karimi Merchants" Journal of the economic and social history of the Orient ,I, pp. 175–184 (1958).

3 – Walter J. Fichel "The Spice Trade in Mamluk Egypt "Op. Cit., I, pp. 157–174 (1958).

4 – Eliyahu Ashtor, "The Karimi Merchant" Journal of the Royal Asiatic Society, London 1956 pp. 45–56.

(٣) الخطط جـ٢ ص٣٦٥.

(٤) المصدر السابق جـ٢ ص٣٦٥، انتصار ، ص٩٦.

ولا شك أن طوائف التكرور أدهشها ماكان في مصر في ذلك الحين ، من المدارس العديده ، فارادوا المشاركة في بناء هذا الصرح التعليمي بالاسهام في بناء مدرسة لتدريس الدين الاسلامي وما يتفرع منه من علوم مختلفة .

ويذكر المقريزي ارتباط عدد من السلاطين المماليك بعدد من المدارس التي ازدهر بها العصر المملوكي،فقد بنى الظاهر بيبرس المدرسة الظاهرية وأنشأ المنصور قلاوون المدرسة المنصورية ، وشيد الناصر محمد المدرسة الناصرية (١) ، وأسس الناصر حسن بن الناصر محمد مدرسته العظمى ، كما أقام ابن أخيه الأشرف شعبان بن حسين المدرسة الأشرفية ، وبنى الظاهر برقوق مدرسته الظاهرية (٢) ، «وفي خلال ذلك ابتنى أكابر الأمراء وغيرهم من المدارس ما ملأ الإخطاط وشحنها» (٣) وبمقارنة قول القلقشندي هذا بما سبق أن ذكره عن المدارس أيام الدولة الفاطمية ثم الدولة الأيوبية (٤) يتضح لنا تمام الوضوح أن العصر المملوكي كان بحق العصر الذهبي في انتشار التعليم نتيجة هذا الاقبال الكبير ، الذي اشترك فيه السلاطين والامراء والأغنياء على حد سواء في انشاء المدارس حتى كثرت وتعددت بشكل كبير لفت أنظار مؤرخي العصر المملوكي فسجلت أقلامهم هذه الميزة الفريدة التي امتاز بها العصر المملوكي .

ولا شك أن الهدف الأساسي من وراء سياسة الاكثار من المدارس أيام حكم السلاطين المماليك هو خدمة الدين الاسلامي وما يتفرع عنه من مختلف العلوم العقائدية والتشريعية . وقد كان وجود العلماء والفقهاء والقضاة في مصر في العصر المملوكي بأعداد كبيرة ،مع تعمق في مختلف الدراسات العقائدية والاجتماعية عاملاً مشجعاً لأصحاب السلطة ، ومحبي العلم والتعليم ، والمقتدرين لانشاء المدارس على مختلف أنواعها ،وقد كان من

(١) السلوك جـ١ ص٩٥١-٩٥٢.

(٢) صبح جـ٣ ص٣٦٤.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) المصدر السابق جـ٣ ص٣٦٢-٣٦٣.

نتيجة ذلك تلك العلاقة الوثيقة والرابطة القوية بين الحكام المماليك من ناحية وبين طبقة العلماء والفقهاء والقضاة والمتعلمين من ناحية أخرى ، وليس هناك ماهو أكثر فعالية من هذه الرابطة القوية بين هذين الطرفين المتناقضين لاقناع الشعب بمختلف طبقاته على تقبل الوضع السياسي والرضا بحكم المماليك الدخلاء. بالاضافة الى ذلك أمعن مؤسسو هذه المدارس في الصرف على بنائها ، وتوفير الأساتذة الأكفاء،وما يلزم من مواد وأدوات لتدريس مختلف العلوم العقائدية والأدبية والعلمية ،ولكن رغم تباينها عن مدارس الدولة الأيوبية في الفخامة العمرانية والتقدم العلمي الا أن كل هذه المدارس تتفق في المظاهر المشتركة والأهداف الواحدة (١). وكان المدرسون في هذه المدارس يختارون بعناية كبيرة ، ويتم تعيينهم من قبل السلطان(٢) .

وقد كان جميع مؤسسي هذه المدارس من السلاطين والوزراء والأمراء والأغنياء والعلماء المقتدرين ،ومن ثم كانت لديهم الموارد الاقتصادية الوفيرة لوقف مختلف الأنواع من الأملاك والعقارات وغير ذلك من الأجزاء، ومن جملة مايوقف على هذه

---

(١) مختصر جـ٤ ص١٣٣ ،الدرر جـ٤ ص٥٠ ، الخطط جـ٢ ص٣٦٣ ، ٣٦٤، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٨٢ ، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢ المنهل جـ١ ص٢٩٢-٢٩٣. الشذرات جـ٦ ص١٤٢-١٤٣..

(٢) بدائع جـ٢ ص٤٢، ٩٥، ١٠٤، ١٠٥ أنظر كذلك

A. A. AL- Muhanna "The Literary Conflict of the Fifteenth centuryand the Role of Al-Sakhawi "Faculty of Arts and Educational Buletin, No. 7-June 1975, Kuwait University p.7.

حيث يشير الى ان العلماء في مدارس القرن الخامس عشر كانوا يختارون بحرص ودقة ثم يتم تعيينهم من السلطان شخصياً حيث يتولى ديوان الأنشاء تدبير الخطوات الأدارية الضرورية .

المدارس عدد كبير من القرى (١) ، والضياع (٢) ، والنواحي (٣)، والحمامات (٤) ، الفنادق (٥) ، والحوانيت (٦) ، والأملاك (٧) ، والأراضي (٨) .

ما عن أوقاف المدرسة الناصرية فيذكر النويري أنه حين «حصل الشروع في عمارتها. وعين له من الأملاك السلطانية مايوقف عليها ، وكان المعين لذلك قاضي القضاة زين الدين المالكي ، وهو يومئذ ناظر الأملاك السلطانية ، التي ورثها السلطان عن والده واخوانه والمبتاعة من أجر أملاكه ،وكانت أجرتها في كل شهر بالقاهرة وظواهرها خاصة تزيد على ثمانية عشر ألف درهم . ولما عزم السلطان على الحركة الى الشام للقاء غازان وضربه عند طروقه الشام ، وقف القبة والمدرسة ، ووقف على مصالحها من أملاكه مايذكر ، وذلك في الثاني والعشرين من ذي الحجة سنة ثمان وتسعين وستمائة قبل استقلاله ركابه الشريف الى الشام بيومين » (٩) .

ثم أخذ النويري بعد ذلك يعدد ماتم وقفه على المدرسة الناصرية من قيساريات(١٠)

---

(١) الخطط جـ٢ ص٣٦٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر السابق جـ٢ ص٣٦٤.٣٧٨.

(٥) المصدر السابق جـ٢ ص٣٦٦.

(٦) المصدرالسابق جـ٢ ص٣٧٤.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) المصدر السابق جـ٢ ص٣٨٢.

(٩) نهاية جـ٣٠ ورقة ٣٣٩أ. أنظر السلوك جـ١ ص٩٥١-٩٥٢. النجوم ، جـ٨ ص٢٠٨ – ٢١١.

(١٠) «القيسارية» وجمعها قياسر او قيساريات وهي السوق المسقوفة .واطلقت أيضاً على الخان او الوكالة ،اي البناء الذي يحتوي على غرف ومخازن للتجار ويعلوه طباق للسكنى . بأرتفاع دورين او ثلاثة .
أنظر عاشور،العصر المماليكي في مصر والشام .الطبعة الأولى ١٩٦٥م. ص٤٤١.

وقاعات وحوانيت وحمامات وخانات (١) وغير ذلك من المباني، وكلها تدر الايجارات الوفيرة ، حيث يستغل كل ذلك للصرف على تعمير المدرسة ، ومرتبات أرباب الوظائف الدينية ، والتعليمية ، والخدمات المختلفة (٢) . وكان جملة ماتدره هذه الأوقاف ريعاً ثابتاً للمدرسة الناصرية يزيد على (٨٤٠٢) درهم في السنة (٣) . كما يشير المقريزي الى أوقاف المدرسة الناصرية بقوله : — «ووقف على هذه المدرسة قيسارية أمير علي بخط الشرابشين من القاهرة ،والربع الذي يعلوها وكان يعرف بالدهيشة ،ووقف عليها أيضاً حوانيت بخط باب الزهومة من القاهرة ، ودار الطعم خارج مدينة دمشق (٤) .

وسبق أن ذكرنا أن جامع ابن طولون كان مخصصاً فيه مكاناً للدرس له وظيفة المدرسة. ومن ريع الأوقاف هذا كان يصرف في بعض الأحيان للفقهاء المقيمين في المدرسة معلوم يعيشون منه (٥) ، وكان هذا المعلوم هو مصدر الرزق الوحيد لبعض الفقهاء ، ومن ناحية أخرى كان هو السبب الوحيد أحياناً لبقاء هذه المدارس وعدم وصول الخراب اليها (٦).

كما كان يصرف من ريع الوقف هذا مرتبات للطلبة () ، ففي المدرسة الناصرية كان

---

(١) «خان» مفرد خانات وهي كلمة فارسية الأصل معناها بيت . ومع الوقت أصبحت تعني في العصر المملوكي فندق. انظر دوزي تكملة المعاجم العربية، ترجمة محمد سليم النعيمي ، ج٤، ص٢٤٢.

ويذكر سعيد عاشور في كتابه العصر المماليكي في مصر والشام . الطبعة الأولى ١٩٦٥م ان الخان هو الوكالة او الفندق المعد لأستقبال التجار وبضائعهم ودوابهم وغيرهم من المسافرين والحجاج ، ويوجد به اصطبل للدواب وفي اعلاه طباق ومساكن للنازلين بـه تطل على حوش اوساحة تتوسط الخان. كذلك يوجد بالخان بئر ماء وميضاه ومسجد صغير .عاشور ،العصر المماليكي ،ص٤١١.

(٢) نهاية ج ٣٠ ورقة ٣٤١ب.

(٣) المصدر السابق ج ٣٠ ورقة ٣٤١أ.

(٤) الخطط ج٢ ص٣٨٢. انظر أيضاً السلوك ج١ ص٩٥١–٩٥٢.

(٥) الخطط ج ٢ ص٣٦٤.

(٦) المصدر نفسه.

(٧) المصدر السابق ج٢ ص٣٦٥.

واجباً على الناظر أن «يصرف لكل واحد من المدرسين ولمعيديه وطلبته والداعي عنده والنقيب في شهر من شهور الأهلة ألف درهم نقرة ، من ذلك مايختص به المدرس عن التدريس مائتي درهم ، والمعيدون والطلبة والداعي والنقيب (١) مايراه من التسوية والتفضيل» (٢) ويلاحظ أن المرتبات التي تصرف للطلبة الدارسين على أيدي فقهاء المذاهب الاسلامية الأربعة تختلف من طائفة الى طائفة ، كما كانت قيمة هذه المرتبات من أسباب جذب الطلبة نحو أحد المذاهب دون غيره ، مثال ذلك مايذكره المقريزي أنه في «سنة سبع وستين وسبعمائة » جدد الأمير يلبغا العمري الخاصكي درساً بجامع ابن طولون فيه سبعة مدرسين للحنفية ، وقرر لكل فقيه من الطلبة في الشهر أربعين درهماً وإردب قمح فانتقل جماعة من الشافعية الى مذهب الحنفية » (٣) .

والى جانب ماكان يحصل عليه أرباب الوظائف من مرتبات منتظمة كانت تتوزع عليهم الخيرات المختلفة في المناسبات الدينية كما جاء في وصف المدرسة الحجازية : «وجعلت على هذه الجهات عدة أوقاف جليلة يصرف منها لأرباب الوظائف المعاليم السنية وكان يفرق فيهم كل سنة ايام عيد الفطر الكعك والخشكنانك(٤)وفي عيد الاضحى اللحم ، وفي شهر رمضان يطبخ لهم الطعام» (٥) ، أما في المدرسة الناصرية فانه « جعل

---

(١) يذكر القلقشندي: « نقابة الجيوش. وهي موضوعة لتحلية الجند في عرضهم. ومعه يمشي النقباء واذا طلب السلطان او النائب او الحاجب اميرا اوغيره . أحضره . وهو كأحد الحجاب الصغار .وله التطلب بالحراسة في الموكب والسفر »اذن كان النقيب يؤدي الخدمات الصغيرة للسلطان او الأمير .

انظر صبح ،ج٤ ص٢١-٢٢.

(٢) نهاية ج ٣٠ ورقة ٣٤٠ب.

(٣) الخطط ج ٢ ص٢٦٩.

(٤) خشكنانك اعجمية الأصل (خشك نانة) بمعنى بقسماط ، وكلمة خشكناكة هي واحدة خشكنا نك وهي تعني بقصم اي نوع من الكعك المعمول من البقسماط فأن خشكنانك . وتعني بقصم .انظر دوزي تكملة المعاجم العربية .ترجمة محمد سليم النعيمي ،ج ٤ ، ص ١٠٣.

(٥) الخطط ج٢ ص٣٨٢.

للناظر أيضاً أن يصرف من ريع الوقف اذا فضل عن المرتب المعين فيه، في ليالي الجمع والأعياد والمواسم وشهر رمضان ،مايراه في التوسعة عليهم ، فان تعذر الصرف لجهة من الجهات عاد الصرف الى ما فيها ، فان تعذر صرف ذلك للفقراء والمساكين من المسلمين أينما كانوا وحيثما وجدوا» (١) .

وبذلت بعض المدارس عناية كبيرة لتوفير بيوت لسكنى الطلبة فالمقريزي في كلامه عن المدرسة الصاحبية البهائية يصف التشاحن والتنافس بين الطلبة بهدف الفوز بالسكن في أحد بيوتها التي أعدتها لاقامة الطلبة ، بل ويقبل الطالب منهم مشاركة آخرين في نفس البيت، ولعل في هذا كناية لما وفرته هذه البيوت الداخلية من راحة ورفاهية للطلاب لكي يتمكنوا من مواصلة دراستهم براحة نفسية ، مطمئنين الى أماكن ايوائهم واستقرارهم «وكانت من أجل مدارس الدنيا ، وأعظم مدرسة بمصر، تنافس الناس من طلبة العلم في النزول بها، ويتشاحنون في سكنى بيوتها حتى يصير البيت الواحد من بيوتها يسكن فيه الاثنان من طلبة العلم والثلاثة» (٢) .

أما المدرسة الظاهرية التي أنشأها الظاهر بيبرس سنة ٦٦٢هـ/١٢٦٣م فقد كان «للناس في سكناها رغبة عظيمة ويتنافسون فيها تنافساً يرتفعون فيه الى الحكام» (٣) ، وهذا دليل على جودة المساكن التي توفرها المدارس للطلبة .

أما عن المدرسة الظاهرية أو البرقوقية التي أسسها السلطان الظاهر برقوق فقد «جعل فيها خطبة ، وقرر فيها صوفية على عادة الخوانق ودروساً للأئمة ، وتغالي في ضخامة البناء» (٤) . ويصف السخاوي مدرسة الظاهر برقوق «بالمدرسة الفائقة» حيث يذكر انها كانت بين القصرين ، لم يتقدم بناء مثلها في القاهرة ... قرر فيها أربعة من المذاهب،

---

(١) نهاية جـ ٣٠ ورقة ٣٤١ب- ٣٤٢أ.

(٢) الخطط جـ٢ ص٣٧١ .

(٣) السصدر السابق جـ ٢ ص٣٧٩.

(٤) صبح ، جـ٣ ص٣٦٤.

وشيخ تفسير ، وشيخ اقراء ، وشيخ حديث ، وشيخ ميعاد بعد صلاة الجمعة»(١) .اذن فالمؤسسة الدينية التعليمية التي بناها الظاهر برقوق كانت عبارة عن مسجد جامع وخانقاه للصوفية ومدرسة لطلبة العلم . وعلى ذلك فقد تطور الوضع من انشاء مسجد فقط ، وتأسيس مدرسة مستقلة الى انشاء مؤسسة دينية تعليمية واحدة تضم المسجد الجامع مع المدرسة ثم أضيفت اليها الخانقاه أيضاً .

يستفاد من ذلك كله أنه وجدت في هذه المدارس مساكن للطلبة والمدرسين ليعيشوا بها ، وتكون المقر الدائم لاقامتهم حتى ينهون دراستهم ، الى جانب ماكان يصرف لهم من مرتبات يتعيشون منها . وقد عمرت هذه المدارس بالمدرسين والمعيدين والطلبة والمباشرين والفراشين ، الى جانب وجود إمام ومؤذن لاقامة الصلوات الخمس ، وقد كان لكل هؤلاء الرواتب الثابتة (٢) .

وبالاضافة الى ماكانت تؤديه هذه المدارس من وظائف علمية وتعليمية ، فانها كانت تستخدم أيضاً لاقامة الشعائر الدينية ، واقامة الصلوات الخمس ، أي أماكن للعبادة ومركز للوعظ والارشاد التهذيبي (٣) . ويستدل على ذلك من قول المقريزي في كلامه عن المدرسة الصالحية : «فلما كان في يوم الجمعة حادي عشري ربيع الأول سنة ثلاثين وسبعمائة رتب الأمير جمال الدين أقوش المعروف بنائب الكرك (٤) جمال الدين الغزاوي

---

(١) الضوء، ج٣، ص١٢.

(٢) الخطط ج ٢ ص٤٠٠، ٤٠٢، ٤٠٤.

(٣) المصدر السابق ج٢ ص٣٧٤، ٣٩٤.

(٤) هو آقشر الاشرفي جمال الدين البرناق المعروف بنائب الكرك . كان من مماليك المنصور قلاوون ثم ولي عن الأشراف خليل نيابة الكرك نحو العشرين سنة ثم ولي نيابة دمشق في سنة ٧١١هـ. عمر جامعاً بالحسينية، وكان يجلس رأس الميمنة ويقوم له السلطان الناصر محمد. ثم ولاه الناصر محمد نظر المارستان المنصوري فباشره بمهابة عظيمة وعمره، ومات بالأسكندرية سنة بضع وثلاثين وسبعمائة هجرية . انظر الدرر ، ج١ ، ص٤٢٣-٤٢٤.

خطيباً بايوان الشافعية من هذه المدرسة ، وجعل له في كل شهر خمسين درهماً ، ووقف عليه وعلى مؤذنين وقفاً جارياً فاستمرت الخطبة هناك الى يومنا هذا» (١) .كما أشار الناصر محمد في الوصية الخاصة بالمدرسة الناصرية الى ضرورة وجود الأئمة والمؤذنين والقراء لاقامة الصلوات الخمس ، فقد جاء في شروط وصية الوقف : «وجعل للناظر أن يرتب بالقبة المذكورة إماماً يؤم المسلمين في الصلوات الخمس،ويفعل مايفعله الأئمة على مايراه الناصر من المذاهب ، ويؤدي اليه اجتهاده ، ويصرف له في كل شهر بالحلال ثمانين درهماً أو مايقوم مقامها» (٢) واشترط على الناظر أن يرتب بالقبة شيخاً لاقراء الحديث النبوي ، ويصرف له من ريع الوقف في كل شهر ثلاثين درهماً نقرة، ويرتب بالمدرسة من القراء الحافظين لكتاب الله العزيز خمسة وعشرين نفراً،ويصرف لهم في كل شهر خمسمائة درهم . ومن المؤذنين ثمانية في القبة والمدرسة لاعلان الأذان واقامة الصلوات والتسبيح ، ويصرف للاثنين الرئيسيين في كل شهر مائتي درهم وثلاثين درهماً نقرة ، ويصرف للستة الباقين في كل شهر مائة درهم وخمسين درهماً (٣). كان الحصول على منصب في أحد المدارس هدف الكثيرين من القضاة ورجال الدولة ، فيشتد التنافس والخلاف بينهم طمعاً في هذه المناصب المدرسية ، سواء التدريس أو النظر أو الاشراف ، فان وفق أحدهم في الحصول على إحدى الوظائف اجتهد في جعلها وراثية لأبنائه من بعده ، ثم أحفاده وذريتهم ، أي يتم ربطها بشخصيات إحدى الأسر .

وكان شرط وصية الواقف في أن يخلف الأبناء والدهم في التدريس وتحويل الوظيفة الى منصب وراثي من الأمور الرئيسية التي تسببت في أن يؤول هذا المنصب لمن لاخير فيهم في مجال العلم والتعليم من ذرية المدرس ،وحرمان الفضلاء من الفقهاء من الارتقاء لهذا المنصب ، وعدم استفادة الطلبة من علومهم . وكان التقيد بشروط الواقف من الامور التي زادت الوضع تعقيداً وسوءاً ، من ذلك ماحدث من صراع بين شمس الدين محمد

(١) الخطط جـ٢ ص٣٧٤.

(٢) نهاية جـ ٣٠ ورقة ٣٤٠أ .

(٣) المصدر نفسه

السخاوي وبين أبناء إمام دار الحديث الكاملية (١) ،ذلك الصراع الذي طال وعجز فيه السلطان عن حل شرط الواقف في وراثة الأبناء في التدريس ، ولم ينجح فيه السخاوي في الوصول الى وظيفة التدريس في دار الحديث الكاملية رغم محاولاته الكثرة (٢)

يفهم من هذه الحادثة أنه حين ينص في وصية الوقف على وراثة الأبناء لأبنائهم في وظيفة التدريس يكون من الصعب بعد وفاة الواقف حل هذا الشرط ، ويكون التقيد به أمراً ضرورياً احتراماً لرغبة الواقف ووصيته . ونتيجة لذلك يصبح من المستحيل على العلماء من أمثال السخاوي الوصول الى مثل هذه الوظائف ، حتى ولو ضمنوا مناصرة السلطان لهم في محاولاتهم هذه . كما كان من غير المستحب ان يعمل السلطان على منع الناظر من تنفيذ شروط الواقف ، حيث إن بقاء الناظر في وظيفة النظر كان مرتبطاً بتقيده بشروط وصية الواقف . بالاضافة الى أنه كان من المتعارف عليه بيع هذه الوظائف من قبل أصحاب الاستحقاق ، مثلما تم بيع وظيفة مشيخة الحديث في الكاملية بمبلغ ستين ديناراً (٣)، دون أدنى اهتمام بأن يعهد بها لمن تؤهله علومه للقيام بالتزاماتها ومسؤولياتها في التهذيب والتعليم . وتذكر المصادر المملوكية أنه كان يحدث في بعض الأحيان أن يقوم المدرس بوظيفة النظر في أوقاف المدرسة الى جانب قيامه بوظيفة التدريس من ذلك ماحدث في المدرسة الناصرية بالقرافة حيث رتب بها مدرس «يدرس الفقه على مذهب الشافعي ، وجعل له في كل شهر من المعلوم عن التدريس أربعين ديناراً ... وعن معلوم

---

(١) كانت هذه الدار أول بيت للحديث بالقاهرة . وقد انشئت بخط بين القصرين من القاهرة وتعرف بدار الحديث الكاملية حيث انشاها السلطان لكامل ناصر الدين بن العادل أبي بكر بن أيوب بن شاذي بن مروان سنة ٦٢٢هـ . وهي ثاني دار عملت للحديث فأن أول دار للحديث بناها العادل نور الدين محمود بن زنكي بدمشق . ثم بنى الكامل هذه الدار ووقفها على المشتغلين بالحديث النبوي ثم من بعدهم على الفقهاء الشافعية ووقف عليها الربع الذي بجوارها .واول من ولى تدريس الكاملية الحافظ أبو الخطاب عمر بن الحسن بن علي بن دحية.وما برحت بيد أعيان الفقهاء الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ٨٠٦هـ فتلاشت أنظر الخطط جـ٢ ،ص٣٧٥، السلوك ، جـ١ ص٢٥٨.

(٢) ارشاد، ورقة ٣١٦أ وجيز ،ورقة ١٥٢ أ.

(٣) وجيز ،ورقة ١٥٣أ.

النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ، ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصري ، وراويتين من ماء النيل» (١) .

ومن ناحية أخرى يظهر في نسخة توقيع بتدريس المدرسة الصلاحية الناصرية كتب لقاضي القضاة تقي الدين ابن قاضي القضاة تاج الدين ابن بنت الأعز — ان هذه الوظيفة توكل لمن تؤهله أخلاقه وسمعته وعلمه للقيام بمسؤولية هذا المنصب ، حيث يتم تعيينه بأمر سلطاني لينشر علمه بين طلاب المعرفة ويكون في ذلك قدوة لعلماء عصره (٢) .

واذا حدث وترامى الى سمع السلطان فشل المدرس الذي عينه في القيام بأعباء مسؤولياته كاملة ، فانه يتم احضار هذا المدرس بين يدي السلطان للتحقيق في الأمر (٣) . وكان المدرس يقوم بتدريس العلوم الشرعية من التفسير والحديث والفقه أو النحو والتصريف أو غير ذلك حسب تخصصه ، ويأتي من بعده المعيد الذي يعيد ماسبق أن شرحه المدرس لكي يفهمه الطلبة (٤) . وكان لزاماً على المدرس ان يعامل الطلبة وكأنهم أبناؤه (٥) .

ويلاحظ ارتباط هذه المدارس بالمذاهب الاسلامية الأربعة فيختص بعضها للفقهاء الشافعية ، وبعضها للفقهاء المالكية ، وبعضها للحنفية (٦) . وفي بعض الأحيان يكون في مدرسة واحدة درس للطائفة الشافعية ، ودرس للطائفة الحنفية (٧) . كما وجدت مدارس بها دروس اربعة لطوائف الفقهاء الأربعة ، مثلما وجد في المدرسة الناصرية من تدريس المذاهب الأربعة على يد كبار الفقهاء ومعهم المعيدون والطلاب ، كل مجموعة في ايوان ، المالكية في الايوان القبلي ، والشافعية في الايوان البحري ، والحنفية في الايوان الشرقي ، والحنابلة في الايوان الغربي ، ويراعى تحديد عدد المعيدين والطلبة حسب أوامر

---

(١) الخطط ج ٢ ص ٤٠٠.
(٢) صبح ج ١١ ص ٢٣١— ٢٣٤،قارن ص٢٣٦—٢٣٩ ، ٢٣٩—٢٤١.
(٣) حوادث ورقة ١٢ أ، تبر ص ٢١٩.
(٤) صبح ج ٥ ص٤٦٤.
(٥) المصدر السابق ج ١١ ص٢٤٧.
(٦) الخطط ج ٢ ص٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧١، ٣٧٣، ٣٧٩.
(٧) المصدر السابق ج ٢ ص٣٦٩ .

الناظر (١) . وعنيت بعض المدارس بتدريس علم الطب مثل المدرسة المنصورية (٢) .ووجد من أهل الدين والعلم من اذا بنى مدرسة ، وانتهى منها ، ووقف عليها الأوقاف الجليلة باشر التدريس بها بنفسه (٣) ، فالشيخ هبة الله بن علي بن السديد الأسنائي مجد الدين سنة ٧٠٩هـ/١٣٠٩م (٤) تولى التدريس في مدرسته التي أنشأها في بلدة أسنا ، ووقف عليها بساتينه ، وكان يعمل للطلبة فيها طعاماً طيباً (٥) . الى جانب ماكانت تؤديه بعض المدارس من منافع تتفق مع كونها مكان عبادة ودرس ، كانت تقوم أيضاً بوظيفة الخانقاه ، حيث تصبح مقراً لايواء الصوفية ، وممارسة وظيفة التصوف ، واستضافة الواردين من الفقراء (٦) . فالمدرسة المهمندارية التي بناها الأمير شهاب الدين أحمد بن آقوش العزيزي المهمندار ونقيب الجيوش في سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٥م «جعلها مدرسة وخانقاه» (٧) ، والمدرسة الجمالية التي بناها الأمير الوزير علاء الدين مغلطاي الجمالي سنة ٧٣٠هـ/١٣٣٠م «جعلها مدرسة للحنفية وخانقاه للصوفية» (٨) .

الى جانب ذلك ضمت معظم هذه المدارس خزانة كتب بها امهات الكتب في مختلف العلوم (٩). واحتوت بعض المدارس على كتب تكون من جملة الموقوف للتعليم في هذه

(١) نهاية جـ٣٠ ورقة ٣٤٠ب.

(٢) الخطط جـ ٢ ص٣٧٤.

(٣) الطالع ص١٠٢–١٠٣.

(٤) هو مجد الدين هبة الله بن علي السديد الأسنائي ، أخذ عن البهاء القفطي ،وبنى مدرسة بأسنا وقف عليها وقوفاً ، وباشر تدريسها بنفسه .وكان يعمل للطلبة الأطعمة. وكان يرى أنه يكفي الطالب الغائب عن المدرسة عقاباً مايخسره من حرمان عقله العلم والمعرفة التي كان سيستفيد منها في ذلك اليوم. انظر الدرر جـ ٥ ،ص١٧٦.

(٥) الطالع ٦٩٩–٧٠١، الدرر جـ ٥ ص١٧٦. المنهل جـ١ ص٣٩٢–٣٩٣.

(٦) الشذرات جـ ٦ ص١٤٢ – ١٤٣، الخطط جـ ٢ ص٣٩٢،٣٩٣،٣٩٤،٣٩٨،٤٠١.

(٧) الخطط جـ٢ ص٣٩٩.

(٨) المصدر السابق جـ ٢ ص٣٩٢.

(٩) المصدر السابق جـ٢ ص٣٧١،٣٧٩،٣٨٢،٣٩٢،٣٩٤،٣٩٥،٣٩٩، ٤٠١.

المدارس (١) ، فالمدرسة الفاضلية كان بها جملة عظيمة من الكتب في سائر العلوم ، يقال انها كانت مائة ألف مجلد (٢) .

أما المدرسة المحمودية التي أنشأها الأمير جمال الدين محمود بن علي الأستادار سنة ٧٩٧هـ/١٣٩٥م فقد «عمل فيها خزانة كتب لايعرف اليوم بديار مصر ولا الشام مثلها ، وهي باقية الى اليوم ، لايخرج لأحد منها كتاب الا أن يكون في المدرسة ، وبهذه الخزانة كتب الاسلام من كل فن» (٣) . وكان من المعتاد أن يعين لخزانة الكتب في المدرسة مشرفاً يتولى العناية بها والاهتمام بما فيها ، من كتب ومراقبة الاعارة ففي المدرسة الناصرية مثلاً : «شاهداً لخزانة الكتب يحفظ مافيها من الكتب ، ويضبط مايؤخذ منها للاشتغال بها ، بحيث لاتخرج الكتب من المدرسة ، ويصرف له في كل شهر ثلاثين درهماً او مايقوم مقامها من النقود» (٤) .

كما كان من المتعارف عليه بين محبي الخير وقف الكتب (٥) ، حيث يتم تعيين بعضها لتكون للدرس والاطلاع لراغبي العلم والطلبة والباحثين عن المعرفة ، دون أن يكون لأحد فيها حق البيع أو الاستبدال او الاعارة غير المضمونة . ويشير ابن حجر في كتابه «الدرر الكامنة» الى كثير من امثال هذا في تراجم الفضلاء من الناس (٦) . وكان البعض حين يبني مدرسة يوقف فيها كتباً جيدة (٧) ، كما اهتم اهل العلم بوقف كتبهم على الطلبة (٨) ، وقد يكون السبب من وراء ذلك هو صعوبة حصول الطلبة على الكتب ، عكس الحال مع المدرسين ، اما لأسباب مادية ، او لأسباب اجتماعية . وكان بعضهم

---

(١) المصدر السابق جـ ٢ ص٣٦٦.
(٢) المصدر السابق جـ ٢ ص٣٧٩ .
(٣) المصدر السابق جـ٢ ص٣٩٥.
(٤) نهاية جـ ٣٠ ورقة ٣٤١أ.
(٥) الطالع ص٢٩٧.
(٦) الدرر جـ١ ص٣٩٩، جـ ٤ ص٣٥٥، قارن مختصر جـ٤ ص١٢٩.
(٧) الدرر جـ٢ ص١٥٥، جـ٥ ص٩٧.
(٨) المصدر السابق جـ ٢ ص٣٦٤.

يحرص حين يوقف كتباً أن يضعها في مسجد او جامع (١) ليسهل على العلماء والطلبة الحصول عليها .

وكان يتفانى في بناء هذه المدارس من الخشب الطيب للأبواب والرخام الأبيض والملون ومختلف القناديل وبأعداد زائدة (٢) . وعلى سبيل المثال نجد أن باب المدرسة الناصرية «من الرخام الأبيض البديع الزي الفائق الصناعة ، ونقل الى القاهرة من مدينة عكا . وهي من الرخام قواعدها وأعضادها وعمدها كل ذلك متصل بعضه ببعض فحمل الجميع الى القاهرة .....» (٣) .

كذلك تجدر الاشارة الى المدرسة الطيبرسية فقد «تأنق في رخامها وتذهيب سقوفها حتى جاءت في أبدع زي وأحسن قالب وأبهج ترتيب ، لما فيها من اتقان العمل وجودة الصناعة ، بحيث إنه لم يقدر أحد على محاكاة مافيها من صناعة الرخام . فان جميعه أشكال المحاديب ، وبلغت النفقة عليها جملة كثيرة . وانتهت عمارتها في سنة تسع وسبعمائة ، ولها بسط تفرش في يوم الجمعة كلها منقوشة بأشكال المحاديب أيضاً» (٤). وعند الانتهاء من عملية البناء والزخرفة في هذه المدارس كان يحتفل احتفالاً كبيراً بافتتاحها ، حيث تمد الأسمطة ، وتنشد الأناشيد وتوزع الخلع على العلماء وأهل الحديث والقراء والمدرسين (٥) .

وبالاضافة الى كل ماذكرناه من انشاء المدارس والمكتبات ومكاتب الأيتام عني أهل الخير أيضاً ببناء دور للحديث ، وعلى سبيل المثال مايذكره الإدفوي من أن محمد بن بشائر القوصي الأخميمي ت سنة ٦٩٢هـ/١٢٩٣م «بنى مكاناً للحديث» (٦). الى جانب

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص١١٨، ٢٩٣.

(٢) الخطط ج ٢ ص٧٠، ٤٧١، ٣٧١، ٣٨٢، ٤٠١.

(٣) المصدر السابق ج ٢ ص٣٨٢.

(٤) المصدر السابق ج ٢ ص٣٨٣، أنظر كذلك انتصار ، ص٩٦-٩٨.

(٥) الخطط ج ٢ ص ٣٧٩، ٤٠١ ، ٤٠٣-٤٠٤، السلوك ج ١ ص٥٠٤.

(٦) الطالع ص٥٠٤.

دار الحديث الكاملية التي سبقت الاشارة اليها والتي تعرف بالمدرسة الكاملية (١) . وكان ازدهار العصر بعدد كبير من العلماء والفقهاء واهل الشرع والشريعة من أهم الأسباب التي هيأت لتلك الحركة العلمية الظهور والتفوق ، فكما سند الثراء هذه المدارس والمكتبات ومكاتب السبيل و دور الحديث من الناحية الاقتصادية ـ كانت تلك الطبقة المتعلمة والحريصة على طلب العلم ونشر التعليم سنداً أكاديمياً قوياً ، كذلك لتلك الحركة العلمية فرصة الاستمرار والتقدم .

ثالثاً : الخانقاوات :

يعود الفضل الى السلطان صلاح الدين الأيوبي في انشاء أول المراكز الدينية التعليمية في مصر وذلك في سنة ٥٦٩هـ/١١٧٤ م حين أنشأ الخانقاه (٢) الصلاحية دار سعيد السعداء (٣) .

وتعتبر خانقاه ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري أجل خانقاه بالقاهرة من ناحية البناء والأهمية حيث بدأ في بنائها سنة ٧٠٦هـ/١٣٠٦م ، وبنى بجانبها رباطاً كبيراً يمكن الوصول اليه من داخلها (٤) . وقد استغرق بناؤها ثلاث سنوات حيث قرر فيها «أربعمائة صوفي ، وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت ، وجعل بها مطبخاً يفرق على كل منهم في كل يوم اللحم والطعام وثلاثة أرغفة من خبز البر ، وجعل لهم الحلوى ، ورتب بالقبة درساً للحديث النبوي له مدرس وعنده عدة من المحدثين ورتب القراء بالشباك الكبير يتناوبون القراءة فيه ليلاً ونهاراً . ووقف عليها عدة ضياع

(١) الخطط ، جـ ٢ ، ص٣٧٥.

(٢) «الخانقاة» جمعها خوانق او خانقاوات وهي كلمة اعجمية ومعناها البيت حيث كانت مركزاً ينقطع فيه الصوفية للعبادة والتصوف . وهي حديثة في الأسلام حيث ظهرت في حدود الأربعمائة الهجرية . واول من أحدث الخوانق في مصر السلطان صلاح الدين الأيوبي . انظر السلوك ، جا ، ص١٨٢ ، هامش ٤.

(٣) صبح جـ١١ ، ص٣٧٠ - ٣٧٢. (نسخة توقيع بمشيخة الشيوخ بالخانقاة المذكورة) .

(٤) الخطط جـ٢ ، ص٤١٦.

بدمشق وحماة ومنية المخلص بالجيزة من أرض مصر وبالصعيد والوجه البحري والربع والقيسارية بالقاهرة» (١) .

وقد وصلت الخانقاوات في العصر المملوكي أعلى درجات الارتقاء في التنظيم واساليب الدرس ونخبة العلماء المشرفين على حلقات الدراسة والوعظ والتفسير من ذلك على سبيل المثال لا الحصر خانقاه سرياقوس (٢)

وقد رتب الشيخ مجد الدين أبي الثناء محمد الأقصرائي الشافعي شيخاً للخانقاه (٦) ، وقد اختير لدينه وتقواه وزهده وخشوعه وجلالة علمه (٣) .

ولاشك ان اختيار الشخصية المناسبة لوظيفة مشيخة الخانقاه (٤) من الأمور الدقيقة ، التي تتطلب اهتماما كبيراً ، اذ لابد ان يتوفر في الشيخ شروط ومواصفات ينفرد بها دون غيره من الشخصيات ، وهذه الفضائل تكون معينا له في خلق حياة منظمة داخل الخانقاه ، والأستمرار في القيام بمسؤليتها الدينية والتعليمية على خير وجه . فلا يطغى جانب على آخر ولايهمل نشاط على حساب نشاط آخر .

ويلاحظ اهتمام اصحاب الخوانق في تنظيم عملية توزيع الغذاء اليومي والمصروف الشهري والمواد الأستهلاكية فيذكر المقريزي في كلامه من خانقاة الأمير بكتمر الساقي أنه « استقر في مشيختها الشمسي شمس الدين الرومي ورتب له عن معلوم المشيخة في كل شهر مائة درهم وعن معلوم الامامة مبلغ خمسين درهما ، ورتب معه عشرين صوفيا لكل منهم في الشهر مبلغ ثلاثين درهما فجاءت من اجل ما بني بمصر، ورتب بها صوفية

---

(١) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤١٧.

(٢) بداية ص ١١٨ ، البدر ورقة ١٦ب ، تذكرة ورقة ٨٢ب ، تتمة ص٩٦ . الدرر ج ٤ ص ٢٦٤. السلوك ج ٢ ص ٢٦١-٢٦٣ ، ٥٣٩ ، النجوم ج ٩ ص٧٩-٨٤ ، بدائع ج ١ ص١٦٣-١٧٥.

(٣) صبح ، ج١١ ، ص٣٧٠.

(٤) المصدر السابق، ج١١، ص٣٧٢-٣٧٦.

(٥) لمزيد من التفاصيل عن وظيفة« شيخ الخانقاة» أنظر معيد، ص١٢٤.

وقراء، وقرر لهم الطعام والخبز في كل يوم والدراهم والحلوى والزيت والصابون في كل شهر » (١) .

وكان تدريس الطلبة وتعليمهم احد الأهداف الرئيسية لبعض الخانقاوات من ذلك خانقاة شيخو التي أنشأها الأمير سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦هـ — ١٣٥٥م. «ورتب بها دروسا عدة منها اربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة، وهم الشافعية والحنفية والمالكية والحنابلة ، ودرسا للحديث النبوي ، ودرسا لاقراء القرآن بالروايات السبع ، وجعل لكل درس مدرسا ، وعنده جماعة من الطلبة وشرط عليهم حضور الدرس وحضور ، وظيفة التصوف .... وتخرج بها كثير من اهل العلم » (٢) . وعلى ذلك يمكن القول إن الخانقاة كانت تؤدي ايضاً وظيفة المدرسة لتعليم وتخريج الطلاب. كما عني في بعض الخانقاوات ببناء يقرأ فيه الأطفال المسلمين الأيتام كتاب الله تعالى، ويتعلمون الخط، ولهم في كل يوم الخبز وغيره (٣) .

رابعاً: الزوايا :

اما الزوايا (٤) فقد ارتبطت بأسماء شخصيات دينية معروفة بالفضيلة مشهورة بالفقه ولهم أتباع ومريدون ومعارف ، كما كان لهم ايضا حظوة لدى السلاطين المماليك (٥) . بل يذكر المقريزي ان بعضهم «كان يجلس للوعظ فتجتمع اليه الناس ويذكرهم ويروي الحديث ويشارك في علم الطب وغيره من العلوم » (٦) وبعبارة اخرى يمكن القول ان كل

(١) الخطط ، جـ٢ ، ص١٢٣.

(٢) المصدر السابق، جـ٢ ، ص٤٢١.

(٣) المصدر نفسه.

(٤) الزوايا ومفردها زاوية وهي كلمة عربية تعني الركن من الدار او المكان عامة . ثم اصبحت تطلق على المكان الذي ينشيء لا يواء المنقطعين للعلم والزهاد والعباد . وكان غرض منشئيها والمتصدقين عليها فعل الخير واكتساب الثواب. انظر السلوك جـ١ ص١٨٢. هامش ٤.

(٥) الخطط ، جـ٢ ص٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢.

(٦) المصدر السابق ، جـ٢ ص٤٣٤.

شيخ من هؤلاء كان يمثل مع طلابه ومريديه مدرسة اخلاقية، قائمة بذاتها، متسمة بأفكار خاصة وتيارات دينية متميزة، ومرتبطة برباط معين يهيء لها نوعا من الأستقرار المعيشي كما كان من هؤلاء الشيوخ من «عرف بالخير والصلاح وكتب على الفتوى، ودرس بالجامع الأزهر وغيره، وتصدى لأشغال الطلبة عدة سنين» (١)

ومن جانب آخر يذكر السبكي انه كان من حق شيخ الزاوية «تهيئة الطعام للواردين والمجتازين، ومؤانستهم اذا قدموا، بحيث تزول خجلة الغربة عنهم، ولابأس بإفراد مكان للوارد، لئلا يستحي وقت اكله وراحته» (٢).

وقد كانت الزاوية مركزاً للتصوف وسماع القرآن الكريم والحديث (٣). كما اقتصرت خدمات بعض الزوايا حسب وصية الواقف على اصحاب الحاجة والمعوزين (٤) وكان بعض اصحاب الزوايا يوصي بأن يدفن في زاويته (٥). ومن هنا يمكن القول بان الزوايا كانت تؤدي منافع تعليمية واجتماعية لطلاب العلم والفقراء. الى جانب انها كانت مركزاً تصوفيا لمن يرغب في الأنقطاع عن المجتمع والأنصراف كلية للعبادة والزهد. وكان الزهاد في الزوايا يرفضون المساعدة المالية التي كانت يقدمها لهم بعض الأمـراء المماليك، ويفضلون العيش بالقليل مما يرد اليهم من ريع الأوقاف» (٦).

خامساً: الاربطة :

كذلك كان للأربطة (٧) دور كبير في خدمة اغراض التصوف والأنقطاع للعبادة

(١) المصدر السابق، ج٢، ص٤٣٥

(٢) معيد، ص١٢٦.

(٣) الخطط، ج ٢، ص٤٣٢.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) المصدر السابق، ج٢ ص٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢.

(٦) الدرر، ج٥ ص٤٢.

(٧) مفردها رباط وهي كلمة عربية الأصل تعني مكان اقامة الحامية المرابطة عند ثغور العدو ثم اصبحت مكاناً لأيواء الزهاد المنقطعين للعبادة والعلم. انظر السلوك، ج١ ص١٨٢، هامش ٤ ولمزيد من التفاصيل انظر محمد توفيق بلبع نشأة الرباط وتطوره واهمية نظام المرابطة في تأريخ المسلمين دراسات اثرية وتأريخية جمعية الا ثار بالأسكندرية، ١٩٦٨م.

والتعليم . وقد كان معروفا ان الرباط هو بيت الصوفية ومنزلهم حيث يتم الصرف عليهم من ريع اوقافه (١) . ومن اشهر الأربطة في مصر زمن المماليك رباط الآثار (٢) . وقد أنشأه الصاحب تاج الدين محمد بن الصاحب حيث عرف برباط الآثار لانّ فيه قطعتين من الخشب والحديد يقال انهما من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم ، اشتراهما الصاحب تاج الدين هذا بمبلغ ستين الف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع في الحجاز ، وفي عهد السلطان الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون قرر فيه درسا للفقهاء الشافعية وجعل له مدرسا ، وعنده عدة من الطلبة تصرف لهم مرتبات في كل شهر من وقف وقفه عليهم ، ثم وقف السلطان الظاهر برقوق قطعة ارض لعمل الجسر المتصل بالرباط ويحتوي رباط الآثار هذا على خزانة كتب (٣) . وكان الناس يقصدون هذا الرباط طلبا للبركة لما يحتويه من آثار نبوية يعتقدون النفع بها (٤) .

اما رباط الأفرم الذي ينسب الى الأمير عزالدين أيبك الأفرم فقد « رتب فيه صوفية وشيخاً واماما ، وجعل فيه منبرا يخطب عليه للجمعة والعيدين ، وقرر لهم معاليم من اوقاف ارصدها لهم » (٥) . أذن تؤكد هذه العبارة ان الرباط هو بيت الصوفية فيكون لهم مأوى ومدرسة ، الى جانب مايؤديه هذا الرباط بالذات من مسؤولية الجامع الذي يؤمه المسلمون لتأدية صلاة الجمعة والعيدين . وقد هيأ ريع الوقف الجاري الفرصة لهذا المركز الديني التعليمي للاستمرار في تأدية الأغراض المطلوبة . وكان حرص اصحاب الأربطة على استمرارها في تحقيق الأهداف الدينية والتعليمية سببا رئيسيا في ان يكثر هؤلاء المؤسسون من رصد الأوقاف العديدة فرباط العلائي مثلا « وقف عليه بستان الجرف وبستانا بناحية شبرا ، وعدة حصص من قرى فلسطين والساحل واحكاراً ودورا بجانب

(١) الخطط ، ج٢ ، ص٤٢٧ .
(٢) المصدر السابق ، ج٢ ص٤٢٩ ، انتصار ، ص١٠٢ –١٠٣ . الدرر ، ج٤ ، ص٣٢٣ .
(٣) الخطط ، ج٢ ص ٤٢٩ ، قارن انتصار–ص١٠٢–١٠٣ ، ١١٠ الدرر ، ج٤ ، ص٣٢٣ .
(٤) الخطط ، ج٢ ، ص٤٢٩ .
(٥) المصدر السابق ، ج٢ ، ص٤٣٠ .

الرباط » (١) . وكانت هذه الأملاك المتنوعة توفر ريعا على كافة الأغراض ومختلف الأسباب .

وقد اقتصر بعض الأربطة على خدمة النساء وتعليمهن وايوائهن مثل رباط البغدادية الذي اسسته تذكار باي خاتون ابنة الساطان الظاهر بيبرس سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م (٢) ، وأوكلت مهمة الأشراف على جميع مسؤولياته الى الشيخة زينب ابنة ابي البركات المعروفة ببنت البغدادية (٣) . وقد ضم هذا الرباط « النساء اللاتي طلقن اوهجرن حتى يتزوجن اويرجعن الى ازواجهن صيانة لهن لما كان فيه من شدة الضبط وغاية الأحتراز والمواظبة على وظائف العبادات» (٤) . كذلك اهتم الفقهاء ببناء الأربطة ووقف الأوقاف عليها(٥).

---

(١) الخطط ، ج٢ ، ص٤٣٠ ، انتصار ، ص١٠٢ .

(٢) الخطط ، ج٢ ، ص ٤٢٧-٤٢٨ .

(٣) المصدر السابق ج ٢ ، ص٤٢٨.

(٤) المصدر نفسه.

(٥) الطالع ، ص٥٥٨.



البقية في العدد القادم

الاسس النفسية للعدوان البشري
مع دراسة تحليلية
لنموذج العدوان الايراني على العراق

اعداد

د. محمد الياس بكر العزاوي

قسم علم النفس / الجامعة المستنصرية

مقدمة :

العدوان والعنف البشري والحرب من الظواهر السلوكية التي شغلت الأنسان منذ ان وجد على الأرض. وتشير بعض الدراسات الى انه خلال الـ ٥٦٠٠ سنة الماضية ، اي منذ ان بدأ الأنسان يدون تأريخه ،قد حدثت ١٤٦٠٠ حرباً تقريباً ، اي بمعدل ٣ حروب كل عام (Deaux, 1983, p192)

ويشير بير Beer الى انه خلال الفترة الزمنية المذكورة نفسها ، لم تمر سوى فترة ٢٩٢ عاماً من السلام . كما يذكر ايضاً رقماً مقارباً لعدد الحروب يبلغ ١٤٥٠٠ حرباً كما يشير سنجر وسمول Singer & Small ، استناداً الى الوثائق الرسمية ، الى ان ٣٦٧ حرباً دولية واقليمية ومحلية قد حدثت في الفترة بين عام ١٨١٦ و١٩٦٥ ، ٢٨ منها في الشرق الأوسط ، و ١٤٤ في اوربا. وانه قد حدثت ٢٦ حرباً دولية وعنفاً محلياً في الفترة من ١٩٦٧— ١٩٧٥ (Beer, 1981, p. 20-21, 35) وانظر ايضاً (Woito, 1982, p. 62).

ان العدوان سلوك نجده في كل زمان ومكان ،رغم وجود الفروق فيه بين فرد وآخر وامة واخرى . فنحن نجد ان بعض الأشخاص أكثر عدوانية من الاخرين. كما نجد ان بعض الأمم أكثر عدوانية من الأخرى . وفي الولايات المتحدة الأميركية مثلا . تشير دراسات اللجنة القومية المختصة بالعنف واسبابه ووسائل الحد منه الى ان بلادهم تأتي في مقدمة الدول في معدلات القتل والأعتداء والأغتصاب و السرقة، حيث نجد ان معدل

القتل فيها يبلغ ٥ لكل ١٠٠٠٠٠ من السكان وهي نسبة تفوق مرتين ماموجود في فنلندا البلد الثاني في معدل القتل (Wrightsman, 1972, p. 157) . كما يبلغ معدل حالات الأنتحار في الولايات المتحدة ٢١٤ مرة بقدر ما موجود في اليابان . وفي طوكيو، المدينة التي كان يسكنها ٩ ملايين نسمة عام ١٩٧٠، حصلت ٣ جرائم قتل و ٤١٤ سرقة . اما في نيويورك فقد بلغ عدد الذين قتلوا في السنة نفسها ٥٠٠ شخص، كما حدثت ٧٤١٠٢ سرقة. ويشير ذلك الى ان شعب الولايات المتحدة من أكثر الشعوب استخداماً للعنف (Severy, 1976, p.295) .

اهمية دراسة موضوع العدوان البشري

بما ان العدوان ظاهرة سلوكية ترافق الأنسان في حياته على المستوى الفردي، والجمعي في حالة الحرب بين الجماعات أو الأمم ، بغض النظر عن طبيعة الحياة الأجتماعيـــة والسياسية ، وان هذه الظاهرة تزداد وتتعمق بزيادة التقدم الحضاري والتكنولوجي ، فإن دراسة العدوان والعنف والحرب تصبح ضرورة لفهم طبيعتها ومعرفة دوافعها واساليب معالجتها والتعامل معها، خاصة الجمعي منها الذي يؤدي الى ابادة اعداد كبيرة من البشر وتدمير الحضارة بفترات قياسية قصيرة من الزمن .

لقد تعرضت الأمة العربية في السابق ، ولاتزال ، الى عدوان متنوع من شعوب وقوى دولية متعددة ، اضافة الى الصهيونية . وآخر عدوان كبير كان الذي وقع على القطر العراقي بعد ان استلم الخميني وجماعته الحكم في ايران .

تعريف العدوان

للعدوان تعاريف عديدة تمتد على مدى يقع بين الشمولية والتخصيص. كماان البعض يميز بين العدوانية والعدائية .

يعرف السلوك العدواني بأنه اي نشاط يقصد به الحاق الأذى البدني او الألم بالأخرين (Lesser, 1971, p. 361) اما العدائية فانها تختلف عن العدوان في كونها لاتلحق أذى بدنياً بالأخرين (الطيب،١٩٨٦ ص ٦١٣)، وتشتمل على اتجاهات عدوانية (Lindgren, 1973, pp. 434-435) .

ويعرف العدوان تعريفاً واسعاً لدى مجموعة من العلماء، فيشيرون الى انه : « المدى الكلي من سلوك التوكيد والمهاجمة: وهو يتضمن السلوك الصريح والضمني من سلوك السيطرة، اضافة الى المحاولة المقصودة لأمتلاك القوة، أو مهارة ما أو لأنجاز فعل» (Lindgren, 1973, p.463) .

ويلاحظ في هذا التعريف انه يدخل العمل ضمن العدوان. فهو يتضمن اي سلــوك يقوم به الإنسان لأحداث تغيير في البيئة أو المجال الذي يتواجد فيه . الا انه ينبغي التمييز بين العدوان الموجه للاضرار بالاخرين، أو ما يمكن تسميته بالعدوان «الشرير» والعدوان الموجه لافادة الآخرين أو« العدوان الحميد» ،وهو الذي يحول البيئة لصالح الأنسان .

اما التعريف الشامل فأنه يدخل العدائية ضمنه، وهو لايقتصر على كونه موجهـــاً نحو الاخرين، وانما قد يكون موجهاً نحو الذات، أو الممتلكات . كما انه لايقتصـــر على السلوك أو الفعل ، فقد يكون اتجاهاً مكظوماً من الغيظ والغضب والعدائية .أو لفظياً يقع ضمنه الأنتقاد ايضاً ،بنوعيه الموجه للاخرين والذات . وبهذا يكون العدوان اي سلوك يقصد به الحاق الأذى بالأخرين او بالممتلكات او الذات . وقد يكون فعلا او لفظاً أو اتجاهاً ، أو مزيجاً منها، صريحاً أو ضمنياً .

نظريات العدوان :

ان العدوان كسلوك يستثير الأنسان أكثر من غيره من انواع السلوك الأخرى مثل سلوك التعاون أو تقديم المساعدة لأنسان في ظرف صعب. والأمثلة التي تؤيد ذلك، أي قدرة منبهات العنف على جذب الأنتباه كثيرة في حياتنا اليومية. فالبحر الهائج الذي يضـــرب سفينة جانحة أكثر أثارة من البحر الهادىء، وما نجده من سرعة في تجمع الناس فـــي أماكن وقوع الحوادث . ونجد الصحف والأذاعات تكثر من نشر وعرض اخبار العنف وتباع قصص القتل الغامض (والعنف أكثر من القصص الأدبية الخالية من العنف بمرات (Lindgren, 1973,pp.438 - 439).

ونظراً لكثرة أحداث العنف والعدوان ، فقد حاول الأنسان فهم كنهه، فقام بصياغة النظريات لتفسيره، منها مما يلي :

العدوان في نظرية التحليل النفسي :

تعتبر هذه النظرية العدوان امتداداً لغريزة الموت التي يسعى فيها الكائن الحي الى العودة الى حالة السكون التي انطلق منها . ولهذا فإن غاية كل حي هي الموت .

والطاقة العدوانية حسب هذه النظرية تتولد بأستمرار داخل الجسم ، ولامفر من التعبير عنها. فإن لم تتوفر لها الفرصة للتعبير عن نفسها بطريقة مقبولة اجتماعياً كما في النشاط الرياضي ، فأنها تتحول الى طاقة للقتل والتدمير ,(Wrightsman, 1.927 p. 152)

اما الفرويديون الجدد، وهم اصحاب المدرسة النفسية الأجتماعية ، فأنهم يرون ان العقلانية في العدوان واضحة أكثر من اللاعقلانية، وان الدوافع العدوانية ظاهرة صحية لانها تمثل تكيفا لحقائق البيئة (Deaux, 1983, p. 194).

ويشير فروم Fromm وهو من التحليليين الجدد ، الى حاجة الأنسان للارتقاء فوق طبيعته الحيوانية ليصبح شخصياً خلاقاً . فإذا ما احبطت هذه الحوافز الخلاقة فأنه يصبح مدمراً (هول ،١٩٧١، ص١٧٤).

العدوان في نظرية التعليم الاجتماعي :

ينتمي علماء هذه النظرية الى المدرسة السلوكية.وهم يرون ان العدوان عادات او استجابات سلوكية مكتسبة. ويبتعدون في تعريفهم للعدوان عن الطاقة الداخلية.ومن تعريفاتهم للعدوان انه «سلوك الهدف منه ايقاع الأذى على شخص اوشيء ما (Wrightsman, 1972, p.160)

واصحاب هذه النظرية يعتبرون العدوان استجابة لمواقف الأحباط الناتجة عن حجب الأهداف عن الطرد .

كما ان الأحباط الذي يحصل في التوقعات يؤدي للعنف الفردي او الجمعي . فعندما يعتاد الناس على ازدهار متصاعد في جوانب الحياة الأقتصادية والأجتماعية والسياسية ، فإن اي تباطؤ أو تقهقر فيها يؤدي الى الشعور بالأحباط . وكذلك الإحساس بالحرمان النسبي لدى مقارنة البعض انفسهم بالآخرين ممن هم افضل منهم حالة تؤدي الى الأحساس

بالأحباط. وقد يدفعهم ذلك الى العنف . كما هو الحال بالنسبة للزنوج في امريكا وكما حدث في الثورة الفرنسية (Deaux, 1983, pp. 213-214) .

نتائج اختبار نظرية الاحباط ـ العدوان :

لقد وضع كل من دولارد وميللر وآخرون معهما نظرية الأحباط ـ العدوان ، ثم عدلها ميللر فيما بعد بالقول ان الأحباط يولد استجابة تحفيزية لأنواع متباينة من السلوك ، والعدوان واحد منها. ثم اجريت الدراسات على الأنسان والحيوان للتحقق من صدق النظرية وجمع الكثير من الأدلة التي تؤيد جوهرها. وظهر ان العدوان أو العنف يستخدم اذا كان ذا نفع عملي ، اي عندما يكون بالأمكان استخدامه لأزالة الأحباط كما ظهر ان العدوانية تبقى عالية لدى الأنسان حتى بعد توفر فرص توجيه العدوان نحو مصدر الأحباط ، وان ضحية العدوان يوجه اليه العدوان احياناً بدرجة اعلى مما يوجه الى المعتدي (Wrightsman, 1972, pp. 165-171) وان وجود السلاح يرفع من درجة السلوك العدواني كما ان حجم الأحباط له صلة بالأستجابة العدوانية ، وكذلك النية او القصد . فإذا كان العدوان مقصوداً كان العدوان هو الأحتمال الأكبر في الرد. ووجد ان الهجوم يستثير العدوان أكثر من الأحباط ـ ويزداد العدوان عندما تطمس هوية المعتدي والضحية ، ومثالها الحالات التي وجد فيها ان الناس يحثون الذي يحاول الأنتحار على تنفيذ محاولته ، عندما يكون الليل مخيماً. وكذلك تؤثر الحرارة والرطوبة العالية (Deaux, 1983, pp. 202-206) ، و (Lindgren, 1973, pp. 101, 446-447).

العدوان في النظرية البيئية الحيوانية :

أصحاب هذه النظرية هم جماعة ينتمون الى فرع من فروع علم الحياة يدعى Echology الذي يدرس الحيوان في بيئته الطبيعية من حيث علاقته بالحيوانات الأخرى وبالبيئة المادية . ومن ابرز هؤلاء كونراد لورنز K.Lorenz. ونظريته في العدوان مقتصرة على السلوك الموجه ضد اعضاء من نفس النوع الذي ينتمي اليه الكائن الحي. ويعرفه بأنه غريزة القتال لدى الحيوان والإنسان الموجهة ضد اعضاء من نفس النوع . و العدوان حسب رأيه وسيلة للمحافظة على بقاء النوع اضافة لبقاء الفرد

لأن الأقتتال يؤدي الى الأنتشار وتفرق اعضاء النوع الواحد للمحافظة على مساحة كافية لكل عضو من اجل البقاء . ويؤثر العدوان الداخلي بين اعضاء النوع الواحد ايضاً على الأنتقاء الجنسي والتزاوج ، فيؤمن افضل الحيوانات واقواها للتناسل والأخلاف. وعليه فإن العدوان بهذا المعنى مرغوب فيه. الا انه يشير الى ان العدوان يصبح ضاراً عندما يفشل النوع في امتلاك الكف الفطري للعدوان، وهي الحالة التي نجدها لدى الإنسان. وفي المقابل نجد ان الحيوانات التي لديها القدرة على قتل بعضها بما تمتلك من قوة عضلية وانياب ومخالب ، تمتلك ايضاً تعطيلافطرياً ضد القيام بمثل هذا العمل. فلا ينتهي الصراع بين اعضائها بالموت، وانما بخضوع المغلوب . ويرى لورنز انه لو لم يمتلك الأنسان السلاح لما قتل جماعته في حالة الأختلاف. وامام نقص هذه القدرة الفطرية لديه ، اصبح الأنسان غير قادر على كف عدوانه. ويضيف لورنز ان ازدياد الكثافة لنوع معين في تبعية تؤدي الى عدوان داخلي اولا. ثم قد يتحرك الى الخارج .(Wrightsman, 1972,p.160-161)

وتظهر ملاحظة سلوك الحيوانات عند تعرضها الى غزو وجماعة أخرى الى قيامها بسلوك مشابه لسلوك البشر، حيث تزول الصراعات الداخلية وتتوحد في وجه الخطر الخارجي ويبدو ان الأنسان لايزال رغم تطوره البيولوجي والأجتماعي يحمل سلوك الحفاظ على أقليم او مقاطعة الجماعة (Timbergen, 1976, pp. 225-229)

ان هذه النظرية ترى ان العدوان يحدث نتيجة تعرض المجال الحيوي للحيوان الى الخطر وقيامه بحماية مجاله، وان هذه سلوكية فطرية وراثية . وقد لاحظ لورنز اثناء دراسته لسلوك الحيوانات انه يمكن تصنيفهم الى صنفين : صنف لايشكل اعضاؤه خطورة على بعض الارانب والقرود. وصنف مزود بأنياب ومخالب كالذئاب خطرة على بعضها . اما البشر فأنهم من الصنف الأول، غير انهم بتصنيعهم للادوات انتقلوا الى الصنف الثاني بل تفوقوا عليه في العنف، لعدم امتلاكهم آلية السيطرة على العدوان في اللحظات الحرجة الخطرة. فالذئب يقبل الأستسلام من الذئب الذي يدخل معه في صراع حالما يبدي الاخر علامة تدل على الخضوع، عندما يعرض عليه اضعف نقطة في جسمه ، فيتوقف الأقوى مباشرة مع امكانه القضاء عليه. وبهذا يصبح الأنسان أكثر خطورة على

الأنسان من الذئب على الأنسان. ان مشكلة الأنسان انه يقاتل حتى الموت ويقتل اخوانه البشر. ولاوجود لمثل هذا السلوك بين اعضاء النوع الواحد من الحيوانات. ان مشكلة الأنسان انه في حالة الأنتصار، يرتكب القتل ضد الخاسر، وفي حالة الخسارة لايسكن الا بعد ان ينتقم. انه الكائن الوحيد الذي يقتل أو يُقتل من اجل المعنى (Ziegler, 1984, pp. 118-121).

لقد أجريت دراسات وتجارب على الحيوانات لتكوين العدوانية وقد حققت نجاحاً جزئياً. فقد شخصت مجموعة فيران عدوانية، وتركوا يعيشون مع بعض. وشخصت مجموعة أخرى من غير العدوانيين عاشت مع بعض ايضاً. وبعد ثلاثة اجيال، وجدت فروق هامة بين المجموعتين. وليس من المعروف هل انها تنطبق على الأنسان أم لا؟

(Wrightsman, 1972, p. 165)

النظرية الأجتماعية :

ترى هذه النظرية ان الهدف من العدوان هو الحصول على مكانة وزيادة نصيب الفرد من النجاح في المستقبل. ونلاحظ في هذه النظرية ان للاعتبارات المعنوية دوراً مهماً في العدوانية، وكذلك المادية.

ان تحليل موقف النظريات يبين لنا انها تقع في ثلاثة اصناف: صنف يؤكد على ان العدوان شيء موروث ليس بامكان الأنسان التخلص منه مثل نظرية التحليل النفسي التقليدية وصنف آخر يعتبره سلوكاً متعلماً كالسلوكية. اما الصنف الثالث، فهو الذي يوفق بين الموقفين.

وقد يكون موقف النظرية النفسية الأجتماعية هو الأقرب الى الصحة. فالسلوك الذي يصنف «عدوانآ» سلوك فطري شامل لدى الكائنات الحية التي تعتمد في غذائها على مواد عضوية لايمكنها الحصول عليها الا من كائنات اخرى، طالما انها مضطرة على القيام بذلك للحفاظ على وجودها. وفي هذه الحالة يعتبر النبات فقط كائناً حياً خالياً من العدوان لأنه يصنع غذاءه بنفسه من مواد أولية كالأملاح والماء وضوء الشمس. وان الأنسان سيبقى كذلك لأن التطور الوراثي الذي جعل الفاصل كبيراً بينه وبين بقية الحيوانات، قد ابقى لديه نزعة العدوان وعطى لديه آلية كفها.

العدوان او العنف الجمعي :

رغم اهمية العدوان الفردي ودراسته، الا اننا نود هنا ان نركز على العدوان والعنف الجمعي الذي يتمثل بالحروب ، لأنه أكثر اهمية حيث تتقابل فيه امتان او مجموعة من الأمم او الشعوب ، بعضها ضد بعض، وتصبح كل المؤسسات العسكرية والمدنيـــة اهدافاً بفضل التطور التكنولوجي الحربي. وتهمنا دراسة هذا الموضوع ايضاً ، لأننا كنا هدفاً لعدوان استمر ثمان سنوات .

الحروب :

عندما يحدث عنفاً جمعياً بين دولتين اومجموعة دول، يقال، عنه حرب.

ويعرف الحرب بإنه وقوع عنف دولي مباشر. وهذا التعريف يتضمن ظرفاً سيـاسياً ويستبعد الحرب الأهلية والحرب الطبقية والعرقية اوحرب العصابات(B eer,1981, p.6)

لاشك ان الحروب ، وهي العدوان البشري في اضخم صوره، تشغل بال الأنسان بل تجعله في الوقت الراهن يعيش في رعب دائم مثيرة القلق والأمراض النفسية والعقلية لديه نظراً لما يمتلكه الأنسان من ترسانات لأسلحة الدمار الشامل من نووية ونيوترونية وجرثومية وكيمياوية .

ان للحرب اسباباً بعضها موجود بأستمرار، الا انها لاتؤدي الى الحرب تلقائياً. كما توجد بعض الظروف التي تسبق الحرب مباشرة ، وهذه الظروف كلها يمكن تسميتها بالعوامل الميسرة منها :

الطبيعة البشرية :

أصحاب هذه النظرية كثيرون، وهم يرون ان الطبيعة البشرية شريرة وان فيها «اثماً أصيلا» .وقد ذكرنا التحليلية النفسية والحيوية البيئية .وحسب هذه النظرية فإن الحروب باقية مابقي الأنسان .

ويرى البعض ان سبب الحروب يعود الى ان تطور الأنسان الحضاري لم يجاريه تطور في الجوانب الوراثية، حيث بقي الأنسان كما هو عليه وراثياً منذ عصر انسان كرومانيون (Timbergen, 1976, p. 225-229)

صانعو المشاكل :

يعتقد أصحاب هذه النظرية (انه قد تنشأ الحرب لوجود صانع للمشكلات ، وقد يكون فرداً أونظام حكم بأكمله ، فيقودون بلادهم الى الحروب . فمثلا يضع معظم الناس سبب الحرب العالمية الثانية على هتلر. كما يشيرون الى ان سبب الحرب العالمية الأولى يعود الى جماعة السلطة في النمسا المؤلفة من رئيس الوزراء ووزير الخارجية ورئيس الأركان الذين اتخذوا قراراً ضد العرب عام ١٩٠٩ وانهم كانوا ينتظرون الفرصة المناسبة . كما ان الكثير من الأمريكان كانوا يعتقدون في حينها، ان سبب دخول الولايات المتحدة الحرب الأولى يعود الى رغبة جماعة صغيرة من منتجي السلاح.(Ziegler, 1984 121-123).

ويعارض البعض هذه النظرية بالقول انها ليست نظرية شاملة تفسر كل انواع الحروب فهناك حروب تقوم لأسباب سياسية اواجتماعية اواقتصادية . ويشيرون الى ان القائد لايمكن ان يكون فعالا دون اتباع ينفذون مايخطط .

ويمكن القول ان القائد لايمكنه لوحده أن يثير حرباً كما ان الأمة لوحدها لايمكنها ذلك. غير ان تزامن قيادة تمتلك نزعة وعقلية حربية ، مع وجود ظروف معينة تكون قد أوصلت المجتمع الى حالة من العدوانية والتوتر والترقب والتوقع والخوف ، واستخدام. تلك القيادة الضرب على العدوانية الكامنة. والدوافع الأولية لدى مجتمعاتها ، يؤدي في النهاية الى اشعال فتيل الحرب . وهنا يكمن الخطر عند وجود قادة في مكاتبهم يعتقدون ان الحرب امر حتمي لايمكن تجنبه ، فبمثل هذا الأعتقاد ، تصبح الحرب حتمية ، ان التوقعات هي التي تقرر السلوك (Allport ،1950، pp.69-71) .

النظام الاجتماعي — السياسي :

اعتقد كارل ماركس Marx ان سبب الحروب هي الطبقة الأقطاعية في القرون الوسطى لأن وظيفتها الرئيسية كانت القتال واعتقد انه بزوال الاقطاع وحلول الرأسمالية محله سيؤدي للسلام ، لأن الرأسمالية تسعى الى مد حدود الدول القومية عن طريق

التجارة ، والتجارة بحاجة الى سلام. وقد ثبت خطأ هذه النظرية بسرعة . عندما دخلت أكثر المجتمعات الرأسمالية تقدماً في ذلك الوقت وهي بريطانيا والمانيا وفرنسا في الحرب عام ١٩١٤. وكان من الواضح ان نظرية ماركس تحتاج الى تصحيح . وقد حدث ذلك على يد تابع روسي لماركس هو لينين، الذي شخص الطبقة الرأسمالية كسبب في قيام الحروب. ويرى ان القضاء على الحروب لايتم الا باعادة تنظيم المجتمع لازالة اية ملكية خاصة بما فيها ملكية انتاج الأسلحة. الا ان نظرية لينين لم تكن افضل من نظرية ماركس فقد دخلت روسيا الحرب ضد الصين عام ١٩٦٩ وان كانت محدودة، مع ان كليهما يمتلكان وسائل الأنتاج المدنية والعسكرية وليس فيهما طبقة رأسمالية (Ziegler, 1984, pp. 124–125) .

ولايختلف رأي الكسندر سالاي البولندي الماركسي والأستاذ في علم الأجتماع الذي استدعته الأمم المتحدة ضمن فريق عمل من مختلف انحاء العالم في اعقاب الحرب العالمية الأولى لدراسة اسباب الحروب، عن رأي لينين، حيث يرى ان بعض الحروب ضرورية لتقدم البشرية والى احداث بنية اجتماعية أكثر عدالة. وهذه الحروب هي الحروب الطبقية أو الموجهة ضد الرأسمالية (Szalai, 1950, p. 23) .

وكما يرى البورت Allport عالم النفس الشهير ، ان الحروب قد قامت تحت كل النظم الأجتماعية . وهو ينسب ذلك الى كون الشخصية البشرية لاتزال وحدة غير مستقرة في طبيعتها ، بحيث يمكن تحولها الى العدوان بسهولة (Allport, 1950, p. 71).

القومية وثقافة المجتمع :

لدى استعراض عدد من الحروب نجد ان فكرة القومية أو الوطنية تلعب دوراً فيها . فحروب بسمارك كانت لخلق دولة قومية . ودخلت فرنسا الحرب لمطالبتها بالألزاس واللورين. وبنى هتلر الكثير من ادعاءاته على حقوق الألمان في العيش معاً في دولة واحدة (Ziegler, 1984, p. 126) ويضاف الى القومية والوطنية ثقافة الأمة وحضارتها بما فيها من رموز وشواخص وآثار مادية ومعنوية .

ان اثر الرموز مهم في تكوين فكرة قد تكون مشوهة او مضخمة عن واقع الحال. فمثلا بالنسبة للالمان يعتبرون انفسهم قوماً ينتمون الى بلد بيتهوفن وجوته. والمواطن في اي بلد يرى ان احترامه لذاته لايمكن فصله عن تراث امته (Allport, 1950, p. 57)، (Horkheimer, 1950, p. 213)

ومن الطبيعي ان الحروب من اجل الحصول على حقوق قومية مغتصبة ، كما هو الحال في صراع العرب مع الصهيونية وحروب التحرير الوطنية لايمكن ان تدخل في باب الحروب العدوانية ، لأنها تقوم اصلا على مقاومة العدوان المسلح والأغتصاب، اما اذا كانت القومية متعصبة استعلائية تسعى للهيمنة على امم اخرى . وفي مثل هذه الحالة . نجد ان اعضاء تلك الأمة يغفلون الكثير من الأمور الجيدة لدى من يعتبرونه خصماً بسبب تعصباتهم ويسمى هذا عند سوليفان Sullivan «عدم الأنتباه الأنتقائي» اي ان المرء يغفل الأنتباه للامور الجيدة ، وينتبه للامور غير الجيدة عند الطرف الاخر ، لكي يبرر عدوانه (Sullivan, 1950, p. 91) . ويبدو ان الأنطباعات والتصورات هي التي تحرك في الكثير من الأحيان سلوك العدوان نحو مصدر يعتقد خطأ انه سبب الأحباط ، بينما يقع السبب الحقيقي في مجال مختلف كلياً (Varela, 1971, p. 163) .

ويشير البورت الى ان «توقع الحرب » يلعب دوراً مهماً في قيام الحروب. فتوقع الناس للحرب يجعلهم يسلكون بهذا الأتجاه ، خاصة اذا امتزجت مع التطرف القومي والأحباطات الكثيرة المتكررة في الحياة اليومية و وجود قيادة عدوانية ذات عقلية حربية فتحصل الأزاحة الى عدو خارجي يتم اختراعه. ولذلك يقال (ان الحروب تبدأ في عقول الناس (Allport, 1950, pp. 43–44,48) . ويتخذ القادة قراراتهم باستخدام الحرب متأثرين بهذا الأنطباع او التصور، الذي قد لايكون دقيقاً حتى ان اتخذ في ضوء بعض الدراسات ، كما حدث للولايات المتحدة الأمريكية في حرب فيتنام وغزو كوبا في عملية خليج الخنازير (Severy, ,1976 pp. 7, 340) .

ونجد ان المجتمعات تختلف تبعاً لطبيعة ثقافتها في درجة التأكيد على العدوان : وهذا

يعو د إلى اختلاف خبرات التعلم . فالناس يشتقون قيمهم واتجاهاتهم نحو الآخرين من خبرات التعلم هذه ، التي تقرر بدورها هل ان العدوان سوف يستخدم ، وكيف واين ومتى . وفي الحرب الفيتنامية كان الجندي الامريكي الذي يقدم اذني قتيل فيتنامي من الفيتكونغ إلى المسؤولين في الجيش فيحصل على اجازة طويلة ومكافأة مادية (Severy,1976, pp. 294–295)كما تختلف المجتمعات وثقافاتها في الامور التي تدرك على انها احباط ،وفي كيفيةالاستجابة للاحباط المدرك (Lindgren, 1973, p. 439).

تعدد الاسباب :

يفصل لنا روبرت ويتو R. Woito اسباب الحروب الداخلية ، والخارجية بين الدول . و يبدو أنه يستخدم مفهوماً واسعاً لمعنى الحرب ، يمتد على مدى واسع ، فيشمل في احد قطبيه حق الثورة داخلياً على الحكم غير الشرعي ، ويشمل في القطب الآخر الحروب الاستعمارية . وفيما يلي عرض لها .

الحروب الداخلية واسبابها :

١ — حق الثورة ضد الحكم غير الشرعي .

٢ — الحرمان النسبي : عند تحسن الاوضاع فان التوقعات تتصاعد بشكل لا يتناسب مع ما يمكن للمجتمع ان يحققه لجميع الفئات والشرائح بالتساوي ، فتصبح الثورة اكثر احتمالاً لان البعض يشعر بالحرمان النسبي .

٣ — الصراع الطبقي — الحضري : عندما يضع النظام العقبات امام صعود بعض الفئات.

٤ — حق تقرير المصير : لوجود جماعات عرقية متباينة في الدولة ، كما حدث في الحرب العالمية الاولى .

٥ — حركات التوحيد : عند وجود جماعات في اكثر من دولة تجمعهم عوامل اللغة او الدين او لاستعادة ارض اغتصبت .

الحروب الخارجية العائدة لا سباب داخلية :

١ ـ وجود شرخ في التراث الوطني : قد يكون التراث الحضاري لدى بعض الامـم توسعياً عدوانياً ، فيؤدي إلى حروب مع دول اخرى .

٢ ـ الصراع الداخلي : تسعى الصفوة الحاكمة في حالات الصراع والمشاكل الداخلية إلى الحرب مع دولة اخرى للحفاظ على سيطرتهم ضد التحديات .

٢ ـ الرأسمالية : الدول التي فيها الانتاج ، وخاصة العسكري منها ، في يد القطاع الخاص تستخدم الحرب لحاجتها إلى اسواق جديدة للاستثمار عندما لا يمكنهـا تحقيق تلك المصالح بالمساومة او التهديد .

٤ ـ الحكومة الاوتوقراطية : الدافع للسلطة وقمع المعارضة تدفع إلى الحرب في بعض الاحيان .

٥ ـ التمركز حول الوطنية : تفخر المجتمعات بما انجزت وتنسبها لعبقريتها وتراثها . وقد يؤدي ذلك إلى الحرب عندما ينتج عنها عدم رغبة لحل المشكلات الصغيرة سلمياً مع الدول الاخرى ، وذلك لان المشاعر الوطنية العامة تتطلب من القادة ان لا يفاوضوا في مواقف الصراع .

الحروب الخارجية العائدة للعلاقات بين الدول :

يرى بعض المنظرين ان الحروب ستستمر حتى اذا ازيلت الاسباب الداخلية ، لوجود عوامل خارجية منها :

١ ـ الدافع للزعامة والتفوق والتحول إلى قوة مؤثرة في الدول الاخرى .

٢ ـ الاستيطان : مثل طرد السكان الاصليين حرباً لاقامة المستوطنات .

٣ ـ الاستعمار : حكم دولة لاخرى بالتهديد او بالحرب الفعلية . وقد تحكمها مباشرة او تنصب قادة منهم .

٤ ـ عدم توازن القوى : ان اي تفوق في دولة قد يدفعها محاولة الحصول على فوائد من وضعها الجديد ضد منافسيها او خصومها .

٥ ـ الخطأ في الادراك: قد تنشب الحروب بسبب الخطأ في الادرك الناجم عن الاختلاف الحضاري الذي يؤدي إلى عدم التفاهم . وعندما تسعى الدول لبناء قوتها فان الطرف ذا العلاقة يعتقد ان ذلك عملاً هجومياً ضده .

٦ ـ غياب القانون : ان المنظمات الدولية المخولة لتطبيق القوانين الدولية وفض النزاعات والحروب في المجتمع الدولي لا تزال ضعيفة وغير فعالة . وهذا يجعل الحروب اكثر احتمالاً (Woito, 1982, pp. 63-68) .

الامم المتحدة ودراسة اسباب الحرب :

خلال صيف عام ١٩٤٨ ، أي بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بفترة قصيرة ، دعت الامم المتحدة ثمانية من المتخصصين الخبراء في العلوم الاجتماعية من اقطار مختلفة لمدة اسبوعين في باريس كجزء من برنامج لدراسة اسباب الحروب . وكان من بينهم علماء النفس البورت ، وهاري ستاك سوليفان ، وآخرون مختصون في علم الاجتماع وعلم التحليل النفسي وعلم النفس الاجتماعي . وقد قدم كل منهم دراسة خاصة عن اسباب الحروب في ضوء تخصصه، ووافقوا في الختام على البنود التالية (Centril, 1950, pp.18-20):

١ ـ لا توجد اشارة او دليل على ان الحرب ضرورية ونتيجة حتمية لا يمكن تجنبها بسبب الطبيعة البشرية . كما ان اشباع الحاجات الحيوية للانسان يقود للسلام . وان البشر اينما كانوا يريدون الاحترام المتبادل و الفرصة للنمو الشخصي .

٢ ـ ان مشكلة السلام هي مشكلة الاحتفاظ بالتوترات القومية او الوطنية ضمن امكانية المعالجة ، وتوجيهها إلى غايات بناءة .

٣ ـ تحقيق اقصى ما يمكن من العدالة الاجتماعية داخل المجتمع لان عدم العدالة، وفقدان الأمن، والاحباط ، عوامل تخلق صراعاً داخل القطر الواحد وبين الامم .

٤ ـ ان الحروب الحديثة تحدث احياناً بين الامم بسبب الموروثات الاجتماعية والامثال والرموز التي تسلم من جيل لآخر . وهذه تعطل احياناً الحركة الحرة للفكر عبر الحدود السياسية في عالم ، هو في حقيقة امره ، يعتمد بعضه على بعض .

٥ غالباً ما يفشل الجيل الذي يتولى مسؤولية تربية الجيل الجديد ، كالآباء والمدرسين ، ان اتجاهاتهم وولاءاتهم قد تكونت في ظروف تختلف عن الظروف الحالية وانها لم تعد صالحة لابنائهم في عالم متغير . وعلى التربية ان تنمي النقد الذاتي الموضوعي لصيغ حياتنا الاجتماعية وحياة الاخرين .

٦ ـ ان تطور وسائل الاتصال الجمعية الحديثة وسيلة كبيرة للتماسك والتضامن العالمي . غير ان هذا التطور يزيد ايضاً من احتمال خطر تشويه الحقائق ووصولها إلى اعداد كبيرة من البشر ، ليس بامكانهم التمييز بين الحقائق والاكاذيب . ودور الامم المتحدة هو استخدام هذه الوسائل لزيادة التفاهم بين الامم ، ومساعدة كل منها على ان ترى نفسها كما يراها الآخرون .

٧ ـ المساواة بين الناس مهما كانت قومياتهم ، لانه لا يوجد عرق ارقى وراثياً من آخر .

٨ ـ الاتصال بين العلماء من مختلف الاختصاصات ، خاصة في العلوم الانسانية للتغلب على العزلة القومية والعقائدية والطبقية ، وللتوصل إلى نظريات صادقة .

وتؤكد النقاط الاخرى على ضرورة تعاون العلماء فيما بينهم لاستخدام نتائج ابحاثهم لخير الانسانية جميعاً ، والكشف عن مصادر التوتر والصراع والطموحات المشروعة للناس في مختلف بقاع العالم .

بعض المبادىء المستنبطة من الدراسات ونظريات العدوان:

هذه بعض المباديء او الاسس التي تضمنتها نتائج بعض دراسات العدوان ونظرياته . ولاشك ان معرفة المبادىء لها فائدة تطبيقية ، حيث بامكانها ان تدلنا على ما يحتمل ان يحدث من عدوان في مواقف وحالات معينة ، وبدرجة طيبة من الصحة .

١ ـ ان الانسان عندما يقوم بسلوك عدواني ، وينغمر فيه ، فانه يصعب عليه السيطرة على سلوكه العدواني .

٢ ـ عندما يعبّر الانسان عن عدوانيته يصبح اقل عدوانية عن طريق (التفريغ) . الا ان مشاعر العدوان قد تبقى لديه تجاه من احبطه حتى بعد عملية توجيه العدوان إلى مصدر الاحباط .

٣ ـ عندما يكون العنف والعدوان ذا نفع عملي في ازالة العدوان الموجه للفرد او الجماعة، فان احتمال استخدامه يكون كبيراً .

٤ ـ ان وجود السلاح يزيد من احتمال السلوك العدواني.

٥ ـ في مواقف الأحباط يسعى الأنسان الى البحث عن كبش فداء يوجه اليه عدوانه.

٦ ـ عندما يكون الأحباط متوقعاً، فإنه قد يؤدي لسلوك معاد .

٧ ـ ان المعتدى عليه يحصل على عدوانية الاخرين بدرجة اعلى من حصول المعتدي عليه، (اي التوحد بالمعتدي) :

٨ ـ إن العوامل البيئية تؤدي لزيادة العدوان او نقصانه ، لذلك فإن ازالة المنبهات البيئية المثيرة له، ودعم المنبهات التي تنقصه، يؤديان الى اضعاف قيام السلوك العدواني .

٩ ـ ان العدوان يرتكب للحصول على مكاسب اجتماعية أو اقتصادية او سياسية ، وللحفاظ على مصادر الفرد او الجماعة او للحصول على الجديد منها .

١٠ ـ ان الكثافة السكانية الى الحد الذي لاتستطيع فيه البيئة من اعالة الجميع تؤدي لسلوك عدواني .

١١ ـ عند التعرض لهجوم أو غزو خارجي يتحد ابناء الجماعة الواحدة وينسون خلافاتهم في وجه الخطر الخارجي

١٢ ـ ان الحروب والعدوان تقع عندما يكون في المسؤولية صانع للمشاكل ، أوعندما يكون النظام الحاكم بأكمله من هذا النوع

١٣ ـ ان الحروب تقع في كل النظم الأجتماعية والسياسية

١٤ ـ ان الحروب تستخدم لأنها حسب اعتقاد من يقرر استخدامها اسهل الطرق لحل المشاكل .

١٥ـ القومية العدائية والتراث الحضاري العدواني قد يشعلان الحروب .

١٦ـ عندما يكون هناك اضطراب داخلي ، فإن الحكام قد يلجأون الى تحقيق التماسك الداخلي من خلال الصراع الخارجي .

١٧ـ ان التقهقر أو التباطؤ في الأزدهار في الجوانب الأقتصادية والأجتماعية والسياسية ،أو توقعهما، قد يؤديان للاحباط والعدوان .

١٨ـ الأحساس بالحرمان النسبي بين فئات الناس، أوحتى الدول ، سواء أكان حقيقياً أومتصوراً ،يؤدي للعدوان .

١٩ـ العدوان حصيلة الموقف الخارجي والموقف الداخلي (اي الحالة الأنفعالية الداخلية للفرد) الانية ، والعادات السلوكية المكتسبة والخبرات السابقة في استخدام العدوان .

٢٠ـ ان لحجم الأحباط علاقة في الأستجابة العدوانية.

٢١ـ للنية والقصد علاقة بالعدوان، فإذا كان العدوان والأذى مقصودبا لاخرين ، فإن الطرف الذي يقع عليه العدوان يقاوم العدوان بعدوان .

٢٢ـ ان ذوبان هوية المعتدي والمعتدى عليه أومجهوليتهما تزيد من السلوك العدواني

٢٣ـ ان العدوان البشري لا حدود له ، فقد ترتكب فيه افظع الأعمال .

٢٤ـ ان العدوان باق طالما ان وراثة الأنسان باقية ، وطالما انه لن يرتقي الى مستوى أخلاقي ارفع مما هو عليه الان .

٢٥ـ تختلف الثقافات والمجتمعات في درجة عدوانيتها، البعض مسالم، والآخر عدواني جداً .

٢٦ـ تختلف الثقافات في ادراكها لمواقف الأحباط واسلوب الرد .

٢٧ـ ان اشباع الحاجات الأساسية للناس يبعد شبح الحروب .

تحليل نموذج العدوان الإيراني على العراق :

في تحليلنا لنموذج العدوان الأيراني محاولة للاجابة عن سبب هذا العدوان ، ولماذا كان العراق هو الهدف ، ولماذا استمر العدوان مدة ثماني سنوات ؟ !

لقد تضافرت عوامل عديدة أدت الى ذلك العدوان ، وهي عوامل اجتماعية حضارية وتراثية تأريخية، ونفسية واقتصادية، وتواجد قيادة ونظام حكم من نمط خاص ، قادت كلها في النهاية الى مثل ذلك السلوك العدواني. وفيما يلي تفصيل لهذه العوامل .

مقدمة :

لقد كان الفرد الأيراني ،في الفترة التي سبقت العدوان على العراق ، وربما لايزال كذلك الى الان، وان كان بدرجة اخف من السابق اسير عدد من الأطواق التي تحيط به فتجعله يفكر ويسلك بنمط معين. ان الأطواق التي كانت تأسره في بداية العدوان تتمثل: بالثقافة والتراث الفارسي ، والأسلام والمذهبية(بالمفهوم الفارسي لهما) والواقع الذي كان يعيش فيه الأيراني ، وهو واقع محبط ، ونمط القيادة ونظام الحكم الذي اعقب الشاه كلها اطواق اودوائر احاطت بالأيراني وجعلته يسير بذلك الأتجاه العنيف .

(اولاً) القومية والثقافة والتراث الفارسي :

ان الموضوعية تقتضي الا ننكر على أحد طموحاته القومية المشروعة ، حاله في ذلك حالنا نحن العرب . الا ان المرفوض هو ان تتحول القومية إلى عامل يثير العدوانية تجاه الآخرين ، ويحاول الحط من قيمتهم ، وهذا ما حدث بالنسبة للفرس عموماً ، وما أمر الشعوبية والحركات الفكرية الهدامة في زمن الدولة العباسية بخافية على احد .

ان من المعروف ان لدى الفرس اعتقاداً راسخاً بأنهم ورثة حضارة عريقة وامبراطوريات قوية ، وان اعجابهم الحقيقي يبقى متعلقاً بالفترة الاخمينية والساسانية (Wilber, 1976, p. 75). وهم يعتقدون انهم لعبوا دوراً مهماً في تأسيس الدولة العربية الاسلامية ، وان دورهم اكبر في العلوم والفلسفة واللاهوت والأدب والفن والمعمار (Arasteh, 1970, pp. 65 – 66) .

انهم كبشر لا بد ان يتأثروا بجذورهم القومية وبثقافتهم الفارسية ، وهذه تعمل بشكل خفي في صياغة اتجاهات وأفكار وسلوك الفرد . لذلك فقد قاموا بتكييف الدين الاسلامي ، ثم التشيع بعده بالصورة التي تتلاءم فيها مع العقلية والتراث الفارسي . وهذا يعني ان فارسيتهم طوق قوي جداً يحيط ببقية العوامل المؤثرة في شخصية الايراني ويغلفها ويطبعها بطابعه الخاص فتصبح وسائل وأدوات يمكنه استغلالها لصالحه . وبناء على ذلك نجد ان الايراني اسير طوق تراثه الفارسي الذي لا يخلو من العدوان والرغبة في التوسع لاستعادة امجاد دولة الفرس القديمة .

(ثانيا) — الدين الاسلامي :

لقد انبهر الفرس بالاسلام حينما حمله اليهم العرب المسلمون الأوائل لما يتصف به من روح ، فأسلموا لذلك وليتخلصوا من الظلم الذي كانوا يعيشون فيه . وانغمروا في الدين الجديد إلى الحد الذي كادوا ان يفقدوا فيه هويتهم الفارسية القديمة . وازاء هذه الحالة وجد الفرس انفسهم في حالة صراع وضياع . فهم من جهة قد اصبحوا مسلمين ، ومن جهة أخرى فقدوا ذاتهم وهويتهم . ولم يعد بامكانهم التخلي عن الاسلام ، لانه كان قد تغلغل في دقائق حياتهم ، مع بقاء حنينهم لفترة ما قبل الاسلام :

ان اعتناق الفرس للاسلام جعلهم يتميزون ببعض الصفات والخصائص التي يتميز بها ديننا الحنيف ، رغم فهمهم وتفسيرهم الخاص له ، المتأثر بالعقلية والتراث الفارسي . ولابد من الاشارة هنا إلى انه عندما نتحدث عن اسلام الفرس ،فاننا نقصد بذلك الانسان العادي فيهم ، وليس القياديين فيهم واتباعهم من الذين سيّسوا الدين . فلهؤلاء نظرتهم الخاصة إلى الدين تختلف عن نظرة الفرد العادي في ايران . وهم يسعون إلى تحقيق طموحاتهم القومية الفارسية العرقية من خلال الدين ، بعد ان فشل الشاه في تحقيقها بالاعتماد على القوة . فاستغلوا اعتقاد الايراني العادي بانه المسلم ، والمسلم الصحيح ، وغيره من ابناء الاسلام ليس كذلك .واستفادوا من خصائص الاسلام التي يمنحها للمنتمي اليه ، ووظفوها بالاتجاه الذي يخدم عدوانهم .

يتبين لنا من هذا ، بان الايراني العادي يعتقد بأنه المسلم الحقيقي ، وهذا الاعتقاد له اهميته ، اذ يجعله يقع ضمن الاطار العام لمن يدين بهذا الدين ، وان هذا الاطار له من القوة ما تمكنه من أسر المنتمي اليه . ومن الخصائص التي يتميز بها الدين الاسلامي والتي تعمل على أسر المنتمي اليه ، ما يلي :

١ ــ الشمولية :

يتميز الاسلام بكونه ديناً شاملاً يهتم بكل جوانب الحياة ويتدخل بها محدداً كل صغيرة وكبيرة (Curtis,1981,P.82) .

ان مبدأ الشمولية منح الاسلام قوة للسيطرة على سلوك وتفكير ووجدان من ينتمي اليه ، بصورة ليس لها نظير في بقية الا ديان الا خرى . ونجد ذلك واضحاً في سلوك وحياة حتى الذين يؤمنو ن بمباديء لا تعتر ف بالاديان .

٢ ــ المركزية :

ترتبط هذه الصفة بالشمولية . ويقصد بها ان للاسلام قدرة على ان يكون محوراً او مركزاً للانتماء ، نظراً لتدخاه البعيد في حياة المنتمين اليه ، فانهم يشعرون بأنهم اخوة يتعاطفون مع بعض وينجذبون إلى ذلك المركز ، هذه في الحالات الاعتيادية .

ويرتبط بشمولية الاسلا م ومركزيته قدرته على امتصاص الصراعات العرقية او القومية في الاقطار الاسلامية ، نظراً لانه معتقد الغالبية (Dekmejian,1981,P.41).

لذلك تستخدمه القومية التي لها رصيد سكاني اكثر في المجتمع لاقناع ابناء الاقليات المسلمة من القوميات الأخرى على اساس انه العامل المشترك الذي يربط بينهم . وترضى به الاقلية لاسباب منها ديني ومنها لتجنب المشاكل والمخاطر .

ولقد استغل نظام الحكم في طهران الدين كوسيلة لتحقيق اطماعه ، فنصب من نفسه حامياً له ، وليعطي لنفسه مشروعية التدخل في شؤون الاقطار الاسلامية الاخرى ، خاصة العربية منها . وبهذا فقد اصبحت ايران «عدوا مُمَوَّهاً» على الكثيرين حتى من العرب ، إلى ان انكشف امرهم .

٣ ـ الاستمرارية :

يتميز الإسلام بقدرته على الاستمرارية او الاصرار والمثابرة من اجل استقطاب الناس حوله، ويمكن ان يجد المرء نمطاً دورياً من الاصطراع بين النزعة الدنيوية والاتجاه الديني في الاقطار الاسلامية (Dekmejian,1981 ,.P32) .

إن هذه الخاصية وارتباطها بالخاصيتين السابقتين : الشمولية والمركزية ، تجعل الذين ينتمون إلى الاسلام يعودون اليه كلما ظهر ما يدعو إلى ذلك ، حيث يجدون فيه الأمن النفسي .

٤ ـ الكمال :

يعتقد المسلم ان الدين الاسلامي هو دين الكمال ، لأنه شمل افضل ما في الاديان السماوية الاخرى ، مع بقاء احترام المسلم للاديان الاخرى .

٥ ـ القوة :

يتميز الإسلام بالقوة لانه يحث دائماً على عدم الخضوع الا لله . كما ان الاتصال مباشر بين العبد وربه . يضاف إلى ذلك ارتباط الأسلام واقترانه منذ انطلاقته الاولى بالفتوحات واقبال الامم عليه في فترة زمنية قياسية .

ان هذه الخاصية تجعل المسلم يشعر بالقوة حتى وهو في أشد حالات الضعف .

ويرتبط بالدين موضوع المذهبية . فمن المعروف ان التشيّع نشأ عربياً . ورغم انه كان هناك ايرانيون شيعة ، الا ان معظم الشيعة كانوا من غير الايرانيين إلى ما قبل عام ١٥٠١م (Keddie,981, p.9) .

لقد تبنت ايران التشيع بسرعة ، وهذا التبني السريع يوضح ان الفرس قد وجدوا ضالتهم فيه ، اثناء بحثهم عن الذات والهوية ، بعد ان تلاشت على يد الاسلام ، فتمسكوا به ، وطوّروه وفق قيمهم الفارسية بصورة تختلف عن مضمون التشيع العربي الاصيل . لقد منحهم هذا العمل الشعور بانهم « قوم متميزون عن جيرانهم

(Cottman, 1979, p. 134). وبهذا العمل توصلوا في النهاية إلى الوسيلة التي وفقوا فيها بين الاسلام والفارسية .

ان التشيّع ، بصورته الفارسية ، يعتبر من اكثر المذاهب الاسلامية نجاحاً في صياغة شخصية المنتمي اليه من خلال الممارسات والطقوس التي يبالغ فيها الفرس ، جرياً على عادتهم في تضخيم الامور ، في عملية التنشئة الاجتماعية ، بحيث يصبح الايراني يعيش الماضي بالحاضر او الحاضر بالماضي . فلا حدود للزمان او المكان وتنهار الهوة بين الماضي والحاضر ، وتلقي بظلالها عليه .

ويضاف إلى ذلك ما يتميز به رجال الدين في ايران من مميزات منها كثرة عددهم حيث يبلغ (١٨٠) الفاً تقريباً ممن ليس لهم علاقة بالحكومة ، اضافة إلى اعداد اخرى من الذين تعينهم الدولة رسمياً (Curtis, 1981, p. 4) . وبهذا تكون النسبة اقل من ٢٠٠ شخص ايراني لكل رجل دين . كما يتميز رجال الدين بالفعالية . فكل منهم يجيد الاسس النفسية لاستثارة الانفعال لدى الانسان البسيط العادي هناك .

ونخرج من مناقشة موضوع الدين والمذهبية ، باستنتاج ملخصه : ان الفرد الايراني العادي يحكمه طوق التراث الفارسي ، كطوق عام يحيط به ، ثم طوق الاسلام والمذهبية (بالصورة الفارسية لكل منهما) . وتتميز هذه الاحاطة بقوة شدها ، حيث تدعم كل دائرة الدائرة التي تليها . فتكون الحصيلة النهائية لها : انساناً متعصباً لفارسيته ، ومتعصباً للدين والمذهبية (كما يفهمها هو) ،بعيداً عن روح التسامح التي يتصف بها الدين والمذهبية .

(ثالثاً) واقع الفرد الايراني في اواخر حكم الشاه :

لقد ساءت الحالة الاقتصادية لمعظم الناس في ايران في اواخر حكم الشاه ، خاصة للشباب ممن هم في اعمار ١٨—٢٨ عاماً. لقد كان معظمهم من المهاجرين من القرى والأرياف الذين حصلوا على بعض التعليم ،واستقروا في المدن الكبيرة طلباً للعمل ، لكنهم لم يجدوه وامام التضخم وارتفاع الأسعار ،أصبح هؤلاء،مع رجال الدين الذين قطع الشاه عنهم مرتباتهم، وقود الثورة عليه.ويقابل ذلك مضاعفة الشاه لمرتبات ضباطه العسكريين . وبدأت زوجته بأخذ نسبة مئوية عن كل عقد يوقع في ايران (Cetron,1982,pp. 08 - 1071).

كما ان توقعات الناس لتحسين احوالهم المعاشية بسبب الزيادة في اسعار النفط خابت فأصيب الأيرانيون بأحباط شديد .

ويضاف الى ذلك ان معظم الأيرانيين هم من الريف اومن لهم ارتباط بصورة ما بالريف، وان معظمهم لايملكون أرضاً وامام الظروف الصعبة لجأ الكثير منهم للعمل في المدن ، الذي لم يجدوه في معظم الأحيان وان نسبة الأمية كانت في ايران عام ٩٥٩ ، (٩٦٪) من مجموع السكان (Arasteh, 1970,pp.3,10,124,5) ونظراً للظروف الصعبة التي كانوا يعيشون فيها، فأنهم كانوا يلجأون للخرافات طلباً للخلاص مماهم فيه (Arasteh,1970,p.19) .

ان الخصائص والوضعية التي مر ذكرها تصورلنا الفرد الأيراني العادي شخصاً بسيطاً محدود الوعي يعيش في همومه في عزلة عن العالم، ويسيطر عليه التقليد ،ولرجال الدين تأثير كبير عليه. ويمكن من خلال نقاط الضعف هذه، ان ينفذ اليه من يريد تحقيق اغراضه ،خاصة رجال السياسة الدينيون .

ان الأوصاف المار ذكرها، الى جانب الأحباط والحرمان الأقتصادي، قد ولدت طاقة عدائية هائلة تنتظر لحظة الأنفجار . وقد اضافت هذه الوضعية طوقاً آخر على سلسلة الأطواق التي كانت تحاصر الأيراني،فأصبح حسب هذه الدوائر أو الأطواق المحيطة به:

فارسياً متعصباً، مسلماً مذهبياً (بالمفهوم الفارسي لهما) متعصباً، يعيش محبطاً في واقع صعب فهو مملوء بالتوتر والعدوان ،فأصبح كبرميل بارود ، ينتظر لحظة الأنفجار .

(رابعا) القيادة العدوانية :

ما أن استلم السلطة الخميني وجماعته بأسم الدين والمذهبية ، حتى هب الأيرانيون بعنف وراءهم اعتقاداً منهم بأن الوضع الجديد سيكون افضل من سابقه. ويبدو ان الكثير منهم أيدوا الوضع الجديد لالشيء الا لمجرد انه ازاح حكم الشاه عنهم .

وبما ان نظام الخميني قد أتى باسم الدين والمذهبية ، في الظروف والمتغيرات التي مر ذكرها ،فقد نتج عنها، هياج ديني ومذهبي، بالمفهوم الفارسي لهما، فتكونت طاقة

هائلة بيد الحكام الجدد، بهرتهم ، فأعتقدوا الى حين انها قادرة على تحقيق مافي اذهانهم من انتشار وتوسع عدواني .

لقد رأى حكام ايران ان حلول المشكلات التي يعاني منها الناس ليست سهلة ، لعدم امتلاكهم الخبرة الكافية لادارة مؤسسات الدولة ،نظراً لعقليتهم اللاواقعية ، فلم يجدوا افضل من توجيه الطاقة الهائلة التي تولدت اثناء الثورة على الشاه الى عدو خارجي ، فأشعلوا فتيل الحرب . وماسهل عملية ايجاد التبريرات والأتهامات للطرف الاخر . فكان العراق هو ضحية ذلك العدوان. وقد تم ذلك الأختيار لأسباب عديدة اهمها تقديرات وتصورات القيادة الدينية الأيرانية الخاطئة التي اعتقدت ان اختراق العراق عملية سهلة جداً .

لقد اندفع الأيرانيون على مدى ثمان سنوات في حرب، طاحنة مع العراق ، خسروا فيها مئات الألوف من القتلى والجرحى دون ان يتوقفوا ، يدفع البسطاء المتعصبون منهم في ذلك وهم أكثرية اعتقاد راسخ بأن انتهاء دولة خميني تعني نهاية الأسلام والمذهب الجعفري ،ونهاية ايران بالذات ، وضياع اول تجربة من نوعها، حسب تصوراتهم، هذه التجربة التي كان يحلم بها الفرد العادي عندهم من زمن طويل .

والان وبعد ان تمكن العراق من صد العدوان وحماية الأمة العربية منه، وتحقق النصر فإنهم لم يعترفوا بالهزيمة ،والمبررات لديهم جاهزة لما حل بهم ولما يعانون من مشكلات في الوقت الراهن .

لقد كانت القيادة الأيرانية الدينية المسيسة ونظام حكمها هي الطوق الاخيرالذي ضرب حصاره على الأيراني، واضاف شداً ودعماً قوياً لبقية الأطواق الأخرى. وكان هو الشرارة التي اطلقت الطاقة والعدوان المتراكم لدى الأيرانيين،ووجهتها بأتجاه العراق.

والخلاصة ، نجد ان الأيراني العادي كان ، ولايزال اسير هذه الأطواق التي يدعم بعضها بعضاً. وملامح صورته النهائية التي يمكن رسمها هي انه :

«فارسي متعصب ، مسلم متعصب ومذهبي متعصب (بالصورة الفارسية للأسلام والمذهبية) ، محدود الوعي يعيش في واقع صعب محبط ، فهو مملــوء بالتوترات والعدوان ، يبحث عن كبش فداء، تولت امره قيادة متطرفة عدوانية لا واقعية ،استغلت الطاقة الناجمة عن الأحباط والتعصب والجهل فوجهتها الى الأعتداء على العراق وتهديد الأقطار الأخرى» .

ان هذا التحليل للعدوانية الأيرانية ،يظهر لنا بأنها كانت تحركها معظم المباديء النفسية والأجتماعية والأقتصادية والتأريخية، الداخلية والخارجية التي تحرك العدوان البشري .

وفي اعتقادنا ان تضافر هذه الأطواق او العوامل ، هو الذي ادى لذلك العدوان ، وان اي تغيير في قوة واحد أو أكثر منها، لاشك انه سيغير من الموقف العدائي تجاه العراق والأمة العربية وبقية الأقطار الأخرى . وان النصر العراقي لابد ان يكون قد أثر فيها.



مصادر الدراسة

١ ــ الطيب ، محمد عبد الطاهر ، «دراسة مقارنة لمستوى العدائية واتجاهاتها لدى الذهانيين والأسوياء من الجنسين» . في : الجمعية المصرية للدراسات النفسية ، بالأشتراك مع كلية التربية جامعة حلوان/ المؤتمر الأول لعلم النفس، ابريل، ١٩٨٥.

٢ ــ هول، ك. ولندزي، ج. نظريات الشخصية . ترجمة فرج احد فرج ، وآخران. القاهرة : الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر ،١٩٧١ .

3. Allport, Gordon W., "The Role of Expectancy,"in Cantril, Hadley ced). *Tensions that Cause Wars*. Urbana: University of Illinois Press, 1950.

4. Arasteh, A. Reza & Josephine Arasteh. *Man and society in Iran*. Leiden: E.J. Brill, 1970.

5. Beer, Francis A. *Peace Against War*. San Francisco:W.H. Freeman, 1981.

6. Cantril, Hadley. *Tensions That Cause Wars*. Urbana: University of Illinois Press, 1950.,

7. Cetron Marvin & O'toole, Thomas *EnCounters With the Future*. New York: McGraw-Hill, 1982.

8 Cottman, Richard W. *Nationalism in Iran*. Pittisburgh: University of Pittisburgh Press, 1979.

9. Curtis, Michael, "Introduction," in Curtis, Michael Ced). *Religion and Politics in the Middle East*. Boulder, Colorado: westview Press, 1981.

10. Deaux, Kay &Wrightsman, Lawrence. *Social Psychology in the 80s*. 4th ed. Montery, California: Brooks, Cole, 1983.

11. Dekmejian, R. Hrair, "The Anatomy of Islamic revival," in Curtis, Michael (ed). Religion and Politics in the Middle East. Boulder, Colorado:Westview Press, 1981.

12. Horkheimer, Max, "The lessons of Fascism," in Cantril, Hadley (ed). *Tensions that Cause wars.*Urbana: University of Illinois Press, 1950.

13. Keddie,Nikki R. *Roots of Revolution: an Interpretive History of Modern Iran*. New Haven: Yale University Press, 1981.

14. Lesser, Gerald S. (ed) . *Psychology and Educational Practice* . Glenview, Illinois: Scott, Foresman, 1971.

15. Lindgren, Henry Clay. *An Introduction to Social Psychology.* *2nd* ed. New York: John Wiley, 1973.

16. Severy, Lawrence J. & Others. *A Contemporary Introduction to Social Psychology*. New York: McGraw-Hill, 1976.

17. Sullivan, Harry Stack, "Tensions Interpersonal and International: A Psychiatrists' View" in Cantril, Hadley (ed) . *Tensions That Cause Wars.* Urbana: University of Illinois Press, 1950.

18. Szalai, Alexander, "Social Tensions and Social Changes: A Marxist Analysis," in Cantril, Hadley (ed) . *Tensions That Cause Wars* . Urbana: University of Illinois Press, 1950.

19. Timbergen,Niko,"On war and Peace in Animals and Man," in Altner, Gunter (ed) . *The Nature of Human Behavior.* London: George Allen, 1976.

20. Varela, Jacobo. Psychological Solutions to Social Problems. New York: Academic Press, 1971.

21. Wilber, Donald. N. *Iran: Past and Present.* 8th ed. Princeton: New Jersey, 1976.

22. Woito, Robert S. *To End War A New Approach to International Conflict.* New York: The Piligrim Press, 1982.

23. Wrightsman, Lawrence S. Social Psychology in the Seventies Montery California: Brooks, Cole, 1972.

24. Ziegler, David W. *War, Peace and Interational Politics.* 3rd ed. Boston: Little, Brown, 1984.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الروح المعنوية
لدى المقاتل العراقي على ضوء معركة قادسية صدام
اسسها ومقوماتها

اعداد : الدكتور نجم عبدالله العاني

المقدمة

تحتل الروح المعنوية اليوم مكانه بارزة في دراسة النفس البشرية ، ذلك لأن الروح المعنوية في درجاتها المختلفة تعد الحصيلة النهائية لاكتساف الشخصية وتكيفها وصحتها ؛

ومن الميادين البارزة في دراسة الروح المعنوية بشكل منظم ودقيق الميدان العسكري ولاغرابة في ذلك اذ ان هذا الميدان هو الميدان الذي كشف بشكل جلي عن اهمية الروح المعنوية وضرورة الأهتمام بها كما ان الحاجة الملحة الظاهرة التي نراها في هذا الميدان أدى الى ان يكون الأهتمام بها -في كل الأحوال - موازياً للاهتمام بالأسلحة المتطورة التي تستخدم في الحروب ان لم يكن أكثر.

ان دراسة المعنويات وخصوصاً في ظروف الحرب وحرب كالتي نخوضها من عدة سنوات والروح المعنوية التي نلمس آثارها اليوم من جنودنا الصناديد وهم يخوضون اروع المعارك مع العدو الفارسي الغاشم ويسجلون اروع الأنتصارات عليه لتؤكد على مستوى الروح المعنوية العاليه التي يتمتع بها ذلك المقاتل العراقي والتي تدل على ايمانه العالي بالمباديء وبعدالة قضيته كذلك ايمانه وثقته بقيادته الحكيمة والشجاعة وعلى رأسها البطل الشجاع صدام حسين وما تتحلى به قيادته من حنكه وشجاعة وتقدير عالي للمسؤولية وقدرته الفائقة في تنمية معنويات المقاتلين رغم طول فترة الحرب .

اهمية البحث والحاجة اليه

ثتمثل اهمية البحث بالتعرف على ابعاد الروح المعنوية ومقوماتها واسسها وكيفيـــة ادامتها وعلاقة ذلك بقدرة المقاتل على العطاء والبذل كذلك معرفة تأثير الروح المعنويـــة سلبياً وايجابياً والمتمثل بالحاجة للبحث والتعرف على الوسائل والسبل المؤثرة والموصلــة الى ذلك او اتباع مافيها من ايجابيات وتجنب السلبيات .

اهداف البحث وحدوده :

تتحدد اهداف البحث في التوصل الى الأراء والأفكار التي قيلت او اتبعت في اطــار الروح المعنوية وعلى ضوء مااحرزته معركة قادسية صدام والأستفادة منها في تحقيق النصر النهائي على اعدائنا .



الفصل الأول

الروح المعنوية

الروح المعنوية .. هـي مجموعة الأفكار والمبادىء التـي تمكن الفرد أو الجماعة من الأحتفاظ بالشجاعة والعزيمة والقدرة على تحمل المواقف الصعبة.

ولابد من تنمية هذه الصفات عملياً حتى نحصل على احسن النتائج في مقاومة الأعداء من الناحية النفسية . فتنميتها بالنسبة للفرد تشمل : (١)

- فكرته عن نفسه وعن سلاحه وعن تدريبه ، وعن قادته ، واسلوب المعاملة التي يتعامل بها مع قيادته .
- فكرته عن الهدف الذي يحارب من اجله.
- فكرته عن نضال امته السياسي ، والأجتماعي والأقتصادي ووسائل امته فـي ذلك.
- تربية معنى الأيمان والعقيدة في نفسه.

ان فكرته عن نفسه تعني ان يكون واثقاً منها غير متخاذل ولاخائف وانه كفوء لمواجهة كل المواقف اثناء القتال ، ولاتتأثر هذه الثقة الا اذا احسن تعليمه وتدريبه، وشعر هو من وراء التدريب انه أكفأ من عدوه وان سلاحه امضى من سلاح العدو . وهذا الأحساس . المبني على اسس واقعية يمكن الفرد من الأحتفاظ بشجاعته اثناء القتال وتجعله يبدع ويحسن التصرف في المواقف الصعبة .

وبما يخص الهدف فلابد وان يكون واضحاً امامه ولابد ان يعلم انه يحارب لشيء، فإذا اطمأن الى وضوح الهدف وتأكد انه يعمل من اجـل هدف سام ، فـلا شك انـه سيضحي بنفسه وحياته ، ولاشك انه سيستعذب الموت في تحقيق اهداف امته التي هي اهدافه بالدرجة الأولى .

---

(١) الوجه الآخر للحرب : من اصدارات مديرية التدريب العسكري . بغداد ١٩٧٠ ص٧٦

هذا ولا يكفي ان يتقن الجندي معرفة آلة من آلات القتال، ولايكفي انه يتدرب عليها صباح مساء . ولكن لابد وان يعي لماذا يتدرب ولاي شيء سيحارب؟ وماهدافه وغاياته من هذه الحرب .

و هنا يأتي عمل التوجيه المعنوي او السياسي والأساليب التي ينبغي ان يلجأ اليها في التوعية. والنقاط التي يؤكد عليها ومستوى الجنود واسهل الطرق للوصول الى قلوبهم وعقولهم وتبسيط الهدف والوصول الى الأشارة . وعلى الموجه ان ينزل الى ارض الواقع ولكنه لايهمل الأمل او الطموح ويمكن الأستعانة بالسينما او الكراسات المبسطة والشروح السهلة او بالأغنية السهلة الهادفة التي تخاطب العقل والقلب، والتي تسمعها الاذن فتحفظها.

وللروح المعنوية مظاهر يمكن ملاحظتها في سلوك الأفراد او المقاتلين ومنها : (١)

- التحمس لاداء الواجب مهما كان شاقاً .
- الأصرار على الحصول على احسن النتائج وتحقيق الهدف وعدم قبول اي حل وسط لأنهاء القتال .
- الأبتهاج والسعادة التي تبدو على وجوه الأفراد وفرحهم بالأنتصارات .
- التضحية ببعض المصالح الشخصية في سبيل المصالح الجماعية.
- تنفيذ الأوامر بنصها وروحها .
- قلة الشكاوي والمخالفات والهروب من المسؤولية .

وهناك امور تلعب دوراً مهماً في تقوية المعنويات وادامتها لابد من تواجدها وهي :

- القيادة الممتازة التي تهتم بتوفير احتياجات الجنود والأفراد وحل مشاكلهم.
- الثقة بالنفس والقائد وبالهدف والسلاح والثقة المتبادلة بين الأفراد والقائد .
- الضبط الجيد وشعور الأفراد بالمسؤولية .
- التخلص من التعب والقلق والملل وهم من ألد أعداء الروح المعنوية .
- المحافظة على روح الجماعة (روح الفريق) وروح الجماعة أو الفريق تتأكد بشعور

(١) علم النفس الحربي : الدكتور محمد عثمان نجاتي . الطبعة الثالثة القاهرة ١٩٦٠ ص ٨٠

كل فرد بأن مصلحة الجماعة هي مصلحته وان اهدافها هي اهدافه ، وان اي فشل يصيب الجماعة انما يصيبه بالدرجة الأولى . وان لايعمل لمصلحته ومنفعته الشخصية وان يجعل كل جهوده مرتبطة بالجماعة .

الروح المعنوية والفرد والجماعة :

الروح المعنوية العالية شرط أساسي لكي تؤدي اية منظمة وظائفها التي تكونت من اجلها . فمعنى وجود روح معنوية عالية في جماعة ما هو ان هذه الجماعة تؤدي عملها على الوجه الأكمل ومعناه ايضاً ان افراد الجماعة يؤدون واجباتهم إداءاً سليماً كل فيما يخصه. كما انهم يتعاونون فيما بينهم تعاوناً وثيقاً بحيث يعملون جميعاً كوحدة مترابطة متماسكة.

هناك اذن عاملان مبدئيان لابد من توافرهما لقيام روح معنوية عالية اولها قيام كل فرد في الجماعة بواجبه المنوط اليه، وثانيهما تعاون الأفراد الذين يكونون الجماعة على على اداء الواجب الكلي للجماعة لكنه من الواجب ان نتبين ان مظاهر هذه الروح انما تنبع من صميم الجماعة نفسها لا من القوى المسيطرة عليها ، بحيث تنتهي في نهاية الأمر الى وجود دوافع نفسية ايجابية لدى كل فرد تدفعه الى اداء عمله والى التعاون مع الاخرين في سبيل تأدية الوظيفة الكلية للجماعة .

وعلى هذا الأساس فالعلامات الرئيسية للروح المعنوية العالية للمنظمة الأجتماعية كما حددها علماء النفس تتحدد بما يلي (١) :

- وجود ميل يسود جميع افراد الجماعة الى التماسك بدافع من انفسهم لا من مجرد خضوعهم فقط للسلطة المهيمنة عليهم .
- اتجاه الجماعة الى مقابلة الظروف والمواقف المختلفة الداخلية التي يمكن ان تنشأفي نطاق الجماعة وتحدث صراعاً داخلياً ، بحيث ينتهي الأمر الى استعادة التماسك وروح الوحدة .
- وجود اتجاه نفسي لدى كل فرد من افراد الجماعة الى الترحيب بالعمل والتزامل مع بقية افراد الجماعة . وينشأ عن ذلك قلة الميل الى التباعد والتنافر لدى افراد الجماعة

(١) علم النفس الحربي –المصدر السابق ص١٠٢

كيف نفهم المعنويات :

اتسمت الحروب الكبرى في الماضي، وخصوصاً الحربين العالميتين الأولى والثانية بكون أحد العوامل ذات الأهمية السوقية فيها هو عامل القوى النفسية لمجموع السكان وليس معنويات الجيش فقط .وقد لاحظ المفكرون والقادة العسكريون في الماضي اعتماد الأنتصارات أو الهزائم على حالة القوى المعنوية للشعوب والجيوش المتحاربة ،وعبروا عن مكانة ودور هذه القوى للمحاربين في المعارك ،رغم اختلافهم في مصادر هذه القوى واساليب تدعيمها. (١)

ويمكننا القول ان المعنويات هي مجمل الأمكانيات النفسية والفكرية للشعب. وهي تعبر عن استعداد المجتمع للعمل المسؤول الرامي الى بلوغ اهداف تتسم بأهمية اجتماعية تأريخية كبيرة .

ومن الناحية العسكرية تعني المعنويات درجة معينة من الأستعداد النفسي لدى الشعب والجيش لتحمل مصائب الحرب العسيرة والحفاظ على ارادة القتال والأنتصار على العدو. وهي من حيث الجوهر قوة سياسية تتطلب حالة خاصة من الوعي الأجتماعي تعبر عن السعي الهادف في حل المهمات الأجتماعية والأقتصادية والسياسية والعسكرية والتي تعتمد على النظام الأجتماعي السياسي للدولة وعلى عمل المنظمات التربوية السائدة في المجتمع من أجل تمتين القوى الروحية وتهيئة القاعدة الفكرية المتينة للقوات المسلحة لتعزيز القدرة القتالية. ويؤثر الهدف السياسي للحرب تأثيراً حاسماً على الحالة المعنوية للشعب والجيش ابان الحرب علماً ان من الضروري التركيز على التوعية بعدالة الهدف الذي يتم القتال من اجله.

وبديهي ان كل ذلك لاينتج من العفوية ولايتحقق بصورة تلقائية بل بفضل العمل التربوي والتنظيم الدقيق .

---

(١) محاضرات في الضبط والمعنويات – وزارة الدفاع – دائرة التوجيه السياسي . ط٢بغداد : ١٩٧٦ ص٤٧ .

ويساهم في تمتين المعنويات ترسيخ الوحدة الوطنية للمجتمع ، والتحولات الأقتصادية وتربية الأفراد بروح الأخلاص للفكر السياسي الذي يعبر عن مصالح الأمة ، وخلق امكانيات التربية الذاتية للافراد، وتوسيع حلقة الأهتمامات والهوايات والمعطيات الذهنية الموجهة لتأمين نضوج مبكر للمسؤولية الشخصية ازاء مصير الوطن ، فالمعنوية صفة عقلية واخلاقية ، وهي تجعل الأفراد (المقاتلين) في المعركة ، يحافظون على مستواهم دون ان يستسلموا للخوف ابداً مهما كانت ظروف القتال . فالمعنوية هي التي تنمي الروح البطولية الكامنة للمقاتلين وهي التي تديم كرامتهم في المعركة .

والنجاح بالمعركة يعتمد على المعنويات اكثر مما يعتمد على الصفات المادية . فكثرة المقاتلين وكثرة السلاح والمعدات والموارد لايمكن ان تعوض عن نقص الشجاعة والمقدرة والعزم والمهارة وروح التعرض التي تنطلق عن عزم الامة وعلى قهر الخصم (١) .
ومن الأهمية بمكان ان لاننسى ان المعنويات يمكن ان تخلق او تنعش ، لكن الاهم من ذلك هو ادامتها للمدى الطويل، لان قوام المعنوية هو بان تدام باستمرار .وهذا ماعبر عنه الرئيس القائد صدام حسين (بالمحافظة على روح النصر) .

(١) علم النفس الحربي –الدكتور محمد عثمان نجاتي . ط٢ القاهرة ١٩٦٠ ص٨٥

الفصل الثاني

الاسس المعنوية

ويمكن تصور اسس بناء المعنويات على مجموعتين كبيرتين من العناصر : (١)

اولاً — العناصر الفكرية :

وهي نظام الأراء والنظريات الخاصة بالحرب واهدافها وعواقبها . وفي مقدمة هذه الأفكار مايختص بجوهر الحرب ومضمونها وطابعها، وكذلك مفاهيم الوطن والدفاع المسلح عنه ودور الجماهير في الحرب ، وغير ذلك من المفاهيم الفكرية الهامة والتي تحمل على الأغلب طابعاً متكاملا . وتتميز هذه المجموعة من المفاهيم بثبات كبير ، ويجري تكوينها بفضل النشاط الهادف للقادة العسكريين والمنظمات السياسية .

ثانياً — العناصر النفسية :

فخلافا للمجموعة الأولى تتكون هذه العناصر لدرجة كبيرة بتأثير مباشر من الوسط والبيئة ويشمل مضمونها تشكيله معقدة من التصورات والأنطباعات والمشاعر الحياتية لدى السكان والمحاربين ، تتكون من مجرى الحياة اليومية ، وينبغي بالدرجة الأولى ان نخصص من بينها التقاليد والعادات والمشاعر الوطنية والخبرة العملية المرتبطة بالدفاع عن الوطن والحق . فعن طريق التكوينات النفسية قد يعبر الناس عن موقفهم من الحرب ومن اهدافها وطابعها . نتيجة الأوهام والتصورات الخاطئة ، وحيث ان اي موقف لايمكن ان يكون عميقاً وشاملا بدون ربطه بالعناصر الفكرية ، وحيث ان بعض العناصر الأجتماعية — النفسية تستجيب للتأثير الخارجي ، مما قد يسبب انصياع الأفراد لسيل من المشاعر السلبية كالرعب والقلق ومايتنج عنهما من عواقب . لذا نجد من البديهي ان

---

(١) فصول في علم النفس العسكري : محمد عاطف السعيد . القاهرة ١٩٥٩ ص٦٠ .

عناصر المجموعتين اعلاه متداخلة الى حد التأثير المتبادل فالعناصر الفكرية (حب الوطن والحق على الأعداء .... وغيرها) تؤثر على العناصر الأجتماعية النفسية (التعبير الشعوري الحماسي ، عن الأفكار والأراء . والحفاظ على اساليب التفكير المعتادة) كما وتؤثر الأراء الفكرية السياسية تأثيراً حاسماً على متانة القوى الخلقية المعنوية .

ان القوى المعنوية التي تتمتع باستقلال نسبي تمتص تقاليد الماضي الكفاحية ، وتعتمد على المستوى الفني الروحي لماضي الشعوب . وفي الوقت ذاته ينبغي تذليل الأراء والعادات التي عفى عليها الزمن فلم تعد تستجيب للظروف الراهنة . (١)

دور قوى الشعب المعنوية في الحرب

لقد قاست الشعوب في سير الحربين العالميتين اقسى المحن ووقع عليها عبء العمل المرهق بغية تطمين حاجات الجبهة .كما وعانت الحرمان المادي العسير ، واضطر مئات الالاف الى النزوح من المناطق المتاخمة لخطوط القتال . وفي الأراضي المحتلة تحمل السكان نكبات ومصائب افدح . ولأول مرة في تأريخ الحروب تعرضت مناطق المؤخرة العميقة لقصف سلاح الجو .وحمل مقتل ملايين عديدة من المحاربين في الجبهة الاماً نفسية مريرة لأهلهم وذويهم. وفي حربنا مع اسرائيل وحليفتها الأمبريالية اتسمت بأهمية استثنائية اقدامها على الحرق بالنابالم وقصف المناطق الأهلة بالمدنيين كالمصانع والمدارس والمستشفيات. وتهجير ملايين السكان من اراضيهم الى المنفى . وكذلك مافعله العدو الفارسي بقصف المناطق المدنية في مختلف المدن اثناء حربنا العادلة معه.

ففي مثل هذه الظروف يجب ان يعتمد نظام الأجراءات الحكومية العامة التي يتكون منها الدفاع المدني على الصمود المعنوي ورباطة الجأش والبسالة لدى ملايين الناس الذين لايرتدون البزه العسكرية وتقع على عاتقهم مهمه فائقة التعقيد،الا وهي تأمين النشاط للمؤخرة ومراكز انتاج الطاقة وانظمة ادارة الأقتصاد الوطني. ولا يمكن اتخاذ جملة من الأجراءات الخاصة التي ينبغي البدء بها في مستهل الأعمال السوقية (تهيئة السكان واجلاء

(١) محاضرات في الضبط والمعنويات -وزارة الدفاع- دائرة التوجيه السياسي ط٢ بغداد - ١٩٧٦ ص٥٠ .

المدنيين واعمال الأنقاذ والترميم العاجلة ومكافحة المخربين وتقديم الأسعاف الطبي الواسع للسكان وتموين القطعات) الا في حالة ابداع السكان في كل مكان عزماً كبيراً واستعداداً للتضحية بالنفس ، لتحقيق الأنتظام والأنضباط لدى كل شخص بدافع ايمانه الفكري وطموحه الى تأدية واجبه .وبفضل التفوق المعنوي سيكون تعرض السكان والقوات المسلحة لأثار (الحرب النفسية) والتخريب الفكري في زمن السلم وزمن الحرب محدوداً وفي حدود من السهل التعامل معها. (١)

المعنويات واثرها في القوات المسلحة اثناء الحرب

بغية التقييم الصائب لقدرة الجيش الحربية ينبغي ان نكون فكرة ليس فقط عن تسليحه ،بل وعن درجة انضباطه وخصوصاً عن حالته المعنوية (اي عما يمكن ان تطلبه منه دون المجازفة باضعاف المعنويات). يعزى ذلك في المقام الأول الى خطر كامن في جو الحرب فإذا كان خطر الميادين الأخرى من النشاط البشري يتلخص في احرازالنجاح مهما كان حجمه ، وان وفيات الناس بسبب الكوارث او الصدف في الظروف العادية امراً نادراً نسبياً ، فان مقتل الناس في الحرب ظاهرة عادية . وان تنفيذ اية مهمة حربية يكلف اراقة الدماء ويتطلب التضحية بحياة البشر . ولذلك فكلما كان السلاح فتاكاً كلما كبر الدور الذي تلعبه معنويات الناس المساهمين في الحرب .

ثم ان معنويات الجيش تلعب دوراً حاسماً في الحرب لكونها ترفع او تخفض القدرة الحربية للقوات ولا يمكن تحمل اعباء القتال المسلح واستخدام الآليات الحربية على افضل وجه الا بتوفر المعنويات العالية . فالمعنويات الواطئة تحول الخصال للقوات إلى عدم ، وبفضل المعنويات العالية للقوات تظهر قابلياتها المهنية وقدرتها على اتخاذ الموقف الابداعي الخلاق من الخدمة العسكرية ، وتساعد المعنويات العالية على المرونة في تنظيم القوات ووحدة ارادتها وتقوي الانضباط الذي تزداد ضرورته باطراد نتيجة لتزايد تنوع وسائل القتال واساليب واشكال النشاط الحربي مع توفر الاهداف السياسية الحرب.

---

(١) محاضرات في الضبط والمعنويات –وزارة الدفاع– دائرة التوجيه السياسي –ط٢ بغداد ١٩٧٦ ص٥١

وفي الختام نستطيع القول ان ما افرزته معركة قادسية صدام المجيدة في اطار المعنويات والمتمثلة بتلك البطولات العزيزة التي يتمتع بها المقاتل العراقي وهذا الصمود الرائع بوجه الاعداء الطامعين مقترنة بتحقيق الانتصارات في كل الجبهات وعلى كل المستويات لهو دليل قاطع على ما للروح المعنوية من تأثير فعال والمتمثل في ايمان المقاتل بعدالة قضيته وسمو اهدافه وايمانه بقيادته وشجاعتها وحرصها على الوصول به إلى اعلى المراتب والكرامة متمثلة بقيادة البطل صدام حسين «حفظه الله ورعاه» .



الفصل الثالث

«المعنويات والوضع النفسي للمقاتل العراقي»

مما لاشك فيه ان الاوضاع النفسية لاي شعب من الشعوب لابد وان تأخذ اثناء الحروب مسارات واوضاع تختلف بشكل او بأخر عما كانت عليه في حالة السلم، بحكم الأختلاف النوعي بين الحالتين وتأثيرهما على الأوضاع الفكرية والنفسية لذلك الشعب ، خاصة حين تأخذ الحرب حالة المواجهة الشاملة ولفترة زمنية طويلة كما هو الشأن في حربنا العادلة ضد العدو الفارسي .

وهكذا فأنه من الطبيعي ان يجري الحديث عن الوضع النفسي لشعبنا الأبي المناضل في ظل واقع الحرب وبعد ان مرت اعوام على قيامها ، خاصة وانها المرة الأولى التي يخوضها شعب باجمعه مثل هذه الحرب ويحقق فيها نصراً كبيراً اعاد للامة ثقتها بنفسها وبقدرتها على مواجهة التحديات ، ونلاحظ بان العاطفة تشكل جانباً من جوانب صياغة السلوك الأنساني لشعبنا لذلك فان الأحداث تساهم في رفع حماسته واندفاعه كما تساهم في اثارة مشاعره الأنسانية بشكل واضح وملموس وبالتالي فانه من الطبيعي ان يكون للحرب ونتائجها تأثير بالغ على اوضاع الشعب النفسية والفكرية . كما ان الدور المتميز لقائد مسيرتنا الرفيق المناضل صدام حسين وصلاته الصميمية بالجماهير من جهة وثقة الجماهير بقائدها واعتزارها بتجربتها الثورية من جهة اخرى ، قد كان لهما الأثر الكبير في تعميق الشعور العام للجماهير بالثقة بالمستقبل وبحتمية الأنتصار مما ترك أثراً ايجابياً في نفوس الجماهير ، وان ايمان الجماهير بعدالة القضية التي تحارب من اجلها اضافة الى ادراكها للاسباب الحقيقية وراء قيام الحرب ، واستمرارها كل هذه الفترة الطويلة قد خلق قناعة راسخة لديها : بان العدو الفارسي هو الذي يصر على استمرار الحرب والعدوان إلا ان هناك بالمقابل اصراراً مبدئياً على استعادة الحقوق وعدم التفريط بها والاستعداد للتضحية والتشبث

بالحقوق المشروعة فاستقرار الوضع الاقتصادي والاجتماعي في قطرنا رغم اجواء الحرب ساهم في استقرار الوضع النفسي لدى الجماهير ولعل في توفر السلع والمواد الاستهلاكية الضرورية ووجود قدرة عالية في الحفاظ على معدلات ثابتة للاسعار اضافة إلى تصاعد وتائر البناء التنموي شكل دليلا عملياً على حالة الاستقرار هذه ورغم ان شن العدوان علينا كان يستهدف بالأساس حالة الاستقرار والنمو هذه كما كان يستهدف روح الطموح والانبعاث التي اشاعتها قيادة الحزب والثورة في ضمير وسلوك شعبنا المناضل عبر هذا النموذج الرائد من البناء الثوري الحضاري .

ان تاريخ الأمة واصالتها من جهة واشاعة روح التجديد والانبعاث في ضمير وسلوك جماهيرنا المناضلة قد جعل من الشهادة قيمة عليا في المجتمع وشرفاً يطمح اليه الجميع بقدر طموحهم إلى النصر وهذا يعني ان حالة النصر التي نعيشها وتعيشها الامة لاول مرة في تأريخ العرب الحديث والتفاف الجماهير حول قيادتها التاريخية والشعور بالاطمئنان والتفاؤل ازاء المستقبل وتوفير الضمانات المالية والاجتماعية لاسر المقاتلين والشهداء بشكل خاص قد ادت إلى تجاوز ما قد ينجم من آثار نفسية جراء حالة القلق تجاه المقاتلين في الجبهة باتجاه تعميق قيم البطولة والشهادة في نفوس ابناء الشعب وازاء كل ما تقدم ورغم مرور اعوام على الحرب فان حالة التكيف والتلاؤم مع اجواء الحرب وظروفها قد ساهمت بشكل مباشر في استقرار الوضع النفسي للجماهير ذلك ان الحالة الطبيعية التي عاشها المواطنون من خلال الحركة اليومية والاستمرار ببناء مرتكزات التنمية الحضارية لشعبنا تعد مؤشراً واضحاً على هذه الحالة النفسية ، بل ان تأثير نتائج الحرب وروح النصر المتحققة عنها كانت ذات نتائج ايجابية في جانب كبير منها على نفسية الشعب دون ان ننسى حالات القلق التي تعد ظاهرة طبيعية في اجواء الحرب

واذا كان الاسى والحزن ازاء الموت حالة انسانية مشروعة ولا يمكن تجاهلها فان الشهادة لها معنى آخر يرتبط بالعقيدة الدينية حيث مأوى الشهيد الجنة وآخر يرتبط بتاريخ الامة، حيث البطولة ورموزها الخالدة وثالث يرتبط بالقيم الجديدة التي اشاعتها الثورة في نفوس الجماهير عبر صيغ البناء الثوري للمجتمع الجديد الذي ينبه الحزب على قاعدته المحررة هذا مما يجعل من الاثار الناجمة عن الشهادة مقترنة بنوع من الزهو والفخر نتفاوت في درجة التعبير عنها .

وهكذا فان مواصلة العمل وعبر مختلف القنوات المتاحة لتعميق روح النصر في ضمير وسلوك ابناء شعبنا ليس من شأنه ان يتجاوز الاثار السلبية التي تترك اثرها على نفسية المواطنين حسب وإنما يكون كفيلا بخلق وضع نفسي واجتماعي قادر على مواصلة العطاء والحقيقة تؤكد ان نصرنا تحقق من خلال تعبير مقاتلينا الشجعان عن روح الشعب ومن خلال ايمانهم العميق بعدالة الحرب التي يخوضونها مجيديها ضد عدوهم الفارسي المتغطرس مؤكدين حقائق ومعاني فكرية ونضالية وقتالية تضاف إلى سجل الدروس المستخلصة من وقائع الحروب على مر التاريخ وخصوصاً العادلة منها ذلك ان الكثير من القادة السياسيين والقادة والمنظرين والخبراء العسكريين قد اعطوا اهمية لعامل المعنويات في تحديد نتائج الحروب غير انهم غالبا ما اعتبروا درجة تأثير هذا العامل غير قابله للقياس وحتى للتكهن المسبق وجعلوها رهنا بظروف واوضاع وخصائص مختلفة كما ربطوها ايضا بما تسفر عنه ساحة القتال من ظروف مستجدة ومايحيط باللحظات الحاسمة لاشتباك الجيوش الكثير من الأسباب والعوامل ، حتى الحروب العادلة التي لعب فيها العامل المعنوي دوراً مهماً في احراز النصر لم يكن تأثيره بدرجة عالية جدا وعلى وتائر متساوية في كافة جبهات القتال وعلى نحو متواز ومتصل مع مستوى المعنويات للجبهة الداخلية ذلك لان اغلب الحروب التي جرت في العصر الحديث وحتى العادلة منها لم تشهد مستوى واحد من المعنويات بالنسبة لكافة المقاتلين في مختلف جبهات القتال وبالنسبة لعموم الشعب في الجبهة الداخلية ولعب فيها التباين من قائد ميداني الى آخر وكذلك نوعية المقاتلين في جبهة ما وطبيعة الأرض التي يقاتلون فيها دورا في حصول التباين في مستوى المعنويات من جبهات قتال الى اخرى

وبين المقاتلين والقادة العسكريين انفسهم والمستوى العام للمعنويات لدى كل الشعب. ولكل ذلك فان معركة « قادسية صدام » بكل معانيها وماتحقق فيها من نصر حاسم لتؤشر حالة جديدة في التأثير النوعي البالغ الأثر لدور العامل المعنوي في احراز النصر من حيث المعنى الشمولي الفريد « للعامل المعنوي » الذي عبرت عنه معركتنا العادلة مع العدو الفارسي من حيث تجسيده لحالة النضج الراقية التي بلغتها ثورتنا وشعبنا والقيم الثورية الأصيلة التي جسدها بناؤها الثوري الشامخ وان استمرار معنويات مقاتليناعالية ولفترة طويلة وتحويلها الى قوة مادية في المعركة قد كان حالة دائمة وفعالة في استمرار التفوق النوعي العراقي واستمرار النصر والحفاظ على روحه حيث باءت بالفشل كل محاولات العدو لاستغلال وضعه الجغرافي وكثافته السكانية لتطوير معنويات قواته المنهارة وقد اثبتت الفترة السابقة ان خياراتنا النوعية للموقف العراقي ونوعية المقاتل ومعنوياتة العالية هي ضمانتنا في التفوق حتى ارتدع المعتدون .

ويستلزم من القادة في جيشنا الباسل ايلاء المعنويات اهميتها المتعاضمة والمتزايدة وادامة فاعليتها في استمرار تفوقنا بما يضاعف من ازمة المعنويات في قوات العدو والتي لازالت اسيرة الاحباط المفروض عليها في الجبهة من جهة واسيرة الفوضى السائدة في داخل ايران وعدم الأيمان بهذه الحرب واكثر من هذا كله ان جنود العدو يدركون جيداً انهم يدفعون الى محرقة الحرب كوسيلة للتخلص منهم من جهة ثانية. ان المعنويات وتكوينها في المقاتلين ليست سمة وراثية ولاهي حالة مجردة ، بل هي في الشعب (والجيش جزء منه) نتاج طبيعي لتاريخه وظروفه السياسية والعسكرية والأقتصادية لذلك فان المصادر الأساسية لتكوين المعنويات لدى مقاتلينا وسر ديمومتها انما تكمن في واقعنا بكل خلفياته التاريخية والواقعية المعاصرة ويمكن ان نجمل المصادر الأساسية للمعنويات والتي اكدت فاعليتها للفترة السابقة من الحرب بما يلي :

— ان تراثنا العربي ومن ضمنه تراث العراق يمثل منبعاً حيويا لنزوع العراقيين نحو ان يكونوا بمستوى هذا التراث .

— ان المصدر الأخر لمعنويات مقاتلينا يتمثل في قوة الحق الذي يدافعون عنها

- ان جزء اساسيا من بناء المعنوية العراقية التي هي الاساس المتين للمعنوية العربية تمثله قيادتنا التاريخية التي اكدت في حياة العراقيين قبل الحرب حرصها ومسؤوليتها في بناء حاضرهم ومستقبلهم وفي زمن الحرب أكدت عن حرص مضاعف على اسس منطقية وانسانية .
- ان تاريخ جيشنا العراقي ومواصفاته العالية في الأنضباط وفي تأدية المهمات القتالية وتربيته الوطنية والقومية مصدر آخر من مصادر المعنويات لمقاتلينا ولا ريب في انه كلما كانت درجة التهيئة العسكرية عالية كانت المعنويات اكثر فاعلية في مواجهة الظروف الصعبة في الميدان وجيشنا قد أكد قدراته في ميادين القتال وعزز تاريخه المعروف .
- ان النصر العراقي يمثل الآن مصدراً أساسياً لاستمرار المعنويات العالية وتناميها لدى المقاتلين .

ان هذه المصادر المحفزة للمعنويات لاينبغي ان تفهم على أساس ميكانيكي جامد لأن المعركة وكذلك المقاتل (الانسان) حالة متحركة وهذا ينطبق على المعنويات حيث هي تتجدد وتتنامى وبنفس الوقت يمكن ان تستهلك قوتها وتتضاءل لهذا يكون على الجميع كل من موقعه التنبه العميق في انه ليس ثمة معنويات جيدة دائماً او سيئة باستمرار فالانسان اثناء مرحلته يستمد من خلفيته التاريخية ومن واقعه الوطني حوافزه كما يتأثر بهذه العوامل وعوامل اخرى ناشئة من أوضاع الجبهة ومجرى العمليات وبالتالي ضرورة التحرك الواعي والمدروس بما يحقق توظيف كل العوامل الايجابية في انماء وتطوير برامجنا في حماية وصيانة المعنويات من التأثيرات الخارجية المعادية والتي تسعى الى خلق ثغرات في الجدار البشري العراقي كمقدمة لخلق الثغرات في سلاحنا وفي جبهتنا في الأرض. ففي الحرب دائماً يسبق سقوط الحصون الدفاعية في الجبهة انهيار الحصون الذاتية للمقاتلين بما يجعل من المعنويات المنهارة قوة مضافة تحارب ضمن صفوفنا لصالح العدو وهذا يتطلب اهمية استخدام كل العوامل المادية وغير المادية في الجبهة الأمامية والجبهة الخلفية وكل الحوافز الوطنية والعقائدية من اجل تقوية وتطوير المعنويات في الجبهة لحظة مواجهة شاملة او في التشكيل في مواجهة المواضع او في المقاتل نفسه كجبهة ذاتية تشكل احد المرتكزات الجماعية في طول الجبهة .

خاتمة

من خلال حربنا مع الطغمة الأيرانية الحاكمة ، تؤكد كل الدلائل ان شعبنا كان متسلحاً بايمانه وعدالة قضيته التي قاتل من اجلها بالصبر الذي جعله لا يتردد بالتضحية بكل غالي وتحمل كل شيء مقابل احراز النصر الكامل والمحافظة على روحيته كمحفز دائم للعمل الى امام لان العراقيين كما يؤكد الرئيس القائد صدام حسين «حفظه الله» يتمتعون بمعنويات عالية ، وبايمان عال ... تكاد تكون الفاصلة بين القيادة وبينهم قليلة جداً ، ان لم نقل انها غير موجودة اي بمعنى التواصل مع المحافظة على مواقع التسلسل الأعلى.ان موضوع المعنويات اي من هو معنوياته افضل من غيره مسألة لايراد لها حسابات معقدة لان النتائج بامكانها ان تقول لنا بوضوح من هو الذي معنوياته افضل من غيره.ان الشيء الذي نقوله بلا تردد هو ان العراقيين مستعدون اطفالا وشيوخاً رجالا ونساء من مختلف الشرائح والمهن قد قاتلوا بعد أن أصبحوا مضطرين إلى دخول الحرب . وان الانتصارات التي حققوها في ساحة المواجهة مع العدو الفارسي أصبحت من المؤشرات الكبيرة التي خيبت آمال اعداء الامة وكل الذين لا يريدون للوطن العربي أن يكون حصة القومية العربية لوحدها لأن في هذا النصر وجدت نفسية جديدة لأنسان جديد .

واخيرا فان المعنويات للمقاتلين تمثل احد العوامل الأساسية في تحقيق النصر في الحرب التي يلعب فيها الأنسان دوراً مهما وهذا مايجعل الحروب وتنوع الآسلحة واختلاف التقنية العسكرية المتخدمة فيها ، انما هي حرب معنويات حيث ان الحرب التقنية تمثل ميدانا آخر من ميادين المواجهة مع العدو كون ان الحرب النفسية تتمحور حول التاثير المزدوج بالمقاتلين اي التاثير الأيجابي في تعزيز معنويات مقاتلينا ، والتأثير السلبي في زعزعة الثقة والنيل من معنويات العدو.لهذا فان دراسة «مسألة المعنويات اسسها ومقوماتها والعوامل فيها» ،تحتل اهمية كبرى — نظرية وتطبيقية — لاغنى عنها في الحروب الحديثة ، وتتضاعف أهميتها في الحرب الشاملة والطويلة الأمد، لان المعنويات ليست ذات صيغة نهائية اومستقرة بل هي تتفاعل مع كل العوامل المؤثرة في الحرب سواء كانت عوامل عسكرية اواقتصادية او اعلامية اونفسية .

المصادر

١ ــ الوجه الآخر للحرب: من اصدارات مديرية التدريب العسكري ،بغداد ١٩٧٠.

٢ ــ علم النفس الحربي : الدكتور محمد عثمان نجاتي . الطبعة الثالثة.القاهرة ١٩٦٠

٣ ــ محاضرات في الضبط والمعنويات ــ وزارة الدفاع ــ دائرة التوجيه السياسي. ط٢ بغداد ١٩٧٦

٤ ــ محمد عاطف السعيد : فصول في علم النفس العسكري . القاهرة ١٩٥٩

٥ ــ احمد شوقي عبدالرحمن: فن القيادة وعلاقته بعلم النفس العسكري، القاهرة ١٩٤٨

٦ ــ الموسوعة العسكرية . ج٢ المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت ١٩٧٩

٧ ــ عباس الحسني ، علم النفس العسكري ج١ بغداد ١٩٦٩ .

قيس مفشفش السعدي ، الروح المعنوية ، بغداد ١٩٨٠ .



الادارة العلمية وبحوث العمليات : دراسة لمجالات تطبيقاتها في المكتبات

د. نعيمة حسن رزوقي
قسم المكتبات والمعلومات
الجامعة المستنصرية

المقدمة

ان نجاح ادارة اية مؤسسة خدمية او انتاجية في اداء اعمالها هو قدرتها على اتخاذ القرارات الأدارية على ضوء تحليلها للبيانات والمعلومات الكمية والنوعية على حد سواء. وتستخدم الأدارة العديد من الأدوات والأساليب لتحليل هذه البيانات والوصول الى قرارات أكثر دقة وموضوعية، وبحوث العمليات تمثل نمطا اواسلوبا حديثاً ومتطوراً في تحليل البيانات تحليلا كمياً يساير حركة الأدارة في الأتجاه العلمي. كما ان ارتكاز هذاالأسلوب على العلوم الرياضية والأحصائية يعطي للادارة امكانية الأستفادة من العلوم الأخرى وتطبيقاتها

وتواجه مكتبات العالم في الوقت الحاضر نوعاً من التحدي الناتج عن زيادة مشاريعها وكبر حجمها وتعقد متطلبات المستفيدين منها، وللتغلب على هذا التحدي ومواجهته فان عملية التخمين للاحتياجات وحل المشاكل المعتمدة على التجربة والخطأ (Trial and Error) لم تعد كافية مالم ترتكز على اساس علمي سليم .

والقطر العراقي اليوم يعيش ثورة حديثة تتميز بدينا ميكية الحركة والتطور في العلوم الأدارية وادارة جميع المؤسسات وليس بالامكان عزل المكتبات وادارتها عن هذه الثورة الأدارية بل ولغرض رفع مستوى مهنة المكتبات في القطر وتحسين الخدمات المكتبية من خلال التنبؤ المستقبلي لاحتياجات المستيفدين على كافة انواعهم ومن خلال الأطلاع على الأساليب الأدارية الحديثة في التحليل واتخاذ القرارات والتنبؤات المستقبلية وفق الأمكانيات المتاحة والأستفادة المثلى لما متوفر في المكتبة ومما سيتم توفيره

اصبحت فكرة الأدارة العلمية والأسلوب العلمي هدفان اساسيان يستحقان النظر . ومن هنا وقبل البدء بتحديد مفهوم بحوث العمليات ودراسة تطبيقاتها في مجال المكتبات والمعلومات لابد من اعطاء فكرة مختصرة اولا عن مفهوم الأدارة العلمية ومدى استخدامها في العمليات المكتبية .

الادارة العلمية

تمتد جذور الأدارة العلمية الى السنوات العشر الأخيرة من القرن التاسع عشر الا انها لم تصبح حركة منظمة ومعروفة حتى عام ١٩١١ عندما قدمها فردريك تايلر واوضح نطاق تطبيقها في مجال الأنتاج بما يساهم وتحقيق الكفاية في استخدام الأفراد والآلات وذلك عندما نشر كتابه الموسوم « اصول الأدارة العلمية » الذي دعا فيه الى استبدال طريقة الحكم الشخصي والتجربة والخطأ بطريقة علمية تعتمد على الأساوب العلمي في جمع الحقائق وتحليلها للوصول الى الظاهرة موضع البحث .

ويرى البعض الأدارة العلمية على انها حركة فنية من حيث قيامها بدراسات على العامل (دراسات الوقت والحركة) وعلى المكائن وطرق الأنتاج وغيرها من النواحي الفنية ذات الأتصال المباشر بعملية الأنتاج ، وحركة ادارية من حيث وضعها لمبادىء تسترشد بهـا الأدارة في تحقيق اهدافها بما في ذلك الأختيار العلمي للعمال والتدريب الصحيح لهم ، واخيراً اعتبرت الأدارة حركة فلسفية لانها سعت الى تغيير افكار العمال نحو التعاون والمصالح المشتركة (١) . هذا وقد اعتبرت دراسات الوقت والحركة اجراءا علميا لوضع مستويات ومقاييس تستخدم كأساس لوضع نظام للأجور وللاغراض التالية :(٢)

١ ـ تحديد حصص الأنتاج بالساعة او حصص العمل اليومي بغية الوصول الى كلفة العمل .

٢ ـ تحديد الوقت المطلوب للقيام ببعض الأعمال وذلك لغرض التخطيط وجدولة الأنتاج .

٣ ـ تحديد انتاجية الماكنات اوتقييم الأعمال وتوزيعها على خط الأنتاج .

وقد تبع تايلر كل من هنري فايل(Fayol) وفرانك جلبرت (Gilbert) الذي وضع قواعد دراسة الحركة وطور مايسمى بخرائط العمليات)(Flow Processingchart) وكذلك هنري جانيت (Gantt) وجميع هؤلاء نادوا بوضع معايير للاعمال وقياس الأنتاج والأبتعاد عن التخمين .

بحوث العمليات :

امتداداً للاتجاه العلمي ظهرت بحوث العمليات لتدعم حركة الأدارة العلمية وتقدم الأساس الكمي في اتخاذ القرارات والتنبؤات المستقبلية ليس فقط في مجال الأنتاج وانما لتشمل نطاق العملية الأدارية ككل . ولقد جاء تطبيقها متأخراً حيث استخدم ولاول مرة عام ١٩٣٩ خلال الحرب العالمية الثانية من قبل قيادة القوات الجوية الملكية البريطانية وقد ترتب على نجاح استخدام بحوث العمليات في بريطانية الى زيادة الأهتمام بها خاصة في الولايات المتحدة الأمريكية .(٣) ولم يقتصر تطبيق نماذجها في العمليات العسكريـة فحسب بل في المجالات التنظيمية الأخرى كنظام النقل والشركات الصناعية والأنتاجية.. وقد كانت المؤسسات الخدمية والعامة التي لاتسعى الى الربح ابطأ الجهات في استخدامها لحل مشاكلها كالمستشفيات والمدارس والمكتبات .

هذا وقد اختلفت وجهات النظر بشأن وضع تعريف محدد لمفهوم بحوث العمليات وخلط البعض مابينها وبين مصطلحات اخرى مثل تحليل العمليات (Operations Analysis) وتحليل النظم (Systems Analysis) . فقد عرف دانتزج (Dantzig) (٤) بحوث العمليات على انها علم الأدارة ، اي علم اتخاذ القرارات وتطبيقها ، الا ان هذا التعريف مختصر وغير واضح كما انه لايميز بحوث العمليات عن غيرها من المصطلحات خاصة وان بحوث العمليات هي ليست علم اتخاذ القرارات بل هي اساليب وادوات ، تستخدم للمساعدة في إتخاذ القرارات .

وقد عرفها واجنر (Wagner) (٥)على انها العلم المستخدم في حل المشكلات التي تواجه الأدارة العليا للمؤسسات. وهذا التعريف هو الأخر قد حدد بحوث العمليات بحل

المشاكل كما حدد نطاقها على الأدارات العليا فقط في حين اتسع نطاق بحوث العمليات اذ اصبحت تتعلق بعملية اتخاذ القرارات سواء على نطاق الأدارة التنفيذية اوالعليا لأي مؤسسة .

وقد عرفها اخرون على انها تطبيق للطريقة العلمية بتوفير الأساس الكمي وذلك لتمكين الأدارة من اتخاذ قرارات اكثر موضوعية . (٦) او هي « استخدام العلم الحديث في معالجة المسائل التي تظهر في مجال رقابة وادارة الأموال والموارد والآلات والعناصر البشرية كل في مجاله وهدفه الأساسي وذلك بالقياس والمقارنة والتنبؤ بالتصرف المحتمل من خلال نموذج يمثل الموقف . (٧) .

الملاحظ في التعاريف هو تعلقها جميعاً بمفردات دالة يمكن شمولها في تعريف واحد وهذه المفردات هي :

ـ الطريقة العلمية	Scientific Methods
ـ الكمية او الكم	Quantitative
ـ النموذج	Model
ـ المقارنة	Comparison
ـ الأمثل ، الأنسب ، او الأفضل	Optimum
ـ اتخاذ القرارات	Decision Making

ولغرض استخلاص تعريف شامل من تركيب هذه المفردات الدالة بمجموعها نجد ان بحوث العمليات هي العلم المتعلق بأستخدام الطرق العلمية في حل المشاكل الأدارية التي يمكن التعبير عنها كماً وذلك بأتباع النماذج الرياضية التي تسمح بأجراء المقارنة بين البدائل من الأنشطة والأعمال كما تسمح بتحديد المسلك الذي يؤدي الى افضل النتائج ، الهدف من استخدام هذه الطريقة هو مساعدة الأداري في اتخاذ القرارات الصائبة. هذا وتعتبر النماذج الرياضية الأساس لكل ادوات واساليب بحوث العمليات والتي تعطي صورة مصغرة للواقع العملي للظاهرة موضع الدراسة فتمكن الأداري من التنبؤ بسلوك الظاهرة مستقبلا نتيجة اتخاذ قرار معين قبل التعميم .

اساليب وادوات بحوث العمليات :

ان العملية الأدارية معقدة الى الحد الذي يجعل من اتخاذ القرارات مشكلة يتطلب حلها توفر الكثير من البيانات النوعية والكمية بالأضافة الى الأساليب والأدوات التي تساهم في حلها. وبحوث العمليات ، كما اشرنا سابقاً ، هي مجموعة الأساليب والأدوات التي تمكن الأدارة من الوصول الى قرارات أكثر دقة وموضوعية. وهنا ندرج بأختصار اهم اساليب وادوات بحوث العمليات وكما يلي :

١ ـ نظرية الاحتمالات (Probability Theory):

تعتبر نظرية الأحتمالات القاعدة الأساسية لجميع نماذج القرارات المحتملة وتعود اهميتها الكبيرة الى اعتماد الكثير من اساليب وادوات بحوث العمليات الأخرى عليها في بناء النماذج الخاصة بها . وتفيد نظرية الأحتمالات في تخفيض حالة عدم التأكد (Uncertainty) بالأستناد الى كمية المعلومات التي يمكن توفرها على افتراض ان العالم الذي نعيش فيه بكل متغيراته لايمكننا من التنبؤ بالمستقبل وعلى درجة من التأكد التام للاسباب التالية : (٨)

١ ــ نظراً للمتغيرات الأقتصادية والمالية.

٢ ــ صعوبة التنبؤ بالسلوك الأنساني للمستفيد وتحديد رغباته بدقة .

٣ ــ ظروف المنافسة في الحصول على الخدمات .

ولذا فإن حالة التأكد عندئذ ستكون نسبية وتزداد النسبة كلما تم الحصول على أكبر قدر من المعلومات التي تمكن الإداري من فرض أحتمالات معينة وقد تشمل تلك المعلومات احصائيات وسجلات تتعلق بالتجارب السابقة في الماضي.

من بين النماذج الأحتمالية المستخدمة في بحوث العمليات الاتي :

أ ــ نموذج ماركوف (Markovian Model) :

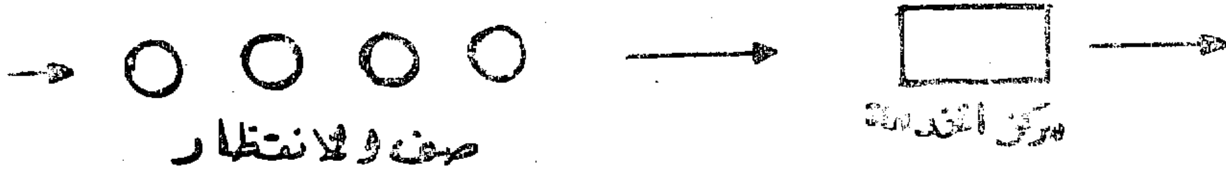
أو مايسمى بسلسلة ماركوف والتي تعتبر من العمليات العشوائية لتحليل الأتجاهات

الحالية لبعض المتغيرت للتنبؤ بأتجاهاتها المستقبلية. ويستخدم هذا النموذج في الأزمنة المنقطعة (Descrete Intervals) ويتخذ تحليل ماركوف عدة مستويات حيث يفترض في المستوى الأول امكانيةالتنبؤ بسلوك المستفيدين للفترة القادمة (الشهر القادم مثلا) من خلال ملاحظة وتسجيل سلوكهم خلال الشهر الحالي كما يفترض امكانية التنبؤ بسلوك المستفيدين في الشهر القادم (الثاني) من خلال ملاحظة وتسجيل سلوكهم خلال الشهرين الماضيين له مباشرة ، وعلى المستوى الثالث يمكن التنبؤ بسلوك المستفيدين للفترة القادمة بملاحظة وتسجيل سلوكهم خلال ثلاثة اشهر الماضية. وعلى هذا الأساس فإنالأفتراض الأساسي في عملية ماركوف هو ان احتمالات الأنتقال الى كل حالة يتوقف فقط على الحالة الحالية كما ان حالة الحدث في لحظة معينة من الوقت تتضمن جميع المعلومات الضرورية من الحدث واحتمالات التغير في المستقبل . (٩)

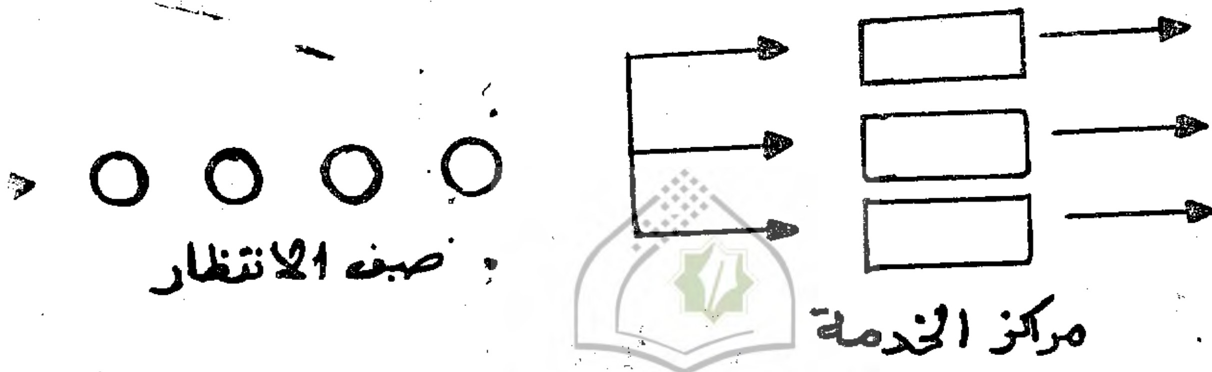
ب ـــ نظرية الصفوف (Queueing Theory) :

او ماتسمى بخطوط الأنتظار اذ ان طول خط الأنتظار وفترته قد يؤدي الى الملل وترك المستفيد لمايروم الحصول عليه واللجوء الى وسيلة اوخدمة أخرى، ونظراً لأختلاف عدد المستفيدين في خط الأنتظار من فترة الى فترة أخرى لذا توجب على المسؤول استنتاج عدد المستفيدين الذين سيكونون في الأنتظار للحصول على السلعة او الخدمة خلال فترة معينة بغية توفير التسهيلات المطلوبة.وتهتم نظرية الصفوف بالعمليات التي تتميز بالوصول العشوائي اي ان الوصول يكون على فواصل زمنية عشوائية كما تعتبر خدمة المستفيد عملية عشوائية ايضاً. وهناك عدة انواع لحالات الأنتظار منها (١٠):

١. مركز خدمة واحد مع إتمام الخدمة في مرحلة واحدة



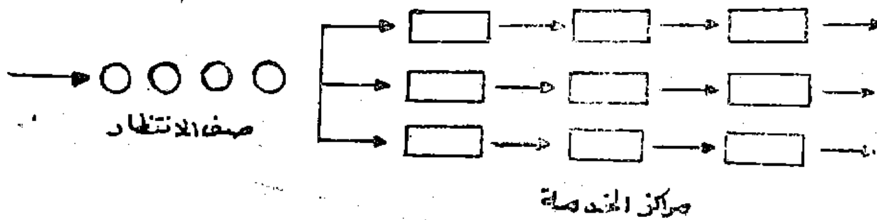
٢. عدد من مراكز الخدمة مع إتمام الخدمة في مرحلة واحدة



٣. مركز خدمة واحد مع تعدد مراحل تقديم الخدمة



٤. عدد من مراكز الخدمة مع تعدد مراحل تقديم الخدمة



جـ ـ اسلوب تقييم ومراجعة البرامج

(Program Evaluation Review Techniques-PERT)

يتعلق هذا الأسلوب بتخطيط الأنشطة الأنتاجية وجدولتها، وتحقيق الرقابة على سير الأعمال وتحليل جميع الفعاليات المتعلقة بذلك وتنسيقها. ويعتبر هذا الأسلوب امتداداً لخرائط جانت في تخطيط وجدولة ومتابعة المشروع الا انه يختلف عن خرائط جانت في ان هذا الأخير يقوم بتحديد بداية ونهاية الوقت المطلوب لأنجاز كل نشاط واعتماداً على جدول زمني أفقي . ولا تظهر هذه الخرائط العلاقة المتداخلة بين الأنشطة المختلفة للمشروع وانما تدرس فقط سير العمليات في النشاط الواحد . وعلى العكس من ذلك يوضح اسلوب بيرت (PERT)العلاقة بين الأنشطة المختلفة للمشروع (١١)وقد صمم هذا الأسلوب ليخدم الأداري في : (١٢)

١ ـ اغراض التخطيط قبل بداية المشروع مع توفير امكانية احتساب كمية الوقت الأجمالي اللازم لأتمام المشروع .

٢ ـ تخطيط ومراقبة المشروع اذ انه يرتكز على شبكة العمل في توضيح العلاقة بين الأنشطة المختلفة وخط تتابعها خلال فترة المشروع .

٣ ـ يساعد في تمكين الأدارة من التعرف على العوامل المؤثرة في تنفيذ المشروع والعمل على أخذها بنظر الأعتبار عند اتخاذ القرارات الخاصة بالتخطيط والمتابعة.

٤ ـ يستخدم هذا الأسلوب في معالجة مشاكل التأخير والمعوقات والأختناقات التي يواجهها المشروع وبالتالي يستطيع المدير تخصيص مبالغ أكثر او وقت اطول او يزيد من ملاحظته لها خلال المراحل المختلفة لتقدم المشروع .

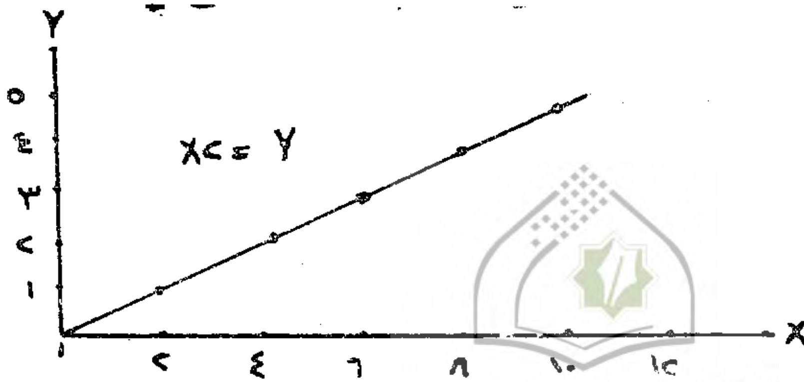
٢ ـ البرمجة الخطية : **Linear Programming** :

اسلوب رياضي صمم لمساعدة الأدارة في تخصيص مواردها المحدودة على الأستخدامات المختلفة في ظل القيود المفروضة بهدف تعظيم الأرباح وتقليص التكاليف لكي يتمكن الأداري من اختيار الأفضل ((Optimum) (عندما يتكون لديه عدد كبير

من المتغيرات ويكون لكل متغير عدد من القيم المختلفة. وبأستخدام البرمجة الخطية يتعين ان تكون العلاقة المباشرة او التناسبية بين المتغيرات خطية وهذا يعني ان اي تغيير في متغير واحد سوف ينتج عنه تغيير جزئي في المتغير الاخر اذ ان المعادلة التالية.

$$Y=2x$$

تعتبر خطية وذلك لأن نقطة معينة للقيمة المحتملة لكل من (X) و(Y) ستكون على خط مستقيم اي ان معدل تغيير بدرجة واحدة في (Y) يتبعه تغيير بما يعادل درجتين في قيمة (X) كما ان تكرار هذا التغيير سوف يشكل الخط المستقيم الذي يمثله بشكل ادناه



ولاستخدام اسلوب البرمجة الخطية هناك عدة طرق ندرج منها بأختصار الاتي : (*)

١ – الطريقة البيانية: هي اداة تحليلية لمعالجة مشكلات معينة في مجال الأنتاج والأفراد شريطة ان لايزيد عدد المتغيرات في المشكلة عن ثلاث متغيرات . ويتم اتخاذ القرار بموجب هذه الطريقة اعتماداً على الشكل البياني الناتج عن تحليل العلاقة بين متغيرات المشكلة .

٢ – الطريقة المبسطة (Simplex) : تتميز هذه الطريقة بالدقة والكفاءة في معالجة مشكلات البرمجة الخطية بغض النظر عن عدد المتغيرات للمشكلة . يتم فيها تحويل القيود للمشكلة الى معادلات رياضية قبل المباشرة بمعالجتها .

(*) للزيادة في التفصيل لتوضيح هذه الطرق انظر : فؤاد الشيخ سالم وفالح محمد حسن . بحوث العمليات : نظرية وتطبيق . الاردن : مركز الكتب الثقافية ، ١٩٨٣ . ص٨٩–١٧٨

٣ – طريقة النقل: من الأساليب الرياضية في عملية اتخاذ القررات المتعلقة بنقل حجم معين من المواد (اوالخدمات) من مصادر متعددة الى مراكز متعددة بهدف سد احتياجات المراكز ذات العلاقة بأقل كلفة ممكنة من مجموع تكاليف النقل .

٤ – طريقة التخصيص: وتتعلق بتخصيص عدد معين من الوسائل (الأفراد او الأجهزة) لأنجاز عدد معين من الوظائف وذلك عن طريق الأختيار الأفضل في تخصيص عامل أو جهاز لأنجاز وظيفة واحدة بغية الوصول الى تحقيق الحد الأدنى من التكاليف لما للافراد والاجهزة المختلفة من كفاءات مختلفة في انجاز الوظائف وترتكز جميع هذه الطرق على توفر عناصر معينة منها :(١٣)

أ – وجود هدف مطلوب تحقيقه كتقديم افضل الخدمات اوتعظيم الأرباح .

ب – وجود قيود مثل الطاقة ، المال، الوقت ، .....الخ.

ج – وجود علاقة خطية بين المتغيرات يمكن تمثيلها بخط مستقيم .

د – وجود أكثر من بديل للمفاوضة واختيار البديل الذي يحقق الهدف .

هـ – توفر عنصر التأكد وغياب الأحتمالات .

و – التعبير عن الهدف والقيود المفروضة ((Constraints)) بمعادلات رياضية.

لقد بدأت حركة الادارة العلمية في الصناعة وكانت اهمية تطبيقها قائمة في زيادة الربح من خلال تقليل الكلفة والنفقات وزيادة المبيعات. والمكتبات شأنها شأن المؤسسات الخدمية التي لاتعمل بهدف الربح المادي لذلك كانت فكرة تطبيق المبادىء العلمية فيها موضع جدل ونقاش. وبالرغم من صعوبة التوصل الى استخدام الإدارة العلمية من قبل ادارات المكتبات لتحليل اعمالها الروتينية الا ان عدداً من الاطروحات المقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في المكتبات والمقدمة في اواخر الثلاثينات (1930s) قد استخدمت الإدارة العلمية في معالجة موضوعاتها كتلك المتعلقة بتحليل الكلفة والخدمات الفنية والفهرسة. ومن الجدير بالذكر هنا انه بدأ بأستخدام البطاقات المثقبة الحوافي في هذه

الفترة ايضاً. وقد قسم ايفانز (Evans) * الأدارة العلمية في المكتبات تأريخياً الى فترتين تبدأ الأولى منهما في اواسط الثلاثينات حتى نهاية عام ١٩٥٥ في حين تبـــدأ الفترة الثانية في اواسط الستينات مع بداية تطبيق الحاسبات الألكترونية وعمليات تحليل النظم لحل مشاكل المكتبات . هذا ومن بين الذين كتبوا في هذا الموضوع رالف شو (Ralph Shaw) (١٤) في الأربعينات وكذلك بارنيز (Barnse) وماندل (Mundel) (١٦) وزنك (Zinck) (١٧) الا ان اول كتاب نشر في الأدارة العلمية للعمليات المكتبية هو كتاب دوغرتي (Dougherty) (١٨) لدراسة الوقت والحركة والذي لم يظهر الا في عام ١٩٦٦.

وقد ناقش دوغرتي في الفصل الأول من كتابه مبررات استخدام الأدارة العلمية في المكتبات معتمداً على النواحي التالية : (١٩)

١ – تشترك المكتبات مع سائر المؤسسات الخدمية والعامة بوجهة النظر التي تحتم عليها وضع مبررات وجودها لغرض زيادة مخصصاتها المالية من خلال تحسين خدماتها التي تقدمها للمجتمع. كما ان الإدارة العلمية تساعد المكتبة في تنفيذ الكفاءة وتحديد الأسباب المنطقية لزيادة مخصصاتها اعتماداً على الحقائق العلمية لأسباب الزيادة هذه. كما ان مقياس الفائدة التي تحصل عليها المكتبات هي درجة ارضاء حاجة المستفيدين بما في ذلك الأختيار الجيد للكتب وجودة خدمات المراجع ..الخ

٢ – تؤدي الإدارة العلمية الى تحسين الأعمال الروتينية التي تشكل نسبة (٧٠٪–٩٠٪) من وظائف المكتبة وكذلك زيادة كفاءتها من خلال التحليل الكمي لها كتحليل احصائيات الطلب والإعارة وترتيب البطاقات واعمال الفهرسة والتصنيف .وان مرونة استخدام الإدارة العلمية في تنظيم هذه العمليات المتكررة واسعة جداً نظراً لأمكانية قياس مثل هذه العمليات عن طريق البيانات الكمية التي يمكن ان تتجمع بأستمرار من خلال احصائيات منظمة .

(*) للزيادة في المعلومات التاريخية عن الادارة العلمية في المكتبات انظر :

Edward Evans Management Techniques For Libraries N.Y. Academic Press, 1976 .PP.29–31 .

٣ - لقد اثير الأهتمام بالإدارة العلمية عند تطور طرق معالجة البيانات (Data Processing Methods) فإن اية مكتبة تسعى لتغيير نظامها التقليدي الى عمليات آلية بأستخدام الحاسب الألكتروني عليها اولا ان تتفحص وتحلل الطرق الحالية بدقة وبعلمية وان جهل اي جانب من جوانب العملية المكتبية يؤدي الى عدم تكامل ودقة النظام . بعبارة اخرى ان اي نظام آلي يقوم على نظام تقليدي غير كفوء يؤدي الى اعاقة عمل النظام وتبذير في الوقت والمبالغ المبذولة.

خطوات استخدام الادارة العلمية في المكتبات :

كما حدد دوغرتي خطوات تطبيق الإدارة العلمية في المكتبات اضافة الى تحديد المبررات والتي تتضمن مايلي (٢٠) :

١ - اختيار حقل للدراسة :

في مجال المكتبات هناك انواع من الوظائف التي ينطبق عليها ممارسة الإدارة العلمية في تنظيمها وانجازها ومن بين هذه الوظائف :

أ - الوظائف المستمرة الانجاز.

ب - الوظائف المتكررة التي تخضع نفسها للتحليل بسبب تكرار حدوثها .

ج - الوظائف التي تتطلب حركة مستمرة من الأفراد والمستلزمات لأنجازها.

د - الوظائف التي تحصل فيها اختناقات في اوقات محددة من العمل اليومي .

هـ - الوظائف التي تتطلب مبالغ مالية كبيرة لأنجازها مقابل حجم الأستفادة منها .

٢ - التعريف بالمشكلة :

بعد اختيار موضوع او حقل الدراسة تأتي الخطوة الثانية وهي التعريف بالمشكلة ذات العلاقة بالموضوع والتي بموجبها يتم تحديد اتجاه الدراسة بموجب علاقتها بالأهداف الكلية لنظام المكتبة ككل .

٣ــ جمع البيانات

طبيعة البيانات التي يرغب في تجميعها تعتمد على طبيعة المشكلة بحد ذاتها فلابد اولا من تحديد وبدقة الخطوات والعناصر التي تتكون منها الوظيفة (دراسة الحركة) وبعد ذلك تحديد الوقت المطلوب لأنجاز كل خطوة او كل عنصر (دراسة الوقت) وبمجرد معرفة تكرار انجاز الخطوة الواحدة تسهل عملية احتساب الكلفة لها .

٤ ــ تحليل الطريقة الحالية

بعد تحديد خطوات انجاز الوظيفة الحالية وتجميع البيانات حولها تجري عملية تحليل تلك الخطوات واحدة تلو الأخرى ومن ثم تحليل العملية ككل من خلال الإجابة على الأسئلة التالية :

أ ــ لماذا (Why) تنفذ هذه الوظيفة

ب ــ ماذا (What) ماهو الهدف من العملية

ج ــ اين (Where) يتم انجاز الوظيفة

د ــ متى (When) يجب اجراء الوظيفة وهل يمكن تأجيلها الى وقت آخر

هـ ــ من (Who)هو المسؤول عن تنفيذ هذه الوظيفة وما نوع الكفاءة و التدريب المطلوب فيه لأنجازها .

و ــ كيف (How) يمكن تنفيذ العمل بشكل افضل

٥ ــ تطوير طريقة محسنة للانجاز

هناك عدة طرق لتحسين الوظيفة ندرج منها بأختصار الاتي :

أ ــ تحديد وتقليص بعض الأعمال الروتينية اوالغائها ككل في حالة انتفاء الحاجة اليها

ب ــ دمج عدة عمليات مع بعضها .

ج ــ تغيير تسلسل انجاز العمليات .

د ــ تغيير الشخص القائم على تنفيذها .

هـ - تبسيط جميع العمليات المتبقية .

٦ - وضع الطريقة المحسنة موضع التنفيذ

من خلال عرض الطريقة الجديدة في العمل على مدير المكتبة او الموظف المسؤول لغرض اقناعه وكسب تعاونه في عملية التنفيذ وابعاده قدر الأمكان عن الرفض او معاكسة العمل والذي يؤدي بالتالي الى فشل المشروع او المخطط الجديد . اذ ان اقناع او إشراك الشخص المسؤول يعطي اندفاعاً وحماساً في الأنجاز لتحقيق افضل النتائج وبشكل علمي وعملي من خلال تدريب الموظفين المنفذين للعملية واندفاعهم في العمل ككل .

تطبيق بحوث العمليات في المكتبات

وكذا الحال بالنسبة لبحوث العمليات باعتبارها اسلوباً متميزاً من اساليب الإدارة العلمية. فقد بدأ استخدامها في اغلب المجالات التنظيمية الصناعية منها والأنتاجية الا ان التأكيد على استخدامها في النظم الخدمية والعامة لم يتم الا في اوائل الستينات . وتعتبر المكتبات اكثر من غيرها من المؤسسات العامة بطأ في تطبيق بحوث العمليات وتبقى نماذجه للوصول الى الحلول المثلى لمشاكلها، فلم يكن هناك حماس في استخدام الأدارة الكمية(Quantitative Management) بالرغم من محاولة شو (Shaw) عام ١٩٤٧ في الدعوة الى تطبيق الإدارة العلمية في المكتبات (٢١) .

هذا وقد كان لتخوف المكتبيين من استخدام المعادلات الرياضية والنماذج المعقدة مبرراً لمعارضتهم لفكرة تطبيق بحوث العمليات في الإدارة المكتبية لذا فإن اغلب ماكتب عن الموضوع من قبل اخصائي بحوث العمليات الذين وجدوا في بيئة المكتبات مختبراً لدراساتهم .الا ان عدم معرفة هؤلاء بدقة الاجراءات والعمليات اليومية للمكتبة ومشاكلها فإن محاولاتهم في التطبيق لهذه المشاكل غالباً ماتكون قائمة على اسس نظرية ، لذا اعتبرت دراسات غير شاملة وغير واقعية احياناً وغير مطابقة للمكتبات (٢٢) وقد وصف باركر (Parker) (٢٣) فكرة تطبيق بحوث العمليات من قبل المكتبيين بالحالة التالية : ان للمكتبين خبرة عملية عميقة في مجال تخصصهم الا ان معرفتهم

بالتحليل المنهجي (Systematic Analysis) لوظائفهم التي ينجزوها قليلة الى حد ما وكنتيجة لذلك بقيت الوظائف التقليدية بدون تحليل كما بقي تدريب الأفراد نظرياً وحاجات المستفيدين تخمن اعتماداً على التجربة السابقة والذاكرة . اذا والحالة هذه فإن استخدام بحوث العمليات لأي نظام يتطلب فريق عمل مشترك ، ومن هنا يصبح بالأمكان انجاز بحوث على مستوى عال في الجوانب التحليلية للعمليات المكتبية باختيار نماذج من بحوث العمليات عندما تتظافر الجهود مابين اخصائي بحوث العمليات والمكتبيين حيث تجمع الخبرة والتخصص والتجربة معاً لإذابة الصعوبات المتعلقة باستخدام المعادلات الرياضية للنماذج الأحتمالية التي هي من وضع خبراء بحوث العمليات واختصاصهم حيث أكدت معظم دراسات بحوث العمليات الى ان التنبؤ المستقبلي يكون من خلال تطبيق النماذج الرياضية اكثر مما هو متعلق بمعرفة الوضع الحالي القائم على تحليل البيانات والأحصائيات التجريبية المجمعة بشأن الأستخدام والتجربة الماضية . وقد أكد هذا الرأي ليمكوهلر (Liemkuhler) اذا شار الى ان صميم بحوث العمليات هو تطوير نماذج تحليلية يتم بواسطتها وصف سلوك عمليات النظم العاملة وبطريقة معنوية لأغراض التنبؤ المستقبلي حول كيفية عمل هذه النظم وطرق تحسين ادائها مستقبلا للسيطرة عليها. (٢٤) كما اضاف ليمكوهلر في دراسة اخرى له الى ان فريق العمل في مجال المكتبات يتطلب مهندس نظم باعتباره عضواً دائماً ضمن الكادر المكتبي وكذلك الى افراد متخصصين بالبحث والتطوير . (٢٥) واستخلص ليمكوهلر في دراسة ثالثة الى ان المكتبات مهمة لبحوث العمليات أكثر من اهمية بحوث العمليات للمكتبات وقد اسند فكرته هذه على استنتاج من ان حقل المكتبات والعلامات محدود نسبياً كما ان المكتبات الجامعية تعتبر افضل المختبرات التي يستطيع الطلبة من خلالها ابراز مهاراتهم في هذا الحقل (٢٦).

بالرغم من اختلاف وجهات نظر المكتبيين بشأن الرغبة اوعدمها في استخدام الطرق التحليلية والنماذج الرياضية لحل مشاكل المكتبات واتخاذ القرارات المناسبة الا ان الأستخدام الفعلي لهذه الطرق والنماذج قد تم الأخذ به خاصة عند تطوير الطرق العلمية في معالجة

البيانات وذلك في اواسط الستينات ولأول مرة باستخدام النظرية الأحتمالية والأجراءات التحليلية الحديثة للتنبؤ بالأستخدام المستقبلي للمكتبة من قبل مورس (Morse) الذي قام بتجريب نماذج رياضية على عدد محدود من البيانات وقد نشر دراسته هذه في كتابه المعروف بـ(فاعلية المكتبة (Library Effectiveness) عام ١٩٦٨ ومن خلال المراجعة لأدبيات الموضوع فقد تم التوصل الى ان هناك عدداً من الدراسات التي يطلق عليها دراسات الأستخدام (Use Studies) كما قام كل من ديفيز وبيلي (٢٧) ((Davis and Belly) بجمعها في قائمة ببليوغرافية اشتملت على (٤٣٨) دراسة لغاية عام ١٩٦٣ واضاف اليها ديويس (٢٨) (Deweese) (١٠٩) دراسة أخرى. هذا وقد وصف جومز (٢٩) (Gomes) هذه الدراسات بكونها محدودة وذات صفة احصائية لأغراض السيطرة البيليوغرافية فقط وانها تفتقد الى التعامل التحليلي للمتغيرات المتداخلة كما ان اغلب الأحصائيات التي جمعت في هذه الدراسات وصفية وغير كافية للتحليل لأغراض التنبؤ. وفي عام ١٩٧٢ عقد مؤتمر خاص بتطبيق بحوث العمليات في المكتبات حيث اشتمل على عدد من الدراسات التطبيقية التي نشرت في عدد خاص في مجلة المكتبات الفصلية (Library Quarterly) كما تضمن هذا العدد قائمة ببليوغرافية غطت الدراسات المنشورة في هذا الموضوع (٣٠)

واستمر الأهتمام ببحوث العمليات وتطبيقاتها في المكتبات بشكل متزايد اخذاً بذلك اشكالا وآساليباً اخرى حيث بدأت الكثير من الجامعات الأمريكية بتغذية مناهجها الدراسية بعدد من المواد المتخصصة ببحوث العمليات . على سبيل المثال جامعة شيكاغو وجاامعة نيويورك ، وجامعة الينوي،وكان من بين مبررات التطبيق الفعلي لبحوث العمليات في المكتبات هو متطلبات تلك المواد الدراسية اضافة الى المتطلبات العملية الأخرى التي يمكن اضافتها الى مبررات استخدام الإدارة العلمية في المكتبات والتي يمكن ايجازها بما يلي :

١ — تعاني المكتبات كغيرها من المؤسسات العامة والخدمية من ازمات اقتصادية تتعلق بتخصيص مواردها المحدودة لتحقيق الفائدة القصوى منها كما تعاني المؤسسات

التي تمول تلك المكتبات بدورها من نفس المشاكل كالجامعات والمنظمات والمعاهد . ولغرض اجراء التوزيع الفعال لمصادرها ، على المكتبات ان تحدد إهدافها الدقيقة مسبقاً وان تعطي تبريرات علمية ومقنعة بشأن المطالبة بزيادة تخصيصاتها المالية من خلال الخدمات التي تقدمها . كما عليها ان تكون قادرة على قياس منجزاتها ودرجة تحقيق تلك الأهداف آخذة بنظر الأعتبار الخطط المستقبلية بشأن توسيع الخدمات الحالية وتقديم دراسات لإحداث تغيرات فيها واقتراح خدمات جديدة. وتعتبر بحوث العمليات اسلوباً متطوراً وطريقة علمية يتم بموجبها تزويد المكتبة بقاعدة كمية من البيانات لغرض اتخاذ القرارات ولحل المواجهات الصعبة التي تواجهها ادارة المكتبة (٣١) .

٢ ــ نظراً للاتساعات السريعة المتعلقة بالتنظيمات والخدمات التعاونية بين المكتبات بما في ذلك مشاريع المكننة واستخدام الحاسبات وماتتطلبه هذه المشاريع من دراسات جدوى تتعلق بالكلفة والفائدة العائدة منها على المدى البعيد وماعلى المكتبات الان تبرر حاجتها لتلك المشاريع بشكل علمي دقيق مقنع لايعتمد على مجرد الحدس والتخمين بل على بيانات كمية تحدد بموجبها التمويل الفعلي لأنجاز تلك المشاريع (٣٢) .

٣ ــ الأتساع السريع في مجال المكتبات من حيث الحجم والتغطية والشمول الموضوعي مضافاً لذلك التنوع والأختلاف في اوعية المعلومات التي تحتفظ بها تلك المكتبات وهذا بدوره ادى الى خلق مشاكل كبيرة تتعلق بالسيطرة الببليوغرافية والخزن والأسترجاع يصاحبها عدم كفاية الحلول التقليدية لتلك المشاكل مما اثر ذلك على عملية اتخاذ القرارات وجعل المكتبات تبحث عن اجراءات علمية اخرى كبحوث العمليات إعلى تلك المواجهات الصعبة (٣٣) .

٤ ــ النمو في احتياجات المستفيدين وتنوعها وسرعة تغيرها مما يتطلب تحسين وسائل تقديم تلك الخدمات والبحث عن اساليب اخرى تتماشى مع الحاجة والنمو السريع للمعرفة (٣٤) .

مجالات استخدام بحوث العمليات في المكتبات :

استطاع لايمكوهلر (٣٥) من تلخيص اهم المجالات المكتبية التي يمكن استخدام نماذج بحوث العمليات في تطبيقها وذلك بما يلي :

١ ـ مشاكل السيطرة البيليوغرافية (Bibliographic Control)

حيث اشار الى ان محتوى دراسة بحوث العمليات هو النموذج كما ان النموذج هو المشكلة ذات العلاقة بالبيئة المحيطة بها. وان الكثير من المشاكل تنجم من خلال محاولة الأفراد في السيطرة على البيئة من خلال ايجاد تقنيات جديدة او توسيع وتطوير ما متوفر من تقنيات. بالنسبة للمكتبات فإن عملية السيطرة البيلوغرافية هي شكل من اشكال الطاقة او القدرة على إكتشاف المعرفة المدونة في الأوعية المختلفة. فهي اذا ليست مجرد تحديد وجود تلك الأوعية والتعريف بها بل تتضمن المعرفة باستخدامات تلك الأوعية من قبل المستفيدين ، المتوقعين والمحتملين . وبموجب هذا التحديد تصبح عملية السيطرة البيليوغرافية هدفاً مهما من اهداف المكتبة تستحق النظر والدراسة بما في ذلك تنظيم المواد الثقافية والسيطرة عليها ومعالجة زيادة حجمها قياسا بالرفوف المهيئة لاستيعابها ... الخ .

١ ـ مشاكل الخزن (Storage Problem) :

بقيت المكتبات وخاصة الكبيرة منها تعاني من مشكلة الزيادة المستمرة في حجم بيعها قياسا بمتطلباتها واصبحت عملية خزن تلك المواد بالشكل الذي ييسر استرجاعها واستخدامها من المشاكل المألوفة لدى ادارات تلك المكتبات وقد اعتبر الكثير من الباحثين والمتخصصين بان الخزن الآلي والتقنيات الحديثة والمصغرات العلمية حلولا اساسية لهذه المشاكل كما اعدت بهذا الشأن الكثير من الدراسات المتعلقة بدراسة هذه البدائل بعمق. فقد اشار بوش (Vannever Buach) في مقالته التي تعتبر الأساس لبداية حقل علم المعلومات الى ضرورة وجود حركة تكنولوجية سريعة مابين الكتاب والحاسب واقترح ما اسماه بنظم الذاكرة الألكترونية (Electronic Memory Systems) لمعالجة مشاكل الخزن والأسترجاع (٣٩) .

وقبل عام من مقترح بوش اكد رايدر (Rider) على الأكتشافات والتطورات ، التكنولوجية في حل مشكلة الخزن والمكان لخلق بيئة جديدة تصبح بموجبها المكتبات التقليدية عالما اخر متكامل لان مشكلة نمو المجاميع تؤدي الى عدم تكاملها وكان من بين الحلول التي وضعها رايدر هي استخدام البطاقات الشفافة (Microfische) لتحل محل الفهارس البطاقية التي تحتل مكانا واسعاً في المكتبات (٣٧) .

٣ـ مشاكل الاسترجاع (Retrieval Problem) :

لقد ركز برادفورد اهتمامه على مسألة الخزن والأسترجاع للدوريات والمسلسلات حيث لاحظ ان الدوريات عادة ترتب على الرفوف وفق عناوينها ومن ثم تاريخ نشرها ومن هنا تكون السيطرة عليها معتمدة على عمر الدورية وليس على محتويات تلك المادة ذاتها . فبالرغم من وجود الدورية في مكان واحد على الرف وبكامل اعدادها الا ان عملية الأسترجاع تختلف من عدد الى اخر باختلاف محتوياتها وتنوع موضوعاتها . وقد استنتج برادفورد من ذلك وجود تضاد بين السيطرة البيليوغرافية على اعداد الدورية وبين خدمات الأسترجاع وبالتالي كان الهدف من دراسته هو توطيد السيطرة الببليوغرافية. كما كان مقترحه لحل هذه المشكلة هو انشاء مكتبة وطنية بمثابة مركز لايداع واعارة اغلب الدوريات وتكتفي المكتبات الأخرى في بناء مجاميعها من الدوريات على عناوين قليلة ومختارة في حين تضع ثقلها في تلبية احتياجات المستفيدين على كاهل المكتبة الوطنية المقترحة . وقد كان التبرير المنطقي لهذه الحالة مبنياً على قانون التشتت الذي يبحث في سبب تركيز خدمات الأستخلاص على حوالي ثلث المقالات التي تنشر فعلا في الدوريات العلمية والتكنولوجية بالرغم من ان العدد الكلي للمستخلصات مساوياً لمجموع عدد المقالات . وقد اعتبر نموذج برادفورد خير بداية لحل مشكلة اختيار الدوريات وتوزيعها في نظام شبكي بين المكتبات .

نماذج من دراسات بحوث العمليات في المكتبات :

هناك عدد من الدراسات والأعمال المتعلقة باستخدام نماذج بحوث العمليات في التطبيقات المكتبية، ندرج منها البعض لغرض التعريف بها والأستفادة منها في هذا المجال:

١ ـ نموذج مورس :

لقد وصف مورس في كتابه المعروف بـ (فاعلية المكتبة Library Effectiveness)(٣٨) العناصر الرئيسية لنظرية الصفوف وتطبيقاتها في المكتبات ، خاصة في مجال خدمات المراجع والحجز والأعارة . وقد اعتبر مورس المكتبة نظاما يعتمد على خطوط الأنتظار (Queuing System) حيث ان المستفيدين يدخلون المكتبة بمعدل حسابي هو (n) والذي يبقى ثابتا لفترة من الزمن متلقين الخدمات بناءاً على انتظامهم في خطوط الأنتظار . وكذلك الحال ، انتظار الكتب الجديدة دورها في الفهرسة والتصنيف ، وطباعة البطاقات ... الخ

كما تضمن عمل مورس هذا شرحاً مبدئيا لاستخدام النظرية الأحتمالية في المكتبات معطيا صورة واضحة عن نظرية الصفوف وسلسلة ماركوف ، وتطبيقاتها لحل المشاكل المتعلقة بطرق تلبية احتياجات الأعارة او التنبؤ المستقبلي بالطلبات الجديدة .

وقد كانت دراسة مورس لاستخدام الكتب مبنية على ثلاث افتراضات رئيسية هي (Assumptions) :

١ ـ انه افترض ان عملية اعادة الكتب عملية عشوائية اي ان استخدام مجاميع المكتبة بضمنها مجموعة الكتب تعتبر نتيجة عن عدد كبير من الحوادث العشوائية ومن هنا يصعب التنبؤ بسلوك مستفيد معين اوبدرجة استخدام كتاب معين وعلى اي درجة من التأكد.فليس هناك من طريقة نحدد بها ان الكتاب (A) سوف يستخدم سبع مرات من السنة القادمة في حين ان الكتاب (B) سوف يكون استخدامه في تلك السنة صفراً . ومع ذلك فمن المحتمل التنبؤ بمعدل الأستخدام لمجموعة من الكتب وان دقة التنبؤ هذه تعتمد نسبياً على عدد من العينات اوالفترة الزمنية التي يتضمنها ذلك التنبؤ .

٢ — لقد وجد من خلال الدراسات السابقة المقدمة من قبل تروزويل (٣٩)(Trueswell)
وفوسلر (٤٠) (Fussler) بأن معدل اعادة الكتب تقل اسسياً مع الزمن .

٣ — هناك ترابط زمني بين فترة زمنية واخرى تليها وبما يتعلق واستخدام الكتب .
اي ان معدل اعارة الكتب تتناقص اسيا سنة بعد اخرى . الا ان هناك عدد من
الأستثناءات ، فقد تظهر الحاجة لبعض الكتب فجأة لتكون معروفة بعد عدد من السنوات
لامتلاك المكتبة لها وبمجرد ان يصبح الكتاب معروفاً فان تاريخ الأعارة له سيبرز هو الأخر
ويصبح معروفاً . والعكس بالعكس في حالة انخفاض او فقدان الحاجة لكتاب معين
وانخفاض وتوقف استخدامه فان تاريخ الأعارة هو الأخر سوف يهمل .

هذا وقد استخدم مورس اساليب الأحتمالية في اجراء دراسته كما اعطي توضيحاً
لتطبيق نظرية الصفوف ونظرية سلسلة ماركوف وتطبيقاتها في المكتبات لحل المشاكل
المتعلقة بطرق او اساليب تقديم الخدمة وطرق تلبية احتياجات المستفيدين او التنبؤ بالطلبات
المستقبلية ولمعرفة الوقت المناسب للكتب التي تنتفي الحاجة اليها .

٣ — دراسة لايمكوهلر Leimkuhler's Study

لقد حاول لايمكو هلر تطبيق بحوث العمليات على عدد من المشاكل الأدارية معطياً
شرحاً موسعاً لدور نماذج بحوث العمليات في المجتمعات التي تسعى الى التغيير اوهي حاليا
تحت عمليات التغيير اخذاً بنظر الأعتبار طبيعة بحوث العمليات في البيئة المكتبية (٤١) ،
وقد كان بدوره استاذاً للهندسة الصناعية في جامعة بوردا حيث استخدم المكتبة مختبراً
لتطبيق بعض النماذج الرياضية لمعالجة مشاكلها ومن ثم نشر عدداً من البحوث لتغطي هذا
الأستخدام وتصف النماذج الرياضية المستخدمة في مجال الأعارة والخزن وتنظيم الرفوف
كما تعرض الى دراسة المعايير الجيدة لاختيار النموذج الجيد لاغراض ملائمته في التطبيق
لطبيعة المشكلة موضوع الدراسة والحصول على النتائج الملائمة ، متعرضاً بذلك للمعايير
الموضوعة من قبل عدد من الباحثين امثال مورس (Morris)(٤٢) وسودر (Souder)(٤٣)
مقيماً اياها . اضافة لذلك حدد لايمكوهلر في دراسة اخرى له المجالات المكتبية التي تصلح
لتطبيق بحوث العمليات في دراستها كما اشرنا لها سابقاً .

٣ ـ دراسة كلوفر Glover's Study

تم عرض معادلات ونماذج جديدة كحلول لمشكلة اختيار الدوريات المدروسة سابقاً من قبل كل من لايمكوهلر وكرافت وهل هادفاً بذلك تطوير النموذج الملائم والذي يتم بموجبه تحديد وتوزيع الحصص بشكل انسب ضمن الوضع الحالي والمستقبلي للمكتبة واعتماداً على الأستخدام المتوقع كمقياس لقيمة الدورية . اما الأهداف الثانوية للدراسة فهي.

١ـ البحث عن نماذج رياضية ومعادلات تستخدم لمشكلة اختيار الدوريات تختلف عن النماذج التي تم استخدامها من قبل لايمكوهلر وكرافت وهل لغرض تبسيط التطبيق والوصول الى حلول اخرى متنوعة .

٢ ـ لتحديد افتراضات واقعية الغرض منها تقليص الأجراءات الرياضية في النماذج الى حد ما والأبتعاد عن الأفتراضات التي تتطلب استخدام اجراءات رياضية معقدة كثيرا مايعاني منها المكتبيون .

٣ ـ للتعريف وتوسيع النماذج المستخدمة سابقاً بغية زيادة ملائمتها لعلاقات اخرى ملائمة لوضع المكتبة .

٤ ـ لتحديد طرق جديدة كحلول لمشكلة اختيار الدوريات وتعتمد هذه الطرق على البرمجة الديناميكية(*) (Dynamic Programming) (٤٤)

٤ـ دارسة بوكلاند Buckland's Study

ترتبط دراسة بوكلاند بتطبيق نموذج المحاكاة فيعملية الأعارة ويعتبر هذا النموذج جزءاً من عمل شامل بشأن تحليل العمليات المكتبية المنجزة في مكتبة جامعة لانكستر حيث تم انشاء جامعة لانكستر ومكتبتها في بداية الستينات وبدأ المكتبيون فيها بمشاريع تتعلق بتحليل العمليات المتعلقة بالخدمات التي تقدمها المكتبة لمستفيديها

(*) هي اجراء رياضي مصمم لتحسين كفاءآت التقديرات الحسابية لحل المشاكل المختارة من خلال تجزئة المشكلة الى مشاكل فرعية اصغر مما يسهل دراستها رياضياً وبهذا يكون حلها على اساس المراحل .

وقد نشر التقرير الشامل للمشروع عام ١٩٧٠ تحت عنوان تحليل النظم في مكتبة جامعية (System Analysis of University Library) وقد حدد الهدف في مقدمة المشروع وهو ان الغرض من استخدام نموذج المحاكات لاستخلاص الحقائق الملائمة وكذلك الحفاظ على الترتيب الأساسي للمشاكل وبطريقة يمكن بها تحليل جوهر العمل مع ارتباطه بالحالات الأخرى اوالأعمال الأخرى . وكانت النظم التي تم تحليلها تشتمل على الأجراءات الفنية ، خطط الشراء ، الجرد ، الأعارة ، وسياسة تكرار النسخ (٤٥) .

دراسة جنز (٤٦) Chen's Study

تعتبر دراسة حالة لاستخدام المطبوعات المفردة (Monographs) في المكتبة الطبية في جامعة هارفرد والتي تعتبر من اكبر المكتبات الطبية البحثية باستثناء المكتبة الوطنية للطب في امريكا . وقد تبنت الباحثة في هذه الدراسة نموذج مورس في الأحتمالية حول استخدام الكتب باعتباره الأساس النظري العام للموضوع ، اما البيانات التجريبية المجمعة فانها تشمل (١٢,٠٠٠) سجل اعارة تم تجميعها في خلال اربعة اشهر مختارة من سنة ١٩٧٣ وقد تم تحليل هذه البيانات بطرق عدة مما أدى الى تعديل وتوسيع النماذج المستخدمة من قبل مورس اضافة الى تطوير نماذج جديدة اخرى في هذا المجال وقد أكدت الدراسة على ان نماذج مورس والمتعلقة بنظرية ماركوف ليست هي الوحيدة لاستخدامها في هذا المجال الا انها اكثر ملائمة للبيانات المجمعة والتي تم تغذيتها بالمعرفة والخبرة المكتسبة من قبل العاملين في المكتبة مع تحليل الاجراءات المستخدمة من قبلهم في البحث عن المعلومات وكان من بين اهداف الدراسة : —

١ — لأختبار نموذج الأحتمالية المستخدمة من قبل مورس بشأن استخدام الكتب في مكتبات اخرى تختلف كلياً عن المكتبة العالمية لمعهد التكنولوجيا في ميشيغان والتي أجرى مورس دراسته فيها .

٢ — لتوسيع وتحديث القاعدة لهذه النماذج

٣ — لتعديل وتوسيع النماذج المستخدمة وتطوير نماذج جديدة اخرى يكون استخدام

الرياضيات فيها اقل وطأة مما يهيىء فرصة أكبر لتطبيق نماذج بحوث العمليات من قبل المكتبيين

٤ ـ للتأكيد على اهمية بحوث العمليات وفائدة الأجراءات المستخدمة بضمنهـا فـي مختلف العمليات المكتبية لمساعدة المكتبي في اتخاذ القرارات :

ولغرض تحقيق هذه الأهداف تم استعراض وشرح النماذج النظرية التي استخدمهـا مورس بضمنها نظرية الصفوف ونظرية ماركوف مع عرض موسع للنماذج التي تـم تعديلها وتوسيعها وتطويرها من خلال التطبيق الفعلي لها على البيانات المجمعة.وقد توصل الى عدد من النتائج المرتبطة بمساعدة المكتبي في اتخاذ قرارات عملية تتعلق بأجراءات اختيار الكتب ، سياسة التكرار والأستبعاد.....وغيرها من الأجراءات المكتبية الأخرى.

الملاحظ في جميع النماذج المذكورة سابقاً انها تؤكد باللدرجة الى على الجانب النظري لتطبيق نماذج بحوث العمليات في المكتبات ولذلك فإنها جميعاً تعتبر نماذجاً وصفية.



«الهوامش»

(١) الشنواني ، صلاح . التطورات التكنولوجية والادارة الصناعية . الاسكندرية : دار الجامعات العربية ، ١٩٧٧ . ص ٣٠-٣١ .

2. Moore, Franklin G. Manufacturing Management. Illinois: Richard D. Irwin, Inc., 1955.

(٣) ابو ركبة ، حسن عبدالله . بحوث العمليات وتطبيقاتها في مجال الادارة مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب ، ١٩٦٥ .

4. Dantzig, B. "Management Science in the world of Today and Tommorrow". Management Science. 18 (Feb., 1967) 107.

5. Wagner, H. Principles of Operations Research. N.Y. Prentic-Hall, Inc., 1969. P. 4.

(٦) ابو ركبة . المصدر السابق ص٢١ .

(٧) لطفي لويز سيفين . بحوث العمليات : المنهج الكمي لاتخاذ القرارات . الاسكندرية : دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٧ . ص٧ .

(٨) ابو ركبة . المصدر السابق . ص٦٩ .

(٩) لطفي لويز سيفين . المصدر السابق . ص ٥٢٣-٥٣٧

(١٠) ابو ركبة . المصدر السابق . ص٢١٢

11. Taha, Hamdy H. Operations Research : An Introduction. 3rd ed. N.Y. : Macmillan Publishers Co., Inc., 1982. PP. 458-59.

(١٢) الحناوي ، محمد . بحوث العمليات في مجال الادارة ، الاسكندرية ، دار الجامعات المصرية ، ١٩٧٦ . ص ١٨٧ .

13. Cohen, S.S. Operations Research. London: Edward Arnold, 1985.

14. Shaw, Ralph. "Scientific Management in Libraries". Wilson Library Bulletin. 21 (Jan., 1947) 349-52.

15. Barnes, Ralph M. Motion and Time Study. 5th ed. N.Y.: Wily, 1963. Chapters 3-6.

16. Mundel, Marvin E. Motion and Time Study. 3rd ed. Englwood Cliff, N.Y.: Prentic Hall, 1960. Chapters 1–4.

17. Zinck, Clements. Dynamic World Simplification. N.Y.: Reinhold, 1962.

18. Dougherty, Richard M. and Fred J. Heinritz. Scientific Management of Library Operations. N.Y.: The Scarecrow Press, 1966.

19. Ibid. PP. 17–18.

20. Ibid. PP. 22–33.

21. Shaw, Ralph. Op. Cit., PP. 349–352.

22. Chen, Ching-Chih. Applications of Operations Research Models to Libraries. Cambridge, Massathusetts: The MIT Press, 1976.

23. Parker, T. F. "Missing Stream: Operations Management in Libraries". Library Journal. 94(Jan., 1969) 42–3.

24. Leimkuhler, F.F. "Mathematical Models for Library Systems Analysis." Drexel Library Quarterly. 4 (July, 1968) 185–96.

25. Leimkuhler, F.F. Library Operations Research : An Engineering Approach to Information Problem. Engineering Education. 60 (Jan., 1970) 363–65.

26. Leimkuhler, FF. "Library Operations Reasearch: A Progress of Discovery and Justifications." Library Quarterly. 42:1 (Jan., 1972) 84–96.

27. Davis, R.A. and C. A. Baily. Bibliography of Use Studies. Philadeliphia : Drexel Institute of Technology, 1964. Cited in Chen, Ching-Chih. Applications of Operations Research Models to Libraries. The MIT Press, 1976.

28. Deweese, Carroll ."A bibliography of Library Use Studies" Library Operations Research Project.1976. Cited in Chen,

Ching–Chih. Applications of Operations Research Models to Libraries, 1976.

29. Gomes, Stella S. "The Nature of the Use and Users of the Midwest Regional Medical Library". Bullatin of the Medical Library Associations. :58 (Oct. 1971) 559–77.
30. Library Quarterly. 42:1 (Jan, 1972).
31. Morse, Philip. "Measures of Library Effectiveness." Library Quarterly. 42:1 (Jan; 1972) 15.
32. Humberg Morris and Others. "Library Objectives and Performance Measures and their Use in Decision Making. Lib.Q. 42:1 (Jan., 1972) 11
33. Bookstein, Abraham, and Don R. Swanson, "Introduction" Lib.Q. 42:1 (Jan., 1972) 1–5 .
34. Ibid., P.1
35. Liemkuhler "Library Operations Research..." Op–cit P:811–96.
36. Bush, Vannever. "As We May Think." Atlantic Monthly 76(July, 1945) 101–8.
37. Rider, Fermont. The Scholar and the Future of the Research Library. N.Y.:Hadham Press, 1944. Cited in Leimknhler, F.F."Library Operations". Lib.Q. 42:1(Jan., 1972)85.
38. Morse, Philip M. Library Effectiveness: A Systems Approach Cambridge, Mass: MIT Press, 1968. Cited in : Busha, Charles H. and Stephin P. Harter. Research Methods in Librarianship:Techniques and Interpretation.N.Y.: Academic Press, 1980. P. 143.
39. Trueswell, Richard W. "Two Characteristics of Circulation". College and Research Libraries. 25 (July, 1964) 285–91.
40. Fussler, H. H. and J. L. Simon. "Pattern in the Use of Books in Large Research Libraries. Chicago: University Press, 1961.
41. Leimkuhler. "Library Operations Research..."Op. cit. p.84.

42. Morris,William T. Management Science: A Bayesian Approach. N.J. Englwood Cliffs: Prentic – Hall, Inc., 1964. Cited in Lip.Q. 42:1 (Jan., 1972) 82.

43 Souder, William E. Suitability and Validity of Mathemicatl Models for Research Investment. Ph.D. Dissertation From Saint Louis University (August, 1970) Cited in Lib .Q. 42: 1(Jan., 1972) 2 .

44. Grovr, Fred and Darwin Klingman. " Mathematical Pro – gramming: Models and Methods. For the Journal Selection Problem." Lib.Q. 42:1 (Jan., 1972) 43–58.

45. Buckland, Michael K. and Others. Systems Analysis of a University Library. Final Report of the Research Project, University of Lancaster Occeasional Papers No.4. University of Lancaster Library, 1970. Cited in Busha, Charles. Research Methods in Librarianship: Techniques and Interpretation. N.Y.: Academic Press, 1980. P. 144.

46. Chen, Ching–Chih. Op. Cit.

المطبوعات الحكومية العراقية
دراسة في نشأتها ونموها وتطورها وأهميتها ومشاكلها في التوزيع والنشر والايداع القانوني

مصطفى مرتضى الموسوي
مدرس في قسم المكتبات
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

مقدمة: التعريف بالمطبوعات الحكومية

هناك عدة تعاريف للمطبوعات الحكومية ، وتختلف تلك التعاريف بعضها عن البعض من قطر لاخر بسبب النشر الحكومي وبسبب اتفاقات الأمم. نجد بعض التعاريف تهتم بعنصر النشر الحكومي والأخر يركز على عنصر المسؤولية الفكرية أومسؤولية التأليف(١).

هناك اربعة مصطلحات في دائرة معارف المكتبات والمعلومات تحت موضوع (Government Publications) للدلالة على المطبوعات الحكومية وهي:

١ ـ المطبوعات الحكومية (Government Publications)
٢ ـ المطبوعات الرسمية (Official Publications)
٣ ـ الوثائق الحكومية (Government Documents)
٤ ـ الوثائق العامة (Public Documents)

ان المصطلحين الأول والثاني أكثر استعمالا من الثالث والرابع وذلك لأن كلمة الوثائق أوسع من تسمية المطبوعات في بعض جوانبها لأنها تشمل المواد غير المطبوعة (٢)

(١) نبيلة خليفة جمعة . المطبوعات الحكومية في المكتبة القومية بمصر . ص ٧-٨
(٢) السويدان ، ناصر محمد ، المطبوعات الحكومية في المملكة العربية السعودية ، دراسة وقائمة ببليوجرافية . ص٩

ان وجهات النظر حول مفهوم المطبوع الحكومي مختلفة من قطر لاخر ، تقول احداها بأن المطبوعات التي تكون الحكومة صاحبة التأليف والمحتوى الفكري لها ولكونها قامت بأعداد المعلومات المنشورة في تلك المطبوعات بواسطة جماعة من الموظفين ، أو انها كلفت جماعة من الخارج بأعداد تلك المطبوعات.وهذا المفهوم يوازي مصطلح المطبوعات الرسمية. (٣) اما المطبوعات الصادرة عن هيئات ومؤسسات حكومية ولكنها غير مسؤولة عن المعلومات الواردة فيها لكونها لا تمثل رأي الهيئة أو المؤسسة الحكومية فأعتبرت مطبوعات غير رسمية والمثال على ذلك الدوريات التي تصدرها الوزارات الحكومية ومؤسساتها كمجلة المورد التي تصدر عن وزارة الثقافة والأعلام والمجلات العلمية والأدبية والفنية التي تصدرها الجامعات العراقية كمجلة آداب المستنصرية التي تصدرها كلية الاداب بالجامعة المستنصرية ومجلة طب الأسنان التي تصدرها كلية طب الأسنان بجامعة بغداد ومجلة التكنولوجيا التي تصدرها الجامعة التكنولوجية. الاان هناك أتجاه مختلف عما جاء اعلاه فقد اعتبر جميع الأعمال الصادرة عن دوائر الدولة . الحكومية مطبوعات حكومية سواء كانت على شكل كتاب أو دورية او دراسة يعدها الأفراد وتنشرها الدوائر الحكومية المختلفة .

بالنظر للاختلاف في تعريف المطبوع الحكومي عالمياً فانني استعرض اشهرها للوقوف على ما تحتوي تلك التعاريف من اوجه الشبه والأختلاف .

لقد عرفت منظمة اليونسكو في الأتفاقية الدولية حول التبادل الدولي للمطبوعات الرسمية والوثائق الحكومية على النحو التالي (المطبوع الرسمي هو أية نشرات أووثائق حكومية تنشر على نفقة الحكومة مثل الوثائق البرلمانية والتقارير والدوريات أوالأوراق التشريعية أو التقارير الأدارية الصادرة من الحكومات سواء أكانت مركزية ام فرعية ام ببليوغرافية وطنية ام قرارات المحاكم وغيرها من المنشورات التي يتم الأتفاق بخصوصها بأنها رسمية) (٤).

---

(٣) السويدان ، ناصر محمد . المطبوعات الحكومية في المملكة العربية السعودية ، دراسة ببليوجرافية . ص٨٩ .

(٤) الهوش ، أبو بكر محمود . المطبوعات الرسمية : دراسة حول تعريفها على المستوى الدولي . ص٢٠ .

ويعرف الباحث (L.F. Schmeckebier) المطبوع الحكومي (بأن يكون حاملا في بيانات نشره اسم المطبعة الحكومية او طبع في المطبعة الحكومية أو اي مطبوع يحمل أسم وختم أية مؤسسة حكومية ويوزع رسمياً في الأعمال الحكومية سواء أكان هذا المنشور قد صدر من مطبعة حكومية او طبع في مطبعة أخرى على نفقة الحكومة، أو ان ذلك المنشور قد صدر من قبل مؤسسة او منظمة تجارية او من قبل شخص الا انه يحمل ختم أو اسم مؤسسة حكومية .....) (٥) .

وفي الأتحاد السوفيتي عرف المطبوع الحكومي بأنه (جميع النشرات الصادرة عن الحكومة المركزية وهيئاتها او قرارات مجلس السوفيت الأعلى وكذلك القرارات التشريعية والكتب الأحصائية والأوراق الدبلوماسية وغيرها من القرارات) (٦).

اما دائرة معارف المكتبات والمعلومات فقد عرفت المطبوعات الحكومية بأنها (كافة المطبوعات التي تصدرها الدولة أو الأجهزة الأدارية في الحكومة او تلك التي يقوم بتأليفها الأفراد او الهيئات بتكليف منها) (٧).

وتأسيساً على ما جاء ذكره سابقاً حول تعريف مصطلح المطبوعات الرسمية ومصطلح المطبوعات الحكومية فإنني أعتقد بوجود بعض الأختلاف في المصطلحين ، حيث ان المطبوعات الرسمية تختلف عن المطبوعات الحكومية للاسباب التالية :

١ ــ ان كلمة المطبوعات الرسمية تنطبق على المطبوعات التي تصدرها الدولة وهي مسؤولة عن كل كلمة وحرف في ذلك المطبوع وتلتزم بها كأصدار القوانين والأنظمة والتعليمات والأحصائيات والمطبوعات البرلمانية والقرارات الصادرة عن مجلس قيادة الثورة وغيرها اضافة الى الكتب السنوية .

٢ ــ تصدر هذه المطبوعات عن الوزارات والأجهزة الإدارية ويظهر عليها اسم وختم وشعار الدائرة المصدرة لها .

5– Schmeckebier, L.F. Some problems of government publications. pp. 28–29.

(٦) الهوش ، أبو بكر محمود . المطبوعات الرسمية ص٢٢

(7) Encyclopedia of Library and Information Science. Vol. 10, p. 39.

٣ – كثير من الدوريات الحكومية تحتوي على مقالات ودراسات خاصة بالأفراد وهذه المطبوعات تعتبر حكومية وليست مطبوعات رسمية .

٤ – بعض المطبوعات الحكومية المنشورة لاتمثل رأي الحكومة وانما آراء الأشخاص والأفراد الذين الفوا تلك المطبوعات .

٥ – كثيراً من المطبوعات الرسمية تصدر لغرض تسهيل مهمة أعمال الحكومة.

وختاماً فأن دراسة التعريف بالمطبوعات الحكومية هو مشكلة في حد ذاتها ومن المتعذر قبول تعريف مقبول من قبل المختصين في حقل المكتبات والمعلومات في الأقطار المختلفة ،ويتوقف المفهرسون كثيراً لتحديدها ومن الأمور التي ادت الى وجود مثل هذه المشاكل العوامل الفنية وكذلك تعدد الأنظمة السياسية في الدول المختلفة في العالم (٨) .

اهمية المطبوعات الحكومية

ان الأهتمام بالبحث العلمي من قبل الدولة ادى الى ظهور هيئات علمية جديدة كمراكز بحوث ومحطات تجارب اضافة الى استحداث معاهد عامية وثقافية متنوعة ، حيث تقوم تلك الدوائر بأصدار مطبوعات ذات اهمية قيمة وبما ان تلك المنشورات تنحصر في مساندة مصادر المعلومات لكونها تحتوي على معلومات متجددة ومتابعات جارية وانها ذات قيمة مرجعية موضوعية، اضافة الى انها تعكس جهود الحكومة في خدمة الشعب وتخدم اغراض البحث العلمي. ومن هنا تعتبر المطبوعات الحكومية وثائق الحكومة التي يعتمد عليها المؤرخون والأقتصاديون وغيرهم من الباحثين الى جانب حاجة القوى السياسية في الدول اليها. وفي مجال السياسة الأقتصادية فتحدد تلك المطبوعات السياسة وتكشف عن خطط التنمية القومية للقطر وهي بهذا تعتبر السجل الرسمي أوالحكومي الناطق بفاعلية ونشاط تلك الأجهزة. اضافة لذلك فهي مرآة صادقة تعكس جهود الحكومة عن فعالية اجهزتها الإدارية المختلفة وتأتي ايضاً باضافات جديدة للببليوغرافيا الوطنية.كما ان الحضارة البشرية (الأنسانية) مدينة للمطبوعات والوثائق الحكومية وذلك بتسجيل الأحداث في الأزمان والأمكنة المختلفة (٩).

---

(٨) الهوش، أبو بكر محمود . المطبوعات الرسمية ص٢٠ .

(٩) السويدان ، ناصر محمد . المطبوعات الحكومية السعودية ، نشأتها ونموها . ص٦٥٩

ان اهمية المطبوعات الحكومية تأتي من كونها وثائق يمكن الأعتماد عليها وتصديقها لانها صادرة عن الأجهزة الإدارية للحكومة وحيث ان المعلومات الواردة فيها موثوقة ودقيقة يعتمد عليها الباحثون في بحوثهم وان الحكومة لا تهدف من وراء نشرها الى الدعاية الجوفاء اوالربح المادي .

وتتميز المطبوعات الحكومية عن المطبوعات الأخرى بأن مسؤولية التأليف فيها احياناً للدائرة او الهيئة المنتجة للمطبوع وقد تدون تلك البيانات مع اسم القطر والوزارة على صفحة عنوان المطبوع ويظهر على بعضها شعار الدائرة او الدولة احياناً.(١٠)وهذا ما يؤكد الثقة في المعلومات الواردة في المطبوعات الحكومية اضافة الى ذلك تمتاز بظهور نتائج الأبحاث فيها قبل غيرها من المطبوعات الأخرى. (١١) وانها توزع مجاناً احياناً وتظهر بشكل جذاب .

ويؤكد الباحث (Schmeckebier) (بأن المطبوعات الحكومية تعتبر مصادر لتأريخ الإدارة والنشاط الحكومي وهي ليست احصاءات اولية فقط وانما هي مصادر تتصل بأوجه الحياة البشرية كافة .(١٢) وفيها معلومات حيوية للبحث العلمي وللباحثين ولايمكن الحصول عليها من المصادر الأخرى واحياناً تكون هي المصدر الوحيد لهذه المعلومات .

(10) Louis, Shores. Basic reference Sources. Chicago, ALA,... 1954. pp. 208-209.

(١١) السويدان ، ناصر محمد . المطبوعات الحكومية في المملكة العربية السعودية ، ص٨٩.

(12) Schmeckebier, L.F. and Roy B. Eastin. Government publications and thier use. p. 1.

المبحث الثاني :

النشأة والنمو والتطور التاريخي للمطبوعات الحكومية العراقية

اولا : النشأة ١٨٦٩ ـ ١٩٢١

تعتبر الأصدارات الحكومية للمطبوعات في العراق قد وصلت مرحلة متطورة في الوقت الحاضر حيث طبعت الأعداد الكبيرة من الكتب والدوريات الحكومية التي اصدرتها مؤسسات واجهزة الوزارات المختلفة .

تعود بداية المطبوعات الحكومية الى ايام الوالي العثماني (مدحت باشا) الذي اسس مطبعة في بغداد وسميت بمطبعة الولاية عام ١٨٦٩. وقامت بطبع جريدة (الزوراء) في ١٨٦٩/٦/١٥ وهي صحيفة حكومية اسبوعية باللغتين العربية والتركية وتحتوي على جميع الأخبار والحوادث الداخلية والخارجية الخاصة بشؤون الولاية، اضافة الى القوانين الرسمية والبراءات السلطانية ونصوص المعاهدات والوثائق واخبار السلطنة والدول الأخرى. (١٣) وقد طبعت مطبعة الزوراء (سالنامة الولاية) باللغة التركية. (١٤) ثم بدأت بطبع بعض الكتب العربية منها كتاب (نشرة الشمول في الذهاب الى استانبول) وكتاب (نشوة المدام في العودة الى دار السلام) . وفي مدينة الموصل تأسست مطبعة الولاية زمن الوالي العثماني (تحسين باشا) عام ١٨٧٥ وقد طبع فيها تقاويم الولاية المعروفة بأسم (موصل سالنامة سي) و صحيفة الحكومة . (١٥) وكذلك الحال في مدينة البصرة فقد تأسست مطبعة الولاية حيث اصدرت السالنامة وجريدة البصرة عام ١٨٩٩ باللغتين العربية والتركية. هذا وقد تأسست في مدن العراق عدة مطابع حكومية واهلية واخذت على عاتقها بطبع عدد من المطبوعات الحكومية منها :

---

(١٣) الراوي ، حبيب . من تاريخ الصحافة العراقية . ص٨-١٢

(١٤) السالنامة : الكتاب السنوي او تقويم سنوي ، تصدر عادة من الولايات العثمانية تظهر فيها الانشطة والفعاليات المختلفة .

(١٥) خليل صابات ، تاريخ الطباعة في الشرق العربي . القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٥٨ . ص٢٨٤ .

١ — مطبعة محمود الشابندر تأسست عام ١٩٠٧ في مدينة بغداد
٢ — مطبعة النجف تأسست عام ١٩٠٩ في مدينة النجف .
٣ — مطبعة الآداب تأسست عام ١٩٠٩ في مدينة بغداد .
٤ — مطبعة عيسى محفوظ تأسست عام ١٩١٠ في مدينة الموصل ،
٥ — مطبعة الدستور تأسست في مدينة البصرة بعد عام ١٩١٠. (١٦)

اما بخصوص عدد المطابع الأهلية التي تأسست في العراق منذ عام ١٨٦٩ ولغاية عام ١٩١٧ فقد كان عددها لايتجاوز خمس عشرة مطبعة (١٧).

واذا تطرقنا الى فترة الأحتلال البريطاني نجد بأن المطبوعات الحكومية من (كتب ودوريات) كانت تصدر قليلة منها المجلات التي طبعت عام ١٩١٩ هي (مجلة النادي العلمي) و(مجلة مرآة العراق) حيث اصدرتهما حكومة الأحتلال البريطاني في العراق . وفي عام ١٩٢٠ اصدرت حكومة الأحتلال في العراق مجلة (العدلية) تحت اشراف نظارة العدلية. ومن اهم الصحف والجرائد هي: جريدة الأوقاف البغدادية ونجمة صدرت عام ١٩١٨ وجريدة العرب صدرت عام ١٩١٧ وجريدة العراق صدرت عام ١٩٢٠ (١٨).

يستنتج من خلال الحكم العثماني والأحتلال البريطاني للعراق بأن عدد المطبوعات الحكومية من كتب وصحف ودوريات كانت قليلة جداً ولم تظهر من تلك سوى القلة القليلة منها .

ثانياً : أ ـ النمو ١٩٢١ ـ ١٩٥٨ (فترة الحكم الملكي)

في عام ١٩٢١ تأسس حكم ملكي في العراق ولغاية عام ١٩٥٨ عند سقوط ذلك النظام فقد ظهرت اعداد مناسبة من المطبوعات الحكومية من الدوريات والكتب كالقوانين والأنظمة والتقارير والأدلة والخطط والمشاريع ومواصفات ومقاييس ومحاضرات ودراسات واحصاءات ومحاضر جلسات وغيرها. وكان من اسباب ذلك تطور الإدارة

(١٦) المصدر السابق . ص ٢٨٧ـ٢٨٨ .
(١٧) الحميد ، شهاب احمد . تاريخ الطباعة في العراق جا ص٨ـ٩ .
(١٨) زاهدة ابراهيم . دليل الجرائد والمجلات العراقية . الكويت : دار النشر والمطبوعات الكويتية ، (١٩٧٨) .

الحكومية في العراق وزيادة الدخل القومي و زيادة موارد العراق من النفط اضافة الى تأسيس عدد من المطابع الحديثة، ممأدى الى ازدياد الأقبال على المطبوعات ومن اهم المطابع هي: مطبعة العراق ودار السلام والسريانية الكاثوليكية والوطنية ودنكور والفلاح وشركة تايمس اوف ميزوبوتاميا ومطبعة الزهور. وفي سنة ١٩٢٤ تأسست مطبعة الحكومة، (١٩) ومطبعة المساحة العامة وكذلك في عام ١٩٢٧ تأسست مطبعة التفيض ومطبعة دار الشعب عام ١٩٣٠. اما مطبعة الأعظمي فقد تأسست سنة ١٩٣٦.

وبعد الحرب العالمية الثانية تأسست في بغداد مطابع كبرى كمطبعة شركة الرابطة للطبع والنشر وكذلك شركة التجارة والطباعة المحدودة (٢٠) وقد قامت تلك المطابع التجارية بطبع الكتب والدوريات الحكومية اضافة الى طبع المطبوعات الأهلية والتجارية. وفي سنة ١٩٤٨ تأسيست مطبعة بغداد وقامت بطبع الكتب المدرسية وبعد سنة تأسست مطبعة الأوقاف سنة ١٩٤٩ واستمرت الحالة في تأسيس المطابع الكبيرة وانتشرت في بغداد وفي بعض المدن العراقية الكبيرة حتى عام ١٩٥٨ (٢١).

واهم الجرائد الحكومية هي:

جريدة الأوقاف العراقية التي صدرت عام ١٩٢١ في مدينة البصرة عن الحكومة العراقية وكانت بلغتين العربية والأنكليزية وجريدة الحكومة العراقية (٢٢) التي صدرت عام ١٩٢٢ وكانت بلغتين العربية والأنكليزية وتسمى اليوم بالوقائع العراقية.

اما اهم نماذج المطبوعات من الكتب الحكومية خلال الأعوام ١٩٢١ — ١٩٥٨

— تقرير عن اعمال دائرة الواردات العامة للسنة ١٩٢٧ المالية طبع في بغداد عام ١٩٢٨ صدر عن وزارة المالية.

---

(١٩) مطبعة الحكومة: قامت بطبع معظم الاصدارات الحكومية منذ عام ١٩٢٤ وحتى سنة ١٩٧٢ عندما تأسست دار الحرية للطباعة منها (دليل العراق) الذي طبع عام ١٩٣٦.

(٢٠) شركة التجارة والطباعة المحدودة قامت بطبع مجلة سومر الآثارية.

(٢١) خليل صابات. تاريخ الطباعة. ص ٢٨٧-٢٨٨.

(٢٢) جريدة رسمية صدرت في ١٥ كانون الثاني ١٩٢٢ لتنشر البيانات الرسمية الصادرة من فخامة المندوب السامي والصادرة من مجلس الوزراء واستمرت تصدر حتى توقفت بعد ٣ سنة كاملة حين استعيض عنها بالوقائع العراقية.

- تشكيل محكمة التمييز في بغداد. صدر عام ١٩٢٥ عن وزارة المعارف .
- مجموعة مذكرات المجلس التأسيسي العراقي لسنة ١٩٢٤، طبع ببغداد في مطبعة السلام عام ١٩٢٤ وصدر عن وزارة الداخلية .
- المحاضرات والمداولات التي جرت في مؤتمر مديري الشرطة المنعقد في بغداد في تشرين الثاني- كانون الأول سنة ١٩٣٢. طبع ببغداد عام ١٩٣٣ وصدر عن مديرية الشرطة العامة .
- دليل كلية الصيدلة العراقية للسنة الدراسية ١٩٣٧ /١٩٣٨ طبع ببغداد عام ١٩٣٧ في مطبعة الحكومة من قبل كلية الصيدلة.
- بيان الأوقات ومعلومات عامة عن السفر في القطار طبع ببغداد عام ١٩٣٨ من قبل سكك حديد الحكومة العراقية .
- احصاء السلفات الصناعية المنجزة خلال ١٩٣٦ - ١٩٣٧ المالية في لواء بغداد طبع ببغداد عام ١٩٣٨ من قبل المصرف الزراعي الصناعي العراقي .
- مجموعة الأوامر الإدارية لأمانة العاصمة من ٢٥ تشرين الثاني ١٩٣١ الى ١٥ مايس ١٩٣٢ طبع ببغداد في مطبعة الحكومة من قبل امانة العاصمة.
- التلول والمواقع الأثرية في لواء بغداد. طبع ببغداد عام ١٩٣٧ من قبل مديرية الأثار القديمة العامة .
- دليل التلفون لمدينة بغداد والألوية العراقية الأخرى. طبع ببغداد عام ١٩٣٦ في مطبعة الحكومة من قبل مديرية البريد والبرق العامة .
- مساحة العراق حسب التقسيم الإداري. طبع ببغداد عام ١٩٤٩ من قبل مديرية المساحة العامة .
- الأسباب الرئيسية للوفاة في بغداد والبصرة والموصل اعتباراً من السنة ١٩٣١ الى ١٩٤١ طبع ببغداد عام ١٩٤٣ في مطبعة الحكومة من قبل الدائرة الرئيسية للاحصاء.
- التقرير السنوي عن سير المعارف لسنة ١٩٥٧-١٩٥٨. طبع ببغداد عام ١٩٥٩ في مطبعة الحكومة من قبل وزارة التخطيط .

- مشروع خزان دوكان طبع ببغداد عام ١٩٥٤ في مطبعة العاني من قبل مجلس الإعمار ووزارة الأعمار .
- نصوص الأتفاقيات التجارية والأقتصادية المعقودة بين الجمهورية العراقية والدول الأخرى. طبع ببغداد عام ١٩٥٩ في مطبعة العاني من قبل وزارة التجارة (٢٣):

اما اهم المجلات التي صدرت في العهد الملكي (١٩٢١–١٩٥٨) من قبل المؤسسات والهيئات الحكومية هي : (٢٤)

اسم المجلة	سنة صدورها	الدائرة المصدرة للمجلة
دار المعلمين	١٩٢١	دار المعلمين الابتدائية
العسكرية	١٩٢٤	وزارة الدفاع
الشرطي	١٩٢٧	مديرية الشرطة العامة
القضاء	١٩٣٤	وزارة العدلية
العراق الجديد	١٩٣٩	مديرية الدعاية العامة/ وزارة الداخلية
الركن	١٩٣٩	كلية الأركان/ وزارة الدفاع
المعلم الجديد	١٩٣٥	وزارة المعارف (التربية)
الراديو	١٩٣٨	مديرية الإذاعة اللاسلكية
اخبار الكلية الطبية	١٩٤٤	الكلية الطبية العراقية (بغداد)
سومر	١٩٤٥	مديرية الأثار العامة
منبر الأثير	١٩٤٥	دار الإذاعة العراقية
القانون	١٩٤٥	وزارة العدلية
دار المعلمين العالية	١٩٤٦	دار المعلمين العالية (كلية التربية)
الزراعة العراقية	١٩٤٦	وزارة الزراعة
الصيدلي	١٩٤٦	كلية الصيدلة والكيمياء

(٢٣) راجع الفهرست الموضوعي بالمطبوعات الحكومية – بغداد : المكتبة المركزية ١٩٧٨. اعداد طارق الشيخلي .

(٢٤) راجع دليل الجرائد والمجلات العراقية ١٨٦٩–١٩٧٨ ، اعداد زاهدة ابراهيم .

أسم المجلة	سنة صدورها	الدائرة المصدرة للمجلة
المجمع العلمي العراقي	١٩٥٠	المجمع العلمي العراقي
اهل النفط	١٩٥١	شركة نفط العراق
البنك المركزي العراقي	١٩٥٢	البنك المركزي
الكلية العسكرية الملكية	١٩٥٢	الكلية العسكرية الملكية
صوت الدار	١٩٥٤	دار المعلمين العالية
الكمارك والمكوس	١٩٥٥	مديرية الكمارك والمكوس العامة
الأستاذ	١٩٥٥	كلية التربية/ جامعة بغداد
كلية العلوم	١٩٥٦	كلية العلوم/ جامعة بغداد
صوت اللواء	١٩٥٦	وزارة الدفاع
كلية الأحتياط	١٩٥٧	وزارة الدفاع
الشرطة	١٩٥٧	مديرية الشرطة العامة
امانة العاصمة	١٩٥٨	امانة العاصمة

ب ــ النمو ١٩٥٨ ــ ١٩٦٨ (فترة الحكم الجمهوري)

تتميز هذه الفترة بأزدياد عدد المطبوعات الحكومية(كتب ودوريات) عن الفترة الأولى (١٩٢١ــ١٩٥٨) وذلك لخروج العراق من بعض الأحلاف والمواثيق والمعاهدات الدولية التي ارتبط بها في فترة الحكم الملكي حيث كانت معظم موارده الأقتصادية ملكاً للاحتكارات الأجنبية العاملة في القطر. اضافة الى ماذكر فقد توسعت القاعدة الأدارية وتطور الجهاز الإداري حيث استحدثت بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية .

وسوف استعرض في هذه الفترة اهم الصحف اولا ثم المجلات واخيراً الكتب وهي:

الصحف : جريدة الجماهير التي صدرت عام ١٩٦٣ من قبل دار الجماهير للصحافة في بغداد ، وجريدة بغداد اوبزرفر صدرت عام ١٩٦٧ من قبل دار الجماهير باللغتين العربية والانكليزية :

واهم المجلات : (٢٥)

اسم المجلة	سنة صدورها	الدائرة المصدرة للمجلة
دنيا السكك	١٩٥٩	مديرية السكك الحديدية العراقية
الطليعة	١٩٥٩	كلية التربية/ جامعة بغداد
كلية الاداب	١٩٥٩	كلية الأداب/ جامعة بغداد
المزارع الجامعي	١٩٥٩	كلية الزراعة/ جامعة بغداد
الموانى	١٩٥٩	مصلحة الموانى العامة - البصرة
صوت الجمهورية العراقية	١٩٦٠	مديرية الإذاعة والتلفزيون
الرياضة العسكرية	١٩٦٠	وزارة الدفاع
الشؤون الداخلية	١٩٦٠	وزارة الداخلية
المعرفة	١٩٦١	وزارة المعارف
ديوان التدوين القانوني	١٩٦١	رئاسة التدوين القانوني
الأصلاح الزراعي	١٩٦١	وزارة الأصلاح الزراعي
الأشغال والأسكان	١٩٦٢	وزارة الأسكان والأشغال
التجارة العراقية	١٩٦٢	وزارة التجارة
اليوم والغد	١٩٦٢	دار الجماهير للصحافة
العراق	١٩٦٣	وزارة الأرشاد
الإذاعة والتلفزيون	١٩٦٣	المؤسسة العامة للاذاعة والتلفزيون والسينما
الأحوال المدنية	١٩٦٣	مديرية الأحوال المدنية العامة
بغداد	١٩٦٣	وزارة الأرشاد
التراث الشعبي	١٩٦٢	المركز الفولكلوري/وزارة الاعلام
الصحافة	١٩٦٣	مؤسسة الأعلام والصحافة
الطيران	١٩٦٣	قيادة القوة الجوية/ وزارة الدفاع

(٢٥) نفس المصدر السابق .

اسم المجلة	سنة صدورها	الدائرة المصدرة للمجلة
التأمين	١٩٦٤	شركة التأمين الوطنية
البريد والبرق والتلفون	١٩٦٤	مصلحة البريد والبرق والتلفون
الأقلام	١٩٦٤	وزارة الثقافة والاعلام
الشريعة	١٩٦٥	كلية الشريعة/ جامعة بغداد
الفلاح والاصلاح الزراعي	١٩٦٥	وزارة الأصلاح الزراعي
صوت الدفاع المدني	١٩٦٥	مديرية الدفاع المدني العامة
صدى الصيدلية	١٩٦٥	كلية الصيدلة/ جامعة بغداد
الصحة	١٩٦٥	وزارة الصحة
بلاد الرافدين	١٩٦٥	مصلحة المصايف والسياحة
العمل والشؤون الأجتماعية	١٩٦٦	وزارة العمل والشؤون الأجتماعية
طب الأسنان	١٩٦٦	كلية طب الأسنان / جامعة بغداد
الأديبة	١٩٦٦	كلية البنات/ جامعة بغداد
زراعة الرافدين	١٩٦٦	كلية الزراعة والغابات /جامعة الموصل
رسالة التأمين	١٩٦٦	المؤسسة العامة للتأمين
الجندي	١٩٦٦	مديرية التدريب العسكري/وزارة الدفاع
كلية الشرطة	١٩٦٧	كلية الشرطة/ وزارة الداخلية
رسالة الدواء	١٩٦٧	المؤسسة العامة للادوية
القوة البحرية	١٩٦٨	قيادة القوة البحرية/ وزارة الدفاع
الفكر	١٩٦٨	كلية الهندسة/ جامعة بغداد

مما تقدم فان اغلب المجلات الحكومية تصدرها المؤسسات العلمية والتربوية والجامعات العراقية في مختلف الأمور والشؤون .

اما اهم الكتب فهي :

— دليل جامعة بغداد(١٩٥٩—١٩٦٠) طبع ببغداد عام ١٩٦٠ من قبل مديرية التسجيل العامة .

- الأحصاء الصناعي الدوري لعام ١٩٥٧ . طبع ببغداد عام ١٩٦٠ من قبل وزارة التخطيط .
- صناعة الأسبست. طبع ببغداد عام ١٩٦٢ من قبل وزارة الصناعة وفي مطبعة الأعظمي .
- مجموعة المسكوكات والأوراق النقدية المتداولة في الجمهورية العراقية الصادرة بموجب احكام القانون رقم ٩٢ لسنة ١٩٥٩. طبع ببغداد عام ١٩٦٠ من قبل البنك المركزي العراقي .
- الخطة التعليمية الجديدة لوزارة التربية. طبع ببغداد في مطبعة الحكومة من قبل وزارة التربية .(٢٦)

ثالثاً : التطور (١٩٦٨ ــ ١٩٨٦) العهد الجمهوري

لقد شهدت هذه الفترة ولاسيما بعد تأميم عمليات شركات النفط العاملة في القطر تطور كبير وزيادة في عدد المطبوعات الحكومية قياساً بالفترات السابقة، اما العوامل المؤثرة في زيادتها هي :

١ ــ زيادة الدخل القومي لحكومة الثورة من جراء تأميم شركات النفط بالقطر .

٢ ــ توسع وتطور في الجهاز الحكومي واستحداث وزارات جديدة ودوائر وهيئات حكومية جديدة .

٣ ــ تأسيس جامعات وكليات جديدة اضافة الى مراكز بحوث ومحطات تجارب.

٤ ــ تشجيع الدولة للباحثين والعلماء في انتاج البحوث .

٥ ــ قيام الدولة بأستيراد جميع مستلزمات الطباعة الحديثة وتأسيس مطابع جديدة للاوفسيت الملون(دار الحرية للطباعة) ولقد أدرك العراق اهمية دور الطباعة في عملية التنمية فلذلك اولاها اهتمامه .

---

(٢٦) راجع الفهرس الموضوعي للمطبوعات الحكومية (الاول) الذي صدر عام ١٩٦٩ (والثاني) الذي صدر عام ١٩٧٨ من قبل المكتبة المركزية لجامعة بغداد .

وقد كانت غالبية تلك المطبوعات من القوانين والأنظمة وتقارير البحوث الأدارية المتنوعة والأدلة والخطط والمشاريع والمواصفات والمقاييس والأدلة والمحاضـــرات والدراسات والأحصائيات والكشافات والببليوغرافيات والفهارس والمستخلصات وغيرها

اما فيما يخص الصحف والجرائد الحكومية فهي :

جريدة الثورة صدرت عام ١٩٦٨ ببغداد عن دار الثورة للصحافة .

جريدة الجمهورية صدرت عام ١٩٧١ ببغداد عن دار الجماهير للصحافة .

جريدة اليرموك صدرت عام ١٩٧٧ ببغداد عن وزارة الدفاع .

جريدة القادسية صدرت عام ١٩٨٠ ببغداد عن التوجيه السياسي / وزارة الدفاع .

اما فيما يتعلق بالمجلات الحكومية منذ عام ١٩٦٨ ولغاية ١٩٨٦ هي : (٢٧)

اسم المجلة	سنة صدورها	الجهة المصدرة للمجلة
العلم والحياة	١٩٦٨	وزارة الشباب
الإدارة العامة	١٩٦٨	مكتبة كلية الإدارة العامة / جامعة بغداد
الألف باء	١٩٦٨	المؤسسة العامة للصحافة
الشباب	١٩٦٨	وزارة الشباب
آداب الرافدين	١٩٦٩	كلية الاداب/ جامعة الموصل
الأقتصاد والعلوم السياسية	١٩٦٩	كلية الأقتصاد والعلوم السياسية / جامعة بغداد
الرسائل	١٩٦٩	مصلحة البريد والبرق والهاتف
العلوم القانونية والسياسية	١٩٦٩	كلية الحقوق / جامعة بغداد
المقتطف	١٩٦٩	وزارة الثقافة والإعلام
القيادة	١٩٧٠	كلية القيادة/ وزارة الدفاع
المسرح والسينما	١٩٧٠	المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون
القوة الجوية	١٩٧٠	القوة الجوية / وزارة الدفاع

(٢٧) بخصوص الدوريات الحكومية (من صحف ومجلات) راجع دليل المجلات والجرائد، جمع واعداد زاهدة ابراهيم .

اسم المجلة	سنة صدورها	الجهة المصدرة للمجلة
العامل المعاصر	١٩٧٠	المؤسسة الثقافية العمالية
السمنت العراقي	١٩٧٠	شركة السمنت العراقية
الجامعة المستنصرية	١٩٧٠	رئاسة الجامعة المستنصرية
الأقتصاد	١٩٧١	وزارة الأقتصاد
المورد	١٩٧١	وزارة الثقافة والأعلام
عالم الصناعة	١٩٧١	وزارة الصناعة
السياحة في العراق	١٩٧١	مصلحة المصايف والسياحة
التعاون الزراعي	١٩٧١	مديرية التعاون الزراعي العامة / وزارة الزراعة
الأكاديمي	١٩٧١	أكاديمية الفنون الجميلة
الفنون الإذاعية	١٩٧٢	المؤسسة العامة للإذاعة والتلفزيون والسينما
الرياضي	١٩٧٢	وزارة الشباب
الدبلوماسي	١٩٧٢	وزارة الخارجية
البحوث الأجتماعية والجنائية	١٩٧٢	وزارة العمل والشؤون الأجتماعية
الأنسان والقانون	١٩٧٢	وزارة العدل
النفط والعالم	١٩٧٣	شركة النفط الوطنية العراقية
كلية التمريض	١٩٧٣	كلية التمريض / جامعة بغداد
القيثارة	١٩٧٣	وزارة الثقافة والأعلام
رسالة المواصلات	١٩٧٣	وزارة النقل والمواصلات
التنمية الإدارية	١٩٧٣	المركز القومي للاستشارات والتطوير الإداري
الثورة الزراعية	١٩٧٤	المجلس الزراعي الأعلى
الطليعة الأدبية	١٩٧٤	دار الحرية للطباعة
العدالة	١٩٧٥	وزارة العدل

اسم المجلة	سنة صدورها	الدائرة المصدرة للمجلة
الأنوار الزراعية	١٩٧٥	وزارة الزراعة
آفاق عربية	١٩٧٥	وزارة الثقافة والأعلام
أخبار البحث العلمي	١٩٧٥	مؤسسة البحث العلمي
آداب المستنصرية	١٩٧٦	كلية الاداب/ الجامعة المستنصرية
التكنولوجيا	١٩٧٦	الجامعة التكنولوجية
هيئة المواصفات والمقاييس العراقية	١٩٧٦	هيئة المواصفات والمقاييس العراقية
الحكم الذاتي	١٩٧٦	المجلس التشريعي لمنطقة كردستان
الحاسبات الألكترونية	١٩٧٧	المركز القومي للحاسبات الألكترونية
الأثاري	١٩٧٧	المؤسسة العامة للاثار والتراث
الجيش الشعبي	١٩٧٧	القيادة العامة للجيش الشعبي
التراث العلمي العربي	١٩٧٧	مركز احياء التراث العلمي العربي جامعة بغداد
البناء الحضاري	١٩٧٧	وزارة الأشغال والأسكان
الطباعة	١٩٧٨	دار الحرية للطباعة
الجديد في العلم والتكنولوجيا	١٩٧٨	مركز التوثيق العلمي / مجلس البحث العلمي

اما اهم الكتب الحكومية الصادرة منذ عام ١٩٦٨-١٩٨٦ هي :

- مواطن الأثار في جنوبي العراق. طبع ببغداد في مطبعة الحكومة عام ١٩٦٨من قبل مديرية الأثار العامة.
- التقرير السنوي لمديرية الغابات العامة لعام ١٩٦٩-١٩٧٠. طبع ببغداد في مطبعة السكك الحديدية من قبل مديرية الغابات العامة.

- دليل خطة التنمية القومية، ١٩٧٠-١٩٧٤. طبع في بغداد عام ١٩٧١ من قبل الدائرة الأحصائية في وزارة التخطيط .
- الدليل العراقي للمواصفات القياسية. طبع ببغداد عام ١٩٧٦ من قبل هيئة المواصفات والمقاييس العراقية .
- الدليل الإداري للجمهورية العراقية. طبع ببغداد عام ١٩٧٢ من قبل المركز القومي للاستشارات والتطوير الإداري .

فلقد ظهرت في هذه الفترة اربعة مؤسسات لها اهمية بالغة في عمليات الطبع والنشر والتوزيع والأعلان وجميعها مؤسسات حكومية تابعة لوزارة الثقافة والأعلام وهي :

الدار الوطنية للتوزيع والأعلان . تأسست عام ١٩٧٢ لتنظيم عملية التوزيع للمطبوعات العربية والعراقية والأجنبية وتنظيم عملية الأعلان المحلي للدوائر الرسمية ومؤسسات القطاع العام . وكان انشاء تلك الدار استجابة للتطورات المهمة التي حدثت في القطاع الأعلامي والأنجازات التي حققتها ثورة ١٧-٣٠ تموز التقدمية .

اما دار الحرية للطباعة وهي احدى الدوائر الفنية التابعة لوزارة الثقافة والأعلام مهمتها طباعة جميع المطبوعات الثقافية والتربوية والأعلامية .

ودار الرشيد للنشر فتقوم بعملية النشر للمطبوعات المختلفة . (٢٨) أضافة الى ان الطباعة الجيدة والتحرير الجيد في مختلف العلوم والفنون .

ودار آفاق عربية وهي مؤسسة اعلامية تقوم بطبع مجلة آفاق عربية وبطبع الكتب والمجلات التراثية وفيها اجهزة حديثة للطباعة والتصوير. اضافة الى ذلك فقد كانت دار الثورة للصحافة والنشر ودار المأمون ودار الجماهير ودار التضامن للطباعة والنشر (الكردية) تقوم جميعها بطبع الكتب والمجلات والجرائد الحكومية .

---

(٢٨) العاني ، خالد عبد المنعم . موسوعة العراق الحديث . بغداد ، الدار العربية للموسوعات ، ١٩٧٧ ص٤٤٩ .

فئات (انواع) المطبوعات والوثائق الحكومية العراقية

لقد قسمت انواع المطبوعات الحكومية العراقية الى نوعين اساسيين :

أ – الكتب ب – الدوريات

اولا : الكتب وهي على فئات متنوعة

١ – الأتفاقيات والمعاهدات
٢ – الأداة والمرشدات (ادارية ..)
٣ – الدراسات والبحوث
٤ – الخرائط والأطالس والصور الجوية
٥ – الفهارس والبليوغرافيات والكشافات والمستخلصات
٦ – دوائر المعارف والمعاجم
٧ – خطط وبرامج ومشاريع
٨ – محاضر ووقائع ومقررات المؤتمرات والندوات والأجتماعات
٩ – القوانين والأنظمة والتشريعات
١٠ – محاضر جلسات المجالس التشريعية والتنفيذية
١١ – خطب واحاديث ورسائل(السيد رئيس الجمهورية)
١٢ – المطبوعات الأعلامية
١٣ – تقارير الأنجازات
١٤ – المحاضرات (الموضوعية)
١٥ – المسوحات الميدانية
١٦ – الكتب التعليمية
١٧ – المواصفات والمقاييس
١٨ – براءات الإختراع
١٩ – خطط التنمية القومية
٢٠ – الأحصائيات

ثانياً : الدوريات :

وهي على فئات منها يومية وشهرية وفصلية ونصف سنوية، وسنوية وكل سنتين الى خمس سنوات .... الخ . ومن اصنافها الرئيسية :

١ ـ النشرات الدورية
٢ ـ الميزانيات السنوية
٢ ـ الكتب السنوية (المنجزات لدوائر الدولة)
٤ ـ التقارير الدورية
٥ ـ احصاءات دورية
٦ ـ الصحف اليومية

وسوف نتطرق الى اهم تلك الفئات والأنواع من المطبوعات :

اولا : ـ القوانين والانظمة

تعتبر القوانين والأنظمة من أول المطبوعات الحكومية التي اصدرتها الحكومة الملكية في العراق عام ١٩٢١. وقد صدرت الوقائع العراقية كجريدة رسمية للدولة العراقية عام ١٩٢٢ وتحتوي على مجموعة من الأنظمة والقوانين والتشريعات. وهي سجل تكشف للباحث السياسي والقانوني أموراً مختلفة تتعلق بنواحي الحياة في العراق ، ولها علاقة كذلك بتنظيم الدولة وتصدر الوقائع العراقية في الوقت الحاضر من قبل وزارة العدل .

ثانياً (*) : ـ المعاهد والاتفاقيات والبروتوكولات

لقد ارتبط العراق بالمعاهدات والأتفاقيات والبروتوكولات والمواثيق والأحلاف والعهود مع الدول العربية والأجنبية والمنظمات والمؤسسات الدولية منذ عام ١٩٢١ وحتى وقتنا الحاضر . وقدكانت مسؤولية ابرام تلك الأمور من مسؤولية وزارة الخارجية بالدرجة الأولى اضافة الى مسؤولية الوزارات الأخرى... ومن اهم المطبوعات والمصادر لهذا النوع هي :

أ ـ مجموعة المعاهدات والإتفاقيات المعقودة بين العراق والدول الأجنبية . صدر عن وزارة الخارجية، طبع ببغداد وفي مطبعة الحكومة عام ١٩٥٧ في ثلاثة عشر مجلدا.

اضافة الى (المجموعة الدائمة للقوانين والأنظمة العراقية الموحده)التي جمعها كامل السامرائي بست مجلدات والتي طبعت بمطبعة العاني منذ عام ١٩٤٨ ولغاية ١٩٥٣.

اما اليوم فنجد ان قسم الأعلام القانوني بوزارة العدل مسؤولة عن النشر والأعلام حيث قامت بالأعمال التالية :

آ ــ اعادة طبع عدد من القوانين ضمن سلسلة قسم الإعلام القانوني (السلسلة الزرقاء) واصدار القوانين الجديدة ضمن سلسلة (اصلاح النظام القانوني) ابتداء من عام ١٩٧٩.

ب ــ اصدار مجلة (العدالة) في نيسان عام ١٩٧٥

جـ ــ صدور العدد الأول من الوقائع العدلية في حزيران ١٩٧٩ بهدف ملاحقة الأحداث القانونية والدلية وتعريف المواطن بأبرز القرارات والأحكام الصادرة من محكمة التميز ومحاكم المناطق الأستئنائية ومجلس شورى الدولة ومجلس الأنضباط العام .

د ــ مجموعة (الأحكام العدلية) من المطبوعات الدورية التي تصدرها وزارة العدل كل ثلاثة اشهر وتشمل القرارات التميزية ذات المباديء المهمة الصادرة من محكمة التميز . منذ عام ١٩٦٦، وقد ابدل الأسم من (النشرة القضائية) الى مجموعة الأحكام العدلية من سنة ١٩٧٥ــ ١٩٧٧ .صدر (١٨) مجلداً .

هـ ــ الوقائع العراقية ــ

و ــ صدر (مجموعة الوقائع العراقية) لأول مرة عام ١٩٧٥ لتحل محل مجموعة القوانين والأنظمة وهي تصدر مرتين في السنة، اضافة الى صدور دليل الوقائع العراقية.. الجزء الأول يغطي من عام ١٩٢٢ وحتى عام ١٩٨٠ .اما الجزء الثاني منه يغطي من عام ١٩٨٠ ولغاية ١٩٨٥ ، واما مايتعلق بالمعاهدات والأتفاقيات والبروتوكولات الدولية من سنة ١٩٢٢ــ١٩٨٥.

ب ــ تعليق على المزاعم والأدعاءات الأيرانية حول معاهدة الحدود العراقية ــ الأيرانية لعام ١٩٣٧ والوضع القانوني للحدود بين البلدين في شط العرب، صدر عن وزارة الخارجية وطبع ببغداد وفي مطبعة الحكومة عام ١٩٦٩ .

جـ - المعجم المفهرس للمعاهدات والإتفاقيات والبروتوكولات والمواثيق والعهود والأحلاف التي ارتبط بها العراق مع الدول والمنظمات الدولية والمؤسسات الأجنبية من عام ١٩٢١ وحتى عام ١٩٧١. جمع فؤاد الراوي. طبع ببغداد منذ عام ١٩٧٤ الى ١٩٧٧ في ١٦ مجلدا وملاحق ونشر من قبل وزارة التخطيط .

ثالثاً: - الاحصائيات

كانت وزارة المالية الجهة الوحيدة المسؤولة بأعداد واصدار الأحصائيات عن النشاطات والفعاليات والأنجازات التي تقوم بها اجهزة الدولة وخاصة الأحصائيات المتعلقة بالنشاط المالي والأقتصادي والتجاري في العراق . وقد انجزت واحدة من اهم الأحصائيات المتعلقة بميزانية الدولة وهي من اقدم انواع الأحصائيات وعن طريقها توضح ايرادات ومصروفات الدولة لسنة واحدة .

وفي الوقت الحاضر فإن اجهزة وزارة التخطيط ومؤسساتها هي المسؤولة عن الأحصائيات بمختلف انواعها واشكالها في القطر والأحصائيات عبارة عن مجموعة من الجداول والأرقام التي تتعلق بالحقائق كالزراعة والصناعة والتربية والتعليم والصحة والأسكان والتجارة والنفط وغيرها .وتلك المواضيع مهمة للغاية في عصرنا لكونها تفيدنا في عملية التخطيط والتنسيق وفي خطط التنمية القومية. وتعتبر المطبوعات الأحصائية الحكومية اهم المطبوعات لأنها تقدم معلومات ضرورية للباحثين في مختلف الأختصاصات اضافة الى كونها موثوقة وحديثة .

الجهاز المركزي للاحصاء (*)

تأسس الجهاز المركزي للاحصاء في العراق عام ١٩٣٩ تحت اسم دائرة الأحصاء المركزية حيث اقتصر نشاطها لفترة طويلة على اصدار الأحصائيات الواردة اليها من دوائر واجهزة الدولة. وفي عام ١٩٦٠ أنفك ارتباط الدائرة من وزارة الأقتصاد والحقت بوزارة التخطيط التي انشأت عام ١٩٥٩. وقد قدمت الدائرة دوراً جديداً في اعداد خطط التنمية القومية حيث كان عملها يشمل جميع الفعاليات الأقتصادية ،اضافة الى ذلك فقد

(*) الجهاز المركزي للاحصاء .

كانت دائرة الأحصاء المركزية في الواقع الجهاز الرسمي الرئيسي لجمع وتحليل وتبويب البيانات الأحصائية. ويقوم الجهاز بتزويد دوائر الوزارة ومجلس التخطيط ودوائر الدولة الأخرى بما تحتاجه من احصائيات ومعلومات لأعداد خططها. اما اهم الأنجازات التي اصدرها الجهاز هي :

١ — احصاءات الحركة النقدية والمالية للفترة ١٩٥١—١٩٦٨.

٢ — الأرقام القياسية لعدد العاملين في القطاعين الصناعي والأنشائي للفترة من ١٩٦٢ —١٩٦٨.

٣ — دراسة مختارة عن الدخل القومي في العراق للسنوات ١٩٥٠—١٩٦٥.

٤ — المؤشرات الأحصائية لقطاع النقل والمواصلات للسنوات ١٩٦٠—١٩٦٩.

٥ — تطور المستوى الصحي في العراق للسنوات ١٩٥٧—١٩٦٨.

٦ — دراسة عن كمية وقيمة المواد المستهلكة في القطاع الأنشائي للفترة ١٩٦١—١٩٦٨

٧ — تطور التجارة الخارجية للعراق للسنوات ١٩٥٩—١٩٦٩.

٨ — المسح العام للشركات العاملة في العراق للفترة ١٩١٩—١٩٦٨ اضافة الى ذلك فإن الجهاز المركزي للاحصاء يصدر عدداً من النشرات والتقارير الدورية.

رابعاً : — التقارير

تعتبر التقارير من المطبوعات الحكومية الهامة وهي على انواع منها التقارير الفنية والأدارية والمطبوعة والممنوعة والموجزة والمفصلة،وليس من السهل معرفة بداية التقارير الحكومية العراقية سواء ما انجزته هيئة حكومية أو فرد بتكليف من الدولة. وتحتوي التقارير الحكومية على معلومات حديثة وجديدة تستحق الأهتمام في مواضيع متنوعة تهم الباحثين. والتقارير عادة تنشرها وتصدرها جميع اجهزة الدولة بدون استثناء.

خامساً : — الدوريات

الدوريات مطبوعات تصدر فيأعداد متعاقبة او متتالية في فترات منتظمة وأول دورية ظهرت في العراق في العهد الملكي هي(الوقائع العراقية) التي صدرت عام ١٩٢٢ . وبعد عام ١٩٥٢ بدأت الدوائر والمؤسسات الحكومية بأصدار المجلات المنتظمة لغرض

ابراز انجازاتها وبحوثها . ثم تأتي الفترة الثانية من الحكم الجمهوري ابتداء من عام ١٩٦٨ الى الوقت الحاضر حيث ازدادت عدد الدوريات ووصلت الحكومية منها الى المستوى الذي اصبحت فيه تؤلف قطاعاً هاماً ضمن الدوريات المتخصصة في مختلف العلوم والفنون والآداب. ولقد ساهمت ولاتزال تساهم الهيئات التعليمية وفي مقدمتها الجامعات العراقية بأصدار المجلات العلمية المتخصصة في مختلف فروع المعرفة البشرية. وان اغلب الدوريات الحكومية هي فصلية او نصف سنوية او سنوية .

المطابع الحكومية

ان انشاء المطابع الحكومية والأهلية(التجارية). وتزويدها بالأجهزة الحديثة والطاقات البشرية المدربة كان له الأثر الكبير في نمو وتزايد وتطور عدد المطبوعات الحكومية العراقية اضافة الى تحسين نوعيتها واخراجها .

ولقد ساهمت المطابع الأهلية (التجارية) القيام بطباعة الكثير من المطبوعات الحكومية. ولقد ساهمت الوزارات وبعض المؤسسات والهيئات الحكومية الى انشاء مطابع خاصة بها للقيام بطباعة ماتحتاج اليه من مطبوعات .

ازدادت المطبوعات الحكومية في السنوات العشر الأخيرة واصبحت مصدراً هاماً للباحثين لغرض الأعتماد عليها في ابحاثهم ودراساتهم. هذا وان المطبوعات الحكومية لها مشاكلها كغيرها من مطبوعات الدول الأخرى تتعلق بأستخدامها بعض الصعوبات التي تتعلق بالطباعة والتوزيع والحفظ والتنظيم والضبط الببليوغرافي وسوف نتكلم عنها في نهاية البحث .

اما الأساليب والأجراءات المتبعة في الطباعة الحكومية تختلف من وزارة الى اخرى ومن مؤسسة حكومية الى اخرى كما انها تختلف في الوزارة او المؤسسة الواحدة. وهذا الأختلاف في الأساليب الخاصة بالأنتاج قد أثرت في اشكال ومحتويات المطبوعات الحكومية (وكانت سبباً في ظهور بعض المشاكل خصوصاً الببليوغرافية وعدم ذكرها كاملة وصعوبة التعرف على المطبوعات التي تصدرها الوزارات والمؤسسات وغياب الفهارس والكشافات والمستخلصات وتأخر ظهور المطبوعات) . (*)

(*) بخصوص ذلك راجع خليل صابات . تاريخ الطباعة في الشرق العربي . القاهرة : دار المعارف ، ١٩٥٨ .

اهم المطابع الحكومية

اعتبرت مطبعة الحكومة من الدوائر الحكومية التي قامت بطبع معظم الأصدارات الحكومية اعتباراً من بداية تأسيس الحكم في العراق عام ١٩٢١ . حتى اوائل السبعينات عندما اعتبرت دار الحرية للطباعة هي المطبعة الحكومية وقد قامت هذه الدار بطباعة جميع اصدارات وزارة الثقافة والأعلام اضافة الى طباعة بعض المطبوعات الخاصة بالوزارات الأخرى .

واهم المطابع الحكومية في العراق هي: (٢٩)

في مدينة بغداد

١ — مطبعة الحكومة

٢ — مطبعة المساحة العامة

٣ — مطبعة السكك الحديدية العامة

٤ — دار الحرية للطباعة

٥ — مطابع جامعة بغداد والجامعة التكنولوجية ومؤسسة المعاهد الفنية

٦ — مطابع الوزارات ،التربية، التخطيط ،الزراعة، الصناعة ، الدفاع ،العمل والشؤون الأجتماعية ....الخ

٧ — مطبعة الإدارة المحلية(لمحافظة بغداد)

٨ — مطابع دار آفاق عربية(وزارة الثقافة والأعلام)

٩ — دار الثورة للصحافة والنشر

في المحافظات

١ — مطبعة جامعة الموصل

٢ — مطبعة جامعة البصرة. مطبعة مصلحة الموانيء العامة

٣ — مطبعة جامعة صلاح الدين

---

(٢٩) العاني ، خالد عبد المنعم . موسوعة العراق الحديث . بيروت : الدار العربية للموسوعات ١٩٧٧ .

وقد ساهمت عدة مطابع من القطاع الخاص بطبع عدد كبير من المطبوعات الحكومية منذ عام ١٩٢١ وحتى يومنا هذا واهمها: (٣٠)

مطبعة دار السلام — مطبعة الشعب

مطبعة العاني — مطبعة التفيض

مطبعة الأعظمي — مطبعة ثنيان

مطبعة المثنى — مطبعة رمزي

مطبعة الزمان — مطبعة التمدن

مطبعة الأديب البغدادي

وشركة التجارة والطباعة المحدودة وشركة الرابطة للطبع والنشر وغيرها .

مشاكل في توزيع ونشر وايداع المطبوعات الحكومية في العراق

اولا : توزيع المطبوعات الحكومية

ان توزيع المطبوعات الحكومية العراقية يتم على اساس تقسيمها الى نوعين :

أ ــ مطبوعات ذات ثمن (قيمة) ب ــ مطبوعات مجانية (بدون قيمة) إن النوع الأول ذات ثمن أو قيمة وتقع على عاتق بعض الوزارات والمؤسسات الحكومية في توزيعها فمثلا(الوقائع العراقية) التي تصدرها وزارة العدل والمجلات التي تصدرها وزارة الثقافة والأعلام (الأقلام، المورد، آفاق عربية) وغيرها .

اما النوع الثاني وهي المطبوعات المجانية التي تقوم بتصديرها المؤسسات والمصالح الحكومية وتوزع بواسطة تلك الجهات المصدرة لتلك المطبوعات .(٣١)

وفيما يخص مشكلات التوزيع فتنحصر بتلك المطبوعات التي لاتوزع بشكل دوري ومنظم على اجهزة ومصالح الدولة ولاتحصل المكتبات الجامعية والمتخصصة على تلك المطبوعات وفي بعض الأحيان تجد صعوبة التعرف على الجهة المصدرة للمطبوع . ولايوجد هناك ما

(٣٠) راجع خليل صابات : المصدر السابق تحت مبحث العراق .

(٣١) طاشكندي ، عبد الجليل . المطبوعات الحكومية بين الايداع والضياع . عالم الكتب ، المجلد ٢ العدد ٤ . الرياض ، ١٩٨٢ ص٧٣٧ .

يدل على صدورها . (٣٢) ان اللامركزية في انتاج وتوزيع المطبوعات الحكومية هي السبب الرئيسي والأساسي في عدم السيطرة على المطبوعات الحكومية اضافة الى ظهور بعض المشكلات الطباعية فيها. وقد جهزت بعض المكتبات امكنة للمطبوعات الحكومية غير ان تلك المجاميع من المطبوعات الموجودة لديها ناقصة وغير مكتملة.

ثانياً: نشر وتسويق المطبوعات الحكومية

من المشكلات الرئيسية في نشر المطبوعات الحكومية في قطرنا هي عدم وجود هيئة أو ناشر حكومي مسؤول عن تسويق المطبوع الحكومي خصوصاً وانما الذي يقوم مقام الناشر هي المؤسسات و المصالح الحكومية التي تقوم بتوزيع ونشر مطبوعاتها على الدوائر الحكومية. ونتيجة لتعدد الدوائر والأجهزة الحكومية وزيادة في نوعية وكمية المعلومات الحكومية اصبح من العسير أو الصعب السيطرة على تلك المعلومات الصادرة عن تلك الأجهزة الحكومية وهكذا فأن توفير المطبوعات الحكومية للدوائر الحكومية وللجماهير هي من اصعب الأمور التي لاتزال تشغل بال المستفيدين والمتخصصين على حد سواء ولا توجد هناك قوانين وانظمة التي تحكم عملية الانتاج والتوزيع والنشر والإيداع للمطبوع الحكومي (٣٣) .

ثالثاً: ايداع المطبوعات الحكومية

ان نظام الإيداع للمطبوعات الحكومية يتوقف على عوامل متعددة اهمها الأستقرار السياسي والإداري والأقتصادي في البلد اضافة الى التطورات العلمية والتكنولوجية حيث تلك الأمور تؤثر بشكل مباشر وغير مباشر في عملية الإيداع (٣٤) .

---

(٣٢) الهوش ، أبو بكر محمود . المطبوعات الرسمية ، دراسة حول تعريفها على المستوى الدولي . مجلة المكتبات والمعلومات . الرياض ع السنة ١٩٨٢ ص١٨ .

(٣٣) طاشكندي ، عبد الجليل . المطبوعات الحكومية بين الايداع والضياع ، ص٧٣٠ وينظر كذلك : نبيلة خليفة جمعة . المطبوعات الحكومية في مكتبة مصر القديمة ص٩-١١ .

(٣٤) طاشكندي ، عبد الجليل . المطبوعات الحكومية بين الايداع والضياع . ص٧٣٧-٧٣٨ .

ان تعدد المؤسسات والهيئات الحكومية التي تنشر المطبوعات الحكومية وتنوع طرق الحصول على مطبوعاتها وكذلك عدم وجود ببليوغرافية شاملة بالمطبوعات الحكومية في القطر يجعل من الصعب على المكتبات ان يتابعوا النشر الحكومي وبالتالي التعرف على المطبوعات الحكومية لغرض الأختيار والشراء للمكتبة. هذا بالأضافة الى ان القوائم الببليوغرافية لتلك المطبوعات أن وجدت ناقصة وقديمة في تغطيتها (٣٥) .

اما من حيث القوانين والتشريعات الخاصة بالأيداع فبعض المؤسسات ودوائر الدولة لاترسل مطبوعاتها الحكومية الى المكتبة الوطنية او الى مكتبة الأيداع ان وجدت،ومن هنا نجد بأننا لا نتمكن السيطرة على المطبوعات الحكومية ببليوغرافيا. اضافة الى بعض المشاكل المتعلقة بأهمال المطبوعات الحكومية في المكتبات بصورة عامة ثم لاتوجد معايير نوعية وكمية التي تحكم تنظيم وادارة المطبوعات الحكومية التيّ يمكن ان توزع على المكتبات،حيث تتهرب بعض المؤسسات الحكومية من توزيع مطبوعاتها الى بعض الدوائر الحكومية او ايداع سواء مجاناً أو بثمن .

واخيراً نقترح الى ايداع جميع ما يطبع من نشاطات الهيئات الحكومية الى المكتبة الوطنية والى الزام جميع الدوائر في القطر بأيصال نسخ من كل مطبوع الى تلك المكتبة.

وختاماً فأن المطبوعات الحكومية تعتبر فئه متميزة من أوعية المعلومات لأنها تحتوي على معلومات جديدة وحديثة قد يكون من الصعب الحصول عليها من مصادر آخرى .. واحياناً تكون المصدر الوحيد الذي يعتمد عليه الباحث.وتنتشر هذه المطبوعات من قبل الحكومة واجهزتها المختلفة حيث تظهر بعض المؤسسات الحكومية فعاليات في اصدار تلك المطبوعات بينما نجد مؤسسات حكومية أخرى لاتصدر الا القليل من المطبوعات الحكومية و هذا يعتمد على طبيعة عمل المؤسسة الحكومية .

ولم تعد المطبوعات الحكومية تقتصر على الأحصاءات والتقارير والأنظمة والتشريعات بل اصبحت تظهر بأشكال وانواع متنوعة منها الأدلة والدوريات والفهارس والكشافات والخرائط والدراسات والأبحاث وغير ذلك من اوعية المعلومات والمطبوعات الحكومية

(٣٥) نبيلة خليفة جمعة . المطبوعات الحكومية ص٩-١١ .

تتناول جميع فروع المعرفة تقريباً الا انها تركز على بعض المطبوعات أكثر من غيرها كالأقتصاد والصناعة والعمل والأحصاء والتربية والتعليم والزراعة وغيرها .

وبالرغم من اهمية المطبوعات الحكومية الا ان استخدامها يرتبط بالكثير من العوائق والصعوبات خاصة بسبب زيادة عدد المطبوعات بشكل كبير مما جعل من الصعب السيطرة عليها بل وضبطها ببليوغرافياً وفهارس وكشافات ومستخلصات لتغطية جميع ماصدر من مطبوعات، خدمة للباحثين وتوفيراً للجهد والوقت في البحث عن المطبوعات والاستفادة منها .

ولكي تتم الأستفادة من المطبوعات الحكومية العراقية فإن من الضروري العناية بالضبط الببليوغيرافي لها بحيث يتم حصرها والتعريف بها ومتابعة الجديد منها ..

المصادر

١ — ابراهيم خليل احمد. السالنامة العثمانية مصدراً لتأريخ البصرة الحديث. مجلة الخليج العربي. البصرة: المجلد (١٤) العددان (٣—٤) ١٩٨٢.

٢ — جامعة بغداد، المكتبة المركزية. ببليوغرافيا بالمطبوعات الحكومية العراقية الموجودة في المكتبة المركزية لجامعة بغداد. اعداد طارق عبد الرحمن — بغداد: المكتبة المركزية، ١٩٧٨.

٣ — ————. فهرس موضوعي بالمطبوعات الحكومية في المكتبة المركزية لجامعة بغداد— بغداد: المكتبة المركزية، ١٩٦٩.

٤ — خليل صابات. تأريخ الطباعة في الشرق العربي. —القاهرة: دار المعارف، ١٩٥٨.

٥ — الراوي، فؤاد. المعجم المفهرس للمعاهدات والأتفاقيات والبروتوكولات والمواثيق والعهود والأحلاف التي ارتبط بها العراق مع الدول والمنظمات الدولية والمؤسسات الأجنبية من ١٩٢١—١٩٧١— بغداد: وزارة التخطيط، ١٩٧٤— ١٩٧٧ .

٦ — زاهدة ابراهيم. دليل الجرائد والمجلات العراقية، ١٨٦٩—١٩٧٨. ط٢. منقحة ومزيدة.— الكويت : دار النشر والمطبوعات الكويتية، ١٩٨٢.

٧ — السويدان، ناصر محمد. الضبط الببليوجرافي للمطبوعات الحكومية في السعودية. ـمجلة عالم الكتب. الرياض: المجلد (٦) العدد (٣) ١٩٨٥.

٨ — ــــــــــــــ. المطبوعات الحكومية في المملكة العربية السعودية، دراسة وقائمة ببليوجرافية. ـالرياض: دار المريخ، ١٩٨٦.

٩ — طاشكندي، عبد الجليل. المطبوعات الحكومية بين الأيداع والضياع. مجلة عالم الكتب.ـ الرياض: المجلد (٢) العدد (٤) ١٩٨٢.

١٠ — العراق. المركز القومي للاستشارات والتطوير الإداري. الدليل الإداري للجمهورية العراقية.ـ بغداد: المركز القومي، ١٩٧٢.

١١ — العاني، خالد عبد المنعم. موسوعة العراق الحديث.ـ بيروت: الدار العربية للموسوعات، ١٩٧٧.

١٢ — الموسوي، مصطفى مرتضى. المطبوعات الحكومية العراقية مصادر للمعلومات، دراسة لأنواعها واشكالها ومداخلها.ـ مجلة آداب المستنصرية، بغداد: ١٩٨١.

١٣ — نبيلة خليفة جمعة. المطبوعات الحكومية في المكتبة القومية بمصر. ـ مجلة المكتبات والمعلومات العربية. الرياض السنة (٥) العدد (٣) يوليو، ١٩٨٥.

١٤ — الهوش، ابو بكر محمود. المطبوعات الرسمية، دراسة حول تعريفها على المستوى الدولي. مجلة المكتبات والمعلومات. الرياض: ١٩٨٢

15– Encyclopedia of Library and Information Sciences. Vol. 10 under (government publications).

16– Schmeckebier, L.F. and Roy B. Eastin. Government publications and their use.–re. ed. Washington D.C. The Brockings Inst., 1961.

17– Tashkandy, Abdul-Jalil. Major problems of bibliographical control of government publications.

العروض الناقدة للكتب في الصحف والمجلات العربية

بقلم
غنية خماس صالح
مدرسة/ قسم المكتبات

مقدمة :

يخدم النقد التعريف بالنتاج الفكري اولاً ، ثم مساعدة القاريء في الحصول على اختيار الأفضل ، ثم الدعاية للمؤلف ، واعلام الجمهور ، وبالتالي الى تبيان الاتجاه العام في مجال التأليف والترجمة . ولقد تميز العصر الحاضر بزيادة الكتب وتنوع موضوعاتها وتعدد اللغات التي تكتب بها. كما تميز هذا العصر بنمو الحضارة وتعقد مسيرتها وكثرة مشكلاتها بحيث اصبح كل مافيها محتاجاً الى الدراسة والبحث والتخطيط ، فانسان الوقت الحاضر اذن بحاجة الى ان يقرأ في مختلف فروع المعرفة على الرغم من ما تقدمه الاذاعة والتلفزيون ووسائل الاعلام الأخرى من معلومات الا انها جميعاً مكملة الى الكتاب وعون له وليست منافسة لرسالته . وقد يخشى البعض احياناً هذه الظاهرة الى زيادة الكتب الا ان هذه الزيادة تفسح المجال امام الملكات والمواهب والاذواق في الظهور اولاً، وعلى اختيار الجيد منها ثانياً . وعلى الرغم من الزيادة الهائلة في عدد الكتب والمواد الثقافية الاخرى الا ان ظروف العصر جعلت امكانية الحصول عليها من المسائل الميسرة لكل من يرغب في الحصول عليها وهذا بعكس العصور السالفة التي كان الحصول فيها على الكتب يكلف الفرد نفقات طائلة قد يعجز عن ايفاءها . كما ان عدد الكتب لم يكن موفوراً مثلما هي الحال في وقتنا الحاضر حيث يُقال انه في زمن لويس الرابع عشر كان عدد الكتب التي تظهر سنوياً في فرنسا لايزيد عن سبعين كتاباً (١) وان ماتشير اليه المصادر في الوقت الحاضر الى ان مايصدر سنوياً يزيد عن نصف مليون كتاب (٢) .

وهذا يعني ان الاختيار واجب من هذا الفيض الهائل وان النقد هو أحد العوامل المساعدة في الاختيار لاسيما في اختيارنا للكتب العربية التي تردنا من الاقطار العربية والأجنبية التي تردنا من الاقطار الغربية او الشرقية حيث لايمكن طلب الكتاب لمعرفة مدى صلاحيته او عدمها ، فالعملية تأخذ وقتاً وجهداً وتكاليف لايرتضيه الناشر او الوسيط ، ومن جانب آخر لايتماشى مع مسار التطور الجاري في المجال العلمي في العالم حيث ان بعض الكتب لاسيما في مجال العلوم والتكنولوجيا تتقادم معلوماتها خلال اشهر من تاريخ صدورها ، هذا اذا ماعلمنا ان الكتب الأجنبية تمثل نسبة عالية من الكتب التي ترد الى مكتباتنا وقراءنا في مجال العلوم والتكنولوجيا خاصة .

فلا جدال ان الاختيار الموفق من هذا الفيض من الكتب يحتاج الى الاستعانة بآراء النقاد المتخصصين الموثوق بنزاهة آرائهم وصحة ودقة احكامهم وسعة اطلاعهم .



اهمية البحث

لقد وجدت من خلال تدريسي لمادة اختيار المواد المكتبية اهمية العروض الناقدة للكتب في عملية الاختيار وبناء مجموعة فاعلة للمكتبة فالنقد يجعلنا نقدر نتاجنا الفكري ونفرق بين غثه وسمينه . وعبر دراستنا وجدنا ان لاعناية بالنقد ولا وزن لقيم الفكر ولارغبة صادقة نزيهة في هداية القراء فالمجاملات والتعاطف والأهواء تحجب الحقائق فكيف يمكن والحالة هذه ان نحقق عنصر المفاضلة بين عمل وآخر ، وكيف نبرز الأعمال الممتازة ونبين مافيها من جوانب الابتكار والتجديد ،مضافاً الى ان هذا الموضوع يكاد يكون مهملاً عند حملة الأقلام حيث ان آلافاً من الكتب العربية تصدر سنوياً الى الاسواق ، ليست جميعها ضئيلة القيمة لكن اكثرها لم يجد سطراً واحداً في مجلة ولم ينتزع كلمة من صحيفة ، وان أقل القليل منها وجد اهتماماً لدى النقاد .

مع ان الكثير من هذه الكتب يتحدث عن مشكلات فكرية وحضارية الا انها لم تحرك الحوار الساخن او النقد المتعمق .فلا جدال ان قراءة الكتب الرديئة تأخذ الوقت الذي يجب ان يستغل في اغرض اكثر نفعاً للانسان وكلما تكاثرت الكتب والمؤلفات وتباينت الموضوعات أصبح اختيار مانقرأ اصعب واصبحت القدرة على التمييز والمفاضلة واجبة وبالتالي ازدادت صعوبة الاختيار.فنحن اذن بحاجة الى نقد علمي بارع يقدم لنا اساساً من المعلومات القيمة والالتفاتات البارعة التي تمكننا من الاقبال على انتقاء الكتب وقراءتها بفهم وتقدير .

اهداف البحث :

ان الدراسة هي واحدة من الدراسات القليلة التي تتناول اهمية العروض الناقدة للكتب. فرغم تزايد الانتاج الفكري وارتباطه المباشر بالتنمية الشاملة والتطور المباشر للمجتمع العربي الا انه لم يحظ بالدراسات التحليلية الكافية . يهدف البحث اذن الى التعرف على طبيعة العروض الناقدة للكتب في الآونة الأخيرة مع محاولة وضع اطار عام يصلح كأساس لتقويم العروض الجيدة التي يمكن اعتمادها في عملية الاختيار وبناء مجموعة ثرية متكاملة .

حدود الدراسة

اقتصر البحث على اسلوب النقد في القرن العشرين وان ماقدم كدليل ومؤشر للدراسة يعتمد على عينات محدودة من الصحف والمجلات العربية المتوفرة في مكتباتنا والتي ظهرت في النصف الاول من القرن العشرين . وتلك التي ظهرت في النصف الثاني منه. ولقد تم درج بعض العروض الناقدة التي وردت في مجلات صدرت في هـذه الفترات ومنها : مجلة الرسالة ومجلة الكتاب العربي ومجلة عالم الكتب (فالعرض الاول يمثل النقد في النصف الاول من هذا القرن والثاني يمثل امتداداً لهذه الفترة اي ماظهر في الخمسينات والثالث يمثل وضع النقد في الآونة الأخيرة على إعتبار ان هـذه المجلة ظهرت عام ١٩٨٠) .

النقد هو البحث عن حقيقة النص ، وقد يكون في اظهار مزايا اوعيوب النص . وتقول الدكتوره هند حسين طه في كتابها « النظرية النقدية عند العرب . ص١٤ ، « ان البحث عن الحقيقة لايصح أن يكون بلا منهج واسس نظرية يقوم عليها هذا المنهج، مضافا الى ذلك موقف الناقد الأنساني ورغبته الجادة في البحث بصدق وموضوعية للبحث عن الحقيقة» ويقول الدكتور احمد مطلوب ان النقد بدأ منذ نهاية القرن الثاني للهجرة (٣) وممن الذين تبنوا النقد اللغويون والنحاة (النحويون) الذين جاؤوا بعد الطبقة الأولى كالخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه، فقد آلف تاميذ سيبويه ابوالحسن الأخفش (ت ٢١٥هـ) كتابا في الرد على سيبويه سماه الأوسط في النحو (٤) والف (المبرد ت٢٨٥هـ) كتابا في الرد على سيبويه ايضاً سماه بعضهم كتاب الرد على سيبويه وسمته بعض المصادر مسائل الغلط (٥) رد فيه على كتاب سيبويه باباً باباً . والف احمد بن ولاد(ت ٣٣٢هـ) كتاب الأنتصار لسيبويه من المبرد (٦) .

والف ابوبكر الأشبيلي الزبيدي (ت ٣٧٩ هـ) كتاب الأستدراك على سيبويه في كتاب الأبنية والزيادات . ثم ظهر في الدراسات النقدية وفي كتاب الموازنة للامدي نقد لبعض المؤلفات التي تعرضت لسرقات الشاعر ابي تمام .

وكثير من الكتب القديمة اتجهت هذا الأتجاه في النقد اي انها كانت تتعرض للمؤلفات السابقة بالنقد او التصحيح او التخطئة وهذا اللون من نقد الكتب اكثر شيوعاً من غيره ، اذ ظهر لون آخر من نقد الكتب هو ان يؤلف كتاب كامل في نقد الكتاب السابق ومثال ذلك ان ابن ابي الحديد شارح نهج البلاغة الف كتاب الفلك الدائر على المثل السائر وهو نقد لكتاب المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لضياء الدين ابن الأثير .والف الصفدي بعد ذلك نصرة الثائر على المثل السائر وهو نقد لكتاب ابن الأثير ايضاً وظهرت كتب اخرى تنتصر لأ بن الأثير وهذا النوع من النقد يمثل اهتمام القدماء بالكتب التي كانت تؤلف في موضوعات مختلفة .

والخلاصة ان القدماء عرفوا نوعين من نقد الكتب الأول . نقد (٧) الكتب الذي يجيء عرضاً في اثناء الفصول والأبواب ، والثاني نقد الكتب

الذي يكون بصورة كتاب مستقل كما فعل ابن ابي الحديد والصفدي وكتاباهما مطبوعان معروفان .

ولعل بعد هذه المقدمة الموجزة ان نعود فنقول ان مايهمنا في بحثنا هذا مآل اليه النقد في الأونة الأخيرة ولاسيما في القرن الحالي .

لقد ظهرت في بداية القرن العشرين صحف ومجلات عربية كانت الرائدة في توعية الجماهير العربية الى التحرر والأستقلال والتخلص من نير المستعمر الذي كان مسيطراً على الحريات ولعل أهمها حرية الفكر ، وكان لهذه الصحف والمجلات منهج علمي ومواقف جادة في توعية الجماهير العربية والكتابة عما كان ينشر اويقال آنذاك من امور لها مساس بالمجتمع العربي .ولعل العديد من تلك المجلات كانت قد افردت بابا للحديث عن الكتب والتعريف بها ولم تقتصر الكتابة عن الكتب فقط وانما تعداها الى المجلات والصحف وبعض الرسائل والمقالات التي كان لها تأثير مباشر على المجتمع .ومن تلك المجلات التي ظهرت في اوائل القرن العشرين مجلة لغة العرب للأب انستاس ماري الكرملي التي صدرت ببغداد عام١٩١١ .

فقد خصص الأب الكرملي باباً بعنوان (باب المشارفة) وفيه كان يتعرض هو او غيره لنقد الكتب والتعريف بها ولم يقتصر النقد على الكتب فقط وانما المجلات والصحف وبعض الرسائل والمقالات لاسيما تلك الرسائل الفقهية والعلمية والأصلاحية التي دعت المجلة الى نشرها بين الناس لتزيل بعض العادات التي يتضبرر منها المجتمع آنذاك ، كما انها انتقدت كتابة بعض الرسائل التي لاتشويق فيها ودعت الى طباعتها ثانية بشكل يتماشى مع ذوق العصر .

وكانت المجلة تعطي المعلومات الببليوغرافية عن الكتاب اوالمجلة : العنوان والمؤلف ومكان الطباعة واسم المطبعة وعدد الصفحات ونوعية الورق والطباعة والسعر في العراق وفي الأقطار العربية ،مع نبذة عن محتويات الكتاب ونبذة عن مؤلفه ومقدرته على فهم موضوعه والكتابة فيه . ثم بيان الأخطاء النحوية اوالعبارات غير المرغوب فيها آنذاك ،

اوالتكلف في صياغة بعض العناوين وعدم التدقيق في تعريب الكلمات الأجنبية .ثم تغير عنوان هذا الباب من باب المشارفة الى (باب المشارفة والأنتقاد) وتشير المجلة « الى ان هناك الكثير من الهدايا تصلها من الأدباء .من جرائد ومجلات كتب وكلهم يرغبون في نقدها والكتابة عنها الا ان المجلة قليلة الصفحات وصغيرة الحجم لاتحتمل الأطالة والأسهاب في انتقاد الكتاب الواحد الا اذا كان ذا شأن » (٨) .

ويتضح من قراءة النقود الواردة في اعداد هذه المجلة انها كانت تخلو من التعاطف او المجاملة اوالدعاية وتميل الى الموضوعية ، وقد توقفت هذه المجلة قبل الحرب العالمية الأولى. ويمكننا القول ان هذه المجلة لوكتب لها ان تستمر لتطورت موادها وكان لباب النقد فيها نصيب كبير .

وقد ظهرت مجلة المرشد التي صدرت في بغداد عام ١٩٢٥ – ١٩٢٩ وكانت .تهتم بالتعريف بالكتب تحت باب (هدايا العقول) حيث لايخلو عدد من اعدادها من التعريف بالكتب ، واحيانا مختصر واحياناً مفصل .وكان سيد هبة الدين الشهرستاني (٩) يتولى الكتابة فيها على الرغم انه كان وزيراً آنذاك وقد توقفت في نهاية عام ١٩٢٩ .

كما ان مجلة الهاتف هي الأخرى كانت ملتزمة بالتعريف بالكتب فلاتخلو اعدادهـا من النقد بالكتب الحديثة والقديمة وقد صدرت فيالنجف عام ١٩٣٥ ثم انتقلت الى بغداد.

كما ان مجلة المجمع العلمي العراقي التي صدرت ببغداد عام ١٩٥٠ لاتخلو اعدادها من نقد الكتب ، ولعل ماصدر في هذه المجلة من نقود كان من قبل متخصصين لهم باع في مجالهم العلمي والأدبي .

وكانت مجلة المقتطف في مصر تكتب عن كتب عربية واجنبية واحياناً عن الصحف والمجلات تحت باب (التقريظ والأنتقاد) ، وكانت الأشارة بسيطة لاتتعدى ان تكون تعريفاً بسيطاً ، غير موقع وفي بعض الأعداد كانت معلومات ببليوغرافية فقط وذلك لضيق صفحات المقتطف . كما كانت صحيفة المقطم التي تصدر في القاهرة تخصص بابا لعرض الكتب ولعل الأب انستاس الكرملي قد

تأثر بهما في مجلته لغة العرب . كما ان مجلة الهلال التي بدأت منذ عام ١٨٩٢ كانت تتضمن في بعض اعدادها تقويمات لكتب او نتاجات ادبية ...الخ وكان النقد فيها موضوعياً يتسم بطابع منهجي، موقع وقد يمتد من ٢ — ٦ صفحات من المجلة ، وكذلك مجلة الأزهر التي تصدر عن مجمع البحوث الأسلامية بالأزهر كانت تنقد الكتب تحت باب (بين الكتب والصحف) والنقد فيها كان موقعاً، ويتناول ابواب وفصول الكتب ثم الأشارة للمؤلف والجهد المشكور الذي بذله ثم تحليل لأفكار الكاتب مع بيان نقاط الضعف والقوة في الكتاب .

وقد صدرت في القاهرة ايضاً مجلة الرسالة وذلك عام ١٩٣٣ ومنذ ذلك الحين لايخلو عدد من اعدادها من الكتابة عن الكتب تحت باب (كتب) على الرغم انها مجلة اسبوعية، وكان النقد فيها اشبه مايكون بالحوار بين الناقد والكاتب. ففي العدد السابع من المجلة الذي صدر عام ١٩٣٣ وفي الصفحة (٤٠) ورد نقد لكتاب (جولة في ربوع افريقية) للكاتب محمد ثابت . وكان الناقد الدكتور محمد عوض محمد وفيه يقول : « ان عنوان الكتاب جولة في ربوع افريقية جاء يتضمن بيانات عن جغرافية شرق افريقية وقد ضاع حديث الرحلة بين فصول الكتاب كما تضيع قطع الذهب بين اكوام التراب . فالكاتب كان يخرج من موضوع الرحلة ليسهب في الكتابة عن زراعة السكر لافي افريقية وحدها بل وغيرها من الأقطار ، ويتكلم عن بعض الأقطار مثل روديسيا والكونغو مع العلم انه لم يمر بهما ولقد قال الناقد ان امامنا كتبا كثيرة لتاريخ افريقية وجغرافيتها »(١٠)ويقول كذلك ان الكاتب لم يكن يدون يومياته فلو كان يدونها لكان قد جمع محصولا وافراً يغنيه عن تلك الفصول الجغرافية .

هذا اضافة الى الأخطاء والهفوات التي مرت على المؤلف .وقد رد عليه المؤلف محمدثابت في العدد التالي من المجلة وتحت باب (كتب) رداً مؤدباً بدأه بالشكر وحسن التقدير .وختمه بالإجلال والتقدير . كما ويرد في هذه المجلة نقد على نقد وكما جاء في العدد الأول منها حيث نقد احمد حسن الزيات نقد العقاد لكتاب انطوان الجميل في شوقي

شاعر الأمراء حيث يقول الزيات «ان العقاد تورط في هذا الخطأ الصارخ فليس هناك نقد لاتيني ونقد سكسوني وانما هنالك نقد فحسب » ...الخ .

كما كانت المجلة تتعرض لنقد الكتب الأجنبية المترجمة ومثال على ذلك ماجاء عن كتاب (النجوم في مسالكها) الذي وضعه جيمس جينز ونقله الى العربية الدكتور احمد عبدالسلام الكرداني ، كتب عنه الأستاذ محمد عبدالواحد خلاف في العدد ١٤ من الرسالة ص٤١ ثم في العدد ١٥ ص٤١ ايضاً تنشر الرسالة نقداً آخر للاستاذ سماحة ثم يعود الأستاذ احمد محمد الغمراوي مجيبا على سماحة ولنفس الكتاب (يعيب سماحة على المترجة الترجمة الحرفية ، يؤيدها الغمراوي ، ويخالفهما خلاف حيث يقول : «انها أدق وارضى للضمير الذي يطالب بالامانة المطلقة في الترجمة كما يطالب بالامانة المطلقة في النقل » .

وقد تتعرض المجلة لأكثر من كتاب في العدد الواحد منها وقد يوقع النقد واحيانا يضع الناقد اسماً رمزياً واحيانا بدون هذا وذاك .

وفي دمشق فان مجلة المجمع العلمي في دمشق هي الأخرى من المجلات الرائدة في الكتابة عن الكتب وكان النقاد الذين يتولون الكتابة فيها هم من امثال الأستاذ عزالدين التنوخي والدكتور جعفر الحسيني والشيخ عبدالقادر المغربي ، وكان النقد قوياً بليغاً ونصيحاً وموضوعياً (١١) .

وفي بيروت كانت مجلة الأديب تخصص بابا ثابتا للكتابة عن الكتب وهي بعنوان ، (مكتبة الأديب) وعلى الرغم من ان المجلة كانت تتعرض لعدد من الكتب قد يصل العشرة كتب احياناً الا ان العرض كان يتسم بالفصاحة والموضوعية بالأدب .

مما سبق يتضح لنا على الرغم من قلة المجلات التي اشرنا اليها ان معظمها كانت تسلم باب النقد الى مختصين معروفين بالعمق والأنصاف والحرص على متابعة التطورات الجارية في اتجاهات الفكر والتأليف. فالشخصيات التي تتناول الكتابة آنذاك شخصيات علمية من عمالقه الكتاب أمثال العقاد واحمد حسن الزيات والأب الكرملي والشيخ عبد القادر المغربي والشيخ عز الدين التنوخي والدكتور جعفر الحسيني والدكتور حسين علي محفوظ والدكتور مصطفى جواد والدكتور جواد علي والأستاذ كوركيس عواد والدكتور محمود علي الداود .... وغيرهم الكثير.

فكان النقد قوياً بليغاً فصيحاً موضوعياً يمتاز. باللباقة والهدوء والنفاذ والألمعية والجرأة فحينما يقول الزيات في نقد العقاد لكتاب انطوان الجميل: ان العقاد قد تورط في خطأ صارخ ثم يذكر هذا الخطأ فيقول: ان النقد هو النقد في أية لغة كانت؟ وهدفه هو واحد الا وهو تشخيص نقاط الضعف والقوة في المؤلف فليس هناك نقد عربي وآخر لاتيني ....الخ .

على الرغم ان العقاد كان موسوعة زمانه الا ان الناقد كانقد أعطى وزناً وعمقاً وتحليلا لما قاله في العقاد .

كما ان الجمهور كان قد اقتنع آنذاك بأن النقد له اهمية الخلق والأبداع والتأليف الممتاز وانه ثمرة الأطلاع الواسع والتهذيب المتواصل والدليل على ذلك ماكان يرد الى مجلة لغة العرب من كتب وصحف ومجلات الشيء الكثير وان اصحابها كانوا يرغبون في نقدها والكتابة عنها الا ان المجلة كانت تعتذر عن ذلك في حالات كثيرة لصغر حجمها، وهذا مما يدل على ايمان الكتاب انفسهم بأن قيمة الفكر آنذاك لم تكن تبرز الا في ضوء النقد لم تكن تبرز الا في ضوء النقد وتطور الفكر لايكون بدون حافز من النقد . الا انه كثيراً ماكان الكاتب يخرج للدفاع عن أكثر من آثاره وقد يكون مضطراً الى خوض معركة تلتحم فيها الذاتية بالموضوعية التحاماً وثيقاً يخرج منها مؤمناً بالموضوع ومؤمناً بأن النقد ليس بضار او معطل . هذا ماكان عليه النقد في النصف الأول من القرن العشرين اما الفترة التي تلت ذلك فلقد تناولنا بعضاً من المجلات والصحف التي صدرت في بداية النصف الثاني من هذا القرن وقد وجدنا ان بعضاً منها كانت امتداداً لتلك التي ظهرت في النصف الأول منه وقد لاتقل اهمية عن سابقتها الا انها محدودة العدد وقد توقف البعض منها لسبب أو آخر ومنها على سبيل المثال : مجلة المستقبل العربي التي صدرت في الخمسينات عن مركز دراسات الوحدة العربية في بيروت فقد خصصت باب (كتب) وفيه يتم عرض الكتب الحديثة عرضاً وتحليلا موضوعياً من قبل متخصصين يتناول النقد نقاط الضعف والقوة في الكتاب ومايجول بخاطر الكاتب من اراء وافكار (١٢) والدكتور محمد علي الداود أحد الذين كان يعهد اليهم بنقد الكتب التي تتناول قضايا

تأريخية وسياسية. كما ان مجلة المكتبة العربية لصاحبها ورئيس تحريرها الأستاذ محمود الشنيطي كانت تهدف الى الأعلان عن الكتب الحديثة فقط مع اعطاء معلومات ببليوغرافية كاملة. ومجلة عالم المكتبات لصاحبها حبيب سلامة كانت تحت باب (على موائد الفكر) تتحدث عن بعض الكتب . ومجلة رسالة المكتبة التي تصدر عن جمعية المكتبات الأردنية كانت تحت باب (كتب اردنية) تعرف بعض الكتب تعريفاً بسيطاً موقعاً احياناً. وكذلك مجلة الأداب التي تصدر عن دار العلم للملايين تحت باب (صدر حديثاً) تعرف بعض الكتب تعريفاً بسيطاً. ومجلة تراث الأنسانية التي تصدر عن المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر منذ عام ١٩٦٣ وهي مجلة شهرية تتناول بالتعريف والبحث والتحليل امهات الكتب بأقلام صغيرة من العلماء والأدباء المتميزين .

وكما تقول المجلة انها «تتخصص بالكتب القيمة التي يتناولها القراء جيل عن جيل والتي يجد فيها قارىء اليوم متعة الأمس» يعرض في العدد الواحد من المجلة بين ٦–١٠. كتب عربية واحياناً غير عربية وقد يمتد النقد بين ٦–٣٠ صفحة لكل كتاب .

ومجلة الكتاب العربي التي تصدر عن المؤسسة السابقة نفسها منذ عام ١٩٦٤ تتناول المؤلفات العربية الحديثة والقريبة العهد في مختلف انحاء الوطن العربي بالتحليل الذي يبين فكرتها ويزن قيمتها . كما تتناول بين الحين والحين بعض الكتب القديمة لربط الحاضر بالماضي ، وهي بهذا قد خرقت مجالها حيث يجب ان تنسق مع سابقتها لأنها تصدر من نفس الدار. والمجلة تعهد الى كتاب متخصصين في الموضوعات التي تسند لهم ليكون لحكمهم وتقديراتهم وزنها العلمي والتحليلي . كما ان المجلة تتحدث عن المجلات العربية المعاصرة وتشير الى الموضوعات الهامة التي ظهرت بها لاستيفاء بيان تيارات الفكر المعاصر . كما تعنى المجلة بالكتب المترجمة الى العربية لبيان قيمتها والتعرف على الأحوال الثقافية والحركات الفكرية في العالم . ان الجزء الأكبر من المجلة مخصص لنقد الكتب القيمة وهناك بضع صفحات تخصص للتعريف بالكتب الأقل اهمية حيث يذكر عنوانها ومكان نشرها وعدد صفحاتها مع ذكر ماتيسر من معلومات عن مؤلفها. وقيمتها بشكل عام حتى يمكن الأستفادة منها . وللمجلة اتصالات مع دور النشر العربية للحصول

على الكتب التي تصدرها . ان سياسة هذه المجلة في عرضها للكتب ونقدها الموضوعية التامة والبناء والتوجيه . وقد اتجهت في اعدادها الأخيرة الى الأهتمام بنشر المقالات واعداد الكشافات ، وقد توقفت عام ١٩٧١ .

ولقد اخذنا على سبيل المثال احد الكتب التي تم نقدها في هذه المجلة وهو كتاب(الفن والقومية العربية) تأليف محمد صدقي الجباخنجي عرض ونقد الدكتور أحمد فؤاد الأهواني. حيث يبدأ الناقد بقوله « ان هناك عشرات الكتب صدرت عن القومية العربية في السنوات الأخيرة ..... تحاول تحليل مفهومها وكشف النقاب عن مدلولها وتوضيح عناصرها. وتدور هذه الكتب على وفرتها حول فكرتين اساسيتين هما اللغة العربية والتأريخ المشترك ،وقد يضيف بعض الباحثين عناصر اخرى كالجنس اوالثقافة او الدين او الحضارة ولكن احداً لم يجعل الفن اصلا من اصول القومية العربية سوى ماذكره مؤلف هذا الكتاب الذي صدر عام ١٩٦١ والذي جعل من الفن أحد اصول اربعة هي اللغة والدين والفن والحضارة. حيث اعتبر الفن جانب اساسي في التعبير عن روح الأمم ولذلك كان من اهم المميزات التي تفصل قومية عن اخرى . كما اعتبره لغة معبرة عن طريق الخطوط والألوان والأشكال والأصوات . فيقول الكاتب « مادمنا قد أسلمنا بأن لغة الكلام الأساس الأول للقومية العربية فلا غرابة ان تضاف لغة الفن الى ذلك الأساس» (١٣) .

ثم يضيف الناقد ان مؤلف الكتاب قد اخذ جانباً واحداً من الفنون واغفل الحديث عن القسم الاخر ، فقد اهتم بالفنون التشكيلية لأنها من اختصاصه وعلى الرغم من هذا التحديد فالناقد لاينتقص من مجهود المؤلف ولامن النظرية التي ذهب اليها في العلاقة بين الفن والقومية العربية . ثم يذهب الناقد الى تحليل افكار الكاتب وتصوره للقومية العربية القائمة على دعائم ثلاث هي اللغة والفكر والشعور، مما يجعل الشعوب التي تنطوي تحت جناحي هذه القومية تصدر في فنونها عن روح واحدة لاتخطئها العين .

ثم تناول الناقد فصول الكتاب وذكر عن براعة الكاتب الذي جال من خلالها بين فنون شتى وعصور مختلفة في كتيب صغير يمتد في (١٦٠) صفحة وهذا يدل على براعة

الكاتب وقدرته في التأليف المحكم المستمد من اشتغاله بالفن. ويناقش الناقد بدقة قضيتين هما: الفن اهو إسلامي ام عربي والثانية الرمزية والعضوية .

ففي القضية الأولى يذكر الناقد : ان المؤلف قد اضطرب في تسميته للفن فمرة يذكر انه عربي وآخرى اسلامي وثالثة عربي اسلامي في آن واحد ثم يقول ان للمؤلف عذره اذا اضطرب بين هذه المفاهيم ولكنه مطالب ان يختار منها رأياً ليستقر عليه وخاصة انه يدافع عن دعوى وهي العلاقة بين الفن والقومية العربية.

والقضية الثانية وهي الرمزية والعضوية ويعرف المؤلف هذين العنصرين عند الكلام عن فن العمارة عند العرب بأن الرمزية مايتبع الميل والأختيار والتفضيل، والعضوية ماتقدمه الأرض من مواد صالحة للبناء ويعرفهما في الفصل الخاص بالبناء بأنه كل عمل فني يخضع لعاملين اساسيين: اولهما يصدر عن الفنان نفسه وهو الرمزية وثانيهما ماتحتمه طبيعة المكان والبيئة وهو العضوية . ويختم الناقد قوله مؤيداً لماجاء في الكتاب بأن الفن بدوره عامل اساسي في حفظ التراث الفكري ومقوماً لخلق الشخصية العربية ووحدها وقرب بين مثلها العليا فأصبح اللسان الناطق بشعور شعوب تعاونت على انماء مقومات الفكر والثقافة والفنون . من اجل دعم وحدة القومية العربية . مما سبق نجد ان النقد هنا لايقل في تحليله وعلميته ومنطقه عما ورد في مجلة الرسالة التي صدرت عام ١٩٣٣ فكلاهما مبني على دراسة وافية للكتاب مع كفاية علمية من قبل الناقد .

اما الفترة الأخيرة من هذا القرن فقد تميزت بأنها تمثل مرحلة جديدة التي كثر فيها التأليف فإزداد فيها عدد الكتب وتعددت الموضوعات وتباينت اللغات التي تظهر فيها وتنوعت الأوعية الثقافية واختلفت الاذواق واساليب الكتابة. فظهرت جهود علمية اصلية واخرى مكررة ومترجمة وغيرها وصفت بأنها اعمال رديئة او هابطة. كما ان هذه الفترة تميزت بظهور اعداد كبيرة من الصحف والمجلات اصبحت الكتابة فيها عن الكتب تقليداً مارسته العديد من هذه الصحف والمجلات وافردت له ابواباً خاصة تحت عناوين متباينة. لقد تناولنا مجموعة من المجلات العربية التي ظهرت منذ نهاية الستينات — الوقت الحاضر سواء تلك التي توقفت او التي حالفها الحظ فاستمرت على الصدور، تقدر بـ (٢٥٠)

مجلة عربية لاعلى التعيين الموضوعي أو المنشأ او الجهة المصدرة وانما هي مجلات متواجدة في مكتبة الجامعة المستنصرية ومنها ماموجود في مكتبة مركز التوثيق الإعلامي لدول الخليج العربي . وبعض المجلات الموجودة في المجمع العلمي العراقي وماتفضل به بعض الأساتذة الكرام مماالديهم من مجلات . ومن هذه الـ (٢٥٠) مجلة وجد ان (٤٠) منها لها ابواباً ثابتة تقدم عروضاً ناقدة للكتب . وسوف أكتفي بذكر عناوين هذه المجلات واماكن صدورها وعناوين الأبواب الثابتة للنقد فيها .

١ — المجلة العربية للمعلومات / تصدر عن ادارة التوثيق بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، تونس .

٢ — المجلة التونسية لعلوم الأتصال/ يصدرها معهد الصحافة وعلوم الأخبار . تونس

٣ — المجلة الثقافية/ تصدر عن الجامعة الأردنية. عمان .

٤ — شؤون عربية / تصدرها الإدارة العامة لشؤون الإعلام في جامعة الدولة العربية تونس .

٥ — شؤون اجتماعية/ اللجنة الثقافية لجمعية الأجتماعيين. الشارقة .

٦ — رسالة الخليج العربي/ يصدرها مكتب التربية العربي لدول الخليج ، الرياض .

٧— الداره / دار الملك عبد العزيز. الرياض .

٨ — مكتبة الإدارة/ معهد الإ ارة العامة. الرياض .

٩ — الأديب المعاصر/ الأتحاد العام للادباء والكتاب. بغداد .

١٠—الخليج العربي /مركز دراسات الخليج العربي. بصرة .

١١ — الصناعة / وزارة الصناعة والمعادن. بغداد .

١٢ — المأثورات الشعبية / مركز التراث الشعبي لدول الخليج العربي . الرياض .

١٣ — مجلة العلوم الأجتماعية/ كلية التجارة والأقتصاد والعلوم السياسية .جامعة الكويت.

١٤ — مجلة معهد المخطوطات العربية/ المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

١٥ — الفكر العربي المعاصر /مركز الأنماء العربي . بيروت .

١٦ ــ المكتبة/ الجامعة الأردنية. عمان .
١٧ ــ الإدارة العامة/ معهد الإدارة العامة. الرياض .
١٨ ــ الأمن والحياة/ المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض .
١٩ ــ البلديات/ وزارة الشؤون البلدية والقروية. الرياض .
٢٠ ــ أفاق علمية/ عمان .
٢١ ــ البناء. الرياض .
٢٢ ــ تلفزيون الخليج/ يصدرها جهاز تلفزيون الخليج. الرياض .
٢٣ ــ الوعي الأسلامي. الكويت .
٢٤ ــ التعاون/ الإمانة العامة لمجلس التعاون لدول الخليج العربي . الرياض .
٢٥ ــ الإداري/ معهد الإدارة العامة ، عمان .
٢٦ ــ جند عمان/ مديرية التوجيه المعنوي بوزارة الدفاع ، عمان .
٢٧ ــ الجامعية/ جامعة قطر .
٢٨ ــ التعاون الصناعي في الخليج العربي ، عمان .
٢٩ ــ الأمة/ عمان .
٣٠ ــ الفيصل/ الرياض .
٣١ ــ مجلة كلية الأداب. جامعة الملك سعود .
٣٢ ــ العرب/ دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر. الرياض .
٣٣ ــ الأقتصاد الكويتي/ غرفة تجارة وصناعة الكويت .
٣٤ ــ اخبار المعهد/ معهد الكويت للابحاث العلمية .
٣٥ ــ السالمية/ مجلس حي السالمية. الكويت .
٣٦ ــ عالم الفكر/ وزارة الإعلام. الكويت .
٣٧ ــ مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية/ جامعة الكويت .
٣٨ ــ العربي. الكويت .
٣٩ ــ النفط والتعاون العربي/ منظمة الأقطار العربية المصدرة للبترول ، كويت .
٤٠ ــ عالم الكتب، الرياض .

اما عناوين الأبواب المخصصة للنقد فيها فتختلف من مجلة لأخرى فمرة تكون تحت عنوان: كتب او مراجعات كتب اوقراءات اعلامية اوعروض كتب، التعريف ببعض الكتب الحديثة، قرأت لك، اوراق عالمية، مراجعات كتب، كاتب وكتاب، عرض كتاب، الإصدارات الجديدة، المكتبة، كتب جديدة، رحلة مع عالم الكتب، من مكتبة الجامعة، كتاب في مقال، الجديد في المكتبة، مكتبة العرب، قرأت في كتاب اعجبني، كتاب الشهر، من مصادر الأدب والفن، تحقيقات عرضية، متابعات، ثقافة، كتب ورءت، صدر حديثاً، نظرات في كتاب .....الخ .

ولقد أخذنا مثالا للنقد في هذه الفترة من مجلة عالم الكتب التي تصدر في الرياض، منذ عام ١٩٨٠ وخصصت لكي تتضمن بحوثاً ودراسات تتعلق بالكتب. الكتاب «بعنوان المخطوط العربي منذ نشأته الى آخر القرن الرابع الهجري» لعبد الستار الحلوجي. عرض وتحليل صالح سليمان الحجي: بدأ الناقد بنبذة عن حياة الكاتب ومؤلفاته، ثم انتقل الى عرض الكتاب متناولا فصوله واقسامه ومحتوياتها وفي الأخر يضع الناقد تحت عنوان صغير « ملاحظات ونقد» اذكرماورد فيها:

١ — رغم ان الكتاب يحتوي على لقطات مصورة لبعض نماذج المخطوطات الا انها محدودة .

٢ — لوكانت هذه النماذج ملونة لكانت أكثر فائدة واقرب تصور للقارىء.

٣ — حبذا لو وضعت فهرسة او وصف لهذه النماذج في آخر الكتاب كنوع من التعريف بها للقارىء خاصة وان هذه المجموعة مضرب المثل في مختلف جوانب البحث.

ويمتد العرض لـ (٥) صفحات من المجلة . ومن هذا يتضح ان طريقة المجلة هي عرض لأبواب وفصول الكتب ومحتوياتها وملاحظات هامشية لاتعدو ان تكون استكمالا وصفياً للكتاب. فما تم ذكره من قبل الناقد في الفقرة الأولى والثانية ليس بذي اهمية فيمكن الاكتفاء بعرض نموذج واحد للمخطوطات يمثل الفترة التي ظهرت فيها. وماجاء في الفقرة ثانياً يمكن ان يكون ذا اثر فيما لوكانت المادة صوراً، ، فما علاقة اللون بالكتابة، كما ان ماورد في الفقرة الثالثة هو موضوع بحد ذاته

يحتاج الى كتاب . وقد ظهرت العديد من الأتجاهات والكتب بذلك وان المجلة ذاتها قامت بعرض اطروحة الدكتور عباس طاشقندي التي وضع فيها بعض الأسس لفهرسة المخطوط العربي.

واخيراً يمكنني القول ان اغلب المجلات التي تمثل هذه الفترة يكاد يكون لها منهجاً واحداً في نقد الكتب لايتعدى عرضاً بسيطاً لابواب وفصول الكتب.

واخيراً لابد لنا من وقفة مع المجلات العراقية والعربية الصادرة في العراق لتبيان مدى اهتمامها بالكتابة عن الكتب أسوة بزميلاتها الدوريات العربية . ولقد تم الإطلاع على (٦٥) مجلة لاعلى التعيين . فوجد ان من بينها (١٧) مجلة فيها ابواباً للكتابة عن الكتب وهي :

١ ــ آفاق عربية

٢ ــ الأقلام



٣ ــ البريد العربي

٤ ــ الأديب المعاصر

٥ ــ الرسالة الإسلامية

٦ ــ الخليج العربي .

٧ ــ الحاسبات الألكترونية.

٨ ــ التنمية الصناعية العربية

٩ ــ المجلة الزراعية

١٠ ــ الصناعة

١١ ــ المرأة

١٢ ــ الف باء

١٣ ــ مجلة معهد البحوث والدراسات العربية

١٤ ــ الفكر المسيحي

١٥ ــ الدفاع

١٦ - الكتاب : جمعية المؤلفين العراقيين

١٧ - الثقافة

ولقد وجد ان الكتابة عن الكتب في المجلات اعلاه اشبه ماتكون بالإعلان عنها تتضمن مقدمة عن الكاتب مع عرض لفصول الكتاب ومحتوياته مع معلومات ببليوغرافية عن الكتب واسعارها واحياناً كيفية الحصول عليها .

عدا ماورد في المجلات ٤،٦،٨،١٠ حيث يمكن اعتباره أكثر عمقاً وموضوعية . كتب من قبل متخصصين وموقع في اغلب الأحيان ، وقد تبين ان هذه المجلات صادرة عن جهات رسمية . ان المجلات ٤،٦،٨،١٠ تصدر بشكل فصلي ولقد أخذ عدد واحد من كل منها لسنة ١٩٨٦ عدا مجلة الصناعة (تم الحصول على عدد صادر عام ١٩٨٢) فالمجلة (٤) احتوت نقد لكتاب واحد في الشعر .

والمجلة (٦) احتوت ثلاثة كتب عن الخليج العربي وكتاب واحد عن القصة القصيرة مع باب يتضمن عرض بسيط لـ ١٤ كتاب عن الخليج العربي في المصادر العربية والأجنبية . والمجلة رقم (٨) احتوت نقد لكتاب واحد في الإدارة .

والمجلة رقم (١٠) احتوت نقد لأربعة كتب في الأقتصاد والتنمية .

ولابد ان اشير الى ان المجلة رقم (١٧) التي صدرت عام ١٩٧١ احتوت على نقد لكتب في مختلف الموضوعات وكان النقد موقعاً، كما كان بعض النقاد يحدد المكتبة التي يجب وضع الكتاب فيها وهذه ميزة مهمة يحتاجها المكتبيون بصورة خاصة وياحبذا لواتجه النقاد الى هذه الممارسة.

لقد وجدنا من خلال جولتنا مع المجلات العراقية ان الكتب التي استأثرت بأهتمام النقاد في الـ١٧ مجلة كانت في موضوعات : الأدب أولا ثم التأريخ والسياسة ثم تأتي كتب الإدارة والأقتصاد .

ولم نجد عرضاً لكتاب علمي سواء عربي اواجنبي مترجم وهذا يدل اما على عدم الأهتمام بالكتب العلمية او التسليم بأنها لاتحتاج الى تقييم اوندرة النقاد في هذا المجال أو قلة الكتب العلمية بحد ذاتها .

اما النقد في الصحف فمما لاشك فيه ان الصحف أكثر انتشاراً من المجلات والكتب وادنى الى نفوس الناس وعيونهم، فهي اذن قد تخدم النقد حين تنشره في اعدادها، وهي تخدم الأدباء والنقاد انفسهم لأنها تعرفهم الى أكبر عدد ممكن من الناس وفي اقطار متعددة، الا ان عناية الصحف بالنقد قد لاتخلو من ضرر. فالنقد بحاجة الى الأناة والروية والإمعان واطالة التفكير وحسن التعبير فإذا لم يظفر بهذا كله فهو عرضة للضعف والفتور وهذا عرضة لتجاوز الحق والتورط في الباطل وهذا بالتالي اساءة الى الكتب والكتاب ومن ثم الى الشعراء انفسهم. ولقد وجد الكاتب الأنكليزي ماك سيلاند من دراسات قام بها للتعريفات التي تنشر في الدوريات «أن الصحف مواد سريعة الصدور وقد ترد فيها اخبار قد لايركن اليها قد تكون صائبة او تكون تجارية لكسب عدد من المؤيدين ومن خلال جولتنا في الصحف والمجلات العراقية والعربية وجدنا ان معظمها لاتفتح صدرها لنقد الكتب وان القليل منها من بدأت في الأونة الأخيرة بالكتابة عن الكتب.

ففي العراق: جريدة العراق وجريدة الثورة والقادسية والجمهورية ولقد وجد ان مايرد في جريدة العراق وتحت باب (قراءة متانية في الكتاب) فهلا ينم عن قراءة متأنية، حيث يسند الى متخصصين ويكون موقعاً. ويلي جريدة العراق جريدة الثورة اما في مصر فهناك العديد من الصحف التي اهتمت بأن تخصص حقلا أو يزيد للكتابة عن الكتب ومنها جريدة المقطم وجريدة المؤيد التي كان الشيخ عبد القادر المغربي مشرف عليها وكان هو الأديب البارز الذي يتناول النقد آنذاك (١٤) وكذلك جريدة الجهاد والسياسة والأهرام وفي السعودية جريدة الرياض التي تصدر في مدينة الرياض. وجريدة الإتحاد في ابوظبي، وجريدة عمان التي تصدر في مسقط، وجريدة الخليج التي تصدر في الشارقة وجريدة الرسالة في الكويت، وكذلك جريدة الأنباء والوطن والقبس والسياسة والرأي العام، كما أن هنالك العديد من الصحف العربية التي تصدر خارج الوطن العربي وتحمل عروضاً للكتب ومنها: العرب والحوادث والصياد والدستور والتضامن وجميعها تصدر في لندن وكذلك جريدة الوطن العربي التي تصدر في باريس.

ومما تجدر الإشارة اليه ان مايرد من عروض للكتب في معظم الصحف آنفة الذكر يعدها رؤوساء تحرير هذه الصحف.

خلاصة نتائج البحث

يمكن القول ان ماسبق يدل دلالة واضحة، على ان نقد الكتب كان قد بدأ بشكله العلمي منذ بداية هذا القرن وانه انحرف عن السياق العلمي الأمين الى مسافات جديدة في النصف الثاني منه. وهذا على عكس ماحدث في الغرب فقد كان النقد سريعاً وكان يدون بأقلام شبان حديثي التخرج من الجامعات (١٥) اما اليوم فإن النقاد انضج سناً وهم يتقاضون رواتب مغرية ولذلك فهم يعبرون عن آرائهم بمزيد من العناية ويجعلون من عملهم هذا مهنة في ميدان يحفظ لهم اعجاب وتقدير المجتمع .

لقد وجد من خلال البحث ان الكتب العربية لم تحظ بدراسات نقدية وافية عدا القلة القليلة منها وذلك يعود لجملة اسباب نذكر منها :

١ — قلة النتاج الفكري العربي الذي يمثل ٠.٧٪ من النتاج العالمي (١٦) .

٢ — ندرة النقاد المحدثين .

٣ — خوفهم احياناً من النقد الموجه لبعض الموضوعات اوالجماعات.

٤ — التحيز احياناً لفكرة معينة او مذهب معين او رأي سياسي، فقد يلتف النقاد خلف اسماء المؤلفين اللامعة فلا يكادون يكتبون عن كتاب الا اذا كان مؤلفه لامعاً .

٥ — ان النقد يتسم بالطابع الأعلامي لاالطابع العلمي.

٦ — انه غالباً مايميل لصالح الكتاب .

٧ — عدم التتبع الموضوعي للمؤلف .

٨ — الناقد يكتفي بالأستشهاد بوجهة نظر المؤلف دون الإدلاء برأيه .

٩ — في بعض الحالات وجد ان الناقد يخرج عن حدود الفهم الأدبي ويدل هذا على ضحالة في الحكم. فيرد نقده اما مغالاة في المديح او التجريح .

١٠ — وقد يجيء النقد وكأنه حملة تعسفية مغرضة وسخرية غير مستساغة في بعض الأحيان .

١١ — الكتاب العربي لايكتب عن أكثر من ناقد الا نادراً ،حيث وجد ان ٥٢ كتاباً من الكتب العربية التي صدرت خلال ١٩٨٠—١٩٨٦ تعرضت للنقد في مجلتين وان واحداً منها (في الأدب الجاهلي للدكتور طه حسين ،ثم نقده في ثلاث مجلات (١٧) .

١٢ ـ ان الكتب التي تتعرض للنقد هي تلك الكتب التي استأثرت بأهتمام النقاد . والحال ان الكتب الجيدة او الغير جيدة يجب ان تنقد .

١٣ ـ الكتب العلمية اقل حظاً في النقد من الأدبية، وكذلك كتب التراث على الرغم من ان الأمة العربية تمر بأخطر مرحلة وتواجه كثيراً من التحديات واصبح ابناؤها بحاجة الى ان يقرأوا صفحات مشرقة من ماضيها .

١٤ ـ ان رؤوساء تحرير الصحف والمجلات يقومون بالنقد في اغلب الأحيان .

١٥ ـ ان الوقت بين نشر الكتاب وظهور النقد غير متزن حيث ان أكثر المجلات العربية تصدر بشكل اسبوعي او شهري بيمنا النقد قد يرد متأخراً .

١٦ ـ طول النقد فأحياناً يتراوح بين ١ـ٣٠ صفحة أو أكثر واحياناً لايتعدى ان يكون بضعة اسطر، وقد يطول النقد الى كذا صفحة ولكن يتركنا في ضباب الشك حول ماإذا كان الأثر المنقود جيد ام لا .

١٧ ـ ان النقد يرد احياناً موقع واحياناً بأسم رمزي واحياناً لاهذا ولاذاك .

١٨ ـ ان المعلومات الببليوغرافية غير كاملة في احيان كثيرة .

١٩ ـ عدم اهتمام دور النشر بنقد الكتب. على الرغم من تطورها وزيادتها في الأونة الأخيرة .

٢٠ ـ عدم التنسيق في ترتيب الكتب(اذا كانت متعددة) لا موضوعي ولاحسب اسماء المؤلفين ولاتبعاً للأهمية .

٢١ ـ ان النقد يرد في آخر المجلة وهذا قد يدل على عدم أكتراث المجلة بأهميته وافضليته على مواضيع اخرى ترد فيها .

٢٢ ـ لم نجد هناك فرق بين النقد الذي يرد في الصحف عن ذلك الذي يرد في المجلات العامة، وان النقد الذي يرد في مجلات متخصصة اوالتي تمثل جهات رسمية يكون أكثر قيمة .

٢٣ ـ وان هذه المجلات لاتختار النقاد مثلما هو معمول به في الغرب .

٢٤ ـ لم نجد من خلال طرح النقاد تقييماً عادلا يبين اتجاهات التأليف والترجمة في السنوات الأخيرة .

٢٥ — لم نجد من يحدد المكتبة المناسبة لوضع الكتاب الا نادراً .
٢٦ — ان كتب الأدب لها الصدارة في النقد تليها كتب التأريخ اوالسياسة ثم الإعلام ثم الإدارة والأقتصاد .
٢٧ — واخيراً فقد خرجنا بحقيقة لاتعدو ان تكون غير واقع يفسر سوق الكتب في الوقت الحاضر بسوق تجارية وليست حلبة تتبارى فيها العقول ويشرف عليها نقاد محكمون مختارون مشهود لهم بالثقافة والإتزان والنزاهه العميقة والذوق السليم .

وقد ترتب على هذا ان اضطربت معايير تقييم الكتب واختلطت وضاع الكتاب الجيد في غمرة الكتاب الهابط بحيث لو تقدم أي أديب بكتاب فذ عبقري فإنه قد لايظفر من الصحف والمجلات بأي اهتمام او ادراك ولن يجد من القراء من ينتبه اليه او يعيره اي التفات .

استنتاجات وتوصيات :

واني مع ايماني بضرورة النقد، واعتقادي بأنه خير وسيلة لتوجيه الكتاب وتطويره والمساعدة في عملية الأختيار الأمثل سواء على صعيد المكتبات ام القراء ارى انه لايستطيع اداء رسالته وبلوغ غايته الا اذا :

١ — عهد الى نقاد متخصصين بكفاءتهم وقدرتهم على البحث والنجاح في تحليل وعرض افكار المؤلف، بتقدير عادل منصف وبأسلوب ادبي مؤدب .
٢ — وان الناقد الجيد ليستطيع ان يسلك الحكمة والموضوعية وان يبرز العيوب والمزايا بوضوح وجلاء واضعاً يده على النقص والخلل عارفاً مواطن الضعف والتراخي دون ماحاجة الى الصولات الفكرية .
٣ — ان يتصف الناقد بالموضوعية فيتجه من المقدمة الى النص فالنهاية بعلمية تيسرها له المعرفة المتكافئة، واعني بالمتكافئة ان يكون الناقد متكافأ الثقافة مع الكاتب والا فإن الناقد قد يكشف عن ضعفه دون الأخرين .

٤ ــ ان النقد لكي يسير في الطريق السوي ويؤثر تأثيره المجدي لابد ان يتناول الأمور بحرية تامة، دون ان تشغله الأهداف السياسية أو الأغراض العملية أو الشخصيات اللامعة، وليعلم الناقد ان الكتاب عندما يخرج الى القراء تضعف صلته بصاحبه بقدر ماتزداد صلتة بالقراء .

٥ ــ ان تهتم دور النشر بالنقد وان تخصص اجور مغرية للنقاد .

٦ ــ ان على رؤوساء تحرير الصحف والمجلات ان لايقبلوا نقد الكتب بأنفسهم وانما يوجهونها الى متخصصين .

٧ ــ ارسال الكتب الموضوعية الى المجلات المتخصصة في نفس الموضوع لتقييمها فقد وجد ان المجلات الرصينة في نقدها هي تلك التي تصدر عن جامعات او جمعيات أو منظمات عربية او انها لسان حال جهات رسمية ولذلك فإنها تتصف بالعلمية ووضوح الرأي أكثر من غيرها من المجلات .

٨ ــ المقارنة مع كتب اخرى في نفس الموضوع او ذكر اراء المؤلفين الأخرين الذين كتبوا في نفس الموضوع .

٩ ــ على المجلات ان تخصص ابواباً ثابتة للكتابة عن الكتب .

١٠ ــ الكتابة عن الكتب الحديثة، وتلك التي تحت النشر بفترة كما هو الحال في بعض المجلات الغربية التي تكتب عن الكتاب قبل صدوره .

١١ ــ الإهتمام بالمعلومات البيبليوغرافية عن الكتب .

١٢ ــ توحيد عناوين النقد في المجلات المختلفة بعنوان واحداً «كتب وآراء»

١٣ ــ واخيراً يمكن للمجلات ان تضع استمارة خاصة تتضمن على حقول معينة للتقييم. بعض الحقول قد تكون موسعة واخرى مختصرة تبعاً للحاجة ،وتتضمن هذه الحقول اضافة الى المعلومات البيبليوغرافية المميزة للكتاب على :

ا ــ منهج الكاتب وفيه يبين هدف المؤلف، منهجه في التأليف، والحاجة للكتاب وجمهور الكتاب، ونوع المكتبة التي يجب ان يوضع فيها الكتاب .

ب — محتوى الكتاب ويضم النظرية التي ينتمي اليها الكتاب، والأصالة والخلق والإبداع في سرد الحقائق ودقتها.

ج — اسلوب العرض وفيه يبين مدى حداثة المطبوع والثبات والشمول والتنسيق في العرض المتتابع (١٨)

وكذلك تتضمن الأستمارة المعلومات التالية :

ا — كتابة النقد لاتتجاوز ٢—٣ صفحة او بحدود ٢٥٠ كلمة، ويمكن استخدام ورقة أخرى عند الحاجة.

ب — ان يعاد النقد خلال اسبوعين— اربعة اسابيع .

ح — اذا لم يكن الناقد مستعداً للعمل فعليه ان يعيده خلال فترة قصيرة من تسلمه .

المصادر حسب تسلسلها في البحث

١ — علي أدهم. الكتاب ومكانته في الحضارة الحديثة. مجلة الكتاب العربي، ع ١ ، ١٩٦٤.ص٥ .

٢ — شعبان عبد العزيز خليفة . تزويد المكتبات بالمطبوعات : النظرية اسسه واجراءاته العملية. القاهرة: دار الثقافة، ١٩٧٥. ص ١٣ .

٣ — مقابلة مع الدكتور احمد مطلوب في ١٩٨٧/٨/٢٥.

٤ — ابن النديم . ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق. كتاب الفهرست / لابن النديم، تحقيق رضا تجدد، ١٩٧١. ص٥٨.

٥ — المصدر السابق. ص٦٥ .

٦ — المبرد، ابو العباس. مقدمة المقتضب /صنعه ابي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة. القاهرة لجنة احياء التراث الإسلامي ، ١٣٨٥هـ. ص ١٩٤—١٩٥.

٧ — مقابلة مع الدكتورة خديجة الحديثي في ٨٧/٨/٢٥ .

٨ — مجلة لغة العرب. ع٦، ١٩١١. ص٣٠ .

٩ ــ مقابلة مع الدكتور حسين علي محفوظ في ٨٧/٨/٣٠ .

١٠ ــ مجلة الرسالة، ع٧، ١٩٣٣. ص٤٠ .

١١ ــ مقابلة مع الدكتور حسين علي محفوظ في ٨٧/٨/٣٠ .

١٢ ــ مقابلة مع الدكتور محمود علي الداود في ٨٧/٨/٣٠ .

١٣ ــ الجباخنجي ، محمد صدقي. الفن والقومية العربية. مجلة الكتاب العربي. ع ١، ١٩٦٤. ص٩.

١٤ ــ مقابلة مع الدكتور، حسين علي محفوظ في ٨٧/٨/٣٠ .

(١٥) ــ Encyclopedia of Library information Science V.25. New York: Marcel Dekker, c 1978.P.359

١٦ ــ شعبان عبد العزيز خليفة. الإنتاج الدولي للكتب: دراسة نوعية وعددية. القاهرة : العربي، ١٩٧٨ .

١٧ ــ المعلومات اعتمدت على التقارير المقدمة من قبل طلبة الصف الرابع لعام ٨٦–١٩٨٧.

١٨ ــ السالم، فؤاد. تقويم كتب الإدارة. مكتبة الإدارة، مج ٩، ع ٢، ١٤٠٢هـ . ص٧٠.

١٩ ــ حشمت قاسم. مصادر المعلومات: دراسة لمشكلات توفيرها بالمكتبات ومراكز التوثيق. القاهرة ١٩٧٩ .

(٢٠) H.E.Haines. Living with books.2nd ed.New york: Columbia Univ . press 1960 . P.101

القدوة في مفهوم القائد

بثينة عبد الرحمن ياسين
رعد صالح الالوسي
كلية الاداب / الجامعة المستنصرية

المقدمة

شهد القطر العراقي، منذ قيام الثورة، العديد من التغييرات التأريخية على كافة الأصعدة السياسية والأقتصادية والأجتماعية، كان الهدف منها تبيان طبيعة النظام الثوري الذي يقوده الحزب. وقد نمت الممارسة الديمقراطية بشكل واسع مع تطور مسيرة الثورة وطبيعة المرحلة التي تمر فيها. وهذا يعني ان هذه الممارسات ينبغي ان لاتفهم على انها تمت بنمط واحد وبوسائل جامدة ومحددة لأنها بالضرورة ذات صيغ متدرجة ومتوازنة كي تؤمن الإستجابة مع الإعتبارات الموضوعية وضرورات الواقع، ويشكل الوعي الثوري والثقافة ضرورة لازمة للممارسة الديمقراطية وعلى هذا الأساس تنصرف هذه الدراسة لبيان الصيغة الديمقراطية الجديدة التي افرزتها مسيرة الثورة وعلى يد قائد الثورة في اعتماد مبدأ القدوة للطلبة بأعتبارهم الثروة الكبيرة التي في ضوئها تبنى اهداف المجتمع وتنفذ. وبالقدر الذي تكون فيه الفئة الطلابية فئة سليمة ومعافاة تكون الحركة الثورية خالية ومعافاة من تأثيرات، الأمراض المضادة ويبدو انه على هذا الأساس تم اعتماد مبدأ القدوة لأنضاج قادة جدد يرفدون الحركة الثورية بعناصر الأستمرار.

ان المضامين التي اعتمدها السيد الرئيس في حديثه الى طلاب اعدادية الكندي، كانت قد شكلت مؤشرات عمل ايجابية جديدة اغنت المضمون الثوري للممارسة الديمقراطية وخاصة في عملية الأنتخاب المبدئية والمبنية على اسس سليمة يخرج من خلالها اللبنات الأولى لقادة المستقبل لأستكمال المسيرة التي بدأت منذ عام ١٩٦٨ في بناء العراق الجديد.

مدخل :

تحضى الحركة الطلابية بمكانة بارزة في اغلب بلدان العالم ، خاصة تلك التي تعرضت منها الى الهيمنة الأستعمارية .وواقع الحال ان دور الحركة الطلابية هذا لايقف عند حدود مجتمع معين (اشتراكي– نامي– رأسمالي) وانما يتحدد بدلالة الأهداف التي تلتزمها الحركة الطلابية الى جانب الفصائل الثورية المناضلة الأخرى . وفي حدود وطننا العربي نجد ان الحركة الطلابية كانت قد امتلكت مقومات الوعي الذي رافق مسيرة النضال ضد الأستعمار. بعبارة اخرى ان هذه الحركة كانت قد اسهمت في عملية الإنتقال الى الوضع الأستقلالي للشعب العربي في كافة اقطاره،(وهكذا كان للطلبة تأثير فعال في مجمل النضال العام للشعب خصوصاً فترة النضال السلبي، تلك الفترة التي تتطلب بالدرجة الأولى، استعداداً للتضحية عبر مؤهلات انتحابية) (١). هذا الدور الذي بدأت تتمتع به الحركة الطلابية يأتي بعد التحول الذي طرأ في توعية الحركة نفسها فبعدما كانت هذه الحركة تتمثل في (اغلبية ساحقة من ابناء الطبقة البرجوازية التي عملت على استمـــرار هيمنتها على مؤسسات التعليم وخاصة في الفترة التي سبقت الحرب العالمية الثانية)(٢) . هذا التحول الذي بدا واضحاً من خلال الزيادة العددية الهائلة في عدد الطلاب والتي جاءت حصيلة للتطور التكنولوجي والواقع الذي بدأ يفرض نفسه في ضرورة التوجه نحو التعليم لسد احتياجات البلدان وتهيئة كوادرها ذاتياً .

وفي القطر العراقي نجد ان مسيرة الطلبة (حافلة بضروب النشاط الثوري المجيد ضمن المجرى العام للحركة الوطنية واهدافها في التحرر والأستقلال والتقدم الأجتماعي)(٣) . ومن هذا المنطلق نجد ان حزب البعث العربي الإشتراكي كان قد اولى الطلبة اهتماماً خاصاً وبشكل ملحوظ بعد نجاح ثورة الحزب في العراق في تخطي الكثير من المهمات الصعبة وبعد ان وضعت اللبنات الأساسية لمجتمع جديد وبدأت الخطوات المتلاحقة التي شكلت انجازات رائعة لصالح الطلبة .

من هنا تبدو الصيغة الديمقراطية الجديدة التي طرحها قائد العراق والتي تمثلت في اختيار القدوة ، تبدو، أكثر وضوحاً في عملية نمو المجتمع بشكله الصحيح .

مفهوم القدوة والعمق التاريخي :

لمفهوم القدوة مدلولات عميقة ومعان سامية في تراث امتنا العربية الضخم والمليء . بالقيم السامية، وعليه فقد ورد ذكرها والتأكيد عليها نظراً لأهميتها وقيمها الإنسانية في كل الأوقات والظروف وفي كل الرسالات السماوية ، كذلك في التقاليد والعادات والأعراف الأجتماعية وربما يمكن القول انه ليس هنالك مجتمع يخلو من العناصر التي استطاعت ان تكون لها دالتها على مسيرة المجتمع وعلى مسيرة ونضال الأفراد والجماعات ونخص هنا تلك الظروف التي خضعت بها المجتمعات الى نوع من التحول الأجتماعي الإقتصادي والثقافي، فمثل هذه التحولات تحتاج دائماً الى القادة الذين يؤطرون نضال الجماهير داخل المجتمع ويسيطرون على حركته بالشكل الذي يضمن لعموم المجتمع تحقيق الغايات المطلوبة من عملية التغيير وفي مجتمعنا العربي نجد ان لهذا المفهوم حضوراً متميزاً حيث برز قادة استطاعوا ان يغذوا حركة المجتمع وان يسهموا في بلورة الحضارة العربية للانسانية عامة . ولقد تجلى مفهوم القدوة بشكله الواضح خلال الرسالة الإسلامية التي مثلت خلاصة للقيم والمفاهيم الإيجابية التي كانت سائدة في المجتمع العربي(٤) وتعزز المعنى العظيم لهذا المفهوم عبر تقييم الرسول (ص) لأصحابه بقوله (اصحابي . كالنجوم فبهداهم اقتديتم اهتديتم) (٥). كما ورد ذكرها في القرآن الكريم اذ وصف الله سبحانه وتعالى الرسول (ص) بقوله: ولكم في رسول الله اسوة حسنة (٦) والأسوة بمعنى القدوة . وتعني المثل الرائع الذي نسير على نهجه ونقتدي بخطاه. كما انها تعني القيادة والقدرة الإبداعية للافراد والأمم على اعطاء الحياة كل ما من شانه ان يسهم في عملية التواصل على صعيد الأبتكار وتطوير الحياة وايجاد الحلول للمشاكل التي تطرحها.

القدوة والمجتمع :

لاريب في ان اغلب مجتمعات العالم كانت قد شهدت عبر مسيرتها العديد من القادة الذين كانت لهم دالتهم على حركة المجتمع.بعبارة اخرى يمكن القول مع الفيلسوف كارليل بأن تأريخ المجتمعات هو عبارة عن (مسيرة للابطال والعظماء وسجل لأعمالهم الأسطورية وبغيرهم ليس ثمة تأريخ) (٧) كذلك فإن(التاريخ العام تأريخ انجزه الإنسان

في هذا العالم. هو في اعماقه تأريخ الرجال من العظماء .. وهم المكيفون للامور وهم الأسوة والقدوة ، وهم المبدعون لكل ماوفق اليه اهل الدنيا) (٨) . مقولة كارليل هذه ، تشير الى مدى الترابط الذي يقوم بين القائد ومجتمعه فهذه العلاقة هي الدافع الأساس الذي يقف وراء عملية القيادة مضافاً اليها طبيعة الظروف التي حكمت تلك العلاقة .وتكتسب ظاهرة القدوة في المجتمع اهميتها خاصة في ميدان العلاقات الأجتماعية اذا ما علمنا ان المنطق الخاص لعلم الإجتماع يؤكد على ضرورة اجتماعية الفرد ، تلك الحقيقة التي أكدها روسو من قبل وفلاسفة كثيرون (فلا يوجد رجل كالجزيرة قائم بذاته، كل رجل هو جزء من الأمة) (٩) ذلك ان كل انسان هو ضمن وسط اجتماعي معين فهو ضمن الأسرة وهو ضمن المدرسة وهو ضمن الوطن وهكذا . اي ان الأنسان بحاجة دائمة الى وجود مشترك ولذلك فهو بحاجة الى مقومات الوجود التي تتجسد في ضرورة انسجام افعاله مع المجتمع .مع ذلك (فإن لكل فرد داخل المجتمع شخصيته وطموحاته ونشاطاته التي تميزه وتحدد كيانه وبالنظر لأختلاف شخصيات الأفراد وطموحاتهم ونشاطاتهم ، فقد تبنت المجتمعات منذ بدايتها الأولى نظاماً يحفظها من التفتت ويضمن تنمية مواهب افرادها وامكاناتهم الذاتية وتوجيه جهودهم الفردية داخل تيار جماعي يخدم الصالح العام للمجتمع) (١٠) وهذا يعني ان هنالك وضوحاً في حدود العلاقة التي تقوم بين القدوة والمجتمع متجسدة في الشكل الذي تتخذه طبيعة تلك العلاقة . والمهم ان المجتمع دائماً يسعى وباشكال متباينة الى تنظيم هذه العلاقة او بعبارة اصح الى تأطير هذه العلاقة بالشكل الذي يجعلها متأثرة بالجو العالم للمجتمع ومن هنا ينبع مفهوم القدوة فهي عملية تأثير وتأثر بين الفرد ومجتمعه تؤدي في النهاية الى استيعاب المثل والقيم الأجتماعية ومحاولة تجسيدها في شكل نماذج سلوكية متحركة داخل المجتمع .

وعليه فإن هذه العملية (التأثير والتأثر) تسهم في (تنظيم المجتمع وتطويره عبر التأكيد على الصفات الصحيحة ونبذ العادات السيئة) (١١) لأنها بشكل او بأخر سوف تؤدي الى بناء الإنسان بناءاً صحيحاً داخل المجتمع وبالتالي امتلاك مقومات الوعي الإيجابي الذي يدعو لحركة المجتمع. ومعروف ان اغلب المجتمعات اذا ماتركت لوعيها الذاتي فإنها

لاتستطيع ان تحرك نفسها أكثر من حدودها الانية. ولهذا نجد ان اغلبها وفي غياب وعي قيادي ملتزم قد وقعت اسيرة الأحباطات المتكررة. ومن هذه المرحلة بالتحديد نستطيع ان ندرك مدى الأهمية التي بدأت تحتلها الفصائل الطلابية المتقدمة بالوعي في اغلب بلدانها بحيث باتت تلعب الدور الفعال في عملية تنمية المهارات الثقافية لمجتمعاتها يساعدها على تجاوز سلبياتها وذلك من خلال القدرة على الحفاظ على السلوك الأجتماعي العام وفرض الشخصية من خلال هذا السلوك وهذا مافعلته الحركة الطلابية في الوطن العربي. لذلك كان لابد لقيادة الحزب والثورة ان تؤكد وبشكل مستمر على ضرورة التلازم في كل الأوقات بين القيادة والمجتمع وهكذا جاء تأكيد القائد صدام حسين على ضرورة تنمية القدوة القادة لمجتمعاتهم وبالذات من بين فصائل الحركة الطلابية بأعتبارها ركيزة متينة من ركائز الثورة والحزب ، وباعتبار ان تحديد القدوة للمجتمع يعتبر ضرورة بالغة تتطلبها طبيعة المرحلة النضالية التي يمر بها المجتمع العربي خاصة اذا ماعلمنا ان اغلب الظروف الصعبة التي مرت بها الأمة العربية كانت نتيجة لأفتقادها الى قيادات تستطيع انتشال المجتمع مماهو فيه .

واذا كانت البنى الأجتماعية والسياسية تعبر عن الوضع الأقتصادي القائم في المجتمع فان الثورة (ليست بالحدث الطاريء على التاريخ أوفجوة عفوية تفتح امام قوى تأريخية بل هي كل متكامل يؤدي الى تفجير الصراعات الأقتصادية والسياسية والأجتماعية والثقافية) (١٢) وبديهي ان لهذه الثورة ادواتها الواعية التي تستطيع ان تنجز ماتتطلبه عملية الثورة ذاتها . وهكذا يبدو واضحاً الدور الذي ينبغي ان يلعبه القدوة في عملية التغيير الأجتماعية المطلوبة .

صيرورة القدوة . الواجبات والهدف :

يعكف العلماء عامة وعلماء الإجتماع بوجه خاص على التأكيد على ضرورة العناية بالمواهب منذ الصغر بالشكل الذي يدفع الى ظهورها بحالة طبيعية فيما بعد وبالاطار الذي يكشف عن حداثتها وفائدتها للمجتمع ذلك ان القيادة (تتعزز وتتنمو منذ المراحل الأولى عن عمر الإنسان ومن النادر ان نجد شخصاً يتحول الى قائد بين عشية وضحاها) (١٣) .

المستوى الذي نتحدث عنه هنا هو شكل العلاقة التي تنمو بين القدوة وجماهيره . وفي اطار الوسط الطلابي ،هذه العلاقة التي لايمكن ان تكون وحيدة الجانب . فهي علاقة متميزة متبادلة يصقل من خلالها القدوة مواصفاته وتكتسب الجماهير من خلالها الثقة به بالوضع الذي يشكل فيه مثلا اعلى من خلال سلوكه الأنساني الملتـــزم بالواجبات ومن خلال المحبة والإعجاب بهذا السلوك (فالإنسان يظهر كثيراً مما في د اخله في سلوكه) (١٤)

والحال ان الحياة وكما يشير الرئيس صدام حسين هي(تدرج دائماً ولا يوجد اثناذ متساويان مع بعضهما ١٠٠٪) (١٥) ولذلك فإن صيرورة القدوة تعتمد اساساً على طبيعة المؤهلات اوالمواصفات التي يكتسبها القدوة في وسطه والتي تميزه عن الاخرين فالقيادة هي(اسلوب التعامل مع الاخرين بشكل مبدع وفاعل والتأثيربهم ايجابياً) (١٦) كما ان التعلق بقائد معين غير مقصود لذاته وانما التعلق بالمثل الذي يجسدها القدوة . وهذا الأخير يستطيع ان يمارس تأثيره على معاصريه (بطريقتين مختلفتين بشخصيته وبالفكرة التي يحامي عنها) (١٧) ومعروف ان ظاهرة التزاحم على موقع متقدم هي ظاهرة موجودة في كل المجتمعات .ولكن ماهو السبب الذي يجعل شخص معين يصل الى هذا الموقع اوذاك في قلوب الناس .

وفي الحقيقة ان طبيعة الواجبات التي يؤديها هذا الشخص القيادي ودرجة التزامه بقضايا الجماعة والتعبير عنها في شكل نماذج سلوكية هو الذي يجعله قريباً الى قلوبهم او لنقل من خلالها يستطيع انتزاع الأعجاب به والدلالة بأعماله. كذلك، فإن طبيعة الهـــدف وبالقدر الذي تكون فيه غايات الجماعة متعددة ومتنوعة،فإن القدرة على استيعابها من قبل شخص معين يدفع الى التمسك به .مضافاً الى ذلك فإن عملية تفهم(الحقوق والواجبات والقدرة على التمييز بينهما) (١٨) هي عملية دالة على قدرة الشخص القدوة على القيادة ضمن اطار وسطه الطلابي . واذا كانت (سلطة الثورة تختلف اختلافاً صميمياً وفي كل شيء عن السلطات الرجعية والمتخلفة) (١٩) إن المطلوب هو زيادة وتعميق الوعي الثوري باتجاه الفعل الثوري المتحقق وهذا يعني بالضرورة . خلق الأداة التي تنجز المهام التي تتطلبها

طبيعة المرحلة الثورية ولاريب في ان ذلك يتطلب معرفة المهام او الواجبات التي ينبغي الألتزام بها وصولا الى الهدف.

وحيث ان اغلب الحركات الثورية الأصيلة ، تحتوي على العناصر القيادية الأصيلة ولاجل ادامة التواصل الثوري . كان لابد من التأكيد على خلق العلاقة المتبادلة والطبيعية بين فصائل الثورة بالشكل الذي يرفد المسيرة دائماً بعناصر تستطيع الجماهير ان تركن اليها في صيرورة الفعل الثوري بالشكل الذي يجعلها تسقط حالة التمني الذاتي على القدوة الذي يجسدها في شكل حصانات مبدئية وطنية وقومية ووفق المواصفات التي حددها القائد للقدوة .

والخلاصة التي نتوصل اليها هنا ، ان مفهوم القدوة من حيث الصيرورة يتبلور في ذات المبادىء التي اعتمدها حزب البعث العربي الأشتراكي عندما يقرن مسألة التغيير بمبدأين رئيسيين هما الإنقلاب الذاتي والأنقلاب الموضوعي . الأول يتحقق على مستوى الذات والثاني يتحقق على مستوى الواقع. وهذا التزاوج في التحقيق ضروري فلا يمكن ان ينجز أحدهما دون الاخر . فالواجب والهدف يتبلور في عملية التغيير المطلوبة وضمن اطار الواقع وهذا مايؤشره مبدأ القدوة .

القدوة والمفهوم الجديد للديمقراطية :

ذكرنا ان القدوة يستطيع ان يؤثر على معاصريه بطريقتين هما الشخصية والفكر . وهذا يعني بالضرورة تحقيق عملية التغيير الذاتي والموضوعي. ذلك ان مفعولات الوعي الذاتي تعرفه بتناقضاته الداخلية وهذا ماينبغي ان يتحول الى معرفة واقعية وهو هنا يعمل على تغليب الجانب الثوري فيه بتحويل المعرفة او الوعي الى حالة ايجابية. والحالة ان القانون الأساس الذي يحكم محتوى الفكرة الخاصة بالقدوة مستند على نفس الأسس التي ترتبط بمفهوم الديمقراطية من حيث منطق العلاقة بين القدوة والجماهير الطلابية والمتجسدة في مستوى الثقة المتبادلة والتي اكتسبت معالمها الثابتة عبر التجربة المباشرة والمتواصلة بين القدوة وجماهيره وعلى اساس مساحة المبادىء والقيم مضافاً اليها شخصية القدوة ذاته. ونظراً لضرورة خضوع الجزء لصالح الكل،ولأن الجزء الجيد يساهم في صنع الكل الجيد

فإنه من الضروري خلق القدوة المؤمن باهدف وغايات الكل وهذا بالطبع يتحدد وفقاً لمفهوم الإيمان بشكل عام. ونوع الإيمان هنا يتحدد بدلالة ماأشار اليه السيد الرئيس من انه (يتكون من الفكر والممارسة ويستعين بالنموذج) (٢٠) فليس الفكر وحده ولا الممارسة وحدها كفيلة بخلق الإنسان القدوة وانما هي حالة النموذج المتحقق من الفكرة والممارسة . ولان الإيمان (يوفر طاقة كبرى امام الإنسان لاقتحام المصاعب وتذليل العقبات وصولا الى الهدف) (٢١). ومفهوم القدوة يطرح مسألة غاية في الأهمية في ضوء ماسبق تلك هي شكل التوافق الذي يتم بين الغاية الثورية والوسيلة الثورية وهي ديمقراطية جديدة تمنح للجماهير وبشكل مباشر حرية الأختيار وعلى اساس الضوابط المعلنة والمعروفة من تراه مناسباً للوقوف في مقدمة النضال الثوري لها. والجماهير هنا وحدها التي تستطيع ان تسحب الثقة بنفس الطريقة التي منحت بها للقدوة . ان ذلك يعني ابقاء صيغة التفاعل الديمقراطي المستمر وبشكله الموضوعي وبما يوفر الضمانة للحفاظ على الأهداف .

وخلاصة القول، ان الطلبة ، وبالقدر الذي امتلكوا فيه مكانة خاصة في فكر ومسيرة الثورة . وبحكم الصفتين المتلازمتين والمتوفرة في الطلبة والتي هي (الشباب والثقافة) . فإنهم باتوا يتمتعون بدورهام بأعتبارها الوسيلة الثورية في عملية التغيير وقد اشار السيد الرئيس الى هذه الأهمية عندما وصف الطلبة بأنهم(الجهاز الذيصنع الثورة) (٢٢). وعليه ينبغي لهذا الجهاز ان يستمر في توفير مستلزمات الثورة والنضال .

بكلمه اوضح نستطيع القول ان مبدأ القدوة يؤكد على ديمومة العناصر الثورية المانحة ذواتها من اجل الثورة والجماهير .

القدوة في منظور القائد صدام حسين :

لقد أولى الحزب منذ نشأته اهتماماً كبيراً وعناية خاصة بالشباب لأنهم اهل تحمل المسؤولية التأريخية في المستقبل ومن هذا المنطلق فقد عاق الحزب على الشباب أملا كبيراً بأعتبارهم العنصر الأساس في طريق الثورة . فالحزب ينظر الى الشباب نظرة خاصة ملؤها الإيمان بقدرة هؤلاء الشباب على العطاء والتضحية بأعتبارهم يمتلكون استعداداً. أكثر من غيرهم لعملية التكيف والتطور والأبداع .(٢٣)

ولعل هذا ماأكده السيد الرئيس لدى لقائه مع طلبة اعدادية الكندي بتأريخ ٢٣ /١٢ /١٩٨٧ حيث ارسى معالم وصفات القدوة فهي تعني خلق المعالم العظيمة والصفات المتسامية واكتشافها وتنميتها لدى انسان الثورة وبيان اهميتها وتأثيرها المحيطي في الوسط الذي تنمو فيه . وبكلمة أوضح فإن مفهوم القدوة يعني خلق القادة التأريخيين الذين يتحملون المسؤولية في حمل اعباء الرسالة الخالدة . كما انها تعني تعلم فنون القيادة الصحيحة والسليمة التي تعتمد على هدف محدد وموقف اجتماعي يتفاعل فيه القائد ومجتمعه. والقدوة هو التجسيد للخصائص القيادية بهيئة نماذج سلوكية تتطابق وطبيعة المسؤولية التي ينهض بها القائد وهي :

١ — القدرة على توضيح الهدف وتعميقه في حياة الاخرين .

٢ — القدرة على استقراء الأحداث والتنبؤ بالنتائج واتخاذ القرار المناسب.

٣ — القدرة على ارساء الصفات الأخلاقية التي تتمثل بالصدق والصراحة والإخلاص والحرص والعفة والتجرد .

٤ — القدرة على ارساء الصفات المكتسبة التي تنمو بالتجربة وسعة الإطلاع وامتلاك المعرفة وتنمية الموهبة وحدة الذكاء والإستفادة من نضج الحياة والدراسة المستمرة (٢٤).

عليه فقد أولت القيادة اهتماماً كبيراً في ارساء . هذه التجربة في كافة الميادين . اذ حرص القائد على تكريم المتميزين وتفضيلهم على غيرهم لأنهم يمثلون الصورة المثلى في الحياة ويكونوا قدوة لغيرهم .

وتبرز اهمية القدوة اوحالة التميز بشكل اعمق بوصفها ظاهرة حضارية متقدمـــة في ظل ظروف الحرب التي فرضها علينا اعداء الأمة .

فكانت حكمة القائد وشجاعته النادرة على ادارة الحرب وكأنها قائمة بشكل مست ر، ودفة السلام وكأنها حالة مطلوبة من اجل الحياة لعز وكرامة امتنا بابراز حالة جديدة الا

وهي التمييز في المعركة ضد عدو شرس اوفي البناء الداخلي. ان تكريم القائد للمتميزين بشجاعتهم له أكثر من معنى .ومعناه الأعم هو ان يكون جميع المقاتلين حالة واحدة لهم في رفاقهم دالة في الدفاع عن العراق انطلاقاً من مقولة الرئيس القائد في(ان الجميع يبدؤن في خط الشروع الواحد، الا ان النهايات تختلف) (٢٥). فحالة النهوض لايمكن ان تبدأ الا اذا تهيأت لها الظروف الموضوعية لانجاحها. كما ان مفهوم النهوض معنى مجرد لايدرك مالم يتحقق واقعاً وافعالا حية وممارسات مشهودة ولقد تجلى ذلك المفهوم في القيادة التأريخية والصورة المثلى للسيد الرئيس وتلخصت في الممارسة التفصيلية وتوجيهاته السديدة وممارساته البناءة ونظراته العملية العميقة اثر بعيد المدى في اغنـــاء الايديولوجية العربية الثورية والحياة العربية بشكل عام «٢٦» .



مصادر البحث

١ — غازي فيصل.الحركة الطلابية الى امام.دار الحرية للطباعة، بغداد ١٩٧٤. ص٦

٢ — نفس المصدر.ص ٣٠

٣— نفس المصدر.ص٤٩

٤— د. الياس فرح . مقدمة في دراسة المجتمع العربي. دار الشؤون الثقافية العامة. بغداد ١٩٨٧. ص ص٤١—٤٨. كذلك انظر د. رشيد حميد الجميلي . تأريخ الدولة العربية الإسلامية، مطبعة بغداد ط٢ سنة ١٩٨٦. ص٢١٨

٥ — حديث نبوي شريف .

٦ — معجم الوسيط (قدو). التاج (ق.د.و) اللسان قدا.

٧ — توماس كارليل. الأبطال .دار الكاتب العربي . ترجمة محمد السباعي، الطبعة والسنة بلا. ص ١٥. /

٨ — توماس كارليل . نفس المصدر . ص١٥

٩ — د. الياس فرح منطلقات ومفاهيم اساسية. ط١. ١٩٨١. ص ٣٢

١٠ — جعفر حسن حياوي. القيادة في مفهوم حزب البعث العربي الأشتراكي. رسالة ماجستير غير منشورة. ص٣٢

١١ — وزارة التعليم العالي والبحث العلمي .نشرة خاصة عن القدوة بمناسبة يوم القدوة ١٩٨٨/١٢/٢٣. بلا ترقيم.

١٢ — غازي فيصل. الحركة الطلابية الى امام. المصدر السابق ص ١٣

١٣ — الأتحاد الوطني لطلبة وشباب العراق . السلسلة الثقافية . القدوة المبادىء والمضامين. ص٤٢.

١٤ — صدام حسين. حديث في اعدادية الكندي بتأريخ ١٩٨٧/١٢/٢٣ .

١٥ — صدام حسين. نفس المصدر .

١٦ ــ القدوة. المبادىء والمضامين. المصدر السابق . ص٤٣

١٧ ــ جعفر حسن حياوي. القيادة في مفهوم الحزب. المصدر السابق ص ١٩٠

١٨ ــ غازي فيصل. الحركة الطلابية الى امام. المصدر السابق . ص٨

١٩ ــ الثورة العربية. الدور القيادي للمناضل البعثي. العدد الثاني .السنة الحادية عشرة . ــ شباط ١٩٧٩. ص٧٨

(٢٠) صدام حسين. بالفكر والممارسة والنموذج يتحقق الإيمان. حديث في فرع بغ داد للحزب بتأريخ ١٩٧٩/٧/٢٨. ص٤٨

٢١ ــ قحطان احمد سليمان: نظرية العمل في فكر الرئيس القائد صدام حسين. الموسوعة الصغيرة. دار الشؤون الثقافية العامة. ص١٨.

٢٢ ــ صدام حسين. حديث امام المؤتمر الحادي عشر للاتحاد الوطني لطلبة العراق في ١٩٧٩/٣/٦. دار الحرية للطباعة .بغداد . ص١٠

٢٣ ــ حزب البعث: المنهاج الثقافي المركزي للاعضاء .. حديث للرئيس القائد صدام حسين. نكسب الشباب لنضمن المستقبل بتأريخ ١٩٧٦.حـ١. ط١ ، بغداد ١٩٧٩. ص٥٢٠ .

٢٤ ــ حامد احمد الورد . القائد والقائد المتميز . المكتبة الوطنية . بغداد ١٩٧٦ . ص١٤ كذلك انظر فتوح ابو العزم وفارس خليل وهبة .القيادة والتخطيط الأشتراكي . دار الثقافة العربية، القاهرة ط١ ١٩٦٦. ص١٧ .

٢٥ ــ حامد احمد الورد. المصدر السابق . ص ص١٦ــ١٨ كذلك انظر اللاورد مونتغمري. السبيل الى القيادة . ترجمة العميد الركن حسن مصطفى. منشورات دار الطليعة بيروت. ط١. ١٩٦٦. ص١٧.

الثقافة واثرها في بناء الشخصية الانسانية

محمد احمد السامرائي
كلية الآداب — الجامعة المستنصرية

المقدمة :

في خضم هذا النتاج الثقافي الكبير والهائل في العالم، يقف الانسان امامه ليحدد الطريقة والوسيلة لكيفية التعامل معه بما يحقق اغناء لفكره وبناء لشخصيته الانسانية .

لذا فان هدف البحث هذا هو ان يكون دليلا للقارىء العربي يعينه في استيعاب ثقافات العالم بما يعزز بناء شخصيته الثقافية وفق طموحات الامة العربية وخصوصيتها، ويحصنه تجاه كل المؤثرات الفكرية التي تبعد الانسان العربي عن امته وتاريخه وحضارته العريقة لكي تصبح ثقافة الانسان العربي في خدمة منهج الامة العربية(المنهج العلمي الجدلي التاريخي) واغنائه باتجاه تحقيق اهدافها القومية.

ونظراً لكون الثقافة من العمليات الصعبة وان اغنائها يحتاج الى قدر من التفاعل الانساني الثوري والتعامل العلمي مع الافكار والمعارف التي تطرحها الثقافات في العالم لذا فان عملية التمثل الثقافي والارتقاء الى مستوى الخلق والابداع الثقافي تستوجب الاطلاع على انماط الثقافات في العالم والوسائل الحديثة التي تسهم في التأثير الثقافي وبيان المواقف السلبية والايجابية لها .

وهذا ماهدف اليه البحث من ان يكون عملية تحصين للقارىء العربي تجاه الثقافات المتنوعة ووسائلها الكبيرة المنتشرة في هذا العالم بما يخدم بناء ثقافته وشخصيته العربية الحضارية ويجعله قادرا على الاسهام الايجابي ضمن حركة الامة العربية وتطلعاتها القومية.

ومع كون ان هذه الدراسة وما احتوته قد تكون بعض مفرداتها متناولة من قبل العديد من الباحثين الا ان الجديد في هذه الدراسة هو انها استطاعت ان توفر للقارىء العربي مادة متواضعة يمكن من خلالها ان يرسم الطريق السليم في عملية التثقيف الذاتي والتعامل الصائب مع الافكار والمفاهيم والتفاعل الحي معها. اي ان الجديد في هذه الدراسة انها تساعد الانسان العربي في تكوين موقف نقدي تجاه الثقافات الأخرى بما يخدم منهج الامة العربية وتطلعاتها القومية المشروعة.

المبحث الاول

الثقافة : اهميتها وانواعها

معنى الثقافة :

اذا كانت كلمة (ثقافة) قد استخدمت للدلالة على عملية «تنمية الافكار داخل الشخصية الانسانية» (١) فقد حضيت الثقافة بتعريفات متعددة: فيعرفها ريتشار ماكيون بكونها (انماط ناشئة عن تطور تاريخي ومن ناحية اخرى كمجموعة من العادات يعترف بكونها مقبولة في جماعة معينة كما يمكن متابعة آثارها في كل دوائر النشاط الانساني كالسياسة والحقوق والفن والدين والمعرفة والعقلية بمختلف صورها»(٢) .

ويحاول ماك كون تعريف الثقافة بقوله (يمكننا تعريف الثقافة من وجهين : فهي من ناحية تراث اتى عن تطور تاريخي ومن ناحية ثانية مجموعة من العادات يقدسها مجتمع ما (٣) .

اضافة الى ماتقدم فان للثقافة معنيان (٤): الثقافة بالمعنى الخاص هي (تنمية معظم الملكات العقلية او تسوية بعض الوظائف البدنية ومنها تثقيف العقل وتثقيف البدن ومنها الثقافة الرياضية والثقافة الادبية او الفلسفية) .

والثقافة بالمعنى العام هي (مايتصف به الرجل الحاذق المتعلم من ذوق وحس انتقادي وحكم صحيح او هي التربية التي ادت الى اكسابه هذه الصفات ».

والثقافة ذات صلة حية بالحياة تتفاعل معها وتؤثر فيها لان «الثقافة ليست مطلقا بل هي ساحة نضال واداة تغيير وموقف حي من المشكلات الكبرى التي تطرحها التحديات المصيرية على الشخصية الفردية والقومية» (٥).

لذا فان للثقافة صلة كبيرة بالشخصية الانسانية تؤثر فيها وتعمل على بنائها سواء كانت تلك الشخصية تتمثل في الانسان او الامة حيث ان حدود شخصية الانسان هي تماما حدود شخصية الامة لان «الانسان هو الشخص الذي يستوعب حقيقة ذاته وحقيقة مجتمعه وامته والمرحلة التاريخية الراهنة للتطور الانساني » (٦) .

اما الشخصية فهي الأخرى فقد حضيت بتعريفات عديدة: (٧) فهي كما يقول شرمان «السلوك المميز للفرد» اوكما يقول برون هي «تلك الميول الثابتة عند الفرد التي تنظم عملية التوافق بينه وبين البيئة » او كما عبر عنها روكسرود «عبارة عن التوازن بين السمات التي يتقبلها المجتمع والسمات التي لايتقبلها» او كما افصح عنها روبنشتاين «بانها ذلك المجموع المتكامل المترابط للاشتراطات الداخلية الممتزجة بواسطة كل المؤثرات الخارجية » (٨).

اما الشخصية المتكاملة بشكل عام فهي تلك « الشخصية القادرة على تكييف ذاتها والمتميزة بوحدة اتجاهاتها، بحيث تكون جميع استجاباتها الجزئية متفقة مع اهدافها العامة بحيث تكون العوامل المادية والاجتماعية والروحية والعاطفية والاخلاقية المؤثرة فيها متعاونة على تحقيق تكيفها العام» (٩) .

ولكي تصل الشخصية الى هذا المستوى المتكامل يجب ان يخضع تطورها الى برنامج موجه قادر على بنائها وانضاجها. فتطور الشخصية هو صراع مستمر في سبيل مستقبلها حيث تتم عملية التطوير تلك «من خلال التفاعل الايجابي للفرد الموجه تربويا بوساطة المجتمع مع ظروفه الحياتية» (١٠)

فعملية تطوير الشخصية عملية دياليكتيكية لان الانسانية مسيرة تقدمية وقد شبهها الفيلسوف باسكال «انسان يعيش دائماً ويتعلم باستمرار» (١١).

وفي ضوء هذه التعريفات العديدة للشخصية وفاعلية العديد من العوامل المؤثرة في بنائها تبقى الثقافة تشكل الجانب الاساسي في تطورها لانها «مسؤولة عن الجزء الاكبر عن محتوى الشخصية وعن طريقة تنظيم محتوى الشخصية والعلاقة بينهما ذات طابع ديناميكي فالفرد يبدأ بتبني معايير الثقافة ثم يتصرف في مرحلة ثانية تصرفاً معاكساً ثم يعدل فيها .. وهكذا تصبح جزاء من عملية تطوير الشخصية » (١٢)

وإذا كانت الثقافة تسهم في بناء تلك الشخصية للوصول الى تحقيق الانسان المثقف فيتطلب منا التمييز بين « النموذج التقليدي الذي يعمل في قطاع الثقافة وكأنه مستقل عن الحياة الاجتماعية وبين المثقف العضوي الذي يربط بين مضمون عمله الثقافي وبين حركة المجتمع وصيرورته التاريخية»(١٣) لتمكنا من ادراك العلاقة الثورية بين الثقافة والشخصية القومية ودورها في بناء الشخصية الانسانية .

وبما ان الثقافة تختلف باختلاف المجتمعات والامم فان لكل مجتمع ثقافته الخاصة ولكل امة ثقافتها المعبرة على شخصيتها .

فالامة العربية مثلا تتميز ثقافتها بانها ثقافة عربية فيها بعد تراثي وبعد راهن وبعد مستقبلي اي ان الثقافة العربية هي «تعبير عن شخصية تنمو وتتفتح وتتجدد وتبدع والشخصية العربية هي وعي متزايد وموقف حيوي من مشكلات الامة» (١٤) .

ومن هنا تبدو اهمية الثقافة بالنسبة للامة لان «الثقافة للامة كالشخصية للفرد وان للامة شخصيتها الثقافية كما للفرد شخصيته التي يتميز بها» (١٥).

ولما كانت الثقافة هي شخصية فكرية فمن المحتمل ان تصاب هذه الشخصية بحالات الاغتراب اذا ماعلمنا ان انساننا اليوم اصبح محاطا بانواع شتى من التأثيرات الثقافية بعضها عفوي وبعضها مصطنع ، وللمحافظة على الشخصية العربية وتحصينها من هذه التأثيرات لابد ان تكون نقطة الانطلاق هي في «خلق المناعة الثقافية وتكوين الحس النقدي جنبا الى جنب مع الانفتاح الثقافي الاصيل المرتكز الى وعي قومي يستمد من التراث القومي في الماضي ومن المجابهة الدائمة للتحديات الراهنة مادته لبناء ثقافة معبرة عن شخصية الامة وجعل هذه الشخصية بمستوى القدرة على تحقيق تحول تاريخي في حياة الانسانية»(١٦).

ومن هنا كانت الضرورة التاريخية الى الثقافة القومية في الثقافة العربية كتعبير حي عن حقيقة الامة وروحها ، فكانت ثورة في الثقافة العربية ثورة جديدة لها ابعاد حضارية وقومية واجتماعية وفكرية جديدة.

ومن اجل الالمام بالثقافة لابد من تناول ابرز المناهج في فهمها:(١٧) .

١ — المنهج التأملي: يعتبر الثقافة هي الوعي . والنظرة والمفاهيم والمعرفة هي جملة تصورات منسجمة .

٢ — المنهج الاختياري او التجريبي: يرى علاقة الثقافة بالواقع وبالمعاناة العملية المباشرة.

٣ — المنهج التكويني منهج علمي ثوري شمولي ينظر الى الثقافة كما ينظر الى الكائنات الحية اي الى عملية ولادة الثقافة.

امام هذه المناهج حدد البحث موقفه العلمي تجاهها، فهو لم ينطلق من التأمل النظري ولا من المنهج الاختياري، فهو لم يبدأ مدرسة فكرية لأنه لو بدأ لبقي تياراً فكرياً، ولو

انطلق من التجريبية من رفض الاطار النظري والاكتفاء بالمعاناة العملية اي باستخلاص النتائج النظرية للنضال او معاناة الواقع لكان مليئاً بالمتناقضات التي لايستطيع ان يكوّن خلالها حركة تاريخية لانها تمتص كل جهوده .

لكن البحث انطلق من الفعل الذي يتضمن تركيبا للجانبين التأملي والتطبيقي لذلك فالثقافة ليست مجرد معرفة وحصيلة خبرة بل هو موقف فعل، هذا الموقف هو نظري وعملي من الحياة القومية الحياة بمعناها المشخص الحي .. وهو الذي يجعل الفكر البعثي في الثقافة القومية هو نتاج لفعل نضالي يتضمن تطورا اوليا يمتحن بالتجربة والنضال ويتغذى منها باستمرار، التطور، التجاوز، الاغتناء هو حرية هذا الفكر. (١٨) حيث ان للحياة قوانين الا أن الفرق بينها وبين القوانين الطبيعية هو ان «قوانين الطبيعة تستكشف مرة واحدة وقوانين الحياة يجب على كل فرد ان يستكشفها في حياته من جديد»(١٩).

لقد كان لمميزات الفكر التكويني اثر في تحديد منهاجه المتجدد بوحدة الايديولوجية والستراتيجية والتكتيك. اذن ما هو المنهج الفكري للبعث ؟ وكيف تعامل هذا المنهج مع الثقافة؟

فكر البعث فكر ثوري جديد يتمتع بقوة تاريخية وبقدرة على مواجهة التحديات المصيرية والانتصار عليها لانه «فكر علمي يتجه نحو العمل. وهو فكر تاريخي يمتلك نوعاً من البصيرة التاريخية النافذة. وهو فكر جدلي انقلابي مستوعب لمعنى الثورة الشاملة في المجتمع العربي وهو بامتلاكه لهذه السمات فقد تكاملت فيه صفة الفكر الانبعاثي»(٢٠). لذا فان الثقافة حسب منهج البعث « تعبيرا حيا ووجودا فاعلا لايمكن ان يتقلص عند حدود التعريفات النظرية الجامدة كما انها اي الثقافة تشكل روح الحضارة واهم الاسس التي تقوم عليها الايديولوجية» (٢١) .

ان منهج البعث مكن الأنسان العربي ان يفهم الثقافة على انها الموقف النظري والعملي من الحياة والذي يدفعه الى اتخاذ جملة من المواقف الاساسية التي تحدد معنى وجوده وحياته ونضاله وانسانيته وهي : (٢٢)

١ — المراجعة النقدية الشاملة لمكوناته الثقافية الموروثة من مرحلة الانحطاط السلبية المشوهة للشخصية العربية.

٢ ــ تخطي الانقطاع الحضاري وتجديد الصلة بالتراث الحي للامة والارتفاع الى المستوى النضالي الروحي الذي يحقق الانقلاب على الذات ويبعث الشخصية ويشق طريق التحول الشامل في الحياة العربية.

٣ ــ تحديد الاهداف التاريخية للمرحلة القومية في ضوء التحليل العلمي الجدلي التاريخي للتناقضات الاساسية للمجتمع العربي وواقع العصر وثقافاته وحضارته.

٤ ــ انضاج المنظور الحضاري الانبعاثي الجديد للنهضة العربية المعاصرة في ظل الازمة الحضارية للعالم المعاصر.

إذن الثقافة المطلوبة هي «استلهام الايديولوجية العربية الثورية واستلهام تراث امتنا الحضاري التقدمي المتمثل بحركة التطور والثورة والاطلاع على حركة الثورة في الوطن العربي والعالم وكذلك الاطلاع على حركة التقدم والاختراع في كافة المجالات» (٢٣).

ومن هنا فأن موقف الانسان العربي من الثقافة موقفه امام مصير امته فهي « مكلفة ببعث الشخصية القومية من جديد فهو يجد فيها عامل انقلابه على ذاته وشرط انسجامه مع حقيقة الامة وانفصاله عن رواسب الانحطاط» (٢٤) لان الثقافة العربية اليوم هي عنوان لشخصية الامة العربية وهي تخوض معركة انبعاثها من جديد.

اهمية الثقافة :

تبرز الحاجة الى الثقافة والاهتمام بها لكون الثقافة بوجه عام سمة من سمات العصر الذي نعيشه والذي يطلق عليه بانه «عصر الثقافات والايديولوجيات» وهي صفة تعبر عن تصاعد اهتمام العالم على اختلاف انظمته وحركاته ومنظماته بالعملية الثقافية.

ولايمكن للمرء ان يرتقي بمستواه الثقافي للوصول الى «المثقف الثوري» الا من خلال ادراكه لاهمية الثقافة في حياة الفرد والمجتمع والامة . وان يدرك ايضاً ان (دور الثقافة العربية في المجتمع العربي الراهن يبدأ من نقطة انطلاق اساسية هي ان ترتبط هذه الثقافة بالنضال وان يصبح لسلاح الكلمة موقع يتفوق على جميع الاسلحة الأخرى) (٢٥) ان اهمية الثقافة في حياة الفرد والامة يمكن اجمالها على النحو التالي :

١ — ان الثقافة تمثل دليلاً اصيلاً للالتحام بروح العصر وسلاحاً بيد الجماهير الكادحة المناضلة ونوعاً من النضال بالنسبة الى المثقف لكي يتعب في تحصيل المعرفة ولكي يجرؤ على تبديل الاسس السطحية في الفكر الشاسع ويعيد النظر في كل الامور الاساسية حتى يصل الى النظرة الجديدة» (٢٦) .

٢ — تمثل الثقافة رابطة متقدمة في المجتمعات (فرابطة الثقافة هي اعلى الروابط واعمقها لان العصر الذي نعيش فيه هو عصر الثقافات والايديولوجيات) (٢٧) ويتم ذلك من خلال تحقيق الثقافة الجماهيرية والتي تعني (خلق مثقفين متجانسين في بنيتهم الاجتماعية والفكرية) (٢٨) .

٣ — ان الثقافة الثورية تسلح المناضلين بالتفاؤل العلمي في وجه الصعوبات ، وبالقدرة على نشر وايضاح افكار الحزب بين الجماهير فضلاً عن انها تزوده بمهارة خاصة في تشخيص اساليب التخريب والتآمر الرجعية وفضحها ، وبامكانية ربط العمل اليومي في المجال المعين بالنشاط الثوري العام في القطر والوطن العربي) (٢٩) .

٤ — ان الاهتمام بالثقافة الثورية يعني الحرص على مباديء الحزب وقيمه وتقاليده كما اكد ذلك الرفيق القائد المناضل صدام حسين في قوله (عندما نركز على اهمية الثقافة الثورية للبعثي وضرورة تطوير نفسه واطلاعه على مجريات التطور العلمي والتقني واستيعابه لهذا التطور وامتلاك قدرة التأثير الفاعلة فيه انما نحرص في ذلك على الحزب وعلى مبادئه وقيمه واخلاقيته وتقاليده) (٣٠) .

٥ — تبرز اهمية الثقافة في تعزيز دور الانسان الثوري لتعميق النظرية واسهاماته في الاضافات الجديدة لها ، فقد اكد الرفيق القائد (ليس المطلوب استخدام النظرية استخداماً صحيحاً فقط وانما المطلوب بالاضافة الى ذلك تعميق النظرية والاضافة اليها اضافة جديدة وجدية مستمرة ومتطورة) (٣١) .

٦ — ان الثقافة صفة من صفات القيادي لان (القائد شخص مميز لايرى الاشياء بمعزل عما حوله ولا يرى نفسه في المرآة فقط وانما يرى الجزء ضمن الكل والصورة ضمن الاطار العام لها ومكوناتها . فاذا لم يكن مثقفاً لن يحافظ على

تلك الصورة المرسومة في اذهان الجماهير) (٣٢) بل ان عدم المامه بحركة المجتمع الكلية بشكل عام وحركة العالم من حوله سيجعله ذلك عرضة للنقد.

٧ — ان الثقافة تمكن الانسان من فهمه لقانون الحوار الحضاري حيث ان (الشروط الصحيحة لنمو الفكرة تتركز في النضال وفي التفاعل والحوار والنقد والنقد الذاتي وفي جعل الفكرة اخلاقية في منطقها ومنطلقاتها قائمة على الالتزام بالحقيقة). (٣٣)

٨ — ان احدى الاهداف الرئيسية التي تبغي وتعمل على تحقيقها اية سياسة ثقافية واعلامية هي خلق الظروف المواتية لازدهار كل اشكال الابداع وتنمية الاستعدادات والمواهب والمبادرات الفردية والجماعية . فالابداع يكمن عند كل كائن بشري وهو القوة التي تدفعه الى البحث عن تحقيق ذاته عبر اي نشاط اياً كانت طبيعته . لذلك فان الابداع هو المثل الاعلى الذي تنزع اليه كل ثقافة باعتباره اكثر اساليب الحياة انسانية) . (٣٤)

انواع الثقافة :

لكي نحقق قدراً من التعامل الموضوعي مع الثقافة يتطلب منا ان نفهم خصائص العصر وميزاته فهماً حضارياً وفق المنطلقات العلمية التي حددها البعث وعلى النحو التالي :

١ — فهم تاريخ الثورات المعاصرة .

٢ — فهم المسألة الحضارية اي تطور الحضارة /العلم/ الصناعة / التكنولوجيا .

٣ — فهم التحولات الكبرى في الفكر العالمي الاشتراكي والليبرالي وخاصة انتقال الفكر البشري من اللاهوت الى الفلسفة الى العلم الى الايديولوجيا والفهم الثوري للايديولوجيا (*) .

٤ — فهم تطور العلوم والعلوم الانسانية والثورات في العلوم الفيزيائية .

٥ — فهم تطور الانظمة الرأسمالية والاشتراكية وازمة هذا التطور .

(*) للمزيد من المعلومات عن مراحل تطور الفكر البشري ، انظر كتاب حول ايديولوجية الثورة العربية للدكتور الياس فرح ، ص ١٨

٦ـ فهم عالم ما بعد الحرب العالمية الثانية وأزمة الحضارة الغربية .

٧ ـ فهم التحديات الداخلية والخارجية التي تواجه الامة العربية (٣٥) .

ومع وجود الميل والرغبة للاستزادة من الثقافة لابد من الاخذ بنظر الاعتبار حدوث بعض السقطات الفكرية أثناء العملية الثقافية ، ولكي نبحثها لابد من الاشارة الى بعضها : (٣٦)

١ ـ التأثر بالايديولوجيات والافكار البرجوازية والرجعية .

٢ ـ النقل الببغاوي للخبرات والموضوعات الفكرية التي طرحتها التجارب الثورية المتقدمة بدافع الفهم الثقافي ونتيجة الاحساس بالحاجة الى اجوبة على بعض التساؤلات الفكرية التي تجابهنا .

٣ ـ عدم التعامل الايجابي والموضوعي مع تراث الامة العربية .

٤ ـ التشوش والخلط نتيجة عدم تنظيم وبرمجة القراءة .

ولكي نحقق بناءاً ثقافياً سليماً من خلال اطلاعنا على انواع الثقافات يتطلب منا تجنب الاخطاء الفكرية التالية : (٣٧)

١ ـ سوء تفسير النصوص وسوء الاجتهاد فيها او في شرحها نتيجة لسوء فهمها او استيعابها .

٢ ـ الانقياد للنصوص انقياداً حرفياً لاواعياً والتشبث بها تشبثاً دوغمائياً .

٣ ـ الارتجال السهل (السطحي) مع النصوص دون الغوص فيها .

٤ ـ تجريد النصوص من قيمتها التطبيقية والموضوعية وعزلها عن ظروفها الزمانية والمكانية .

وفي ضوء ماتقدم يمكن تناول ابرز انواع الثقافة التي يمكن للمرء الاطلاع عليها :

١ ـ الثقافة الحزبية والتنظيمية :

تعني الثقافة الحزبية هي تلك الثقافة المتمثلة في ايديولوجيات الاحزاب والحركات السياسية في الوطن العربي والعالم .

ولما كان لكل تجربة في العالم خصوصيتها ومميزة عما يحيطها من تجارب لذا فان فكرها اصبح متميزاً ايضاً ، ومن هذا المنطلق تمكن البعث من التعامل الثوري مع هذه الافكار فهو لم يكن (مدرسة فلسفية همها التوصل للحقيقة وتكوين المعرفة المجردة عن كل شيء في الحياة والكون ،بل هو منظمة شعبية ثورية تريد تغيير الواقع العربي شطر التوحد والاشتراكية والحرية) (٣٨) .

اي ان الثقافة الحزبية ثقافة حية متجددة ومنفتحة تجسد تطبيق العلم النظري على المستلزمات النضالية التي تجابه الحزب .

وبما ان حزب البعث العربي الاشتراكي هو قائداً للمسيرة فلا بد من الالمام الدقيق بالثقافة الحزبية لمعرفة برامج الحزب وسياساته ومنهاجه ومتطلبات نضاله اليومي لان (الثقافة الحزبية لاتعني مجرد القراءة والحفظ وترديد الشعارات لانها حصيلة للموقف النضالي الثوري ، انها ثمرة لاقتران الفكر بالعمل الثوري) (٣٩) .

اما الثقافة التنظيمية فهي الثقافة التي تتطلب وعياً لمهمة الحزب ولبرنامجه ولتركيبة الحزب التنظيمية ولعلاقة الحزبي بمنظمته وعلاقة منظمته بمنظمات الحزب وعلاقة القاعدة بالقيادات والقيادات العليا بالدنيا وكذلك التعرف على الهوية القومية للحزب والتي تميزه عن سائر الاحزاب العربية بتنظيم قومي شامل (٤٠) .

واذا كانت قوة التنظيم تتوقف الى حد بعيد على الوحدة الفكرية للحزب فان الثقافة التنظيمية تمنح الحزب صفة الصيرورة والديمومة . لذا فان الالمام بالمنطلقات الاساسية للثقافة التنظيمية تدعم نضال الانسان وتمكنه من نقل تقاليد الحزب الى مجالات عمله وممارساته اليومية .

٢ ـ الثقافة الجماهيرية :

هي : ثقافة شعبية متفاعلة مع قضايا الشعب الحيوية اليومية والاجتماعية . اي ان يكون لها مضمون واقعي مرتبط بالمشاكل العمالية والفلاحية ، بمشاكل القرية والحي والمصنع والمدرسة وان تقترن بمعرفة لاساليب العمل الشعبي) (٤١) .

فالمام المرء بهذه الثقافة تجعله اكثر قرباً من الجماهير وقادراً اكثر عن التعبير عن اهدافها وتطلعاتها المستقبلية . لان الثقافة الجماهيرية في العالم الثالث والمجتمع العربي بشكل خاص تعبر عن قضية هي قضية تغيير الواقع الجماهيري وفق منظور حضاري جديد .

إذن فمفهوم الثقافة الجماهيرية(مفهوم متعدد الابعاد فهو مفهوم نضالي بقدر ماهو مفهوم ثقافي وحضاري وهو مفهوم مرتبط بمهمة تاريخية لاتكتفي بضخ المعرفة ولا تتوقف عند حدود توسيعها او تعميقها بل تتجاوز ذلك الى تحديد اسس المعرفة والى تكوين البنية العلمية والحضارية للفكر والى تجديد الصلة الحية بالتراث وتحقيق التوازن في الشخصية وتأهيل الجماهير الواسعة لدور قيادي في نهضة الامة) (٤٢) .

٣ ــ الثقافة السياسية :

ان الالمام بالثقافة السياسية اصبح ضرورة اساسية للانسان العربي في بناء الشخصية الثقافية وخلق المثقف الثوري. ويتحقق ذلك من خلال استيعاب الانسان العربي للواقع السياسي في العالم واطلاعه على مختلف الانظمة السياسية السائدة فيه . كما يتم التركيز في الاطلاع على الانظمة السياسية في العالم الثالث وبشكل خاص فهم الواقع السياسي للوطن العربي ضمن خصائص المرحلة الراهنة. لان الالمام بالثقافة السياسية يتطلب(وعياً للواقع السياسي العربي في اقطار الامة العربية كافة ومعرفة بالتركيب السياسي لهذا الواقع اي بالتيارات السياسية وبمدى قوتها ونوعيتها وطبيعة ارتباطها بالجماهير وبموقفها من قضايا الامة العربية الاساسية كالصراع مع الاستعمار ومع الصهيونية العالمية ومع قوى التخلف ومع الاقطاعية والرأسمالية وموقف هذه التيارات من الحزب) (٤٣) .

٤ ــ الثقافة الاشتراكية :

يتطلب من المرء في هذا المجال الاطلاع على انواع الفكر الاشتراكي في العالم وطبيعة كل تجربة اشتراكية للالمام بمميزاتها وخصوصية كل منها .

كما يتطلب من المرء ايضاً الاطلاع على الفكر الاشتراكي العربي ليتمكن من خلال ذلك ادراك الكثير من الحقائق الثورية في حياة الامة ، كالترابط بين الصراع القومي والصراع الطبقي . فالاشتراكية هي التي (تربط الصراع القومي بالصراع الطبقي ربطاً يحقق الصلة العضوية بين المفهوم القومي والمفهوم الاشتراكي . لذلك فهي ثقافة تأخذ بعين الاعتبار تحليل التناقضات القائمة بين المجتمع والتناقضات التي يخلفها وجود النظام الرأسمالي في العالم وعلاقة هذا النظام بالاستعمار واشكاله الحديثة) (٤٤) .

ولما كانت الثقافة العربية هي لسان حال الجماهير العربية الكادحة فانها تنظر الى الاشتراكية كتعبير حي عن مصالح جماهير الامة ، كما تنظر اليها على انها «سمة مميزة لعصرنا الذي يشكو اليوم من تناقضين اساسيين في التضييق على الحرية باسم الاشتراكية. والعدوان على الاشتراكية باسم الحرية . وهذا يعني ان امام الثقافة العربية مهمة استثنائية وهي تخليص مفهومي الاشتراكية والحرية من هذا التناقض وشق طريق مبدع نحو تمثل مفهوم جديد للاشتراكية قائم على الحرية وعلى الايمان بالانسان كغاية ووسيلة) (٤٥).

وفي ضوء ماتقدم يتضح لنا ان الفكر الاصيل هو الفكر الذي يعتمد على قوانين الحياة والتي تكسبه الحيوية والتجدد والخلق والابداع ، فشرط الفكر المبدع الحي (ان يبقى متصلاً بينابيع التجدد والابداع وان يبتعد عن الامراض التي اصيبت بها الافكار التي فقدت حيويتها في هذا العصر امراض النزعة التجريدية والبيروقراطية والذرائعية) (٤٦).

(فالامة بمقدار ماتكون منسجمة مع نفسها بمقدار مايكون تفاعلها مع الحضارات الأخرى تفاعلاً حراً وأصيلاً) (٤٧) وهو مايميز فكر البعث (بحرصه على ضبط معادلة (الخاص والعام) من خلال حرصه على مبدأ (التفاعل الحضاري) المقترن بمفهوم الانبعاث القومي) (٤٨) .

المبحث الثاني

«مصادر الثقافة»

لما كانت الثقافة هي (المحصلة النهائية لافادة الانسان من المعارف والعلوم والآداب والفنون ومن التقاليد والعادات لتطوير ملكاته العقلية ومهاراته اليدوية والفنية وصقل وجدانه ليحرك كل هذا ارادته في مواجهة الظروف المحيطة به) (٤٩) فان مصادر تلك الثقافة اصبحت عديدة ومتنوعة نظراً لكون مجال المعرفة الانسانية مجال واسع وكبير فليس بامكان المرء استيعاب هذه المعرفة اطلاقاً ، لذا فان عليه ان يختار اهم مافيها وذات العلاقة الصميمية في حياته .

وعند تناول المرء اي ميدان من ميادين المعرفة لايعني ذلك عدم الاهتمام بالميادين الأخرى بل المهم هو كيف يتناول تلك الميادين ؟ فالمسألة ليست الخلط بين مختلف العلوم بحيث يصبح المرء دائرة معارف متنقلة ، بل ان يحقق المرء نوعاً من الانسجام بين المعرفة المتوفرة لديه وبين المعرفة المكتسبة حديثاً بحيث تنسق هذه المعرفة تنسيقاً صحيحاً . واذا كان الاتصال هو (العملية التي يتم بمقتضاها التفاعل بين تلقي الرسالة ومرسلها في اطار اجتماعي معين) (٥٠) لذا فان الاتصال ايضاً هو (احد العناصر المكونة للثقافة لانه مصدر تكوينها وعامل من عوامل اكتسابها وثرائها وانه يساعد على التعبير عنهـــا ونشرها) (٥١) . إذ يتأثر الرأي العام بالكلمة المطبوعة والكلمة المسموعة والارسال المرئي ومجال الكلمة المطبوعة الكتب والروايات والدوريات وهذه تتناول موضوعات سياسية واقتصادية واجتماعية وغيرها .

اما الكلمة المسموعة فمجالها الاذاعة والتلفزيون ويمكن ان تتعداها الى مجالات أخرى كثيرة مثل دور السينما والمسرح والمحاضرات العامة والمحاضرات في الجامعات او اية مناسبة أخرى يمكن ان يتناقل فيها الناس الكلمة .

إذن وسائل الاتصال الجماهيري لها تأثير مباشر على ثقافة الافراد حيث تؤكد الادلة العلمية (ان معظم وسائل الاتصال فعالة في تكوين الآراء والاتجاهات حول الموضوعات

التي لايوجد لدى الفرد رأي تجاهها ولا تنجح غالباً في تغيير اتجاهات ومعتقدات الافراد حول القضايا التي كونوا موقفاً ازاءها من قبل (٥٢) .

وفي ضوء ماتقدم يمكننا تناول ابرز المصادر الثقافية التي يمكن ان تغني الانسان ثقافياً

١ ـ الكتاب :

يعتبر الكتاب من ابرز مصادر الثقافة لانه الاداة الاساسية في اتقان اي موضوع فهو يلعب دورا استثنائياً في الحياة المعاصرة وفي الثقافة. فالخبرة والمعرفة تنتقلان من جيل الى جيل بواسطة الكتاب ، إذن الكتب تقدم لنا المعرفة وتعرفنا على خبرة الآخرين.

ان استعمال الكتاب وتكوين عادات القراءة ليست المسألة السهلة بل من الضروري ان نتعلم القراءة بصورة آلية دون ان نبعد افكارنا عن القراءة بل يجب ان نفهم مانقرأه لذا فان اعادة قراءة الموضوع والتعمق في الكلمات والافكار والتعابير غير المفهومة وضبط معناها الصحيح ومفهومها الدقيق والحذر من استخدامها بصورة مخطوءة من اساسيات القراءة الصحيحة.

فقراءة اي كتاب يتطلب المسك بالنقاط الجوهرية فيه وان يحلل مقاصد الكتاب اي الكشف عن فكرته الرئيسية والحجج التي يدلي بها في تأييد فكرته هذه .

كما يتطلب في قراءة الكتاب هضم محتوياته اي المعرفة الصحيحة في عرض وقائع الكتاب اذا كانت هذه الوقائع نموذجية بدرجة كافية وان يفكر القارىء في وقائع متشابهة او وقائع معاكسة لها تماما تمكنه من تكوين موقف علمي تجاه مايقرأ .

اضافة الى ذلك فان القراءة تتطلب من المرء ان يسجل ما يريده ويجب ان يتذكر التواريخ والاسماء والارقام .

ومن اجل استكمال الخطة او المشروع لدراسة الكتاب يتطلب من القارىء ايضاً اختبار المعرفة المكتسبة من الكتب وامتحانها وفق ملاحظاته وتجاربه باستمرار.

ان اقتناء كتاب او استعارته اصبحت ضرورة اساسية لبناء الشخصية الثقافية الا أن ذلك يتطلب المواصلة في التثقيف الذاتي وفق برنامج زمني نظامي.

وما دامت الحياة متطورة والمجتمعات متغيرة والعلم في تقدم فلا بد من ان تكون عملية الاغناء الثقافي ملازمة لهذه الحالات كلها فهي لاتقتصر على مجموعة دون اخرى او طبقة دون اخرى، بل هي ضرورة للجميع لاداء الانسان دوره التاريخي المطلوب.

وتسهم قراءة الكتاب كذلك في تعزيز الدور القيادي للانسان وبناء شخصيته حيث اكد هذه الحقيقة التاريخية الرئيس القائد صدام حسين في حديثه الموجه الى الكوادر القيادية في الاتحاد العام لشباب العراق «حيث نأتي ونسألكم كم واحد منكم قرأ كتابا يجب ن يرفع الكل ايديهم ، وعندما يكون السؤال كم واحد قرأ منكم ثلاثة كتب؟ ينبغي ان يكون القليلون هم الذين لايرفعون ايديهم» (٥٣) ويتضح من هذا النص ان القراءة ضرورة اساسية للقائد لاداء دوره التاريخي بشكل سليم وصحيح لان عدم القراءة تشكل ضياع فرصة ثمينة في بناء شخصيته القيادية «فاعتبر الذي لايقرأ كتابا قد انقص من قدرته الاقناعية بقدر ذهاب الفرصة عنه في قراءة كتاب» (٥٤) .

إذن فالقراءة مسؤولية نضالية ترتبط بالدور التاريخي للانسان وبمسيرته الثورية. إذ لايجوز للعمل والمشاغل اليومية للانسان ان تجعل مهمة القراءة عنده تحتل مرتبة ثانوية في حياته بل ان القراءة تمتد مع حياة الانسان وتطورها كما عبر عنها الرئيس القائد «احسست بان علي واجب نضالي بان اقرأ واكتب .. ولكن كونوا على بينة انه الى حد هذه اللحظة وانا اترك البريد العادي اليومي جانباً و اسحب كتابا اقرأ منه اي شيء.. ان الانسان لايستغني عن القراءة الى آخر لحظة في حياته» (٥٥).

ان اهم ما في المطالعة هو نوعية القراءة اذ «ليس المطلوب أية قراءة كانت بل المطلوب حسن اختيار المواضيع وحسن انتقاء المصادر واختيار الطرائق الحية في الدراسة» (٥٦). وفي ضوء هذا المفهوم فقد اعطى البحث للقراءة المنهجية اهتماما كبيرا وحدد شروطها بما يعزز البناء الثقافي للانسان .

اما اهم الشروط التي حددها البحث في القراءة المنهجية فهي :

(أ) الانتباه الى الظروف الزمانية والمكانية للنص :

ان اهمال هذا الشرط وعدم التوقف عنده يحرم القارىء من ميزة التحديد للسياق التاريخي والظرفي الذي يلقي الضوء الاول على معنى النص .

فالاحاديث لم تكتب في معزل عن المعاناة النضالية بل كانت جزاء صميميا من هذه المعاناة نفسها وعلى هذا الاساس فان الرجوع الى الجو الذي كتب فيه النصوص الحزبية هو المدخل الطبيعي الى التفاعل معها لان الاطارين الزماني والمكاني يكسبان النص الحياة وينقذانه من التجديد» (٥٧).

ب ــ الانتباه الى العلاقة الداخلية بين النص والمؤلف :

ان الدراسة المنهجية تتطلب فهما مسبقاً لعلاقة العمل الفكري بالمؤلف فنحن لانستطيع ان نفهم النصوص فهماً داخلياً الا اذا مارسنا كقراء نوعاً من المشاركة للمؤلف في عملية انضاج وانتاج الافكار التي جاءت في دراسته الحديثة.

لذا فان القراءة الداخلية تضع القارىء بتماس وتفاعل مباشر مع فكر المؤلف وتجربته وهي وحدها القراءة الكاشفة عما وراء الكلمات من غليان نفسي حقيقي ومن افكار ومن توتر داخلي قد لاتعكسه العبارة ولا تترجمه الكلمات لدى القراءة العابرة» (٥٨).

جـ ــ التنبه إلى طبيعة العلاقة بين النص والقاريء :

القراءة المنهجية لاتغفل عن التنبيه الى حقيقة اولية وهي ان القارىء قد يسقط ذاته على النص المقروء فلا يخرج منه الا بانطباعات ذاتية متفوقة في الجهل لحقيقة النص، ذلك لان طبيعة العلاقة بين النص والقارىء تسمح بهذا التسرب للافكار المسبقة والاراء والانطباعات والمواقف التي تعكس مستوى الفهم والرؤية والنزاهة والتجدد.لذلك فان السماح لانفعالات المحبة او الكراهية المفرطة وتدخل الاغراض والمصالح لابد ان يحطم منهجية القراءة للنصوص.

هذا بالاضافة الى ان مستوى الثقافة والوعي والتجربة يلعب دورا في علاقة القارىء بالنص ويحدد درجة الاستيعاب والتفاعل والفهم للافكار وللابعاد وللنظرياتالتي ينطوي عليها» (٥٩).

د ــ النظرة الكلية إلى النص :

المقصود بالنظرة الكلية الى النص هي عدم الاكتفاء بالافكار الواردة فيها لان فهم هذه الافكار على حقيقتها امر يحتاج الى عملية ربط النص بمجموعة النصوص الأخرى ومن الظلم للمؤلف ان نقتصر في فهم فكرته على نص واحد من نصوصه فلا بد من قراءة مجموعة الدراسات لتكوين انطباع اولي عنها ثم قراءة فصولها وموضوعاتها بشكل تفصيلي وتحليلي ،ثم قراءة الدراسة مجددا حتى تكتمل النظرة التركيبية الواضحة الجلية المطلوبة»(٦٠)

هـ ــ النظرة التحليلية للنص :

لايكفي ان نكرر قراءة النص عدة مرات حتى نضمن الالمام بكل ماينطوي عليه من افكار رئيسية بل لابد من الاعتماد على عنصر التحليل للنص ، فالشيء الهام هو النفاذ الى ماوراء العبارة. ماوراء الالفاظ من مقدمات ونتائج، من ملاحظات وفرضيات ، من محاكمات وبراهين ، من تحديد للظواهر ومن كشف عن اصولها وعن طابعها وعن احتمالاتها وعوامل ضبطها وتوجهها واخيرا من تصنيف للعوامل الذاتية والموضوعية التي تكونها من توضيح للسلسلة المترابطة التي تشكل تلك الظواهر جزءا منها.

ان النظرة التحليلية هي شرط الوضوح في الفهم والدقة والاستنتاج والنفاذ الى الخلفية الفكرية التي تكمن في النص. وهي شرط التفاعل الحقيقي المبدع مع العمل الفكري»(٦١).

و ــ النظرة النقدية إلى النص :

ان النظرة النقدية الى النصوص تشكل جزءا من منهجية القراءة والدراسة لفكر الحزب فالنظرة النقدية تجعل المناضل في موقع اليقظة الدائمة والحركة الذهنية والقدرة على المقارنة مع الافكار الأخرى وفي وضع الحوار والمناقشة مع النص كما لو ان المؤلف يتحدث معه .

ومن الخطأ ان نفهم بالنظرة النقدية شيئا آخر غير هذا التفاعل الفعال . فالنقد لايعني السلبية كما هو مألوف وشائع بل هو القدرة على التمييز والتمحيص والتفريق بين الافكار الاساسية والثانوية وبين الافكار الام والافكار المشتقة» (٦٢).

ز ــ الدراسة الموجهة :

إذا كانت دراسة الفكر الثوري تشكل حاجة نضالية بالنسبة الى المناضل فان الدراسة المنهجية تتطلب الفهم الدقيق والعميق لفكر الحزب لوضع هذه القراءة والدراسة للفكرة في خدمة الحزب لتحقيق اوسع انتشار لها والدفاع عنها والاعتماد عليها كسلاح نضالي. لذا فان الدراسة الموجهة تتطلب مستوى عاليا من الجدية ومن المسؤولية ومن الصدق ومن الامانة والحرص على الدقة الكاملة في القراءة وفي ايصال الافكار الى الآخرين» (٦٣).

٢ ــ الصحافة الدورية :

ينتمي الى هذه الفئة كل من الصحيفة والمحلية والنشرة، وهي وسائل التعبير التي يمتلكها الفن الصحفي ليحرك فيها العواطف ويثير العقول والاذهان ويبرز العمل الانساني وله التأثير في توجيه القراء بما يزعزع عقائدهم او يثبتها باعتبار ان «الصحافة وظيفة اجتماعية سامية هدفها توجيه الرأي العام عن طريق وسائل النشر الصحفية ومادتها الاعلام » (٦٤) .

وبالنظر لتعدد الصحافة الدورية واختلاف مناشئها وتباين افكارها وطروحاتها لذا يتطلب منا ان ندرك بعمق ماتتضمنه تلك الافكار والطروحات من اراء ومواقف تجاه قضايانا القومية وقضايا العالم المختلفة، منطلقين في ذلك من حقيقة اساسية هي ان «منافذنا اعلاميا مفتوحة على الآخرين لاستقبال تيارات وتأثيرات الاعلام الخارجي» (٦٥) . فمن المحتمل ان تكون مضامين مانطلع عليه يحتوي على مفاهيم ضمن مايصطلح عليه باسم « حرب المفاهيم » المتمثل في زرع المفاهيم والاراء المتضادة لاهداف الامة العربية ومصالحها . او «الحرب النفسية» (التي تهدف الى تحطيم الروح المعنوية للشعب وقتل الروح الكفاحية لدى الامم) .

لذا فإن الإطلاع على مصادر الثقافة هذه يتطلب منا اليقظة العالية والدقة في التعامل ولايتم ذلك الابأمتلاكنا وعياً ثورياً ينطلق من مصالح الجماهير وتطلعاتها واهدافها القومية بما يخدم نضالها وحركة انبعاثها القومي .

ومن هنا يتحدد واجب الصحافة الاول في تنمية الوعي الثوري وتعميقه لدى الجماهير المشاركة الفعالة والنشيطة في التغييرات الأجتماعية والسياسية وذلك بتعبئة الجماهير

واعدادها للمشاركة في عمليات التنمية) (٦٦) حيث يكون تأثير الثقافة واضحاً اذا ماعلمنا ان الأرتباط بين الصحافة والإنسان اصبح قوياً ومتيناً بحيث ان قراءة الصحف اليومية كما اشار اليها الفيلسوف الكبير هيجل (اصبحت صلاة الصبح عند الرجل الجديث فقد اصبحت قراءة الصحف يومياً شيئاً معتاداً للقراء ولايستطيعون الإقلاع عنه) (٦٧).

هذه الرابطة القوية بين الصحافة والإنسان تمنح الإنسان حرية التفاعل معها والأختيار منها، فالصحيفة او المجلة مزيج من المقالات والصور يمكن للقارىء ان يختار منها بحرية وحسب حاجته أوذوقه ومزاجه لأن «قراءة الصحافة المكتوبة هي قبل كل شيء عمل اختيار شخصي) (٦٨).

ومع ذلك يبقى تأثير الصحافة ملموساً على الجمهور انطلاقاً من (ان الصحافة المكتوبة هي في النهاية صدى الأفكار واذواق قرائها أكثر بكثير مما هي رجع لآراء أو اختيارات محرريها) (٦٩) فقد بين تحليل وظائف الصحافة«مقدار كونها عنصراً ضرورياً في توازن الحياة الأجتماعية ومن هنا فإنها تمارس على الحياة اليومية لقرائها أثراً متزايداً) (٧٠).

ومن جهة أخرى فإن قراءة الصحافة الدورية تمكنا من الإطلاع على محصلة الأنشطة اليومية المختلفة لحركة الدولة والمجتمع، بما يجعلنا قادرين على مسايرة احداث المجتمع وحركة الدولة والتفاعل معها بصيغة ايجابية عن طريق تنمية الحس النقدي الهادف لتكون عملية الإغناء الثقافي للشخصية الإنسانية سليمة وهادفة .

٣ ـ الأذاعة والتلفزيون :

جمهور الإذاعة والتلفزيون جمهور واسع اذ ان كل فرد فيه مؤهلا للانتماء اليه دون اعداد مسبق، حيث لايوجد بيت في زمننا المعاصر لم ينله نصيب بشكل مامن اجهزة الإعلام .

وفي البلاد النامية يكون التلفزيون والإذاعة في العادة ملكاً للدولة التيتقتصر تعليماتها وتوجيهاتها مثلا على ان يعمل مبتكرو البرامج على غرس النظرة العلمية في نفوسالمواطنين للانتقال بهم من مرحلة التخلف الى مرحلة التقدم)كما انه الى جانب التسلية والترفيه لابد لهاتين الوسيلتين ان(تهتما بالتثقيف والتعليم فعليهما ان توجها الجماهير) (٧١).

واذا كانت صفة من صفات الأنسان هي حب الإستطلاع لمعرفة الأنباء والأطمئنان الى البيئة لذا فإن صلته تكون عميقة بالإذاعة والتلفزيون لأنها تلبي حاجاته ورغباته في هذا الجانب .

(فالإذاعة أكثر شمولا الى حد بعيد ، انها موجودة في الواقع امامك طيلة ساعات اليقظة كما انها ميسرة بشروط سهلة جداً بحيث تصبح مألوفة كأثاث بيتك) (٧٢).

كما ان سعة الأنتشار للاذاعات الموجهة الى خارج الحدود والتنافس الحاد بينها واستغلال الدول الكبرى هذا النشاط للتأثير من خلاله على الأقطار العربية، جعل « الوطن العربي يتعرض منذ سنوات غير قليلة لنشاط اتصالي دولي يحمل البعض منه العداء للامة العربية ولطموحاتها القومية. وان هناك قطاعاً من الرأي العام العربي يتابع الإذاعات الموجهة وقد يتأثر بها) (٧٣) .

اما التلفزيون فقد تفوق على غيره من وسائل الإتصال لأنه (يستخدم حاسة البصر وحاسة السمع في حين ان الراديو يعتمد على حاسة واحدة فقط . كذلك التلفزيون هو اسرع وسائل الأتصال في نقل المعلومات الى الفرد وهو ايضاً أكثرها قدرة على خلق عالم واقعي لانشك في صدقه لانه يجمع بين الخبر والصورة» (٧٤) .

ولقد وصف عالم الأتصال الأمريكي ولبرشرام هذه الوسيلة (بأن أكبر انجاز للتلفزيون هو نقل الفرد وهو جالس في بيته الى اجواء واماكن غير مألوفة لديه وتعريضه لتجارب جديدة كان من المستحيل ان يخوضها لو لم يخترع الإنسان تكنولوجية التلفزيون وبهذا يوسع التلفزيون من آفاق ومدارك الفرد وينمي من مهارات التخيل والتنقل الذهني لديه) (٧٥) .

لقد أصبح التلفزيون مصدراً رئيسياً للمعلومات وعنصراً مهماً من عناصر التأثير التي تحيط بالفرد مما دعا علماء الأجتماع والنفس والسياسة والأتصال يشيرون الى التلفزيون كوسيلة من وسائل الإتصال الجماهيري الى انها (مؤسسة انسانية تمارس دوراً لايقل خطورة واهمية عن دور الأسرة وعن دور المؤسسات التعليمية المختلفة ، في حياة الفرد)(٧٦). ولمعرفة اثر هذا الجهاز على الفرد العربي نشير الى احصائية اليونسكو الى ان «عدد اجهزة

التلفزيون في العالم العربي قد بلغ في عام ١٩٨٠ حوالي (٧,١٢٤,٠٠٠) جهاز ويتوقع ان يكون هذا العدد في الوقت الحاضر بين احد عشر وثلاثة عشر مليون جهاز تلفزيون)(٧٧). وتدخل وسيلة الفيديو كاسيت مكملة لجهاز التلفزيون (فقد استخدمت في الدول الصناعية استخداماً فعالا في الكشف عن بعض الظواهر النفسية والأجتماعية إزاء الأحداث والمشاكل الناتجة من مشاهدة برامج التلفزيون والسينما ، كما استخدم في التعليم والتدريب التنشيط الثقافي وتطوير المهارات واكتساب المعارف العلمية والفنية) (٧٨) .

اما استخدام هذا الجهاز في الوطن العربي (فقد استخدم استخداماً كبيراً في التسلية والترفيه ، في حين لم توظف طاقات هذه الوسيلة المهمة في تطوير وتعزيز الجوانب الثقافية والتعليمية والنظرية والتطبيقية) (٧٩) .

اذن تبقى الإذاعة والتلفزيون عنصران مؤثران في التيار الثقافي للشخصية الإنسانية أعتبار ان وسائل الإعلام هي شكل من اشكال الثقافة المعاصرة واداة حاسمة في خلق هذه الثقافة وهيكليتها. لذا فإن التمسك بخصوصيات ثقافات تراثنا التأريخي والحضاري سيسهم وفي بناء الشخصية الثقافية العربية من جهة ويؤثر في بناء الشخصية الثقافية الأنسانية من جهة أخرى .

٤ ـ السينما والمسرح :

«تعتبر السينما عنصر واحد من العناصر السائدة في العالم الذي يحيط بنا والتي تؤثر بعض التأثير على مسلكنا في الحياة» (٨٠) اذ ان(مهمة السينما لهي الترفيه عن طريق التسلية وهذا الترفيه يجب ان يخلق شيئاً جديداً ويجب ان يكون له نزعة انسانية تبعث الحياة في العواطف وتوقظ القلب من سباته ، كما يجب ان يقوي من موقف المرء ازاء الحياة وان يوسع من مدى انسانيته) (٨١).

كما يمكن ان يكون فعل السينما ايضاً مايهبط بالروح المعنوية للشخصية بدلا من ان يرفعها ومايسبب الضعف بدلا من القوة والهزال العاطفي بدلا من الإثارة.

لذا فإن عدم امتلاك المتلقي لموقف نقدي وحوار ايجابي سيقع بالتأكيد تحت تأثير هذا المنتوج الثقافي(انه تأثير يتميز بالأنفعال العاطفي والتأجج الوجداني الذي لايتيح فرصاً

جيدة امام المتلقي للتعامل العقلاني والتحليلي معه فالمشاهد يرى ويندمج ليس فقط بالأحداث وانما مع جماليات المكان وملامحه الغريبة في بعض الأحيان ، والمغرية في جميع الأحيان وتعتمد ردود الفعل في هذه العملية التبادلية على مايسمى بالمصطلح الدرامي ، حالة «التعرف على النفس» اي ان المتلقي ينتقل من كرسي المشاهد او من حيث هو جالس الى قلب مايشاهد سينمائياً او تلفزيونياً عبر المخيلة والمشاعر فيصبح حالة واحدة مع مايشاهده)(٨٢) وهنا يكمن الخطر في استسلام المتلقي لمفردات الموضوع المراد ايصاله.

اما اذا أقترن الفلم السينمائي بالثقافة الأشتراكية فستجعل منه وسيلة قوية لتربية الجماهير وتنظيمها ، كما يعمل ايضاً على رفع مستوى روح النضال السياسي والثقافي لديها حيث لايبلغ الفن ذروته الحقه الا حينما قام بوظيفته كقوة لتطوير ثورة المجتمع)(٨٣).

اما المسرح فقد برز الأهتمام به في مختلف الدول المتقدمة او التي تنشد التقدم ، نظراً لما للمسرح من اهمية في تثقيف الجمهور وتوجيهه.

والمسرح يتمتع بفاعلية كبيرة في التأثير على الإنسان لأن عناصره لها اتصال حي ومباشر معه، فقدرة المسرح على استقطاب الجمهور تمكنه من ايصال الفكرة له والتأثير عليه.

(واذا لم يمنحنا المسرح شيئاً فقد يكفيه ان يسلبنا شيئاً اي يسلبنا بعضاً من همومنا او ان يخفف من حملها فنسترد بعض قوتنا على مجابهة الحياة وشق سبيلنا فيها) (٨٤).

فالتجارب البشرية التي يقدمها المسرح على خشبته يمكن الأستفادة منها في تسديد سلوكنا في الحياة سواء بشكل مباشر او غير مباشر عن طريق فهم الحياة ودوافعها الخفية والظاهرة ، وحقيقة الخير والشر ونتائجهما القريبة والبعيدة . وهكذا نخلص الى ان «المسرح من الممكن ان يصبح وسيلة لتهذيب البشر عن طريق توسيع فهمهم لانفسهم وللحياة ولحقيقة الخير والشر ومافيهما من جمال وقبح وبذلك يمنحنا شيئاً ولايقتصر على ان يسلبنا شيئاً) (٨٥).

اضافة الى جانب هذه الوظائف الشعورية التي تتحقق في مجال الوعي « هناك وظائف آخرى للمسرح حاول المفكرون ان يكتشفوا عن عملها فيما يسمونه «اللاوعي» او

«اللاشعور»(٨٦)والذي يتم فيه تطهير النفس من كافة مكبوتاتها ورغباتها المحبوسة وهو ماسمي« بالتطهير النفسي» وما اصطلح عليه حديثاً «ادخار الطاقة» وهذا الأثر النافع قد يحدث عند المؤلف وعند المشاهدين على السواء .

والمسرح كبقية وسائل الأتصال الجماهيري الأخرى يمكن ان يكون له اثراً سلبياً على الجمهور اذ بأمكانه «التعامل مع حرب المفاهيم من خلال استخدام المصطلح الفني والمثل الشعبي والحكمة والقول المأثور مروراً بالنكتة والطرافة والحكاية والأسطورة التي تروى على مسامع الصغار والكبار في كل وقت بحيث تصبح جزء من حياتهم وتعاملاتهم بينما تظل المضامين الحقيقة لتلك المفردات خافية على من يستخدمها في اغلب الأحيان » (٨٧)

اذن للمسرح اثر ثقافي واضح على الإنسان يسهم في اغنائه وبناء شخصيته الثقافية ويتعزز ذلك من خلال الإيمان العميق بوظيفة المسرح في الحياة وتكوين عادات وتقاليد مسرحية تخدم العملية الثقافية.

٥ ـ السفر وزيارة المتاحف والمعارض :

يمثل السفر حالة انسانية رائعة تحقق الصلة بين الشعوب والأمم، لذا فهو يسهم في عملية الإغناء الثقافي للإنسان حيث يمنح الإنسان فرصة جديدة في الإطلاع على المدنية والتطور والتقدم لذلك الشعب اوتلك الأمة والمستوى الحضاري فيها .

فملاحظة سلوك الناس وطبيعة العلاقة فيما بينهم ، ومعرفة اسلوب عملهم ورؤيتهم للحياة كلها تغني الأنسان ثقافياً.

ولما كان التقدم التكنولوجي الكبير في وسائط النقل قد رفع الكثير من الحواجز والموانع بين بلدان العالم وعمق الصلة بين المجتمعات، لذا فإن التأثير الثقافي بين المجتمعات اصبح حقيقة قائمة لأن «منافذنا مفتوحة للاستقبال ومفتوحة للتوديع اي لخروج مواطنينا الى الخارج والأحتكاك بالعالم الخارجي، ولمجيء الناس الينا واحتكاكهم بمواطنينا» (٨٨).

ان التعامل مع العالم الخارجي يتطلب من انساننا الإلمام بطبيعة التطور لتلك المجتمعات ومعرفة العمر الزمني لتجربتها ، لتمكنه من ادراك علاقة الإنسان بذلك الواقع ونوع الثقافة التي وصل اليها .

اذن بالقدر الذي يجسد السفر حالة من حالات الأستزادة الثقافية علينا الحذر من الثقل الحرفي للصور الجاهزة والأنبهار بما نشاهده، بل ان يكون تفاعلنا مع تلك المجتمعات بما يغني ثقافة الإنسان العربي ويرتقي بها الى مستوى بنائها وتعميق خصائصها القومية . وتشكل المناطق بأنواعها احـد مصادر الثقافـة لكونها مصدراً للاغناء الثقافي للإنسان ، فرغبة الإنسان في زيارة المتاحف تمثل نوعاً من نزوعه للإطلاع على حضارة الإنسان في بلده او بلدان أخرى من العالم .

فالانسان خلال زيارته للمتاحف تشده حالة من العلاقة بينه وبين محتوياتها فتتولد الرغبة للمعرفة والأكتشاف والبحث عن الحقيقة . لذا فهو يطلع على مسيرة انسان فيكشف تاريخه وحركة مجتمعه ودرجة تطوره ومستوى ثقافته . وهذا بالتأكيد يشكل عملية اغناء ثقافي له.

لذا فان تكوين ميل لدى الانسان للاطلاع على انواع المتاحف يمثل صيغة متقدمة ووسيلة ناجحة للاستزادة من الثقافة لانه يمثل خطوة متقدمة في التعامل مع تاريخ طويل للطبيعة والانسان على حد سواء كما تحتل المعارض الفنية اهمية كبيرة في عملية الاغناء الثقافي باعتبارها مصدرا من مصادر الثقافة لان الفن وسيلة الفنان للتعبير عن عصره ولتحديد موقفه من هذا العصر.والفنان اليوم انما يلبي حاجة الشعب ويعمق حياته .لذا فان مجمل النتاجات الفنية انما تمثل حالات ابداعية في الحياة باتجاه عملية التغيير الثوري فيها لان الفن هو التفاعل المبدع مع حركة الواقع يتأثر بها ويؤثر فيها.

ولما كان الفنان لايقتصر فهمه على حاضره واستيعابه له، بل هو يتقدم على الآخرين في تمثيل طموحات الانسان المستقبلية . لذا فان المعارض الفنية تمثل حالات ابداعية لاهم جوانب الحياة اشراقا واطلاع الانسان عليها سيخلق حالة من التفاعل الايجابي معها تجاه عملية الاغناء الثقافي لتطوير شخصيته الثقافية.والاطلاع على المعارض الاقتصادية (التجارية والصناعية) يمثل عملية اغناء ثقافي أخرى للانسان باعتبارها تعكس درجة التطور الاقتصادي التي وصلها بلد ما او مجموعة من البلدان.

اضافة الى ذلك فان الزيارات الميدانية للمصانع والمزارع تشكل رافدا ثقافيا آخر يكتسب الانسان من خلال الثقافة سواء عن طريق التماس المباشر مع ميدان العمل او من خلال الحوار المفتوح مع العاملين.

وإذا كانت هذه بعض مصادر التثقيف التي تمكن الانسان من تنمية مداركه الثقافية فقد يجد الانسان مصادر أخرى ووسائل متنوعة للاغناء الثقافي حيث تعتبر الحياة اكبر مدرسة يتعلم منها الانسان اذا ماحسن التعامل معها وحدد دوره التاريخي والحضاري فيها .

ومادامت الحياة مستمرة ومتطورة فليس هناك صيغاً ثابتة لمصادر التثقيف الا ان المهم فيها هو ان جميعها تسهم في زيادة ثقافة الانسان وبناء شخصيته الثقافية بما تمكنه من تحصينه ضد كل التيارات الثقافية المضادة التي تستهدف النيلَ من تماسك مقومات شخصيته الانسانية.



خاتمـــة :

تحتل الثقافة اهمية كبيرة في بناء الشخصية الانسانية فهي تعمل على تنمية الافكار داخل الشخصية الانسانية .

ولما كانت هذه الشخصية لها اهمية لكونها جزء من شخصية الامة فان مستقبل الامة اصبح مرهونا بذلك القدر العالي من بناء الشخصية الانسانية وانسجامه مع التطلعات المشروعة للامة.

ولما كانت الثقافة في العالم تختلف باختلاف مصادرها لذا تقع على الانسان مهمة كبيرة وشاقة في بناء شخصيته الثقافية الامر الذي يتطلب منه الاطلاع والالمام بانواع الثقافات واستيعاب مجمل المناهج والوسائل العلمية للتعامل الايجابي معها ليكون تأثير الثقافات في شخصية الفرد والامة تأثيرا سليما وايجابيا.

ان تحرير الثقافة من عمليات الاغتراب والتشويه الثقافي وتحقيق صلتها بالتراث وروح العصر قد اقترن بتحرير الامة من الظاهرة الاستعمارية وتحقيق نموذجها الحي في وحدة الثقافة والشخصية سواء كان على الصعيد الفردي (شخصية الفرد) او الاجتماعي (شخصية الامة) بما يجعلها عنصرا هاما من عناصر بعث الشخصية القومية.

إذن بناء الشخصية الثقافية للانسان العربي متمم لبناء الشخصية الثقافية للامة، لان الثقافة واجب نضالي يهدف الى تحرير الامة العربية ويحميها من حالات الضياع والاغتراب كما تمكن المثقف العربي على «جعل الثقافة اداة في معركة المصير التي تواجهها الامة العربية»(٨٩). فحاجة الانسان العربي الى الثقافة اذن تنطلق من اهمية الثقافة باعتباره «موقف كلي نظري وعملي من الحياة» (٩٠) .

وهذا الموقف يتبلور بمقدار المستوى الثقافي الذي يصل اليه الانسان .

الهوامش

(١) د. الياس فرح ، في الثقافة والحضارة، ص٩٣
(٢) المصدر نفسه ، ص١١٦
(٣) د. الياس فرح ، تطور الأيديولوجية العربية الثورية، ص٢٨
(٤) د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي ، ط١ ، ص٣٧٨
(٥) د. الياس فرح ، في الثقافة والحضارة، ١٢٦
(٦) د. الياس فرح ، منطلقات ومفاهيم اساسية ، ص١٥١
(٧) لويس كامل، الشخصية وقياسها، ص٧
(٨) د. محمد حسن ابو عبية، الشخصية بين النظرية والتطبيق ، ص٢٨
(٩) د. جميل صليبا، المصدر السابق، ص٦٩٣
(١٠) د. محمد حسن ابو عبية، المصدر السابق، ص٤٦
(١١) د. الياس فرح ، المصدر السابق، ص١١
(١٢) د. الياس فرح ، في الثقافة والحضارة، ص١٢٣
(١٣) المصدر نفسه، ص١١٦.
(١٤) المصدر نفسه، ص١٤٥
(١٥) المصدر نفسه، ص١٢٤
(١٦) المصدر نفسه، ص١٤٦
(١٧) د. الياس، فرح ، محاضرات القيت في مدرسة الأعداد الحزبي على مدرسي مادة الثقافة القومية في جامعات بغداد في ١٩٨١/١/٢٢ .
(١٨) المصدر نفسه
(١٩) ميشيل عفلق، في سبيل البعث ،ص١٩
(٢٠) د. الياس فرح ، قراءة منهجية في كتاب في سبيل البعث ، ص٨٣
(٢١) د. الياس فرح ، في الثقافة والحضارة، ص٩١ .
(٢٢) المصدر نفسه، ص٩١
(٢٣) القيادة القومية، الثورة العربية، المجلد التاسع ، العدد الثالث، ص٩٦
(٢٤) د. الياس فرح ، المصدر السابق، ص ٩٤.
(٢٥) المصدر نفسه، ص١٠٠
(٢٦) المصدر نفسه، ص٩٨
(٢٧) المصدر نفسه، ص١٩٦
(٢٨) القيادة القومية، الثورة العربية، المجلد التاسع، العدد الأول، ص٤٩
(٢٩) في التنظيم والتربية الحزبية، ص٣٩٦

(٣٠) القيادة القومية، المصدر السابق ، ص١٣
(٣١) المصدر نفسه، ص١٢
(٣٢) القيادة القومية، الثورة العربية، المجلد التاسع ، العدد الثالث ، ص٩٢
(٣٣) د. الياس فرح ، منطلقات ومفاهيم اساسية، ص٧.
(٣٤) د. سعد لبيب، دراسات في العمل التلفزيوني العربي ص٤٦ .
(٣٥) د. الياس فرح ، محاضرات القيت في مدرسة الأعداد الحزبي على مدرسي مادة الثقافة القومية في جامعات بغداد في ١٩٨١/١/٢٢
(٣٦) في التنظيم والتربية الحزبية، ص ٤٠٨
(٣٧) المصدر نفسه، ص٤٠٧
(٣٨) المصدر نفسه، ص٣٨٠
(٣٩) المصدر نفسه، ص٣٨٣
(٤٠) المصدر نفسه، ص٣٨٤
(٤١) المصدر نفسه، ص ٣٨٤
(٤٢) د. الياس فرح ، في الثقافة والحضارة، ص١٥٢
(٤٣) في التنظيم والتربية الحزبية، ص٣٨٣
(٤٤) المصدر نفسه، ص٣٨٥
(٤٥) د. الياس فرح ، المصدر السابق، ص١٠٢
(٤٦) د. الياس فرح ، منطلقات ومفاهيم اساسية ، ص٧
(٤٧) د. الياس فرح ، مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، ط٢ ، ص٢٦.
(٤٨) المصدر نفسه، ص١٤٧
(٤٩) د. سعد لبيب، المصدر السابق، ص٣٩
(٥٠) المصدر نفسه، ص٤٠
(٥١) المصدر نفسه، ص٣٩
(٥٢) مجلة البحوث، العدد ١٨، ١٩٨٦، ص٧٥
(٥٣) صدام حسين، نكسب الشباب لنضمن المستقبل، ص١٥
(٥٤) جريدة الثورة، بغداد ١٩، ١٩٨٧/١٠/١٩، الصفحة الثالثة.
(٥٥) المصدر نفسه
(٥٦) في التنظيم والتربية الحزبية، ص٤٠٣
(٥٧) المصدر نفسه، ص ٤١١
(٥٨) المصدر نفسه، ص٤١٢
(٥٩) المصدر نفسه، ص ٤١٣
(٦٠) د. الياس فرح ، منطلقات ومفاهيم اساسية، ص٣٦

(٦١) المصدر نفسه ، ص ٣٧
(٦٢) المصدر نفسه، ص ٣٩
(٦٣) المصدر نفسه، ص ٤٠
(٦٤) د. محمود فهمي ، الفن الصحفي في العالم، ص١٧
(٦٥) السلسلة القومية (٢٠)، الغزو الثقافي الأجنبي للامة العربية، ص ٣٩
(٦٦) حوليات الأعلام، قسم الإعلام، كلية الأداب، جامعة بغداد، ص٣٥
(٦٧) د. محمود فهمي ، المصدر السابق، ص ١٠
(٦٨) بيار البير ، الصحافة، ص٦١
(٦٩) المصدر نفسه، ص ٧١
(٧٠) المصدر نفسه، ص ٧٢
(٧١) مجلة البحوث، العدد ١٣ ، كانون الأول ١٩٨٤، ص١٠٧
(٧٢) روجر مانفل، الفلم والجمهور، ص ١٢٧
(٧٣) مجلة البحوث، العدد ٦، تموز ١٩٨٢، ص١٧
(٧٤) مجلة البحوث، العدد ١٨ ، ايلول ١٩٨٦، ص٧١
(٧٥) المصدر نفسه، ص ٧٣.
(٧٦) المصدر نفسه، ص٦٨.
(٧٧) المصدر نفسه، ص ٦٩
(٧٨) مجلة البحوث، العدد ١٧، حزيران ١٩٨٦، ص١٠٩
(٧٩) المصدر نفسه، ص ١٠٩
(٨٠) روجر مانفل، المصدر السابق، ص١٢٦
(٨١) المصدرنفسه، ص١٣٩
(٨٢) السلسلة القومية (٢٠)، المصدر السابق، ص١١
(٨٣) روجر مانفل، المصدر السابق، ص١٦٠
(٨٤) د. محمد مندور، في المسرح المصري، ط١، ١٩٧١، ص١١
(٨٥) المصدر نفسه، ص١٢
(٨٦) المصدر نفسه، ص ١٢
(٨٧) السلسلة القومية (٢٠)، المصدر السابق، ص١٧
(٨٨) المصدر نفسه، ص٣٩
(٨٩) د. الياس فرح ، نظرة في الملامح الأساسية للمرحلة الراهنة، ص٢٩
(٩٠) د. الياس فرح ، المصدر نفسه، ص٢٨

المصادر :

الكتب :

١ ــ بيار البير، ترجمة محمد برجاوي، الصحافة، منشورات عويدات ، بيروت، ط١، ١٩٧٠.

٢ ــ د. جميل صليبا، المعجم الفلسفي، دار الكتاب اللبناني، بيروت،لبنان، ط١، ١٩٧١.

٣ ــ د. الياس فرح، نظرة في الملامح الاساسية للمرحلة الراهنة، دار الطليعة ، بيروت ط١، ١٩٧١ .

٤ ــ د. الياس فرح، في الثقافة والحضارة، دائرة الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٧.

٥ ــ د. الياس فرح، تطور الايديولوجية العربية الثورية (الفكر القومي) ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط٢، ١٩٧٢ .

٦ ــ د. الياس فرح، منطلقات ومفاهيم اساسية، المؤسسة العربية، للدراسات والنشر ط١، بيروت، ١٩٨١ .

٧ ــ د. الياس فرح ، قراءة منهجية في كتاب في سبيل البعث ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الجزء الاول، ط١، ١٩٨١ .

٨ ــ د. الياس فرح، مقدمة في دراسة المجتمع العربي والحضارة العربية، دائرة الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط٢، ١٩٨٦ .

٩ ــ د. الياس فرح، محاضرات القيت في مدرسة الاعداد الحزبي على مدرسي مادة الثقافة القومية في جامعات بغداد في ٢٢/١/١٩٨١.

١٠ ــ لويس كامل، الشخصية وقياسها، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ط١، ١٩٧١

١١ ــ د. محمد حسن ابو عبيه، الشخصية بين النظرية والتطبيق، دار المعارف، مصر ١٩٧٨.

١٢ ــ ميشيل عفلق، في سبيل البعث، دار الطليعة، بيروت ، ط٧، ١٩٧٢.

١٣ ــ د. محمود فهمي، الفن الصحفي في العالم. دار المعارف بمصر ، ١٩٦٤.

١٤ ــ د. محمد مندور، في المسرح المصري، مطبعة نهضة مصر، القاهرة، ط١، ١٩٧١.

١٥ ــ د. سعد لبيب، دراسات في العمل التلفزيوني، الدار العربية، بغداد، ١٩٨٤.

١٦ ــ السلسلة القومية (٢٠)، الغزو الثقافي الاجنبي للامة العربية، دار النيل، (لاتوجد سنة للطبع ولا مكان الطبع ايضاً) .

١٧ ــ في التنظيم والتربية الحزبية، دار الطليعة، بيروت، ط٢، ١٩٧٧.

١٨ ــ صدام حسين، نكسب الشباب لنضمن المستقبل، دار الحرية، بغداد، ط١، ١٩٧٧

١٩ ــ روجر مانفل، ترجمة برلنتي منصور، الفلم والجمهور، وزارة الثقافة والارشاد القومي، مصر، (لاتوجد سنة الطبع) .

المجلات :

١ ــ اتحاد اذاعات الدول العربية، المركز العربي للبحوث، مجلة البحوث، العدد ٦ بغداد، تموز ١٩٨٢ .

٢ ــ اتحاد اذاعات الدول العربية، المركز العربي للبحوث، مجلة البحوث، العدد ١٣، بغداد، كانون اول ١٩٨٤ .

٣ ــ اتحاد اذاعات الدول العربية، المركز العربي للبحوث، مجلة البحوث، العدد ١٧، بغداد، حزيران ١٩٨٦ .

٤ ــ اتحاد اذاعات الدول العربية، المركز العربي للبحوث، مجلة البحوث، العدد ١٨ بغداد، ايلول ١٩٨٦ .

٥ ــ حوليات الاعلام، قسم الاعلام، كلية الاداب، جامعة بغداد ١٩٨١.

الصحف :

١ ــ القيادة القومية، الثورة العربية، المجلد التاسع، العدد الاول، ١٩٧٧.

٢ ــ القيادة القومية، الثورة العربية، المجلد التاسع، العدد الثالث، ١٩٧٧.

٣ ــ جريدة الثورة، ١٩ ــ ١٠ ــ ١٩٨٧، بغداد، الصفحة الثالثة، نص حديث السيد الرئيس القائد صدام حسين خلال لقائه بالرفاق امين سر واعضاء قيادة شعبة المأمون للحزب.


مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الولايات المتحدة الامريكية والخليج العربي
« دراسة في تطور السياسة الخارجية الامريكية »
ازاء منطقة الخليج العربي
١٩٤٠ ــ ١٩٨٠

مظفر نذير الطالب

كلية التربية ــ الجامعة المستنصرية

مقدمـــة :

تستأثر منطقة الخليج العربي ــ خاصة في الوقت الحاضر ــ بأهتمامات متزايدة من قبل الباحثين والمتخصصين ومخططي السياسات البترولية والاقتصادية والاستراتيجية من كافة جوانبها على النطاق العربي والدولي.

لقد كانت هذه المنطقة ولاتزال على امتداد عصور التأريخ من نقط الاحتكاك الساخن بين مختلف القوى السياسية الكبرى في العالم التي تنازعت فيما بينها لاحتواء المنطقة والسيطرة عليها تأمينا لمصالحها السياسية والاقتصادية والعسكرية ، وللتحكم في موقعها الاستراتيجي الهام والمتميز من ناحية ، وللاستفادة من خصائصها الجيوبولتيكية من ناحية اخرى .

ولما كانت بريطانيا سابقاً هي الدولة الرئيسية المهيمنة على اوضاع وشؤون المنطقة عموما الا ان الحرب العالمية الثانية اتاحت المجال لدخول قوى اخرى جديدة الى المنطقة لم تكن موجودة من قبل، او على الاقل ،كان دورها فيها محدودا أو ثانويا.

ومن بين اهم تلك القوى ، هي الولايات المتحدة الامريكية ، التي خرجت من الحرب العالمية الثانية وهي الدولة الاكثر قوة واقتدارا من الناحية العسكرية والاقتصادية ، مما جعلها تتبوأ زعامة غالبية دول اوربا الغربية.

وأزاء هذا الوضع الجديد الذي نشأ في اعقاب الحرب العالمية الثانية، بدأت الولايات المتحدة الامريكية تزيد من نشاطها السياسي والعسكري والاقتصادي في العديد من مناطق العالم المهمة، لاسيما في فترة اشتداد حدة المنافسة بين العملاقين، وظهور مايسمى بنظام القطبية الثنائية المحكمة Tight Bipolarity الذي توزعت فيه امكانات العالم الفعالة من القوة بين كتلتين متنافستين.

ومن بين اهم تلك المناطق التي حاولت الولايات المتحدة الاميركية التدخل فيها، هي منطقة الخليج العربي ، التي تعتبر حالياً من اهم مناطق العالم الساخنة والحساسة، وعليه فان هذه الدراسة تتوخى التعرف على طبيعة السياسة الاميركية في هذه المنطقة.

ولما كانت هذه المنطقة تتمتع بالعديد من الخصائص التي ليس بالامكان تجاهلها ، والتي جعلتها محط انظار الدول الكبرى في الماضي والحاضر ، فقد قمنا بتقسيم هذه الدراسة الى ثلاثة مباحث.

في المبحث الاول، سنتحدث بأختصار عن الاهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الخليج العربي ، وفي المبحث الثاني سنحاول ابراز الاهمية الاقتصادية للمنطقة عموما .

اما المبحث الثالث، فسنحاول فيه ان نتتبع تطور السلوك السياسي الخارجي الاميركي في منطقة الخليج العربي ، لاسيما بعد اتساع وتنامي المصالح السياسية والاقتصادية الاميركية فيها.

١ ــ الاهمية الجيوستراتيجية لمنطقة الخليج العربي

يقع الخليج العربي الى الشرق من الجزيرة العربية، ويؤلف مايمكن تسميته بالحدود الشرقية للوطن العربي (١)، ويستمد الخليج العربي قيمته الجغرافية من كونه ذراع بحري للمحيط الهندي، حيث يتألف هذا الذراع من خليجين كبيرين ومضيق يصل بينهما،

(١) د. سيد نوفل ، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الطبعة الثالثة« القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧»ص٤.

وهذان الخليجان هما، خليج عمان والخليج العربي، اما المضيق الذي يصل بينهما فهو مضيق هرمز (١).

ولان هذه المنطقة تتوسط العالم القديم، فقد اصبحت تمثل اهمية استراتيجية كبيرة، كما اصبحت منذ فترة طويلة مكانا للتنافس الاستعماري الاوربي (٢)، الذي كان نتيجة حتمية بسبب التسابق على استغلال هذا الموقع الحيوي (٣).

علاوة على ما تقدم، فأن منطقة الخليج العربي، تمثل نقطة التقاء طرق المواصلات بين اوراسيا وافريقيا، هذا فضلا عن كونها تمثل ممرا مائياً يسيطر على اهم المضايق الدولية التي تتحكم بنقل البترول. فموقع الخليج العربي الذي يطل به عبر بحر العرب على مركز التجارة الدولية في المحيط الهندي، قد جعل منه اداة اتصال اقتصادي وتجاري بين البحر الابيض المتوسط واوربا من جهة، وبين الشرق الاقصى، الصين، الهند، من جهة اخرى (٤) وهذا مما زاد من تنافس القوى الاوربية عليه.

ان مما يضفي على الخليج العربي من اهمية متزايدة، لاسيما في الوقت الحاضر، هو صلاحيته للقواعد البحرية، وسيطرة تلك القواعد على طريق الملاحة الدولية وقربها من

---

(١) د. محمد متولي، حوض الخليج العربي، الجزء الأول» القاهرة : مكتبة الأنجلو المصرية ايلول ١٩٧٠» ص ١٠.

(٢) د. صبري فارس الهيتي «الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية، رسالة دكتوراه منشورة، ايلول ١٩٧٦» ص ١٨.

(٣) كان البرتغاليون والهولنديون من الأوائل الذين قدموا الى منطقة الخليج العربي. وتبعهم في ذلك البريطانيون الذين سيطروا على الخليج العربي لفترة طويلة من الزمن، وعقدوا معاهدات ثنائية وتحالفات عديدة مع حكامه، وقد ظل الأمر كذلك لحين اندلاع الحرب العالمية الثانية التي اتاحت المجال لدخول قوى اخرى جديدة الى المنطقة يأتي في مقدمتها الولايات المتحدة الأمريكية.

(٤) انظر : علي حسين علي، امن الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، بغداد كلية القانون والسياسة، ١٩٨٢» ص١٨.

مناطق الصراع الدولي (١)، لاسيما في المحيط الهندي والشرق الاوسط ، هذا بالاضافة الى تعدد خلجانه التي تساعد على اخفاء السفن والقطع البحريه فيه (٢) . فمياه الخليج الدافئة وشواطئه المحمية، يمكن ان تكرن خير ملجأ للسفن التجارية والحربية على حد سواء (٣) .فهو — على سبيل المثال — البحيرة القادرة على حماية الغواصات النووية الحاملة للصواريخ عابرة القارات التي بأمكانها ان تطلق صواريخها من جنوب مضيق هرمز ثم تعود لتحتمي بعد ذلك في مياه الخليج (٤).

(١) ان منطقة الخليج العربي ، قريبة من الناحية الجغرافية من العمق الأستراتيجي للاتحاد السوفيتي ، لا سيما المراكز الحيوية للصناعات الأستراتيجية السوفيتية في الجمهوريات الوسطى، وهذا مما يزيد من خشية السوفييت من التحرك الأوربي عموماً ، والأمريكي خصوصاً للتأثير في الخليج العربي ضمن الأطار العام للوطن العربي ، لأن عملية كهذه- من وجهة النظر السوفيتية- تتيح للولايات المتحدة الأميريكية ، امكانية استخدام الصواريخ العابرة للقارات، التي تدخل موسكو ضمن مداها المؤثر ، لا سيما بعد ادخال الولايات المتحدة الأميريكية برنامجاً عسكرياً على قواتها في المحيط الهندي والخليج العربي ، وتزيد غواصاتها بصواريخ بولاريس « A-2 » و« A-3 » التي يبلغ مداها ثلاثة الاف الى اربعة الاف وخمسمائة كيلو متر . وقد شكل هذا التواجد خطراً مؤكداً ليس على الخليج العربي فحسب، وانما شمل الأراضي السوفيتية ايضاً ، وخاصة اذا ما علمنا ان المسافة بين الأراضي السوفيتية والمحيط الهندي لاتزيد عن(١٢٠٠)كم، وهذا يعني ان أكثر الأراضي السوفيتية تقع تحت المدى المؤثر لصواريخ بولاريس الأمريكية . انظر :

Bezbarah Monoranjan, U.S strategy in the indian Ocean USA Pragre Publisher, 1977 P. 135.

كذلك د. عادل محمد خضر، الصراع الدولي في الخليج العربي، مجلة قضايا عربية ، العدد (٩) أيلول ١٩٨١، ص٥٦. كذلك علي حسين علي ، المصدر السابق ، ص١٩.

(٢) انظر : حسين ندا حسين، الأهمية الأستراتيجية للنظام القانوني للطريق الملاحي البحري في الخليج العربي« بغداد: دار الحرية للطباعة ، ١٩٨٠» ص١٦.

(٣) محمد رشيد الفيل، الخليج العربي في مواجهة التحديات« الكويت : مؤسسة الوحدة الوحدة للتوزيع والنشر، ١٩٧٥» ص٣١.

(٤) انظر : د. حامد ربيع ، الأبعاد الأستراتيجية لصراع القوى الكبرى حول الخليج العربي «بغداد : معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٣» ص ٣٢.

من ناحية أخرى، فإن منطقة الخليج العربي ، منطقة مكشوفة وقليلة السكان (١) لعدم وجود تجمعات بشرية ضخمة فيها، وهذا مما يجعل عملية الدفاع عنها امراً بالغ الصعوبة، على عكس الهجوم عليها الذي لايتضمن مخاطر جمة، وخاصة اذا ماعلمنا بأن طبيعة المنطقة ذات المساحة المتسعة تتيح القدرة على التنقل السريع في عمليات الكر والفر (١).

اناهمية موقع الخليج العربي، جعلته واحداً من اهم محاور الصراع الدولي في الوقت الحاضر، مما يصعب معه تصور قيام الامن والأستقرار فيه بوجود قوى دولية عديدة تحاول السيطرة عليه، او على الأقل، تسعى الى زيادة تواجدها فيه. وعليه فإن ابعاد هذه المنطقة عن دائرة الصراع الدولي في الوقت الحاضر يجب ان تحظى بالأولوية في اهتمامات صانع القرار العربي، نظرا للمخاطر التي يشكلها هذا التواجد ليس على امن واستقرار المنطقة فحسب، وانما على الأمن القومي العربي عموماً .

٢ ـ الاهمية الاقتصادية للخليج العربي

أتخذ الخليج العربي لنفسه، لاسيما في السنوات الأخيرة، ابعاداً اقتصادية مهمة. ولعل ذلك يمكن ان يعزى اولا، الى امتلاك اقطار الخليج الساحلية للاحتياطي الهائل من البترول بحيث اضحت تلك الأقطار، تشكل مركز الثقل الأقتصادي للعالم اجمع .وخاصة اذاما علمنا بأن البترول اصبح يمثل عصب القوة الأقتصادية للمجتمعات الصناعية هذا فضلا عن كونه يمثل مرتكزاً اساس من مرتكزات الأستراتيجية الدولية.

ان احتواء هذه المنطقة على أكبر مخزون للطاقة في العالم ، قد جعلها في الواقع من أكثر مناطق العالم حساسية، بالنسبة للقوى الأمبريالية لاسيما بعد تفاقم ازمة الطاقة في

(١) يبلغ العدد الأجمالي لسكان الخليج العربي حوالي«٢٢» مليون نسمة من اصل «١٥٢». مليون نسمة يشكلون سكان الوطن العربي ويقيمون على مساحة جغرافية تقدر بـ«٥،٥٦ ، ٢١١ ، ٢٩» مليون كم٢ ايمايعادل «٥،١» مساحة الوطن العربي البالغة «٣٨، ٢٢٤ ١٣٩ » مليون كم٢. نقلا عن علي حسين علي ، المصدر السابق، ص١٩. انظر: د. حامد ربيع المصدر السابق ، ص٥٠.

بداية السبعينات (١). فالأهمية الأقتصادية والجيوستراتيجية لمنطقة الخليج العربي بنيت على اساس امتلاكها (٦٠ـ٧٠٪) من الأحتياطي البترولي العالمي المعروف، بحيث اضحت هذه المنطقة تمثل بعداً اقتصاديا،وذا مصلحة هائلة بالنسبة للدول الصناعية لاسيما الكبرى منها (٢).

في نهاية السبعينات ــ على سبيل المثال ــ قدر المخزون النفطي في منطقة الخليج العربي بـ«٥٠» مليار طن تقريباً ــ وعليه فأن وجود هذه الكمية يعادل مايقرب مـن (٢/٣) الأحتياطي العالمي المعروف والمستعمل في العالم (٣) . اما في عام (١٩٨١) فقد قـــدر الأحتياطي النفطي لأقطار الخليج العربي بـ (٣٧١) بليون برميل من مجموع الأحتياطي العالمي الذي قدر آنذاك بـ (٥٧٩) بليون برميل (٤).

ويمكن القول عموماً، ان منطقة الخليج العربي تحوي (٦٠٪) من احتياطي النفــط الثابت مقارنة بحوالي (٧٪) في الولايات المتحدة الأميركية و(١٤٪) وفقاً لبعض التقديرات في الاتحاد السوفيتي (٥) اما من حيث الإنتاج ، فأن منطقة الخليج العربي تنتـج (٦٢٪) من مجمل البترول المتداول في التجارة العالمية ، و(٤٠٪) من الإنتاج البترولـي

(١) د. فخري رشيد المهنا، الخليج العربي بين امنه وحرية الملاحة فيه،مجلة افاق عربية ، السنة الخامسة، العدد (٥)، كانون الثاني ١٩٨٠، ص٥٦

(٢) للمزيد من التفاصيل انظر مجلة نفط العرب،العدد(١٠)السنة الثانية عشرة،تموز١٩٧٧، ص‌ص: ٤ ــ ٥

(٣) ادموند رونر ، من يهدد منطقة الخليج العربي ، ترجمة د . محمد شوقي البصرة : منشورات مركز دراسات الخليج العربي ص ٣٥.

(٤) نقلا عن عبد القادر فهمي ، الأبعاد السياسية والأستراتيجية للمركز النفطي للولايات المتحدة الأميريكية وانعكاسها على امن الخليج العربي ، مجلة العلوم القانونية والسياسية العدد الأول والثاني ، ١٩٨٤، ص٣٧٠.

(٥) د. خليل علي مراد، الولايات المتحدة ، النفط ، وامن الخليج العربي في السبعينات مجلة الخليج العربي ، العدد (١).١٩٨٢، ص١٤

العالمي غير الشيوعي قبل اندلاع حرب الخليج (١). وهذا مما جعلها من اولى مناطق العالم من حيث التصدير. فأقطار الخليج العربي تصدر مايقرب من (٩٠-٩٥٪) من بترولها المستخرج وهي على هذا الاساس تساهم بتقديم مايترب من (٦٥٪) من المجموع الكلي للبترول المصدر الى السوق العالمية الرأسمالية (٢). فأكثر من نصف البترول المستهلك في اوربا الغربية يأتيها – على سبيل المثال من منطقة الخليج العربي كما انها تعتبر المزود الرئيسي لليابان (٣) ونيوزيلندة وجنوب آسيا ومناطق آخرى عديدة. واذا ما علمنا بأن بترول الخليج العربي يغطي (١٢٪) من الأستهلاك الأميركي للطاقة و(٨٥٪) من استهلاك الطاقة في اوربا الغربية و(٩٠٪) من استهلاك الطاقة في اليابان. ، لاتضح لنا مقدار المخاطر التي تتعرض لها تلك الدول اذا ماتعرضت امداداتها البترولية القادمة من منطقة الخليج العربي الى الخطر (٤) وهذا رتب نتيجة مهمة انعكست على علاقات الدول الكبرى في تعاملها مع المنطقة، لأنه أثر بالمفاهيم السوقية للدول الكبرى المتنافسة ونقل تفكيرها من التعامل مع المنطقة على انها خط الدفاع الأول عن مصالحها ونقطة وثوب للمناطق الابعد ، الى التعامل معها على انها نقطة تمركز لمصالحها الحيوية ولأمنها القومي (٥).

(١) حسين آغا وآخرون، الوجود العسكري في الشرق الأوسط ، الطبعة الأولى»، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢، ص٢٨.

(٢) أدموند روذر، المصدر السابق، ص٣٦.

(٣) تعتمد اليابان في مواجهة احتياجاتها البترولية اعتماداً اساسياً على منطقة الخليج العربي حيث ان (٩٠٪) من استيراداتها يأتيها من منطقة الشرق الأوسط عموماً، وعلى الأخص من منطقة الخليج العربي لمزيد من التفاصيل انظر: صلاح حسن محمد، السياسة الخارجية اليابانية في الوطن العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، «بغداد: كلية القانون والسياسة ١٩٨٢» ص ٤٦ ومابعدها. كذلك انظر برزان ابراهيم، الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي وتأثيره على اقطار الخليج والمحيط الهندي« بغداد: الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٢» صص: ٦١-٦٤.

(٤) للمزيد من التفاصيل انظر: علي حسين علي، المصدر السابق ص ص: ٢١ — ٢٢

(5) M.Abir, Oil, power, and politics conflict, London, 1947. pp. 5–6

علاوة على ماتقدم ، فإن منطقة الخليج العربي، تمتاز بضخامة العوائد المالية الموجودة فيها، وهذا ما زاد من اهميتها التجارية والمالية .

ان امتلاك اقطار الخليج العربي للعوائد المالية ، اضافة الى تمركز العملات الصعبة فيها قد جعلها تشكل مصدراً مستقلا للقوة لايمكن الأستهانة به بأي شكل من الأشكال وخاصة اذا ما أخذ المرء بنظر الأعتبار الحالة الهشة للنظام النقدي الدولي . عليه فأن الدول الكبرى تسعى دائما الى التغلغل في اقتصاديات واسواق الأقطار الخليجية بغية التأثير عليها أولا ، ولجعلها اقتصاديات تابعة لها ثانياً. لأنها عن طريق ذلك تستطيع ان تستعيد بعض الدولارات والعملات الصعبة التي تدفعها من جراء شرائها للبترول العربي . هذا من ناحية. اما من الناحية الأخرى ، فأن منطقة الخليج العربي تشكل – كما هو معروف – مركز الثقل الأقتصادي في عملية التنمية والتكامل الأقتصادي العربي . وذلك بفعل امتلاكها لأهم عناصر التنمية المادية كالبترول الذي يدخل في معظم الصناعات المهمة، ورأس المال. لذلك تسعى الدول الكبرى ايضاً الى (ربط) اقطار المنطقة بآلية معينة من التعامل والتوجيه للحيلولة دون استثمار تلك العناصر لصالح العمل العربي المشترك. كذلك تسعى الدول الكبرى الى تغيير الهوية القومية للمنطقة (١)، لكي تستطيع عن طريق ذلك ان تنفذ بعضاً من سياساتها فيها .

يتضح اذا من خلال ما تقدم، ان ظهور البترول في منطقة الخليج العربي ، وكثرة الأحتياطي الهائل فيها، اضافة الى كثرة ماتصدره هذه المنطقة الى اقطار العالم المختلفة ادى الى تصاعد قيمة الخليج العربي بحسابات القوى الدولية لاسيما الولايات المتحدة الأميركية التي سعت الى تنمية عناصر القوة لديها لتدعيم ثقلها السياسي والاقتصادي في هذه المنطقة من ناحية، ولزيادة تواجدها فيها من ناحية اخرى .

(١) وهذه الحقيقة اشار اليها التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن بقوله : – « ان محاولة الأمبريالية خلخلة الواقع القومي في منطقة الخليج العربي او تغييره هي حلقة من المخطط الأمبريالي الرامي الى ترتيب الأوضاع في المنطقة العربية لضمان تدفق الطاقة من مصادرها ، ولضمان مواصلاتها عبر الخليج العربي والبحر الأحمر والبحر الأبيض، لذلك فأن كل صنائع الأمبريالية وحلفائها في المنطقة يؤدون كل من موقعه واهدافه الخاصة دوراً في هذه العملية برغم كل ماهو قائم وماقد يقوم بينهم من متناقضات تتولى الأمبريالية الأميركية محاولة حلها والتنسيق بين الأطراف المختلفة» انظر: التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن، كانون الثاني ١٩٧٤ ، ص ١٧٧.

٣ ـ تطور السلوك السياسي الخارجي الاميركي في منطقة الخليج العربي

برزت الولايات المتحدة الأميركية في ميدان الشرق الأوسط في اعقاب الحرب العالمية الثانية بعد ان كان لها اسهاماً مباشراً في دحر القوى الفاشية والتغلب عليها، سيما بعد انحسار المد الأستعماري البريطاني والفرنسي من ناحية (١) وانفراد الولايات المتحدة بالنفوذ والسيطرة من ناحية اخرى .

وبأنتهاء تلك الحرب التي كانت بمثابة خاتمة لسياسة العزلة التي اعتمدتها سابقاً. وبداية لسياسة جديدة تقوم على الأنغماس في المشاكل الدولية، بدأت الولايات المتحدة تزيد من نشاطها في الوطن العربي لتلعب الدور الذي اعتمدته الدول الأستعمارية السابقة. فأهتمامها بالوطن العربي اخذ شكله الواضح بعد الحرب العالمية الثانية ذلك لأن المنطقة ارتبطت ضمن الأستراتيجية السياسية الجديدة للولايات المتحدة الأميركية .

وتتبع السلوك السياسي الخارجي الأميركي في تلك الفترة يعكس لنا الأهمية المتزايدة التي حظي بها الوطن العربي في منظور السياسة الأميركية لاسيمابعد اعلان الولايات المتحدة عن اتباع ستراتيجية الحصر والتطويق (٢) التي كان القصد منها تطويق الأتحاد السوفيتي والكتلة الشرقية بسلسلة من الأحلاف والقواعد للحيلولة دون نفاذ السوفيت الى المناطق التي اعتبرت من وجهة نظر الولايات المتحدة الأميركية مناطق نفوذ غربية.

ففي عام (١٩٥٠) قامت الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا، بتقديم اقتراح لبعض الأقطار العربية من اجل الدفاع ــ من وجهة النظر الأميركية ــ عن هذه المنطقة ضد «العدوان الخارجي» . ثم اعقب ذلك قيام الولايات المتحدة الأميركية وبريطانيا وفرنسا بأصدار البيان الثلاثي (١٩٥٠) بحجة المحافظة على السلام بين العرب و(اسرائيل) ومعارضة سباق التسلح بينهما . وقد استطاعت بريطانيا فيما بعد بالتنسيق مع الولايات

---

(١) انظر: د. أحمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي « الكويت : المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٩٧٨ ص‌ص: ٧-٨.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: د. ابماعيل صبري مقلد، الأستراتيجية والسياسية الدولية ، الطبعة الأولى« بيروت: مؤسسة الأبحاث العربية، ايلول ١٩٧٩» ص‌ص: ٨١-٨٤.

المتحدة الأمريكية من انشاء حلف بغداد(١٩٥٥)الذي من خلاله استطاعت الولايات المتحدة الأميركية استكمال الطوق الذي اقامته حول الأتحاد السوفيتي ، بأعتبار ان حلف الأطلسي (١٩٤٩) يطوق الأتحاد السوفيتي من جهة الغرب ،وحلف بغداد يطوقه من الجنوب ،وحلف جنوب شرقي آسيا (١٩٥٤) من الشرق والجنوب الشرقي (١).

ثم جاءت محاولة الولايات المتحدة الأميركية الأخرى بأصدار مشروع «آيزنهاور» الذي أقر من قبل الكونكرس الأميركي في آذار ١٩٥٧ » والذي كان عبارة عن محاولة اخرى لجر دول الشرق الاوسط واشراكها في ميدان الصراع المدمر بين الكتلتين وقد نص هذا المشروع على ان الهدف منه هو مقاومة النفوذ السوفيتي الذي يهدد دول الشرق الاوسط (٢) لاسيما بعد ان ادعت واشنطن بأن الأتحاد السوفيتي سيحاول « ضم » دول المنطقة، وان اسطوله كما ذكرت– قد وصل الى البحر الأبيض المتوسط ، ومن ثم سيدخل الى المحيط الهندي. وسيكون ذلك بمثابة التمهيد لدخول الخليج العربي .

كما برزت الولايات المتحدة الأميركية تدخلها السياسي والأقتصادي وحتى العسكري في منطقة الشرق الأوسط بحجة (ملء الفراغ) الذي اخذت تظهر ملامحه بعد الحرب العالمية الثانية، سيما بعد ان لم تعد بريطانيا وفرنسا قادرتين على تحمل الأعباء المادية والعسكرية المترتبة عليها للدفاع عن مصالح الغرب في المنطقة (٣) .

وبقدر تعلق الأمر بمنطقة الخليج العربي ، فيلاحظ عموماً ، بأن مساهمة الولايات المتحدة الأميركية فيها، قد برزت أبان سنوات الحرب العالمية الثانية وذلك ضمن استراتيجية الحلفاء ضد دول المحور، حيث ساهمت وحدات هندسية عسكرية اميركية مع القوات

---

(١) د. محمود عزيز شكري ، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية، «الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، تموز ١٩٧٨» صص: ٦٨–٦٩.

(٢) انظر: د. محمد كمال عبد الحميد، الشرق الأوسط في الميزان الأستراتيجي ، الطبعة الرابعة، « القاهرة: مكتبة الأنجلو– المصرية، بلا » ص ٦٢٤.

(٣) للمزيد انظر : د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، المصدر السابق ، ص ص: ١٥١ – ١٥٢ . كذلك د. صلاح العقاد: معالم التغيير في دول الخليج العربي « القاهرة : معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢» ص ١٤٥.

البريطانية في عمليات قيادة الخليج العربي العسكرية بغية تنظيم عملية الأمدادات والتموينات الذاهبة الى الأتحاد السوفيتي عبر الأراضي الإيرانية (١) لاسيما بعد صدور قانون الإعارة والتأجير (اذار ١٩٤١) الذي بموجبه قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الأمدادات والخدمات العسكرية لبريطانيا .حينئذ استطاعت الولايات المتحدة ان تلعب دور الشريك لبريطانيا في مركز تموين الشرق الأوسط الذي اقيم بالقاهرة للقيام بمهمة نقل المؤن بعد اغلاق البحر الأبيض المتوسط في وجه الملاحة التجارية (٢).

لقد كان للوجود العسكري الأميركي في منطقة الخليج العربي مغزاه الخاص ، ذلك لأن المنطقة ظلت حتى نهاية الحرب العالمية الثانية منطقة نفوذ بريطانية، بيد ان ظروف الحرب هي التي عجلت في زيادة التواجد العسكري الأميركي فيها (٣) ، لاسيما في المملكة العربية السعودية التي كانت القطر الخليجي الوحيد الذي اقامت معه الولايات المتحدة الأميركية علاقات عسكرية خارج نطاق استراتيجية الحلفاء (٤) . حيث وصلت السعودية في (تموز ١٩٤٣) بعثة عسكرية اميركية لتدرس احتياجاتها للسلاح ، ثم اعقب ذلك وصول اول بعثة تدريب عسكرية اميركية في (نيسان ١٩٤٤) لتشكل فيما بعد نواة الوجود العسكري الأميركي هناك . بعدها في عام (١٩٤٥) بوشر بالعمل لبناء اول مطار عسكري في الظهران الذي انتهى العمل فيه عام (١٩٤٦) ليصبح فيما بعد من اهم المطارات العسكرية والأستراتيجية بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية (٥).

بعد ذلك اخذت الولايات المتحدة الأمريكية تعلق مزيداً من الأهتمام على المملكة العربية السعودية، وهذا ماأكده« ترومان» الرئيس الأميركي انذاك ، حيث اعلن في عام (١٩٥٠) بأن بلاده مهتمة بأستقلال ووحدة المملكة العربية السعودية لاسيما بعد النزاع الذي ظهر بين الأخيرة وبين بريطانيا حول واحة البريمي .

---

(١) د. غسان العطية، الولايات المتحدة والخليج العربي ، مجموعة محاضرات مطبوعة بالرونيو» بغداد: كلية القانون والسياسية ، ١٩٧٩» ص٧.

(٢) د. رؤوف عباس، تطور السياسة الأميركية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي العدد (٢٩)، السنة الرابعة، تموز ١٩٨١، ص٦٣.

(٣) نفس المصدر السابق، ص٦٤.

(٤) انظر: د. غسان العطية ، المصدر السابق، ص٦.

(٥) نفس المصدر ، ص٧.

م٪٣٩٪م٠أ٠م

ثم جاءت الحرب الأهلية في اليمن في اواخر (١٩٦٢) لتزيد من الدعم العسكري الأميركي بالنسبة للمملكة العربية السعودية . حيث قام الرئيس «كندي» آنذاك ، في (تشرين الأول ١٩٦٢) بتطمين الأمير فيصل ولي العهد السعودي آنذاك ، برسالة أكد فيها بأن الولايات المتحدة الأميركية مستعدة لتقديم الدعم الكامل لوحدة واستقلال الأراضي السعودية، مما تمخض فيما بعد ارسال اسراب من الطائرات الأميركية في (تشرين الثاني ١٩٦٢) للقيام بمناورات جوية في الرياض وجدة (١) .

وعموماً يمكن القول، ان اهمية الخليج العربي بالنسبة للولايات المتحدة الأميركية لاسيما في الفترة السابقة لعام (١٩٦٨) كانت تكمن في تأمين المصالح الأقتصادية، وخاصة الحصول على البترول ، وضمان استمرارية تدفقه وفق احتياجاتها المتزايدة له من ناحية، وبأسعار مناسبة من ناحية اخرى. ولتأمين ذلك فقد تجسد السلوك السياسي الخارجي الأميركي في ايجاد انظمة صديقة لاميركا والغرب من جهة ومعادية للاتحاد السوفيتي من جهة اخرى.

وعلى الرغم من ان الولايات المتحدة الأميركية اعتمدت على بريطانيا والشركات البترولية الأحتكارية ذات الرأسمال الأميركي لتحقيق تلك الغاية ــ اي تأمين المصالح الأقتصادية ــ الا انها استطاعت في ذات الوقت ان تقيم علاقات سياسية واقتصادية متطورة مع بعض الأقطار العربية الخليجية كالمملكة العربية السعودية والكويت (٢) بيد انها لم تمارس دوراً سياسياً بارزاً في الخليج حتى عام (١٩٦٨) عندما اعلنت بريطانيا بشكل مفاجيء قرارها بالأنسحاب من الخليج العربي (٣) . فمع صدور بيان الأنسحاب البريطاني من شرق السويس، اعلنت الولايات المتحدة الأمريكية في باديء الأمر، انها لاتعتزم ملء «الفراغ» الذي سيولده الأنسحاب البريطاني من الخليج العربي. الا ان الواقع اشار الى عكس ذلك فيما بعد ، حيث اعلن «يوجين روستو» وكيل وزارة الخارجية

---

(١) نفس المصدر ، ص ص: ٨-٩.

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر: غسان ابراهيم، مستقبل العلاقات الدولية في الخليج العربي. رسالة ماجستير غير منشورة «بغداد: كلية القانون والسياسية، ١٩٧٨» ص ص: ٣٨٤ -٣٨٨.

(٣) د. غسان العطية، المصدر السابق ص٩.

الأميركية انذاك في (١٩كانون الثاني ١٩٦٩) ان بلاده تعتمد على تكتل امني لملء «الفراغ» (١) الذي سيولده الأنسحاب البريطاني. ثم مالبثت الولايات المتحدة الأمريكية ان اسرعت بوضع الخطط العسكرية لملء ذلك« الفراغ» السياسي والعسكري تحت حجة حماية الأمن والأستقرار في منطقة الخليج العربي وللحيلولة دون تسرب النفوذ السوفيتي الرامي- من وجهة النظر الأميركية- (٢) الى السيطرة على المنطقة لتهديد المصالح الأميركية خصوصاً والأوربية عموماً (٣).

لقد ساعد قرار بريطانيا بالأنسحاب من الخليج العربي، اضافة الى احداث الهند الصينية، وبالذات التجربة الفيتنامية، على بلورة سياسة خارجية عرفت فيما بعد« بميثاق نيكسون» التي اعلن عنها في (تموز١٩٦٩). وهي تقوم على فكرة الربط بين الأمكانيات المحلية لأي بلد حليف لأميركا، وبين المساعدات الأميركية لهذا البلد الذي يتحمل عبء الأستعداد وتوفير الطاقة البشرية مقابل قيام الولايات المتحدة بتقديم الخبرة والأسلحة والتكنولوجيا والمساعدات المالية (٤).

والواقع ان مبدأ نيكسون ارتكز على نقطتين اساسيتين (٥):

(١) د. خليل علي مراد، المصدر السابق، ص١٨.

(٢) لقد اصبح الخليج العربي من وجهة نظر العرب بعد انسحاب بريطانيا منه يعاني من فراغ. وان هذا الفراغ سوف يملأ ان عاجلا أم اجلا. ولعدم استطاعة القوى المحلية على ملء ذلك الفراغ فقد اعتقد الغرب، بأن القوى الخارجية هي التي ستقوم بتلك المهمة. لذلك فأما ان تهيمن عليه الولايات المتحدة، أو يسيطر عليه الأتحاد السوفيتي، أو أن يصبح موضع حكم مشترك من قبل الأثنين معاً. وهذا مما دفع الولايات المتحدة الأمريكية على تكثيف تواجدها في الخليج العربي فيما بعد. انظر: د. غسان سلامة، الأيديولوجية والسياسية الخارجية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩) السنة الرابعة، تموز ١٩٨١، ص١١٧.

(٣) انظر: د. عادل محمد خضر، الصراع الدولي في الخليج العربي، مجلة قضايا عربية، العدد (٩)، ايلول ١٩٨١، ص٤٥.

(٤) انظر: د. غسان العطية، المصدر السابق، ص١٣. كذلك انظر: علي حسين علي، المصدر السابق، ص١١٤.

(٥) انظر: الجبهة الشعبية في البحرين، الصراع على الخليج العربي، الطبعة الأولى« بيروت دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨ ص ص ٧٧-٧٨.

أولهما: تجنب التدخل المباشر في النزاعات الأقليمية التي تحدث في المنطقة .

ثانيهما: اعتماد قوى اقليمية محلية وتقوية قدراتها لتتولى مهمة الدفاع عن المصالح الغربية وقد كانت الترجمة العملية لهذه السياسة هي الأعتماد على دول المنطقة المؤيدة للغرب وخاصة المملكة العربية السعودية وايران (١) ، مع الحفاظ على مهمة التنسيق مع بريطانيا ووفقاً للرؤية الأميركية الجديدة، فأن مهمة حفظ الأمن والأستقرار والأبقاء على الوضع الراهن كفيلة بأبقاء المنطقة تحت الهيمنة الغربية وابعادها عن دائرة النفوذ السوفيتية . وهذا مايفسر لنا المحاولات العديدة التي قامت بها اميركا في المنطقة لتحقيق تلك الغاية من ناحية (٢)، وتأجيل بريطانيا لانسحابها من الخليج العربي الى عام (١٩٧١) للمساهمة في ترتيب اوضاع لتقبل النفوذ الأميركي من ناحية اخرى .

لقد ساعد الأنسحاب البريطاني من الخليج العربي عام (١٩٧١) على توصل الإدارة الأميركية الى قناعة مؤداها انه لابد من المحافظة على الوجود العسكري الغربي في المنطقة وذلك بتشكيل البديل العسكري لبريطانيا لاسيما بعد تنامي النفوذ السوفيتي المتزايد في المنطقة (٣)، وتنامي القوة البحرية السوفيتية في المحيط الهندي. وقد كان ذلك كافياً — من

(١) لمزيد من التفاصيل انظر: ميكاتل ت كلير، الأقتصاد السياسي لمبيعات الأسلحة الأميركية الى ممالك الخليج ، ترجمة بيارعقيل ، مجلة دراسات عربية ، العدد (٩) تموز ١٩٧٤ ص ص: ١٢٧-١٢٨.
كذلك انظر : غسان ابراهيم، المصدر السابق، ص‌ص: ٣٩٣- ٣٩٥ .

(٢) حيث عجلت الولايات المتحدة الأميريكية في اقامة علاقات دبلوماسية مع كل من البحرين وقطر والأمارات العربية المتحدة . كما عملت على خلق محور طهران- الرياض كأساس للنفوذ الغربي والأميركي في المنطقة. ثم سعت الى تطوير اواصر التعاون بين كل من ايران والمملكة العربية السعودية ، وبذلت جهوداً كبيرة لتقريب وجهات نظرهما حول قضايا الخلاف التي كانت قائمة بينهما بشأن الخط الوسطي الملاحي في الخليج العربي . للمزيد انظر د. غسان العطية، المصدر السابق ص‌ص: ١٤-١٥.

(٣) حيث اعتبرت الولايات المتحدة الأميركية ذلك بأنه يشكل نوع من التحدي للهيمنة الغربية وبالتالي فأنه قد يشكل تهديداً خطيراً للمصالح الأميركية، لاسيما وان الأتحاد السوفيتي اصبح المصدر الرئيسي للاسلحة التي يتلقاها العراق. واليمن الجنوبي ، والجبهة الشعبية لتحرير عمان، والخليج العربي .
انظر: ميكاتل ت كلير، المصدر السابق، ص٢٥ .

وجهة نظر اميركا- لأثارة المشاعر الأميركية ، حتى وان كانت تلك الخطوات السوفيتية غير متزامنة مع اي تحرك سوفيتي عدائي في الخليج العربي .

وجميع تلك المخاوف، هي التي ادت بالباحثين في مركز «جورج تاون» للدراسات الأستراتيجية والدولية الى اصدار دراسة حول المصالح الأستراتيجية الأميركية في منطقة الخليج العربي ، حيث أكدوا فيها على ان« المصالح الأستراتيجية للعالم غير الشيوعي ستكون في خطر محدق اذا ماجرى التضييق على حرية الحركة من والى الخليج او منها كلياً .... «(١)، ونفس هذه المخاوف عبر عنها« وينفرد جوشو» من معهد ابحاث «ستانفورد» في عام (١٩٧١) الذي اشار الى انه« اذا نجح الروس في ادخال الشرق الأوسط ضمن منطقة نفوذهم فأن ميزان القوى في العالم سيختل على نحو خطير بالنسبة لواشنطن، وسيعني ذاك هزيمة كبرى سياسية ونفسية، يكون لها انعكاسات خطيرة بالنسبة لوضعية اميركا في كل ارجاء العالم»(٢). وهذا ماأكد عليه لاحقاً«جوزيف سيكو» مساعد وزير الخارجية الأميركية آنذاك في تصريح له في حزيران «١٩٧٣»حيث اشار «سيسكو» الى ان منطقة الخليج العربي، منطقة مهمة بالنسبة للولايات المتحدة فيها «مصالح سياسية- اقتصادية - استراتيجية هامة جداً جداً» (٣).

ومن ضمن ماذكره« سيسكو» ايضاً ، هو ان الولايات المتحدة على قناعة تامة بأن الأتحاد السوفيتي يسعى لزيادة نفوذه في منطقة الخليج العربي والدليل على ذلك -بأعتقاده- هو تزايد المساعدات السوفيتية لكل من جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والعراق كما سبق وان اسلفنا من قبل. وبناء على ماسبق ، فقد اعتبرت الولايات المتحدة الأميركية بأن اي تصعيد في العلاقات السوفيتية- الخليجية، انما يشكل تهديداً للمصالح الأميركية والغربية (٤)، لاسيما البترولية منها. وعليه فقد حدد« سيسكو» ثلاثة عناصر اساسية للمفهوم الغربي ازاء تأمين البترول وهي (٥):

---

(١) نفس المصدر، ص١٢٥.

(٢) نفس المصدر، ص١٢٦.

(٣) حسين آغا وآخرون، المصدر السابق، ص٢٧.

(٤) انظر: د. غسان العطية، المصدر السابق، ص١٦.

(٥) حسين آغا وآخرون، المصدر السابق ،ص٢٩.

أولا ــ استمرار القدرة على تأمين الواردات البترولية .

ثانياً ــ بأسعار مناسبة للولايات المتحدة الأميركية وللغرب .

ثالثاً ــ بكميات كافية للوفاء بالأحتياجات الأميركية المتزايدة، وبأحتياجات الحلفاء الأوربيين والأسيويين على حد سواء .

اما الأهداف والمصالح الأمنية الأميركية في الخليج العربي ، فقد عبر عنها« جيمس نويس» نائب وزير الدفاع الأميركي آنذاك في تقرير له امام لجنة الشؤون الخارجية التابعة لمجلس النواب الأميركي بتأريخ «١٧ تموز ١٩٧٣»، حيث حدد «نويس» تلك المصالح والأهداف بما يلي (١):

أولا ــ العمل على احتواء الوجود العسكري السوفيتي ضمن حدوده المعروفة .

ثانياً ــ ضمان حرية الوصول لمصادر البترول فيالخليج العربي .

ثالثاً ــ ضمان حرية حركة السفن والطائرات الأميركية في الخليج العربي ، وضمان استمرار التسهيلات البحرية لجميع البواخر الأميركية .

لقد شهدت نهاية السبعينات ايضاً العديد من التحركات الأميركية في المنطقة ،لاسيما بعد ان بدأت الولايات المتحدة الأميركية تصعد من تواجدها في الخليج العربي تحت غطاء وجود«اخطار خارجية»ايضاً وعاد الموقف الأميركي حيال امن البترول ليتبدل مع التغيرات الهامة التي طرأت على المنطقة لاسيما بعد التدخل السوفيتي في افغانستان (٢) والإطاحة بنظام الشاه ،واندلاع الحرب العراقية- الإيرانية حيث لم يكن بالأمكان تجاهل كل هذه التطورات التي قد تؤثر على المصالح الأميركية في المنطقة .

وهذا ماعبر عنه« كارتر» الرئيس الأميركي السابق، بعد ان اظهر ردود فعله العنيفة ازاء التدخل السوفيتي في افغانستان الذي اعتبره بمثابة البداية لاحتلال المنطقة فيما بعد وفق المخطط السوفيتي البعيد الأمد.وعليه فقد اعلن الرئيس«كارتر»عن مبدئه في «كانون

(١) د. غسان العطية، المصدر السابق، ص١٩.

(٢) اثار التدخل السوفيتي في افغانستان ردود فعل عديدة محلية ودولية لأنه اظهر ان الأتحاد السوفيتي كدولة كبرى تدعو للسلام لا تتردد في التدخل واستخدام القوة العسكرية لحسم النزاعات الداخلية في دول اخرى تحقيقاً لمصالحها الذاتية.

الثاني ١٩٨٠» (١)ثم حدد الخطوات التي ستتخذها الإدارة الأميركية بغية الحفاظ على المصالح الحيوية الأميركية في المنطقة. ومن ضمن ماتضمنته تلك الخطوات (٢) :

أولا — تقوية وتطوير قوات التدخل السريع (٣) للعمل في المناطق البعيدة عن القارة الأميركية وبالذات في منطقة الخليج العربي .

ثانياً — زيادة حجم التواجد العسكري الأميركي في منطقة المحيط الهندي ، وايجاد القواعد والتسهيلات للقوات الأميركية في مصر والخليج العربي .

ولتحقيق ماتقدم،فقد اوصى «سيسكو» بتأريخ ١٣/٣/١٩٨٠ بضرورة قيام التعاون مع الحلفاء الأوربيين لايقاف «التوسع السوفيتي» ، ودعا في الوقت ذاته الى ضرورة مساهمة اوربا عسكرياً واقتصادياً للدفاع عن منطقة الخليج العربي. كذلك دعا« سيسكو» الى ضرورة تعزيز الوجود العسكري في منطقة الخليج العربي،والى ضرورة الحصول على التسهيلات في كل من عمان وكينيا والصومال ،وتقوية قاعدة« ديغوغارسيا » في المحيط الهندي عندئذ من وجهة نظر سيسكو من الممكن ان يتمتع الردع الأميركي بالمصداقية (٤).

---

(١) تضمن مبدأ كارتر مايلي : «تعتبر الولايات المتحدة اية محاولة سوفيتية تستهدف السيطرة على منطقة الخليج العربي ، اعتداء على مصالحها الحيوية... وستقوم برد هذا العدوان بشتى الوسائل لديها بما في ذلك القوة المسلحة ......» .
انظر : حسين آغا وآخرون، الأستراتيجية الأميركية الجديدة، الطبعة الأولى« بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢، ص٩. ولمزيد من التفاصيل ارجع الى : د. الياس شوفاني ،اسرائيل ومشروع كارتر« بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية ١٩٨٠» ص‌ص: ١٢-١٤.

(٢) حسين آغا وآخرون، الأستراتيجية الأميركية الجديدة، ص٩.

(٣) لمزيد من التفاصيل حول قوات التدخل السريع انظر: د. حسن البزاز ، قوة الأنتشار السريع الأميركية في الخليج العربي.
ستراتيجية دفاع أم سياسة هجوم ، مجلة الشؤون الخارجية، العدد (١١) ،١٩٨٢، ص ٤٣ ومابعدها .

(٤) حسين آغا وآخرون، مجموعة وثائق، الطبعة الأولى« بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢» ص‌ص: ١٦١-١٦٢ .

يتضح اذا من خلال ماتقدم، ان الولايات المتحدة الأميركية سعت بشكل أو بآخر الى زيادة تواجدها في المنطقة سواء بالتنسيق سياسياً مع بريطانيا في بداية الأمر، او عن طريق التلويح بوجود« اخطار خارجية»، أو «تهديدات سوفيتية»تستهدف المنطقة. فعندما اعلنت بريطانيا عن رغبتها في الأنسحاب من الخليج العربي،ادعت الولايات المتحدة الأميركية بأن ذلك الأنسحاب سينجم عنه حصول« فراغ » وبالتالي فهي اعطت لنفسها الحق في ملء ذلك«الفراغ ».وقد استطاعت تحقيق غايتها تلك عن طريق عقدالتحالفات الثنائية مع بعض حكام المنطقة احياناً ومن ثم دعمهم عسكرياً، أو عن طريق انشاء وتدعيم قوات التدخل السريع ،والتلويح بأستخدام القوة احياناً اخرى ، لاسيما اذا سارت الأمور على عكس التصور الأميركي للسياسة الأميركية في المنطقة

لقد نظرت السياسة الأميركية بقلق بالغ الى الوجود السوفيتي في المنطقة حتى انها اعتبرت بأن اي تقارب في العلاقات العربية- السوفيتية عموماً، انما يشكل تهديداً خطيراً لمصالحها الحيوية في الخليج العربي، ثم ازدادت هذه المخاوف بعد التدخل السوفيتي في افغانستان الذي اعتبرته الولايات المتحدة الأميركية بمثابة خطوة انتقالية لاحتلال الخليج العربي والسيطرة على الموارد البترولية الهائلة فيه ومن ثم حرمان الغرب منه (١).

---

(١) لقد ذهبت العديد من الدراسات* الى القول بأن الأتحاد السوفيتي سيكون في المستقبل المنظور بحاجة الى استيراد كميات كبيرة من البترول، بسبب زيادة الأستهلاك من ناحية وصعوبة استخراج البترول من بعض المناطق- سيبريا مثلا- فضلا عن النفقات والتكاليف الباهضة التي يتطلبها استخراج البترول من ناحية اخرى .

كذلك فأن الزيادة في الأنتاج لم تعد تتناسب مع حاجة السوفيت اولا ، ومع حاجة أوربا الشرقية ثانياً، وهذا مما جعل السوفيت يجدون انفسهم في مأزق. لأنهم من جهة يسعون الى اخضاع كل الأتفاقيات التي تعقدها اوربا الشرقية مع الغرب الى موافقتهم ذلك لأن الأمدادات البترولية والأعتماد الأقتصادي الأوربي الشرقي على الأقتصاد السوفيتي تشكل البعد الرئيسي من ابعاد الهيمنة على دول الكوميكون. ولا نهم من جهة اخرى يسعون للحصول على العملة الصعبة عن طريق عقد صفقات بترولية مع الغرب ، وهذا ما يجعل موقفهم ازاء دو ل اوربا الشرقية أكثر ليونة .

وبأختصار ، فأن تناقص الأحتياطي السوفيتي ، وتزايد الأستهلاك من ناحية والرغبة في متابعة التصدير من ناحية اخرى، سيؤدي بالسوفيت- كما رأت تلك المصادر- الى زيادة اهتمامهم بالبترول العربي ، وزيادة الأهتمام هذا، سيترتب عليه قيام موسكو ببعض=

ان السياسة الأميركية في منطقة الخليج العربي بالغت كثيراً في «وصف الأخطار الخارجية» وبالذات« الخطر السوفيتي» الذي يتهدد المنطقة . وهي ارادت من وراء ذلك اثارة مخاوف الأقطار الخليجية لتبرير تصعيد تواجد القوات العسكرية الأميركية في الخليج العربي والمحيط الهندي. بغية الحفاظ على المصالح الأميركية في المنطقة التي تتزايد يوماً بعد يوم، لاسيما تلك المتعلقة بتأمين الأمدادات البترولية .

= المحاولات من اجل السيطرة على بعض المناطق المنتجة كلما امكن ذلك، من اجل الأيفاء بجميع الألتزامات السوفيتية من ناحية ، ولاضعاف الأستثمارات الغربية التي تؤدي الى اضعاف الهيمنة الغربية على بترول الخليج العربي من ناحية اخرى .

وفي تقديرنا ان تلك الأراء بالغت كثيراً في وصفها للاطماع البترولية السوفيتية في منطقة الخليج العربي . فالأتحاد السوفيتي لم يكن يحبذ التعرض للمصالح الغربية في منطقة الخليج العربي ، وذلك لمعرفتها بأهمية تلك المصالح بالنسبة للقوى الغربية وما يمكن ان تولده من اخطار على كياناتها الأقتصادية اذا ما تعرضت للخطر. اضف الى ذلك ان الأتحاد السوفيتي كان يعيش حالة أكتفاء ذاتي لا سيما في فترة الستينات. وحتى في السبعينات استطاع الأتحاد السوفيتي ان يلبي حاجات الأستهلاك الداخلي المتزايدة . هذا في ذات الوقت الذي استطاع فيه تحقيق زيادة في الأنتاج البترولي، اضافة الى زيادة كمية الصادرات البترولية الذاهبة الى حلفائه في اوربا الشرقية والى الغرب عموماً** وعلى الرغم من ان الأتحاد السوفيتي قد وضع في حساباته اهتماماً خاصاً بالخليج العربي منذ فترة السبعينات، الا ان ذلك يمكن ان يعزى لاسباب سياسية وليست اقتصادية بحتة لا سيما بعد الأنسحاب البريطاني من الخليج العربي وتنامي الوجود العسكري الأميركي في المحيط الهندي ، الأمر الذي دفع السوفيت لزيادة تواجدهم في المياه العربية عموماً وذلك لمضاهاة الوجود العسكري الأميركي وتقوية وجودهم في الخليج العربي من ناحية ولا شعار الولايات المتحدة الأميركية بأن الأتحاد السوفيتي لا يمكن له ان يقف موقف المتفرج في منطقة قريبة من حدوده ، من ناحية اخرى . وعليه فأن القول بأن الأتحاد السوفيتي سعى الى السيطرة على المناطق المنتجة هو مجرد افتراء .

انظرمثلا: Lincolin Landis, Politcal and oil, Moscow in the Middle East, first edition" New York. Dullen pub. co, 1973 "pp. 80–85.

كذلك انظر :

J.E Hantshorn, Political and world oil economic "New York, Publisher, 1976" p. 232.

ان ما تقدم، يمكن ان تؤكده حقيقة تزايد الأعتماد الأميركي على البترول نتيجة لمواجهة الطلب المتزايد عليه من ناحية، واختلال التوازن بين معدلات الإنتاج التي اخذت بالأنخفاض ،ومعدلات الأستهلاك الداخلي التي اخذت بالتزايد من ناحية اخرى (١) . فالولايات المتحدة الأميركية –كما هو معروف– تعاني من عظم كمية الأستهلاك البترولي، بحيث اضحت اليوم أكبر مستهلك للبترول في العالم. فهي تستهلك كل ماتنتج مضافاً اليه نسبة« ٢٠٪» مما يدخل في التجارة الدولية من البترول (٢) .

وأزاء هذا الواقع، تزايد الأستهلاك وانخفاض الأنتاج من ناحية، وتناقص الأحتياطي البترولي من ناحية اخرى، فقد اعتبر البترول العربي بمثابة احتياطي مهم بالنسبة للمستقبل وان يكون المصدر الأول لسد احتياجات السوق العالمية والأميركية، حتى اضحت مسألة حماية آبار البترول والدفاع عنها أحد ركائز الأمن القومي الأميركيّ (٣)

من ناحية اخرى، فأن البترول العربي يمكن ان يشكل تهديداً خطيراً للمصالح والأرباح

=(**)انظر د. عايد طه ناصف الأستراتيجية الدولية في منطقة الخليج العربي ، الطبعة الأولى « البصرة : منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٢» ص١٣ .

(١) في عام (١٩٧٠) على سبيل المثال–بلغ انتاج الولايات المتحدة الأميركية (١١،٢٩٠) مليون برميل يومياً ثم انخفض عام (١٩٧١) الى (١١ ، ١٦٠) مليون برميل يومياً – واستمر الأنتاج بالأنخفاض ليصل الى (١٠) مليون برميل يومياً عام (٧٥–٧٦) والى (٧,٥٢٤) مليون برميل يومياً عام (١٩٨٢). أما عن حيث الأستهلاك فيلاحظ عموماً ان استهلاك الولايات المتحدة للبترول ارتفع من (١٠,٩٧٨) مليون برميل في اواخر الستينات وبداية السبعينات الى (١٥,٥١٦) مليون برميل يومياً عام (١٩٧٦) والى مايقرب من (١٧,٤) مليون برميل يومياً عام (١٩٨٢).
انظر: عبد القادر فهمي ، المصدر السابق، ص٣٧٩ .

(٢) د. محمد ازهر السماك واخرون، جغرافية النفط والطاقة« بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، ١٩٨١» ص٣١٢.

(٣) د. حامد ربيع ، البترول العربي واستراتيجية تحرير الأرض المحتلة « بلا : دار النهضة العربية ، ١٩٧١» ص ٥٦.

الخيالية لجميع الشركات البترولية العاملة في الوطن العربي (١)، وبالذات الشركات الأميركية، وخاصة اذا ما اقدمت بعض الأقطار المنتجة على تأميم بترولها، واذا ما سيطرت قوى اخرى عليه .

ومهما يكن من امر، فإن الولايات المتحدة الأميركية، ارادت من وراء كل ذلك تحويل الخليج العربي الى بحيرة اميركية مثلما سعت بريطانيا من قبل لتحويله الى بحيرة بريطانية لكي تتمكن من خلال ذلك الحفاظ على مصالحها الحيوية في المنطقة أولا، ولتنفيذ استراتيجيتها فيها ثانياً .



(١) لمزيد من التفاصيل حول الشركات البترولية العاملة في الوطن العربي ارجع الى: د. محمد متولي، حوض الخليج العربي، الجزء الثاني، الطبعة الأولى« القاهرة: مكتبة الأنجلو -المصرية، ١٩٧٤»ص ص: ١٩٥-٢٠٨. كذلك انظر: بوريس راتشكوف النفط والسياسة الدولية، تعريب خضير زكريا« بيروت: دار الفارابي، اذار ١٩٧٤» ص ص: ٤٣-٤٥.

«المصادر»

أولا ـ المصادر العربية :

١ ـ الكتب :

١ ـ ادموند رونر، من يهدد منطقة الخليج العربي، ترجمة د. محمد شوقي « البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي ، ١٩٨٢».

٢ ـ د. احمد عبد الرحيم مصطفى، الولايات المتحدة والمشرق العربي «الكويت، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، ١٩٧٨» .

٣ ـ د. اسماعيل صبري مقلد، الأستراتيجية والسياسة الدولية ،الطبعة الأولى، «بيروت مؤسسة الأبحاث العربية، ايلول ١٩٧٩» .

٤ ـ د. الياس شوفاني ، اسرائيل ومشروع كارتر« بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٨٠» .

٥ ـ الجبهة الشعبية في البحرين، الصراع على الخليج العربي، الطبعة الأولى« بيروت : دار الطليعة للطباعة والنشر، ١٩٧٨».

٦ ـ بوريس راتشكوف، النفط والسياسة الدولية، تعريب خضير زكريا« بيروت : دار الفارابي، ١٩٧٤» .

٧ ـ برزان ابراهيم ، الصراع الدولي في منطقة الخليج العربي وتأثيره على اقطار الخليج العربي والمحيط الهندي« بغداد : الدار العربية للطباعة ، ١٩٨٢ » .

٨ ـ حسين آغا وآخرون، الوجود العسكري الغربي في الشرق الأوسط، الطبعة الأولى «بيروت؛ المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢» .

٩ ـ حسين آغا وآخرون، الأستراتيجية الأمريكية الجديدة، الطبعة الأولى «بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢».

١٠ ـ حسين آغا وآخرون، مجموعة وثائق، الطبعة الأولى،« بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٢ » .

١١ — حسين ندا حسين، الأهمية الأستراتيجية للنظام القانوني للطريق الملاحي البحري في الخليج العربي «بغداد: دار الحرية للطباعة، ١٩٨٠» .

١٢ — د. حامد ربيع، الأبعاد الأستراتيجية لصراع القوى الكبرى حول الخليج العربي «بغداد: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٨٣» .

١٣ — د. حامد ربيع، البترول العربي واستراتيجية تحرير الأرض المحتلة «بلا: دار النهضة العربية، ١٩٧١» .

١٤ — د. سيد نوفل، الأوضاع السياسية لأمارات الخليج العربي وجنوب الجزيرة، الطبعة الثالثة« القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٧» .

١٥ — د. صلاح العقاد، معالم التغيير في دول الخليج العربي «القاهرة: معهد البحوث والدراسات العربية، ١٩٧٢»

١٦ — د. عايد طه ناصف، الأستراتيجية الدولية في منطقة الخليج العربي، الطبعة الأولى «البصرة: منشورات مركز دراسات الخليج العربي، ١٩٨٢».

١٧ — د. محمد متولي، حوض الخليج العربي، الجزء الأول« القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ايلول ١٩٧٠» .

١٨ — د. محمد متولي، حوض الخليج العربي، الجزء الثاني «القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٧٤» .

١٩ — د. محمد رشيد الفيل، الخليج العربي في مواجهة التحديات «الكويت: مؤسسة الوحدة للتوزيع والنشر، ١٩٧٥» .

٢٠ — د. محمود عزيز شكري، الأحلاف والتكتلات في السياسة العالمية «الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، ١٩٧٨» .

٢١ — د. محمد كمال عبد الحميد، الشرق الأوسط في الميزان الأستراتيجي، الطبعة الرابعة «القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، بلا»

٢٢ — د. محمد ازهر السماك وآخرون، جغرافية النفط والطاقة« بغداد: وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، ١٩٨١» .

٢ ــ الدوريات :

١ ــ د. حسن البزاز، قوة الأنتشار السريع الأميركية في الخليج العربي ــ استراتيجية دفاع ام سياسة هجوم، مجلة الشؤون الخارجية، العدد (١)، ١٩٨٢ .

٢ ــ د. خليل علي مراد، الولايات المتحدة، النفط، وامن الخليج العربي، في السبعينات، مجلة الخليج العربي، العدد (١) ١٩٨٢ .

٣ ــ د. عادل محمد خضر، الصراع الدولي في الخليج العربي، مجلة قضايا عربية، العدد (٩)، ايلول ١٩٨١ .

٤ ــ عبد القادر فهمي، الأبعاد السياسية والأستراتيجية للمركز النفطي للولايات المتحدة الأميركية وانعكاسها على امن الخليج العربي، مجلة العلوم القانونية والسياسية .العدد الأول والثاني، ١٩٨٤ .

٥ ــ د. غسان سلامة، الأيديولوجيا والسياسة الخارجية، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩)، السنة الرابعة، تموز ١٩٨١ .

٦ ــ د. رؤوف عباس، تطور السياسة الأميركية في الوطن العربي، مجلة المستقبل العربي، العدد (٢٩)، السنة الرابعة . تموز ١٩٨١.

٧ ــ د. فخري رشيد المهنا، الخليج العربي بين امنه وحرية الملاحة فيه، مجلة افاق عربية، السنة الخامسة، العدد (٥) ، كانون الثاني ، ١٩٨٠.

٨ ــ ميكايل ت كلير، الأقتصاد السياسي لمبيعات الأسلحة الأميركية الى ممالك الخليج العربي، ترجمة بيار عقيل، مجلة دراسات عربية، العدد (٩)، تموز ١٩٧٤.

٣ ــ الرسائل الجامعية :

١ ــ علي حسين علي، امن الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة ،» بغداد: كلية القانون والسياسة، ١٩٨٢ « .

٢ — غسان ابراهيم، مستقبل العلاقات الدولية في الخليج العربي، رسالة ماجستير غير منشورة، «بغداد: كلية القانون والسياسة ، ١٩٧٨» .

٣ — د. صبري فارس الهيتي، الخليج العربي، دراسة في الجغرافية السياسية ، رسالة دكتوراه منشورة« بغداد: كلية الأداب، ايلول ١٩٧٦ »

٤ — صلاح حسن محمد، السياسة الخارجية اليابانية في الوطن العربي ، رسالة ماجستير غير منشورة» بغداد: كلية القانون والسياسة، ١٩٨٢ ».

٤ — المحاضرات :

١ — د. غسان العطية، الولايات المتحدة والخليج العربي، مجموعة محاضرات مطبوعة «بالرونيو بغداد: كلية القانون والسياسة، ١٩٧٩» .

٢— المصادر الاجنبية

1- Bezbarah Monoranjan, U. S strategy in the Indian Ocean "USA prager publisher, 1977".

2- J.E Hartshorn, Political and world oil economic 'New York prager publisher, 1976.

3- Lincolin Landis, Political and oil, Moscow In the Middle East, first edition, "New York: Dullen Pub·, Co., 1973".

4- M. Abir, Oil, power, and politics conflict "London: 1974".

مكتبتنا العربية

دراسة لاسباب الرسوب في الجامعة المستنصرية للعام الدراسي ١٩٧٧ / ١٩٧٨

اعداد
جنان هادي صدقي
المدرسة المساعدة في قسم علم النفس
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

المقدمة

الجامعة مؤسسة تربوية لها دوراً اساسيا في بناء المواطنين وتشكيل اتجاهاتهم تجسيداً للفلسفة التربوية والسياسية والأجتماعية في القطر ومصدراً يضخ بالطاقات والكوادر التي لاتنضب لمؤسسات الدولة كافة وبذا تسهم في عملية البناء والتقدم والنهوض بالامة.

بعد ثورة ١٧ — ٣٠ تموز بقيادة حزب البعث العربي الاشتراكي اكدت القيادة السياسية على ضرورة « اعادة نظر جذرية وشاملة في اوضاع الجامعات وتحويلها الى مراكز تقليدية لتخريج الطلبة الى مراكز لبناء الجيل الجديد ومراكز للبحث العلمي والتخطيط للمستقبل والأسهام الطليعي في التحولات الجذرية في القطر »(١).

فشهدت المؤسسات التربوية في القطر تحويلا سريعاً في نموها وتطورها وكانت الجامعة المستنصرية من ضمنها قرار مجلس قيادة الثورة بتحويل الجامعة المستنصرية الى جامعة رسمية وقرار مجانية التعليم الذي شمل المراحل التعليمية كافة وقرار التعليم الألزامي ، كلها منجزات عظيمة لخدمة مؤسسات التربية والتعليم.

ان الطلبة هم محور العملية التربوية ومن التأثيرات السلبية على تلك العملية هي ظاهرة الأهدار المتمثلة برسوب الطلبة وتسربهم والجامعة المستنصرية عانت من هذه الظاهرة حيث «يمكن القول ان الجامعة المستنصرية تأتي بالدرجة الأولى من حيث ارتفاع نسبة الأهدار فيها حيث بلغت هذه النسبة ١٤,١٠٪ مقارنة بنسب الأهدار في باقي جامعات القطر» (٢).

ومن هنا وجدت الباحثة ان مسالة رسوب للطلبة من المسائل الحيوية حيث ان الأسهام

بدراسة ظاهرة الرسوب والتعرف على اسبابها في الجامعة المستنصرية تكون بداية للوقوف على المعالجات لهذه الظاهرة وصولا الى الأحسن والأفضل .

حدود البحث :

اقتصر البحث على الطلبة من الذكور والأناث الراسبين لسنة دراسية واحدة ، اعتباراً من الصف الأول وحتى الصف الرابع وللعام الدراسي ٧٧ – ١٩٧٨ من القسم الصباحي في الجامعة المستنصرية وفي الكليات التالية : –

١ – كلية العلوم .

٢ – كلية الأداب

٣ – كلية الأدارة والأقتصاد .

هدف البحث :

يهدف البحث الى التعرف على الاسباب التي ادت الى رسوب الطلبة بصورة عامة من المواد الدراسية المختلفة وعلى مستوى الصفوف المختلفة ومن ثم اختبار الفرضيتين :–

١ – لايوجد فرق بين الذكور والإناث من حيث مسببات الرسوب عند مستوى دلالة ٥٪.

٢ – لايوجد فرق بين كلية العلوم وكلية الاداب وكلية الإدارة والأقتصاد من حيث مسببات الرسوب عند مستوى دلالة ٥٪

الرسوب : ظاهرة تنتج عن فشل الطلبة من الانتقال من صف الى اخر خلال المرحلة الدراسية نتيجة لاسباب يهدف البحث الكشف عنها ، فقد تتعلق باستعداداتهم وظروفهم الشخصية او لاسباب تتعلق بالمنهج وطرق التدريس اوبالادارة اوبتنظيم الأمتحانات ، واساليبها .

عينة البحث :

١ – شملت عينة البحث كلية العلوم ، الأداب ،الأدارة والأقتصاد .

٢ – استبعدت كلية التربية لحداثة تأسيسها بالاضافة الى كونها تحتوي بعض الأقسام المشابهة لكلية العلوم .

٣ – استبعدت كلية الطب وطب الكوفة لحداثة تأسيسها ولمحدودية امكانية الباحثة.

٤ ــ تم اختيار الأقسام التي تمثلت فيها اعلى نسب الرسوب والتي مدة الدراسة فيهـا اربع سنوات فقط أنظر جدول (١) .

آ ــ قسم الفيزياء والرياضيات ، كلية العلوم .

ب ــ قسم الأقتصاد والأحصاء ، الأدارة ، كلية الأدارة والأقتصاد من اصل اربعة اقسام بتلك الكلية .

جـ ــ قسم اللغة الأنكليزية ، اللغة الفرنسية ، الترجمة لكلية الأداب من اصل اربعة اقسام بتلك الكلية (اخذت الباحثة قسم الترجمة بدلا من قسم علم النفس وذلك لانقطاع معظم الطلبة الراسبين عن الدوام) .

٥ ــ بلغ الحجم الكلي لعينة البحث (١٧٥) من الطلبة الراسبين للعام الدراسي (٧٧ ــ ٧٨) وعلى مستوى جميع الصفوف اي بنسبة ٢٣٪ كما تمثلت العينة بنسبة ٢٠٪ من الذكور ونسبة ٢٦٪ من الأناث كما يتضح من جدول (٢) .

ولغرض تحديد حجم ظاهرة الرسوب للعام الدراسي ٧٧ ــ ١٩٧٨ وللقسم الصباحي في كلية العلوم ، الأداب ، الأدارة والأقتصاد قامت الباحثة بدراسة ميدانية للاحصائيات المتوفرة في قسم التخطيط وبوبت البيانات الخاصة بالاقسام التي تمنح شهادة البكالوريوس فقط وكما يتضح من الجدول (١) .

جدول (١)

النسب المئوية للرسوب على مستوى الاقسام في كلية العلوم ـ ، الآداب ، الادارة والاقتصاد

الكلية	القسم	العدد الكلي	الرسوب	النسبة المئوية
	فيزياء	٦٢٢	١١٩	١٩
العلوم				
	رياضيات	٦٠٢	٩٥	١٦
	اقتصاد	٥٤٤	١٧٤	٣٢
الأدارة والأقتصاد				
	ادارة	٩٧٠	١٦٥	١٧
	احصاء	٩٧١	١٧٥	١٦
	تعاونيات	١٧٨	١٤	٨
	اللغة الأنكليزية	٢٢٨	٣٨	١٧
	اللغة الفرنسية	٨٤	١٤	١٧
الآداب				
	علم النفس	٥٤	٦	١١
	الترجمة	١٥٦	١٦	١٠

لم يشمل البحث كلية طب الكوفة لحداثة تأسيسها وكذلك كلية الطب لنفس السبب ولمحدودية امكانات الباحثة ، اما بالنسبة لقسم اللغة العربية فنظراً لايقاف القبول فيه فترة ثم اعادة فتحه فلم يكن في عام ٧٧ـ ١٩٧٨ سوى طالب واحد من الراسبين وعليه فالافضل استبعاده استناداً الى ظروف القسم .

وقد ظهر ان العدد الكلي للراسبين (٧٩٨) منهم (٢٧٢) اناث ، (٥٢٦) ذكور

جدول (٢)

عينة البحث من الراسبين الذكور والاناث

الكلية	ادارة واقتصاد				العلوم			الآداب				المجموع
القسم	اقتصاد	احصاء	ادارة	المجموع	فيزياء	رياضيات	المجموع	انكليزي	فرنسي	ترجمة	المجموع	
ذكور	١٠	١٨	١٨	٤٦	٢٣	٢٤	٤٧	٧	٣	٢	١٢	١٠٥
اناث	١٠	١٤	٥	٢٩	١٢	٥	١٧	١٥	٤	٥	٢٤	٧٠
المجموع				٧٥			٦٤				٣٦	١٧٥

اداة البحث :

١ – تم اعداد استفتاء استطلاعي (مفتوح) تضمن ثلاثة اسئلة تتعلق بالاسباب التي أدت الى رسوب الطلبة وهي كالاتي : –

١ – ماهي الأسباب التي أدت الى رسوبك : –

آ – اسباب تتعلق باستعداداتك وظروفك الشخصية

ب – اسباب تتعلق بالمنهج وطرق التدريس

جـ – اسباب تتعلق بنظم الأمتحانات واساليبها

د – اسباب تتعلق بالادارة .

٢ – هل لديك اي وجهة نظر خاصة بموضوع الرسوب لم يرد ذكرها فيما سبق ؟

٣ – هل لديك اي آراء او مقترحات تعين على التغلب على اسباب الرسوب التي ذكرتَ؟

تم تطبيقه على عينة استطلاعية حجمها ٣٢ من الطلبة الراسبين موزعين على مستوى جميع الصفوف ومن الأقسام المختارة (قسم الفيزياء من العلوم ، قسم الأقتصاد من كلية الأدارة والأقتصاد ، وقسم اللغة الأنكليزية من كلية الأداب) باعتبارها تمثل اعلى نسب للرسوب من تلك الأقسام .

٢ – على ضوء نتائج الأستفتاء الأستطلاعي تم وضع استفتاء مغلق يتكون من (٥٠) سؤالاً وكان السؤال الأخير مفتوحاً لذكر اي اسباب اخرى لايتضمنها الأستفتاء المغلق وتم تطبيقه على العينة المكونة للبحث .

الوسائل الاحصائية :

استخدمت النسبة المئوية لمعرفة أهمية كل سبب من الأسباب التي أدت الى الرسوب وكذلك أختيار مربع كاي لاختبار دلالة الفرق احصائيا في مسببات الرسوب من حيث الجنس ومن حيث الكلية .

صعوبات البحث :

ا – صعوبة الحصول على الطلبة الراسبين نتيجة لدراستهم ساعات محددة تمثل مواد رسوبهم فقط مما يتطلب التفرغ التام لمتابعة هؤلاء الطلبة .

٢ ــ قلة الوعي الأحصائي لدى بعض الطلبة لذلك تعرضت عدد من الأستمارات الى الفقدان .

نتائج البحث :

يمكن تصنيف الأسباب التي أدت الى الرسوب الى اربعة مجاميع متدرجة حسب أهميتها فتأتي بالمرتبة الأولى الأسباب المتعلقة بالمنهج وطرق التدريس تليها الأسباب المتعلقة باستعدادات الطلبة وظروفهم الشخصية تليها الأسباب المتعلقة بنظم الأمتحانات واساليبها ثم تليها الأسباب المتعلقة بالادارة .

ويتضمن كل من هذه المجاميع عدد من الأسباب مرتبة تنازليا حسب نسبتها المئوية مع الأخذ بنظر الأعتبار ان هذا التصنيف لايعني انفصال هذه المجاميع في تأثيرها على الطلبة وهي كما يلي : ـــ

اولا : الاسباب المتعلقة بالمنهج وطرق التدريس

النسب المئوية لاسباب الرسوب المتعلقة بالمنهج وطرق التدريس

ت	الأسباب	النسبة
١	تراكم الدروس في اليوم الواحد دون فراغ بينها يشعرك بالملل	٧١٪
٢	بعض المواضيع ليست بتلك الأهمية العلمية مما لا يشجع على الفهم	٧٠٪
٣	سرعة القاء الأستاذ المحاضرة	٦١٪
٤	بعض المواد الدراسية ليست لها علاقة بالاختصاص	٥٨٪
٥	عدم تناسب طول المقررات الدراسية بالنسبة للموقف المحدد لها	٥٧٪
٦	كثرة المواد الدراسية	٥٤٪
٧	طريقة الأستاذ فيالتدريس غير جيدة	٤٩٪
٨	اختلاف من يقوم بتدريس المقرر الدراسي عن واضع ذلك المقرر	٤٧٪
٩	اعتماد بعض المواد الأدبية على الحفظ الغيبي	٤٧٪

١٠	اختلاف المادة التي يشرحها الأستاذ عن ما هو موجود في المقرر الدراسي	٤٦٪
١١	عدم توسع الأستاذ في شرحه للمادة الدراسية	٤٥٪
١٢	عدم وجود الأنسجام بينك وبين الأستاذ	٤٣٪
١٣	صعوبة المادة الدراسية وعدم قدرتك على استيعابها	٤٢٪
١٤	انخفاض الكفاءة العلمية للاستاذ	٣٦٪
١٥	قلة المصادر والمراجع المكملة للمقرر الدراسي	٣٤٪
١٦	لغة التدريس بالنسبة للاساتذة الأجانب غير مفهومة	٢٥٪

ثانياً : الاسباب المتعلقة بالاستعدادات والظروف الشخصية للطلبة

النسب المئوية تنازلياً لاسباب الرسوب المتعلقة باستعدادات الطلبة وظروفهم الشخصية

ت	الأسباب	النسبة
١	قلة التحضير اليومي للمواد الدراسية	٦١٪
٢	نسيان الأجابة الصحيحة على الأسئلة وقت الأمتحان	٥٣٪
٣	عدم الرغبة في الدخول الى هذا القسم	٥٠٪
٤	عدم الأستعداد للامتحان	٤٩٪
٥	صعوبة ظروفك البيتية	٤٧٪
٦	الأرتباك عند حل الأسئلة وقت الأمتحان	٤٦٪
٧	الخوف والقلق من الأمتحان	٤٦٪
٨	اهتمامات خارجية تشغلك عن المذاكرة	٤٥٪
٩	الأهمال وعدم المبالاة في المواد الدراسية	٣٨٪
١٠	عدم الأنتباه اثناء شرح الأستاذ للمادة	٣٥٪

١١	الجمع بين الدراسة والعمل	٣٣٪
١٢	تدهور الحالة الصحية	٣١٪
١٣	صعوبة المذاكرة في القسم الداخلي	٣٠٪
١٤	الضعف في اللغة الأنكليزية	٢٩٪
١٥	تجاوز غياباتك النسبة المقررة	٢٦٪
١٦	عدم الأعتماد على النفس في تأدية الواجبات الدراسية	٢٤٪
١٧	أنخفاض المستوى المادي لعائلتك	٢٣٪
١٨	ضعف قابليتي على الفهم للمادة الدراسية	٢٢٪
١٩	ضعف الثقة بالنفس	١٨٪
٢٠	عدم قدرتك على التكيف الأجتماعي	١٧٪

ثالثاً : الاسباب المتعلقة بنظم الامتحانات واساليبها

النسب المئوية تنازلياً لأسباب الرسوب المتعلقة بنظم الامتحانات واساليبها

ت	الأسباب	النسبة
١	تشدد الأستاذ بتصحيح الأسئلة الأمتحانية	٧١٪
٢	طول الأسئلة الأمتحانية بشكل لايتلاءم والفترة الزمنية المقررة للامتحان	٦٦٪
٣	جعل الأمتحانات النهائية بين يوم وآخر غير كاف للمذاكرة	٥٩٪
٤	صعوبة الأسئلة الأمتحانية	٥٧٪
٥	عدم التكافؤ بين أسئلة الأمتحان والمادة التي يشرحها الأستاذ	٥٧٪
٦	عدم تنسيق الفترة بين الأمتحانات الفصلية لم يتح الوقت الكافي للمذاكرة	٥٤٪
٧	نظام الأمتحانات المعمول به حاليا غير عادل في تقسيمه للدرجات	٤٨٪
٨	عدم حضور الأستاذ الى القاعة الأمتحانية	٤٤٪
٩	تأخر الأستاذ في اعطاء النتائج الأمتحانية العضلية	٤١٪

رابعاً : الاسباب المتعلقة بالادارة

النسب المئوية تنازلياً لأسباب الرسوب المتعلقة بالادارة

ت	الأسبـــاب	النسبة
١	التشدد في تسجيل الغيابات وعدم المراعاة لظروفك الخاصة	٧٣٪
٢	عدم اهتمام الأدارة بمشاكل الطلبة	٥٧٪
٣	كثرة عدد الطلبة في الصف	٤٠٪
٤	تأخر الحصول على الكتب والملازم المقررة	٣٥٪
٥	جهلك بالانظمة المتعلقة بالامتحانات والغيابات	١٨٪

اختبار فرضيتي البحث :

لغرض اختبار الفرضيتين التاليتين : –

١ – لا يوجد فرق بين الذكور والاناث من حيث مسببات الرسوب عند مستوى دلالة ٥٪

٢ – لا يوجد فرق بين كلية العلوم وكلية الآداب وكلية الادارة والاقتصاد من حيث مسببات الرسوب عند مستوى دلالة ٥٪

تم استخدام اختبار مربع كاي وكانت النتائج كما يلي : –

اولا : الأسباب المتعلقة بالمنهج وطرق التدريس

قيم مربع كاي لأسباب الرسوب المتعلقة بالمنهج وطرق التدريس بين الجنسين وبين الكليات

ت	الاسباب	قيمة مربع كاي بين الجنسين	الدلالة المعنوية	قيمة مربع كاي بين الكليات	الدلالة المعنوية
١	تراكم الدروس في اليوم الواحد دون فراغ بينهما يولد الملل	٠,٢٩		٠,٣٨	

٢ بعض المواضيع ليست بتلك الاهمية العلمية والعملية مما لا يشجع على الفهم	٠,٣٦	٠,٣٠
٣ سرعة القاء الاستاذ للمحاضرة	٠,٠١	٢,٨٦
٤ بعض المواد ليس لها علاقة بالاختصاص	٠,٤٧	٢,١٣
٥ عدم تناسب طول المقررات الدراسية مع الوقت المحدد لها	٠,٣٨	٤,٥٨
٦ كثرة المواد الدراسية	٠,٥٥	٣,٠١
٧ طريقة الاستاذ في التدريس غير جيدة	٠,٣٤	٤,٢٦
٨ اختلاف من يقوم بتدريس المقرر الدراسي عن واضع ذلك المقرر	٠,١٣	٢,١١
٩ اعتماد بعض المواد الادبية على الحفظ الغيبي	٠,١٢	٢,٩٠
١٠ اختلاف المادة التي يشرحها الاستاذ عن ما هو موجود في المقرر الدراسي	٥,٠٧	١,٣٩
١١ عدم توسع الاستاذ في شرحه للمادة الدراسية	٣,٠١	٠,٣٢ *
١٢ عدم وجود الانسجام بينك وبين الاستاذ	٤,٠ *	٦,٩١ *
١٣ صعوبة المادة الدراسية وعدم قدرتك على استيعابها	٠,٦	٢,١٣
١٤ انخفاض الكفاءة العلمية للاستاذ	٣,٩٥ *	١٦,٨١ *
١٥ قلة المصادر والمراجع المكملة للمقرر الدراسي	٠,٢٦	٧,٨٤ *
١٦ لغة التدريس بالنسبة للاساتذة الاجانب غيرمفهومة	١ ٢٢	١٠,٨٩ *

ملاحظة :

كانت قيمة مربع كاي الجدولية (٥,٩٩) عند مستوى دلالة ٥٪ ود رجة حرية (٢)

كانت قيمة مربع كاي الجدولية (٣,٨٤) عند مستوى دلالة٥٪ ودرجة حرية (١)

(*) تعني ان الفروق ذات دلالة معنوية عند مستوى ٥٪

ثانياً الاسباب المتعلقة باستعدادات الطلبة وظروفهم الشخصية :

قيم مربع كاي للاسباب المتعلقة باستعدادات الطلبة وظروفهم الشخصية بين الجنسين وبين الكليات

ت	الاسباب	قيمة مربع كاي بين الجنسين	الدلالة المعنوية	قيمة مربع كاي بين الكليات	الدلالة المعنوية
١	قلة التحضير اليومي للمواد الدراسية	٠,٨٧		٢,٤٦	
٢	نسيان الاجابة الصحيحة على الاسئلة وقت الامتحان	٠,٨٧		٣,٨٩	
٣	عدم الرغبة في الدخول لهذا القسم	٢,٩٨		١١,٥٩	*
٤	عدم الاستعداد للامتحان	صفر		٠,٩٨	
٥	صعوبة ظروفك البيتية	٠,١٣		٢,٤٩	
٦	الارتباك عند حل الاسئلة وقت الامتحان	٠,٦٤		٢,٩٩	
٧	الخوف والقلق من الامتحان	٤,٥٥	*	٣,٩٧	
٨	اهتمامات خارجية تشغلك عن المذاكرة	٢,٩٧		٠,٨١	
٩	الاهمال وعدم المبالاة في المواد الدراسية	١,٢٤		٠,١١	
١٠	عدم الانتباه اثناء شرح الأستاذ للمادة	٠,٠٤		٠,٣٥	
١١	الجمع بين الدراسة والعمل	٧,١٧	*	٧,٧٢	
١٢	تدهور الحالة الصحية	٠,١٧		٠,١٩	
١٣	صعوبة المذاكرة في القسم الداخلي	١,٩٢		٠,٣٩	
١٤	الضعف في اللغة الانكليزية	٧,١٧	*	٨,١٩	*

ت	الاسباب	قيمة مربع كاي بين الجنسين	الدلالة المعنوية	قيمة مربع كاي بين الكليات	الدلالة المعنوية
١٥	تجاوز غياباتك النسب المقررة	٤,٥٥	*	٤,٠٢	
١٦	عدم الاعتماد على النفس في تأدية الواجبات الدراسية	١,٠٢		١,٢٧	
١٧	انخفاض المستوى المادي لعائلتك	٨,٥٧	*	٥,٨٢	
١٨	ضعف قابليتي على فهم المادة الدراسية	١,٧٨		١,٠٤	
١٩	ضعف الثقة بالنفس	٠,٠٠٦		١,٨٦	
٢٠	عدم قدرتك على التكيف الاجتماعي	٤,٠٢	*	٢,٥٥	

ثالثاً : الاسباب المتعلقة بنظم الامتحانات واساليبها

قيم مربع كاي لاسباب الرسوب المتعلقة بنظم الامتحانات واساليبها بين الجنسين وبين الكليات

ت	الاسباب	قيمة مربع كاي بين الجنسين	الدلالة المعنوية	قيمة مربع كاي بين الكليات	الدلالة المعنوية
١	تشدد الاستاذ بتصحيح الاسئلة الامتحانية	١,٣٣		٠,٤٣	
٢	طول الاسئلة الامتحانية بشكل لا يتلائم والفترة الزمنية المقررة للامتحان	٠,١٠		١,٢٨	
٣	جعل الامتحانات النهاية بين يوم وآخر غير كاف للمذاكرة	٤,٠٣	*	٦,١٧	*

ت	الأسباب	قيمة مربع كاي بين الجنسين	الدلالة المعنوية	قيمة مربع كاي بين الكليات	الدلالة المعنوية
٤	عدم التكافؤ بين اسئلة الامتحان والمادة التي يشرحها الاستاذ	٢,٩٧		٧,٥٢	*
٥	صعوبة الاسئلة الامتحانية			٤,٤٨	
٦	عدم تنسيق الفترة بين الامتحانات الفصلية لم تتح الوقت الكافي للمذاكرة	١,٠٥		٤,٤٥	
٧	نظام الامتحانات المعمول به حالياً غير عادل في تقسيم الدرجات	١,٧٥		٦	*
٨	عدم حضور الاستاذ للقاعة الامتحانية	٠,٢٩		٣,٥٨	
٩	تأخر الاستاذ في اعطاء النتائج الامتحانية الفصلية	٠,١٩		٤,١٨	

رابعاً : الاسباب المتعلقة بالادارة

قيم مربع كاي لاسباب الرسوب المتعلقة بالادارة بين الجنسين وبين الكليات

ت	الأسباب	قيمة مربع كاي بين الجنسين	الدلالة المعنوية	قيمة مربع كاي بين الكليات	الدلالة المعنوية
١	التشدد في تسجيل الغيابات وعدم المراعاة لظروفك الخاصة	٣,٢٣		٣,٠٣	
٢	عدم اهتمام الإدارة بمشاكل الطلبة	٠,٠٩		٢,٢٨	
٣	كثرة عدد الطلبة في الصف	٦,٤٣	*	١١,٨٤	*
٤	تأخر الحصول على للكتب والملازم المقررة	١,٢١		٨,٩٩	*
٥	جهلك بالأنظمة المتعلقة بالأمتحانات والغيابات	٣,٦٧		٠,٢٨	

الاستنتاج :

تم تصنيف الأسباب التي ادت الى رسوب الطلبة لاربعة مجاميع مرتبة تنازلياً حسب اهميتها في التأثير عليهم وكما يلي :ـ

أ ـ الأسباب المتعلقة بالمنهج وطرق التدريس

١ ـ كانت أعلى نسبة ٧١٪ لسبب (تراكم الدروس في اليوم الواحد دون فراغ بينهما يشعر الطالب بالملل)

٢ ـ بلغت اوطأ نسبة ٢٥٪ لسبب (لغة التدريس بالنسبة للاساتذة الأجانب غير مفهومه)

ب ـ الأسباب المتعلقة بالاستعدادات والظروف الشخصية للطلبة

١ ـ كانت اعلى نسبة ٦١٪ لسبب قلة التحضير اليومي للمواد الدراسية

٢ ـ كانت اوطأ نسبة ١٧٪ لسبب عدم القدرة على التكيف الأجتماعي

حـ ـ الأسباب المتعلقة بنظم الأمتحانات واساليبها

١ ـ كانت اعلى نسبة ٧١٪ لتشدد الأستاذ بتصحيح الأسئلة الأمتحانية

٢ ـ كانت أوطأ نسبة ٤١٪ لتأخر الأستاذ في اعطاء النتائج الفصلية

د ـ الأسباب المتعلقة بالإدارة

١ ـ كانت اعلى نسبة ٧٣٪ للتشدد في تسجيل الغيابات وعدم المراعاة للظروف الخاصة للطلبة

٢ ـ كانت اوطأ نسبة ١٨٪ للجهل بالأنظمة المتعلقة بالأمتحانات والغيابات

عند اختيار فرضيتي البحث عند مستوى دلالة ٥٪ اتضح ان هناك فروقاً ذات دلالة معنوية لعدد من مسببات الرسوب بين الجنسين وفروقاً ذات دلالة معنوية لعدد من مسببات الرسوب بين الكليات الثلاثة اما بالنسب للمسببات الأخرى فكانت ليست ذات دلالة معنوية .

التوصيات :

ان كل سبب من الأسباب التي ادت الى رسوب الطلبة يعطي معرفة بالوسائل التي يمكن اعتمادها لمعالجة هذه الظاهرة لذلك توصي الباحثة بما يلي :-

١ - ضرورة تناسب الأسئلة الأمتحانية والفترة الزمنية المقررة لها وان تنسجم قدرات الطلبة والمنهج الدراسي المقرر .

٢ - ينبغي تنسيق الفترة بين الأمتحانات النهائية بما يتناسب وطول المنهج المقرر وطبيعة المواد الدراسية وكذلك الحال للامتحانات الفصلية منعاً من تراكمها ولأتاحة الوقت الكافي للمذاكرة .

٣ - ضرورة حضور الأستاذ للقاعة الأمتحانية .

٤ - ضرورة اعطاء نتائج الأمتحانات الفصلية في وقت قريب ليتسنى للطلبة تقييم انفسهم علمياً .

٥ - ينبغي تنظيم الجدول اليومي للمواد الدراسية وفق اسس علمية بحيث يتيح فرصة كافية للاستراحة بين المحاضرات وملاحظة توزيع الدروس في اليوم الواحد حسب طبيعتها .

٦ - ضرورة تطوير المناهج الدراسية بحيث تتماشى والتطور العلمي الحديث وتكون منسجمة مع التخصص هذا اضافة الى مراعاة تناسبها وطول العام الدراسي ومراعاة مسألة الفروق الفردية في استعدادات الطلبة وقابلياتهم ومنعاً للاعادة والتكرار في المواضيع الدراسية .

٧ - ينبغي الأستفادة من آراء ومقترحات الأساتذة المختصين والقائمين بالتدريس حول المناهج الدراسية في نهاية كل عام دراسي ليسهموا بشكل فعال في عملية تطوير تلك المناهج.

٨ - ضرورة التأكيد على عملية التعريب لتوفير الكتب والمصادر باللغة العربية وتعزيز مكتبة الجامعة المستنصرية بتلك الكتب والمصادر بحدود ماأمكن.

٩ - ضرورة تحديد المقررات الدراسية المعتمدة من قبل الأقسام وفق اسس علمية وقبل فترة مناسبة مع مراعاة كون هذه المقررات تخدم الطلبة فعلا وعدم التردد في تحديدهم لتلك المقررات .

المقترحات لبحوث مقبلة :

١ ـ دراسة مقارنة مع الدراسة الحالية لأسباب الرسوب خلال فترة الحرب .

٢ ـ دراسة لأسباب رسوب الطلبة من وجهة نظر الأساتذة .

٣ ـ دراسة لأسباب رسوب الطلبة في مادة دراسية معينة .

٤ ـ دراسة مقارنة لأسباب رسوب الطلبة على مستوى جامعات القطر.

المصادر :

١ ـ التقرير السياسي الصادر عن المؤتمر القطري الثامن لحزب البعث العربي الأشتراكي الطبعة الرابعة: دار الحرية للطباعة ١٩٧٤.

٢ ـ وزارة التخطيط.الدائرة التربوية والأجتماعية. وحدة تخطيط الطاقة البشرية العالية (الأهدار في مؤسسات التعليم العالي والرسوب والتسرب) دراسة رقم (٤) بغداد: آب ١٩٧٧

